الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية
بمصر والشام

تأليف
أحمد أحمد بدوي

دار نهضة مصر للطبع والنشر
الفجالة - القاهرة

الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية

بمصر والشام

دار نهضة مصر للطبع والنشر
الفجالة - القاهرة

الفجالة - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم المرسلين . وعلى آله وصحبه .

وبعد ، فهذه دراسة للحياة العقلية بمصر والشام ، فى عصر الحروب الصليبية ، قصدت بها أن تكون ممهدة لدراسة الحياة الأدبية فى ذلك العصر ؛ لما هو ثابت مقرر من تأثر الأدب بثقافة الزمن الذى يعيش فيه ، فكان من الضرورى دراسة ألوان هذه الثقافة التى يسميها أستاذنا الكبير الأستاذ أمين الخولى بك ، دراسة ما حول الأدب ، قبل دراسة الأدب نفسه .

فلست أقصد الى تأريخ أنواع العلوم التى عرفها ذلك العصر ، تأريخا يتتبع تطورها ، وما أضافه علماؤها حينئذ الى جهود سابقيهم ، فذلك مالا أطيقه بهذه السعة ، و لاسبيل لى اليه ؛ وانما هو الى المتخصصين فى كل مادة من تلكم المواد ، فهم الحريون بمعرفة ما حدث للمادة من تطور ، وما دخل عليها من جديد ، وحسبى أن أرسم الخطوط الكبرى فى صورة ذلك التاريخ ، حتى نستطيع تفهم البيئة التى عاش فيها الأدب ، من جوانب نشاطها المتعددة ، على حين أقدم مواد البناء التاريخى الكامل ، لمن يقف عنده فى تفصيل وعمق . واذا ما تناولت ما يهيىء لوصف البيئة الأدبية العامة ، وما يعد للدرس التاريخى العقلى المفصل ، فحسبى أن أحقق هذين الهدفين الكريمين .

سأضع المعالم الكبرى اذا لعلوم ذلك العصر : دينية ودنيوية ، وسأجمل حياة كل علم ، وكبريات حوادثه ، فى عهد تلك الحروب، وأتحدث عن كبار علمائه وآثارهم ، ومواضع تلك الآثار ، على قدر استطاعتى ، ومراجع ترجمة هؤلاء العلماء ، بعد التعريف اليسير بهم . وسأقدم بين يدى ذلك كله فصلا عن العلم والتعليم ، وطرائقه ، ووسائل تشجيعه ورعايته .

وآثرت عصر الحروب الصليبية بالدراسة ، وهو يمتد زهاء قرنين (٤٩٢ ـ ٦٩٢ هـ) لأنه عصر مواجهة الغرب للشرق ، واستفادته منه تلك الاستفادة التى دفعت الغرب الى النهضة ، كما اعترف بذلك مؤرخوهم ، ولأنه فترة تجمع فيها الغرب يريد أن يقضى على الاسلام ، فى غير ماهوادة ولا رفق، ثم أخذ الاسلام يتجمع بعد فرقة، ويركز قواه، ويوحد جهوده ، ليستعيد ما فقده من الوطن المغتصب ، وكان لاستنارة العقول بالعلم أثر ، ولا ريب ، فى هذه النهضة القوية ، التى انتهت بهذا النصر الحاسم ، فكان من الضرورى معرفة ألوان هذا النشاط العلمى .

واخترت أن يكون ميدان بحثى مصر والشام ، لأنهما كانا يخضعان لسلطة واحدة فى أغلب هذا العصر ، وكان العلماء يتنقلون بين بلاد القطرين معا، فكان ـ فى كثير من الأحيان ـ يصعب تخصيص عالم بقطر دون سواه ، فهما بيئة معنوية واحدة ، فى هذا العهد . هذا الى أن البلدين معا ، ذاقا عنف الحروب الصليبية ، وجرت على أرضيهما ، وهوجمت مدنهما ، وعلى يديهما متحدين طرد الصليبيون من الديار .

وان غنى المكتبة العربية بانتاجها الضخم فى ذلك العصر ، ليدلنا على حركة علمية ناشطة ، وثقافة ممتازة ، تنوعت فروعها ، وحمل لواءها أعلام نابغون ، فمن فقهاء على المذاهب الأربعة ، الى نحاة ، ولغويين ، وعروضيين ، ومحدثين ومفسرين ومقرئين ، ومتكلمين ، ورجال أدب ، وبلاغة ، ومؤرخين ، وجغرافيين ، وعلماء بعلوم الأوائل من منطق ، وفلسفة ، وسياسة ، وطب ، ورياضة ، وموسيقى ، ولم يخل العصر

من فلكيين ومنجمين . وساعد على ازدهار هذه الحركة انتشار دور العلم فى أرجاء مصر والشام، وما ألحق بها من خزائن الكتب ، وما كان العلماء يستطيعون أن يصلوا اليه من أسمى المناصب فى الدولة ، وما كانوا يظفرون به عند الخلفاء والسلاطين من تشجيع وتقريب ، وما نالوه عند الشعب من اجلال وتقدير .

وكان حكام ذلك العصر مثقفين ثقافة ممتازة ، ويحيطون أنفسهم بطبقة متميزة من المثقفين ، يقربونهم ويغدقون عليهم ، وكان للفاطميين فى ذلك نصيب وافر ، يروى أن المهذب بن النقاش لما وصل الى الشام من بغداد ، وكان فاضلا فى صناعة الطب ، أقام بدمشق مدة ، ولم يحصل له بها ما يقوم بكفايته ، وسمع بالديار المصرية ، وانعام الخلفاء فيها ، وكرمهم ، واحسانهم الى من يقصدهم ، ولا سيما أرباب العلم والفضل ، فتاقت نفسه الى السفر ، وتوجهت أمانيه الى الديار المصرية ، فوجد فيها ما كان يرجوه (١) ، وشهر من وزرائهم فى تلك الفترة ، بحب العلم وتقريب العلماء وتشجيعهم — الوزير الأفضل بن بدر الجمالى ، وكان مغرما بجمع الكتب .

غير أنه مما لا شك فيه أن الاضطراب السياسى الذى أصاب الدولة الفاطمية فى أخريات أيامها ، كان له أثره فى اضطراب الحركة العلمية .

أما نور الدين محمود فقد كان يجلب العلماء ، ويحتفى بكبارهم، ويسكنهم الشام، ويبنى لهم المدارس ، ويغدق عليهم المرتبات، ويكاتبهم بخط يده ، (٢) وكان متبحرا فى الشرع . واقتدى به صلاح الدين فى تشجيع العلماء وتقريبهم ، حتى ان عبد اللطيف البغدادى عندما دخل دمشق ، وجد فيها من أعيان بغداد والبلاد ممن جمعهم الاحسان الصلاحى جمعا كبيرا (٣) . وكان مجلس صلاح الدين حافلا بأهل العلم يتذاكرون فى أصناف العلوم ، وهو يحسن السماع والمشاركة (٤) ،

(١) عيون الأنباء جـ ٢ ص ١٠٩ . (٢) ابن الأثير جـ ١١ ص ١٨٢ .
(٣) عيون الأنباء جـ ٢ ص ٢٠٤ .
(٤) طبقات الشافعية للسبكى جـ ٤ ص ٣٢٩ .

حتى صار لكثرة مخالطته للعلماء وأخذه عنهم ، كأنه من كبار الفقهاء . يضرب فى كل علم من علوم الدين بالسهم الصائب ، وكان يحفظ القرآن الكريم ، والتنبيه فى فقه الشافعى ، وديوان الحماسة لأبى تمام (١) ، وألف له محمد بن هبة الله أرجوزة فى العقائد . « وكان رحمه الله شديد الرغبة فى سماع الحديث ، ومتى سمع عن شيخ ذى دراية عالية وسماع كثير ، فان كان ممن يحضر عنده استحضره ، وسمع عليه ، فأسمع من كان يحضره فى ذلك المكان من أولاده ومماليكه المختصين به .. وان كان ذلك الشيخ ممن لا يطرق أبواب السلاطين ، ويتجاوز عن الحضور فى مجالسهم ، سعى اليه ، وسمع عليه ، وكان يستحضره فى خلوته ، ويحضر شيئا من كتب الحديث ويقرؤها هو ، فاذا مر بحديث فيه عبرة ، رق قلبه ودمعت عينه (٢) » . وقد مضى الى الاسكندرية مع ولديه : على وعثمان ، وسمع الحديث بها من السلفى (٣) ، كما سمع فيها الموطأ من أبى الطاهر بن عوف ، (٤) وكان مدة مقامه بالقاهرة يعين وقتا لسماع الأحاديث النبوية من تاج الدين المسعودى (٥) .

وبعد صلاح الدين ولى العرش ابنه العزيز عثمان ، « وهو مثقف ، سمع الحديث بالاسكندرية من الحافظ السلفى ، والفقيه أبى الطاهر ابن عوف الزهرى ، وسمع بمصر من العلامة أبى محمد بن برى النحوى وغيرهم » (٦) ، وهو الذى رحب بمقدم عبد اللطيف البغدادى الى مصر ، وأجرى عليه من بيت المال مايزيد على كفايته (٧) ، واستقدم الحسن ابن الخطير من القدس ، وأغدق عليه حتى أغناه (٨) . ولو امتد الزمن بالعزيز عثمان ، لنال العلم على يديه ما ناله على يدى أبيه من قبل ، ولكن الحياة لم تطل له .

---

(١) طبقات الشافعية للسبكى جـ ٤ ص ٣٢٩ . (٢) المرجع السابق ص ١٩٥

(٣) النوادر السلطانية لابن شداد ص ٧ .

(٤) الروضتين جـ ١ ص ٢٦٩ .

(٥) طبقات الشافعية للسبكى جـ ٤ ص ٣٤٠ .

(٦) وفيات الأعيان جـ ١ ص ٣١٥ . (٧) عيون الأنباء جـ ٢ ص ٢٠٧ .

(٨) معجم الأدباء جـ ٨ ص ١٠٠ .

فلما جاء العادل ساهم ، وان كانت مساهمة قليلة ، فى النهضة الفكرية ، فأنشأ بعض المدارس كما سنرى . وكان ذلك لانصرافه الى الحياة السياسية ، وتثبيت دعائم العرش له ولبنيه ، الذين كانوا أكرم الأبناء ، نهوضا بالعلم ، وأخذا منه بأوفى نصيب ، وتشجيعا على الاغتراف من مناهله ، ورفعا لقواعد معاهده .

أما الكامل فى مصر فقال عنه المقريزى (١) : « كان يحب أهل العلم ويؤثر مجالستهم ، وعنده شغف بسماع الحديث النبوى ، وحدث بالاجازة من أبى محمد بن برى ، وأبى القاسم البوصيرى ، وعدة من المصريين وغيرهم ، وتقدم عنده أبو الخطاب بن دحية ، وبنى له دار الحديث الكاملية بالقاهرة ، وجعل عليها أوقافا ، وكان يناظر العلماء ، وعنده مسائل غريبة من فقه ونحو يمتحن بها ، فمن أجاب عنها قدمه وحظى عنده ، وكانت تبيت عنده بالقلعة جماعة من أهل العلم ، كالجمال اليمنى النحوى ، والفقيه عبد الظاهر ، وابن دحية ، والأمير صلاح الدين الاربلى ، وكان أحد الفضلاء ، فينصب لهم أسرة ينامون عليها بجانب سريره ؛ ليسامروه ؛ فنفقت العلوم والآداب عنده ، وقصده أرباب الفضائل ، فكان يطلق لمن يأتيه منهم الأرزاق الوافرة الدارة . فممن قصده التاج بن الأرموى ، وأفضل الدين الخونجى ، والقاضى الشريف شمس الدين الأرموى قاضى العسكر ، وهؤلاء أئمة وقتهم » . وكان يجلس كل ليلة جمعة مجلسا لأهل العلم (٢) ، ويشترك فى المناقشات التى تجرى فيه (٣) ، وهو الذى أغرى يحيى بن عبد المعطى الزواوى صاحب الألفية فى النحو بالقدوم الى مصر ، فجاء اليها ، وتصدر بجامع عمرو ، لاقراء الأدب ، ورتب له الكامل جاريا كفاه (٤) .

أما المعظم عيسى بالشام ، فكان مأمون بنى أيوب ، عالما ، فقيها ، نحويا ، لغويا ، ولد بالقاهرة ، ونشأ بالشام ، وقرأ القرآن ، ودرس

---

(١) السلوك جـ ١ ص ٢٥٨ .

(٢) خطط المقريزى جـ ٤ ص ٢١٥ .

(٣) A History of Egypt in the middle Ages, P. 230

(٤) وفيات الاعيان جـ ٢ ص ٢٣٥ .

فقه أبى حنيفة على جمال الدين الحصيرى ، واعتنى بالجامع الكبير للامام محمد الشيبانى فى فقه أبى حنيفة ، وقرأ الأدب والنحو على التاج الكندى ، فأخذ عنه كتاب سيبويه وشرحه الكبير للسيرافى ، والحجة فى القراءات لأبى على الفارسى ، والحماســة لأبى تمام ، وقرأ عليه الايضاح فى النحو لأبى على الفارسى حفظا (١) ، وسمع المسند فى الحديث من حنبل بن عبد الله (٢) . وشرح المعظم الجامع الكبير ، وألف كتاب السهم المصيب فى الرد على الخطيب ، فيما نسبه الى أبى حنيفة ، وله ديوان شعر (٣) . وقيل : انه كان قد شرط لكل من يحفظ المفصل للزمخشرى مائة دينار وخلعة ، فحفظه لهذا السبب جماعة (٤) . وكان يقول : من حفظ الجامع الكبير أعطيته مائة دينار ، ومن حفظ الايضاح أعطيته ثلاثين ديناراً ، فحفظ الكتابين جماعة كبيرة ، ووفى المعظم لهم، وأمر الفقهاء أن يجردوا مذهب أبى حنيفة دون صاحبيه ، فجرد ذلك فى عشر مجلدات سماها التذكرة ، فكان لا يفارقه سفراً ولا حضراً ، قال سبط بن الجوزى : فكتب على ظهر مجلدة : أنهاه حفظا عيسى بن أبى بكر بن أيوب ، فقلت له ، ربما يؤخذ عليك ، لأن أكبر مدرس فى الشام يحفظ القدورى ، وأنت مع شغلك بالملك تحفظ عشر مجلدات!؟ فقال : « ليس الاعتناء بالألفاظ ، الاعتناء بالمعانى ، فاسألونى عن جميع مسائلها ، فان قصرت كان الصواب لكم ، والا فسلموا لى (٥) » .

وهو الذى أكرم وفادة شمس الدين الخويى ، عندما قدم الى دمشق فانه أحضره ، وسمع كلامه ، فوجده بارعا فى شتى العلوم ، فحسن موقعه عنده ، وأطلق له مرتبا ، وبقى معه فى الصحبة (٦) ، وساهم المعظم عيسى ، كما ساهم أخوه وأبوه وعمه فى انشاء المدارس بالقدس

---

(١) النجوم الزاهرة جـ ٦ ص ٢٦٧ .

(٢) ذيل الروضتين ص ٦٢ .

(٣) النجوم الزاهرة جـ ٦ ص ٢٦٧ .

(٤) وفيات الاعيان جـ ١ ص ٣٩٦ .

(٥) مفرج الكرب ص ٧٥ .

(٦) عيون الانباء جـ ٢ ص ١٧١ .

ودمشق ، كما سنرى . وبنى أخوه الأشرف موسى دار الحديث الأشرفية بدمشــق .

وكان الناصر داود كأبيه المعظم عيسى ، يحب العلم ، ويقــدم أهله ، وهو الذى استدعى عبد الحميد بن عيسى ، وهو من علمــاء المعقولات ، وتلميذ الأمام الرازى ، ليقرأ عليه (١) . وفى عهده راجت العلوم العقلية ، ونشطت دراسة الفلسفة (٢) .

وعرف من حكام الأقاليم الشامية بحب العلم وتشجيع أهله الملك المنصور محمد بن تقى الدين عمر صاحب حماة ، فقد كان يحب العلماء، ويشجع قدومهم اليه ، فورد عليه جمــاعة كبيرة منهم ســيف الدين الآمدى . ويقول صاحب المختصر : كان فى خدمته قريب مائتى متعمم، من النحاة والفقهاء والمشتغلين بغير ذلك . وصنف عدة مصنفات (٣) .

وكان الصالح أيوب مع عدم ميله الى العلم ، ولامطالعة الكتب يجــرى على أهل العلم المعاليم والجرايات ، من غير أن يخــالطهم ، كما لم يخالط غيرهم ، لمحبته فى العزلة ، ورغبته فى الانفراد ، وملازمته للصمت ، ومداومته على الوقار والسكون (٤) . وسنرى فيما بعد أنه زار عدة مدن فى امبراطوريته ، وأغدق على المدرسين بها أموالا جمة ، وهو الذى بنى احدى المدارس الكبرى بالقــاهرة ، وهى المدرســة الصالحية .

واقتدى المماليك بأساتذتهم الأيوبيين ، وتشبهوا بهم . وسنتحدث فيما بعد عن ثقافتهم ، وكيف كانوا يزودون بالثقــافات التى تؤهلهم للوصول الى مناصبهم ، واذا كنت لم أقرأ ما يدلنى على صلة المعز أيبك بالعلماء فلا أشك فى أن مرجع ذلك الى ظروفه السياسية الخاصة التى أحاطت به ، ومع هذا أنشأ مدرسة بالقاهرة .

---

(١) طبقات الشافعية جـ ١٢٥ .
(٢) ذيل الروضتين ص ١٥٦ .
(٣) المختصر جـ ٣ ص ١٢٥ .
(٤) السلوك جـ ١ ص ٣٤١ .

فلما تولى الظاهر بيبرس ، أخذ يقرب اليه النابغين فى كل علم وفن ، وكان يميل الى التاريخ وأهله ميلا شديدا ، ويقول : سماع التاريخ أعظم من التجارب (١) ، وأما المنصور قلاوون فمع أنه كان معجم اللسان ، لا يكاد يفصح بالعربية ، لأنه جاء كبيرا من الترك (٢) — أنشأ احـدى المدارس الكبرى بمصر ، وكان ابنه خليل مثقفا ثقافة أدبية ممتازة ، استطاع بها أن ينقد ما يعرض عليه من المراسيم وأن يصلحها . ويطارح الأدباء بذهن رائق وذكاء مفرط (٣) ، وبنى كذلك المدرسة الأشرفية .

وقد استطاع بعض العلماء فى تلك العصور ، أن يكونوا ذوى نفوذ كبير عند السلاطين والشعب ، فكان السلاطين ينزلون عند رأيهم، ويخشون سطوة نفوذهم .

ومما ينبغى أن يذكر فى هذا المقام أن كثيرا من علماء الأندلس النابهين وفدوا الى هذه البلاد ، فى ذلك العصر ، ووجدوا فيها أمنا فقدوه فى ديارهم ، وأحدث هؤلاء الوافدون حركة علمية قوية كما سنرى ، وحسبنا أن نذكر من هؤلاء الأعلام الطرطوشى ، والشاطبى ، وابن مالك .

هذا ومما لا ريب فيه أن كثيرا من الناس أقبلوا على العلم يومئذ، متطلعين الى المناصب التى كان أهل العلم يظفرون بها .

---

(١) النجوم الزاهرة جـ ٧ ص ١٨٢ .
(٢) المرجع السابق ص ٣٢٥ .
(٣) السلوك جـ ١ ص ٧٩١ .

دور العلم

جاءت الحروب الصليبية ، والمسلمون بمصر والشام ، يتلقون دروسهم فى الجوامع المنتشرة فى أرجاء البلاد ، ففيها تعقد حلقات التعليم ، وبها تبنى الزوايا لتثقيف الطلبة . ولم تعرف مصر من المدارس قبل عصر الحروب الصليبية الا دار الحكمة ، التى كانت أشبه بجامعة حكومية وشعبية معا ، ثم أسست بالاسكندرية مدرستان فى ذلك العهد أيام الفاطميين ، وانتشرت المدارس فى أرجاء مصر بعدئذ ، منذ ولاية صلاح الدين . وعرفت الشام من المدارس كذلك دار الحكمة بطرابلس، وأنشئت فيها بعض المدارس قبل عصر الحروب الصليبية ، ثم كثرت وتوالى انشاؤها فى ذلك العصر ، وهأنذا أبدأ بتفصيل ما أجملت .

١ - الجوامع

واشتهر من بينها فى مصر ، جامع عمرو بن العاص ، والجامع الأزهر ، وجامع الحاكم ، والجامع الأقمر ، وجامع العطارين بالاسكندرية . وفى الشام جامع دمشق ، وجامع حلب ، والمسجد الأقصى .

جامع عمرو

كان يحتفظ بهيبته وجلاله ، برغم قيام مسجد العسكر ، وجامع ابن طولون ، والجامع الأزهر . ولم يضن عليه الفاطميون برعايتهم ، فجددوه حينا ، وزادوا فيه حينا آخر (١) ، وكان فى عهدهم الى جانب الأزهر مصدر نور وعرفان ، يدرس فيه فقه الشيعة كذلك (٢) . فلما

---

(١) الانتصار لواسطة عقد الأمصار جـ ٤ ص ٦٨ ومابعدها .

(٢) خطط المقريزى جـ ٤ ص ١٩٢ .

دخل الفرنج أرض مصر سنة ٥٦٤ هـ ، وأمر شاور وزير الفاطميين باحراق مدينة مصر أصيب جامع عمرو ، فتشعث بناؤه وبياضه (١) ، فلما تملك صلاح الدين أصلح الجامع العتيق . وفي عهد الظاهر بيبرس ، عنى بالجامع أيضا ، فعمر وجدد ، كما عمر مرة أخرى فى أيام المنصور قلاوون (٢) ، وكان ينظر الى هذا الجامع والجامع الأزهر ، فى عهد المماليك الأول ، نظرة تقدير واجلال .

كانت حلقات العلم تعقد بهذا الجامع ، فى مختلف فروع الثقافة المعروفة ، ويدلنا على كثرة هذه الحلقات ما رواه العلامة شمس الدين محمد بن الصائغ الحنفى ، من أنه أدرك بجامع عمرو ، قبل الوباء الذى حدث سنة ٧٤٩ ، بضعا وأربعين حلقة، لاقراء العلم لاتكاد تبرح منه(٣) وهذا ، وان كان بعد عصرنا ، يصور لنا مقدار نشاط الحركة الفكرية، فى هذا الجامع العتيق ، الذى لم يكن حظه فى العصر الصليبى بأقل من حظه يوم رآه ابن الصائغ .

وكان بالجامع زوايا يدرس فيها الفقه ، منها زاوية الامام الشافعى، يقال : ان الشافعى رضى الله عنه درس بها ، فعرفت به، وقد وقف أرضا عليها العزيز عثمان بن صلاح الدين ، وكان يتولى تدريسها أعيان الفقهاء وجلة العلماء (٤) ومنها الزاوية المجدية ، رتبها مجد الدين البهنسى الشافعى وزير الأشرف موسى ، وقرر فى تدريسها قريبه قاضي القضاة : وجيه الدين عبد الوهاب البهنسى * ، وهو فقيه أصولى نحوى . ورتب لها عدة أوقاف بمصر والقاهرة . ويعد تدريسها من المناصب الجليلة (٥) . ومنها الزاوية الصاحبية ، رتبها الصاحب

---

(١) المرجع السابق ص ١٢ .
(٢) الانتصار لواسطة عقد الأمصار جـ ٤ ص ٧٠ .
(٣) حسن المحاضرة جـ ٢ ص ١٥٢ .
(٤) السلوك جـ ١ ص ٧٢٣ ، وخطط المقريزى جـ ٤ ص ٢٠ .
* مراجعه : ١ — طبقات الشافعية للسبكى جـ ٥ ص ١٣٣ . ٢ بغية الوعاة ص٣١٨ .
٢ — حسن المحاضرة جـ ١ ص ١٦٥ و جـ ٢ ص ١١٢ .
٤ — السلوك جـ ١ ص ٧٢٣ . ٥ — خطط المقريزى جـ ٤ ص ٢٠ .
(٥) خطط المقريزى جـ ٤ ص ٢٠ .

تاج الدين محمد بن بهاء الدين بن حنا ، ووقف عليها ، وجعل لهما مدرسين : أحدهما مالكى ، والآخر شافعى (١) .

ومن ذلك يبدو لنا أن الحركة العلمية فى الجامع العتيق كانت قوية نشيطة فى هذا العصر الذى نتحدث عنه ، بل كانت حينئذ أقوى وأنشط منها فى الجامع الأزهر وغيره ، من جوامع مصر والقاهرة .

وحفظ لنا التاريخ أسماء جملة ممن قاموا بالتدريس فيه ، بينهم أعلام لامعة لاتزال لبعضهم آثار حية الى الآن . وان تنوع ثقافتهم ليدل على ألوان المعارف التى كانت تدرس بذلك الجامع ، فقد عرفنا من بينهم البارع فى القراءات والتفسير والنحو ، كعبد الكريم بن الحسن بن سوار * ، المتوفى سنة ٥٢٥ هـ ، والمؤلف فى القراءات والنحو والعروض، كعثمان بن على السرقوسى ** ، والنابغة فى النحو واللغة ، كعبد الله بن برى (٢) ، المتوفى سنة ٥٨٢ هـ ، ويحيى بن معطى الزواوى (٣) أول من وضع منظومة نحوية فى ألف بيت ، والأديب النحوى المقرىء كسلامة بن عبد الباقى الأنبارى *** ، المتوفى سنة ٥٩٠ هـ ولعله قرأ بجامع عمرو شرحه الذى كتبه على مقامات الحريرى (٣) ، والفقيه الأصولى كمحمد بن الحسين المحلى (٤) .

---

(١) المرجع السابق .

(٢) له ترجمة بهذا الكتاب .

* مراجعه : ١ - طبقات القراء للذهبى جـ ١ ص ١٥٢ .
٢ - طبقات المفسرين للسيوطى ص ٢١ .
٣ - حسن المحاضرة جـ ١ ص ٢٣٥ .

** مراجعه : ١ - معجم الأدباء جـ ١٢ ص ١٣٠ .
٢ - أنباء الرواة ص ٣٦٢ .
٣ - بقية الوعاة ص ٣٢٣ .

*** مراجعه : ١ - معجم الأدباء جـ ١١ ص ٢٣٢ .
٢ - نكت الهميان ص ١٦٠ .
٣ - بغية الوعاة ص ٢٥٩ .

(٣) هذا الشرح مخطوط بدار الكتب رقم ٣٧ ادب .

(٤) طبقات الشافعية للسبكى جـ ٥ ص ٢٠ .

الجامع الأزهر

أول مساجد القاهرة ، أنشأ جوهر الصقلى ، بأمر المعز لدين الله، أول خلفاء الفاطميين فى مصر ، وتم بناؤه سنة ٣٦١ هـ (١) ، ومنذ ذلك الحين ظفر الأزهر بعناية الفاطميين جيلا بعد جيل ، وكانت الغاية الأولى من تشييده اقامة الصلاة فيه ، ولكن لم يمض على انشائه وقت قصير ، حتى سأل الوزير يعقوب بن كلس الخليفة العزيز بالله ، فى صلة رزق جماعة من الفقهاء فأطلق لهم ما يكفى كل واحد منهم من الرزق ، وأمر لهم بشراء دار وبنائها ، بجانب الجامع الأزهر ، فاذا كان يوم الجمعة ، حضروا الى الجامع ، وتحلقوا فيه بعد الصلاة ، الى أن تصلى العصر ، وكانت عدتهم خمسة وثلاثين رجلا ، وكان لهم أيضا من مال الوزير صلة فى كل سنة ، كما كانوا موضع عطف للخليفة ، يخلع الوزير صلة فى كل سنة ، كما كانوا موضع عطف الخليفة ، يخلع عليهم فى عيد الفطر (٢) .

صار الأزهر منذ ذلك التاريخ من آهم مواطن الثقافة فى مصر ، ولكن التعليم قد اصطبغ فيه (ولا ريب) بالصبغة المذهبية ؛ فكان الفقه يدرس فيه على مذهب الشيعة ، وتقرأ فيه كتب هذا المذهب ، من مثل كتاب الاقتصار ، الذى وضعه أبو حنيفة النعمان بن محمد القيروانى ، قاضى المعز لدين الله فى فقه آل البيت ، وكتاب دعائم الاسلام ، وكتاب الأخبار فى فضل الأئمة الأبرار له أيضا ، كما كانت تقرأ فيه الرسالة الوزيرية ، وهى كتاب ألفه الوزير ابن كلس فى الفقه الشيعى على مذهب الاسماعيلية ، وأفتى الناس بمافيه ، وكانت الصبغة الدينية هى الغالبة على الأزهر ، أما العلوم الفلسفية فقد نهضت بها دار الحكمة التى سنتحدث عنها فيما بعد ، وان كان يبدو أن هذه العلوم أيضا كانت تدرس بالأزهر فى حدود ضيقة ، فقد كان الدعاة

---

(١) خطط المقريزى جـ ٤ ص ٤٩ .

(٢) المرجع السابق نفسه .

وهم أساتذة دار الحكمة ، يجلسون للتدريس فى الجامع الأزهر ، أحيانا كثيرة (١) ، وكان داعى الدعاة يدرس فيه درسا خاصا للنساء (٢) .

ولست أدرى ان كان غير مذهب الشيعة قد وجد سبيله الى الأزهر ، فى الأوقات التى كانت تضعف فيها حدة الدعوة الاسماعيلية فى العصر الذى ندرسه ، كما حدث ذلك فى عهد الأفضل الامامى المتسامح وزير الآمر (٣) ، والعادل بن السلار السنى وزير الظافر .

غير أنه مما لا شك فيه ، أن مذهب الشيعيين قد أخذ يتلاشى ، ان لم يكن قد اختفى تدريسه من الأزهر ، حين قضى صلاح الدين على الخلافة الفاطمية وأبطل الخطبة من الجامع الأزهر ، ذلك أنه قلد وظيفة القضاء صدر الدين بن درباس ، وهو شافعى ، فعمل بمقتضى مذهبه ، وهو امتناع اقامة خطبتين فى بلد واحد ، فأبطل الخطبة من الجامع الأزهر ، وأقرها بالجامع الحاكمى ، لكونه أوسع (٤) ، والظاهر أن ذلك لم يكن الا تبريراً لما أراده صلاح الدين من اهمال أمر الأزهر ، وصرف عناية الناس عنه ، لأنه أقدم موطن لنشر دعوة الشيعة فى البلاد ، ولولا ذلك لأمكنه أن يجمع فيه مرة ، وفى الجامع الحاكمى أخرى ، ولكن اهمال الأزهر كان خطة رسمها صلاح الدين وخلفاؤه من بعده، فأنشئوا المدارس المختلفة التى نافسته، وأقبل عليها المدرسون أكثر من اقبالهم على الأزهر ، لكثرة ما تدره هذه المدارس على مدرسيها وطلبتها ، ولما كانت تظفر به من رعاية أولى الأمر ، ولكن التدريس لم ينقطع من الجامع الأزهر ، برغم انقطاع خطبة الجمعة فيه واهمال السلاطين أمره ، وها هو ذا عبد اللطيف البغدادى يأتى اليه فى عصر

---

(١) المرجع السابق ص ٨٥ .

(٢) خطط المقريزى جـ ٢ ص ٢٢٦ .

(٣) دول الاسلام للذهبى جـ ٣ ص ٢٩ .

(٤) حسن المحاضرة جـ ٢ ص ١٥٥ .

العادل ويتردد عليه عشر سنين ، مستمعا الى الأساتذة المحاضرين حينا (١) ، وقائما بتدريس الطب والفلسفة والمنطق طرفى النهار حينا آخر (٢) .

وظل الجامع الأزهر مهملا من سلاطين الدولة ، والجمعة فيه معطلة زهاء مائة عام (٣) ، الى أن سكن بجواره ، الأمير عز الدين الحلى ، نائب السلطنة فى عهد بيبرس ، فانتزع كثيرا من أوقاف الجامع كانت مغصوبة بيد جماعة ، وتبرع له ، وأصلحه ، وأقام فيه منبرا ، وأذن القاضى الحنفى (٤) باعادة الخطبة فيه ، فأعيدت يوم الجمعة ١٨ ربيع الثانى سنة ٦٦٥ هـ (٥) ، وعمل الأمير فيه مقصورة ، رتب فيها مدرسا ، وجماعة من الفقهاء على مذهب الشافعى ، ورتب محدثا يسمع الحديث النبوى والرقائق ، ورتب سبعة لقراءة القرآن ، ووقف على ذلك أوقافا دارة تكفيه (٦) ، ولم يلبث الأزهر أن ظفر بمكانة سامية ، يدل عليها أن الذى تولى أمر خطابته فى عهد المنصور قلاوون وابنه ، هو عبد الرحمن ابن بنت الأعز قاضى قضاة الشافعية . ومن بعده كذلك محمد بن ابراهيم بن جماعة ، (٧) وذاع صيت الأزهر منذ ذلك العهد ، وأصبح معهدا علمياً يؤمه الناس من كل فج ، ولقى الأزهر من العناية الشىء الكثير ، وزاد فى مجده أن غزوات المغول فى المشرق ، قضت على معاهد العلم فيه ، وأن الاسلام أصابه فى المغرب من التفكك والانحلال ما أدى الى دمار مدارسه الزاهية (٨) . ولم تقتصر الدراسة فى الأزهر على الفقه ، أو علم الكلام فحسب ، بل كان يدرس به كذلك النحو ، والأدب ، وكان محمد بن بركات بن هلال الصوفى المتوفى سنة ٥٢٠ هـ ممن قام بتدريسهما فيه ، كما درست فيه القراءات ، وتفسير

(١) A History of Egypt in the Middle Ages, p. 215

(٢) عيون الأنباء جـ ٢ ص ٢٠٧ .

(٣) خطط المقريزى جـ ٤ ص ٥٣ .

(٤) حسن المحاضرة جـ ٢ ص ١٥٥ .

(٥) السلوك جـ ١ ص ٥٥٦ .

(٦) السلوك جـ ١ ص ٥٥٧ .

(٧) المرجع السابق ص ٧٧١ ، ٧٧٣ .

(٨) دائرة المعارف الاسلامية ، المجلد الثانى ، العدد الأول ، ص ٥٢ .

القرآن ، والمنطق ، والحساب ، والهيئة ، والطب ، واللغة ، والعروض والقوافي ؛ والتاريخ ؛ وربما شارك الحسن بن الخطير المتوفى سنة ٥٩٨هـ في القيام بطرف من تدريس هذه المواد ، فقد كان عالما بها كلها ، ولعل نصر بن محمد بن المظفر المتوفى سنة ٦٣٠ درس اللغة بالأزهر ، وألقى به رسالته في الضاد والظاء .

ومن أعلام الصوفية الذين جلسوا بالجامع الأزهر ، وتحدثوا بمبادئهم فيه تاج الدين بن عطاء الله السكندرى (١) المتوفى سنة ٧٠٩ ، اذ كان انتقاله الى القاهرة قبل انقضاء عصر الحروب الصليبية ، كما كان يقيم فيه عمر بن الفارض الصوفى الشاعر (٢) .

الجامع الطولونى

أما الجامع الطولونى الذى كان منار هدى وعرفان منذ انشائه ، فقد أطفئت مصابيحه طول عهد الحروب الصليبية ، بل قبل أن تنشب تلك الحروب بزمن مديد : ذلك أن الغلاء الذى اجتاح مصر فى عهد المستنصر بالله (٤٢٧ — ٤٨٧ هـ) خرب قطائع ابن طولون بأسرها ، ولم يبق ثمة ساكن حول الجامع ، وتوالت الأيام على ذلك ، وتشعث الجامع وخرب أكثره ، وصار أخيراً مأوى للمغاربة القادمين للحج ، ينزلون فيه بأباعرهم ومتاعهم عندما يمرون بمصر (٣) ، وطالت على المسجد الأيام ، وظل خرابا الى سنة ٦٩٦ (٤) ، عندما تسلطن المنصور لاجين . فانه لما قتل الأشرف خليل بن قلاوون فاتح عكا ، هرب واختفى بمنارة هذا الجامع ، ونذر ان نجاه الله من هذه الفتنة ليعمرنه ، فلما نجاه أمر بتجديده (٥) وعمارته ، ورتب فيه دروسا لالقاء الفقه على المذاهب الأربعة ، ودرسا لتفسير القرآن الكريم ، ودرسا للحديث ، ودرسا للطب (٦) ، ودرسا للقراءات ، ودرسا للميقات (٧) .

(١) الدرر الكامنة جـ ١ ص ٢٧٢ .
(٢) دائرة المعارف الاسلامية ، المجلد الثانى ، العدد الاول ، ص ٥٥ .
(٣) خطط المقريزى جـ ٤ ص ٤٠ .
(٤) الانتصار لواسطة عقد الأمصار جـ ٤ ص ١٢٤ .
(٥) حسن المحاضره جـ ٢ ص ١٥٤ . (٦) خطط المقريزى جـ ٤ ص ٤١ .
(٧) حسن المحاضرة جـ ٢ ص ١٥٤ .

وهكذا انقضى عصر الحروب الصليبية ، ولم يساهم جامع ابن طولون مساهمة ما ، فى الحركة العقلية .

جامع الحاكم

أسسه العزيز بالله ، ثم أكمله الحاكم بأمر الله ، وتمت عمارته سنة ٣٩٣هـ (١) . وبرغم أن الخليفة الفاطمى كان يلقى فيه خطبة الجمعة مرة ، وفى الأزهر مرة ، وفى جامع عمرو مرة — لم يستطع جامع الحاكم منافسة صاحبيه فى حمل مصباح الثقافة ونشرها ، وكذلك لم يستطع منافستهما ، يوم انفرد هو دون الجامع الأزهر ، بالقاء خطبة الجمعة فيه ، منذ استولى صلاح الدين على مصر ، ولكن حظه كان أفضل من حظ جامع ابن طولون ، اذ لم يقض عليه بالخراب ، ولم تنقطع منه الصلاة ، طول عصر الحروب الصليبية ، بل كان موضع الرعاية ، وان كانت مساهمته فى الحركة الفكرية ضئيلة ، لا تكاد تذكر ، ولا نكاد نعثر الا نادرا على أستاذ جمع حوله تلاميذ ، يعلمهم بعض علوم عصره ، كما فعل لؤلؤ (٢) بن أحمد بن عبد الله أبو الدار ، الفقيه الحنفى ، والمقرىء النحوى ، المتوفى بالقاهرة سنة ٦٧٢ ، فقد تصـــدر بجامع الحاكم ، غير أن جامع الحاكم احتل مكانته بين دور العلم ، بعد انقضاء عصر الحروب الصليبية .

المشهد الحسينى

كان من مواطن تدريس مذهب الامام الشافعى فى مصر ، بعد مجىء صلاح الدين ، وكان يتولى التدريس فيه كبار أئمة هذا المذهب ، ولكن يظهر أنه لم يختص بدراسة فقه الشافعية فحسب ، بل درس به كذلك علم الكلام على مذهب الأشعرى ، وعلم الحديث وأصول

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٥٥ .

(٢) راجع بغية الوعاة ص ٣٨٣ ، وحسن المحاضرة جـ ١ ص ٢٢٠ .

الفقه ، فقد عرفنا من بين مدرسيه عمر بن محمد الجوينى ، وكان أشعرى العقيدة بارعا فى علم الحديث ، وشمس الدين الأصفهانى الذى انتهت اليه الرياسة فى معرفة أصول الفقه .

الجامع الأقمر *

تم بناؤه سنة ٥١٩ ، فى عهد الخليفة الفاطمى الآمر بأحكام الله ، على يد وزيره المأمون البطائحى (١) ، ولعل التدريس كان به منذ وقت مبكر ، فالمقريزى يقول : ان به درسا من قديم الزمان (٢) ، وكان أهم ما يدرس به فقه الشافعي والنحو ، واشتهر من بين أساتذته عماد الدين عثمان الكردى (٣) ، الفقيه الشافعى ، وعثمان (٤) بن سعيد الصنهاجي، الذى برع فى فقه الشافعية ، وتوفى سنة ٦٣٩ ، وأحمد (٥) بن عثمان السنجارى الذى تصدر لتدريس النحو فيه .

الجامع الأفخر **

أنشأه الخليفة الفاطمى الظافر بنصر الله سنة ٥٤٣ ، ورتبت به حلقة تدريس ، وفقهاء ، ومتصدرون للقرآن (٦) ، ولست أدرى المادة التى قام بتدريسها فيه سيف الدين الآمدى ، ولعلها المنطق الذى كان

(١) النجوم الزاهرة جـ ٥ ص ٢٢٩ .

(٢) خطط المقريزى جـ ٤ ص ٧٥ .

(٣) حسن المحاضرة جـ ١ ص ١٩١ .

(٤) المرجع السابق ص ١٩٢ وطبقات الشافعية جـ ٥ ص ١٣٧ .

(٥) بغية الوعاة ص ١٤٥ .

(٦) خطط المقريزى جـ ٤ ص ٨٠ .

* لايزال هذا الجامع قائم الشعائر الى اليوم ، بشارع النحاسين ، بقسم الجمالية بالقاهرة .

** هذا الجامع موجود الى اليوم باسم جامع الفاكهانى ، بشارع العقادين ، عند تلاقيه بشارع الشرابية ، بالقاهرة (هامش النجوم الزاهرة جـ ٥ ص ٢٩٠) .

مشهورا بدراسته . وممن تولى التدريس فيه العز بن الماسح (١) . المتوفى سنة ٦٣٥ ، وهو فقيه فاضل ، والعالم النحوى محمد (٢) ابن عبد القوى ، الملقب بالأخفش والمولود سنة ٦٣٣ هـ .

جامع العطارين بالاسكندرية

كانت الاسكندرية فى عصر الحروب الصليبية من أكبر مراكز العلم فى مصر ، ومن أكثر مواطن الحركة العقلية نشاطا وقوة ، عاش فيها علماء ممتازون فى مختلف فروع الثقافة ، وأنشئت فيها أول مدرسة فى الديار المصرية كلها ، كما سنتحدث بعد ، واليها رحل صلاح الدين لاستماع حديث رسول الله . وكان جامع العطارين منذ أنشأه أمير الجيوش بدر الجمالى سنة ٤٧٧ (٣) ، معهد علم وينبوع ثقافة ، ظل يؤدى رسالته طول عصر الحروب الصليبية ، ويساهم مساهمة جدية فى نشر العرفان ، مع ما أنشىء من مدارس فى هذا الثغر ، الحافل برجال العلم .

وقد تنوعت الدراسات فيه ، فمن أساتذته عمر بن عيسى السوسى (٤) نحوى ، أخذ عنه النحو أكثر أهل الاسكندرية ، وكان يقرأ لهم فيه كتاب سيبويه ، وتوفى سنة ٤٩٨ ، ومنهم عبد الرحمن (٥) ابن أبى بكر بن خلف شيخ الاسكندرية ، الذى انتهت اليه رياسة الاقراء فيها ، ونبغ حتى قال فيه سليمان بن عبد العزيز الأندلسى : ما رأيت أحدا أعلم بالقراءات منه ، لا بالمشرق ولا بالمغرب ، ومنهم محمد بن أحمد بن الخطاب (٦) شيخ الاسكندرية فى الحديث ، وتوفى سنة ٥٢٥ أما أبو القاسم بن مخلوف (٧) فأحد كبار المالكية ، الذين

---

(١) ذيل الروضتين ص ١٦٦ .　　(٢) بغية الوعاة ص ٦٨ .

(٣) النجوم الزاهرة جـ ٥ ص ١١٩ .

(٤) بغية الوعاة ص ٣٦٥ .

(٥) مراجعه . أ - النجوم الزاهرة جـ ٥ ص ٢٢٥ - ب - حسن المحاضرة جـ ١ ص ٢٣٥ . جـ - طبقات القراء للذهبى جـ ١ ص ١٥٠ - د - شذرات الذهب جـ ٤ ص ٤٩ هـ كشف الظنون جـ ١ نهر ٣٥٤ .

(٦) النجوم الزاهرة جـ ٥ ص ٢٤٧ ، وحسن المحاضرة جـ ١ ص ١٧٦ .

(٧) حسن المحاضرة جـ ١ ص ٢١٤ .

إذاعوا هذا المذهب فى الاسكندرية ، وكان لمحمد (١) بن الحسن ابن زرارة حلقة فى الجامع لاقراء الأدب . وممن سجل لهم التاريخ تدريسهم بالجامع الجيوشى العالم الأديب أحمد بن محمد بن المنير السكندرى ، أحد الأئمة المتبحرين فى التفسير والفقه المالكى والأصول والبلاغة والأنساب ، كما كانت له اليد الطولى فى علم الأدب ، وله نظم ونثر ، وسوف نعقد له ترجمة مفصلة بين رجال التفسير .

جامع دمياط

كانت دمياط من مراكز العلم يومئذ ، وان كانت لا تبلغ فى ذلك شأو الاسكندرية ، ولا تقاربها ، فما كان الراغب فى الثقافة العالية يجد بغيته فيها ، بل كان يضطر الى الرحيل عنها الى القاهرة والاسكندرية وغيرهما ، ولسنا ندرى اسم الجامع الذى كان مركز الثقافة فى هذه المدينة ، وقد يكون هو جامع الفتح الذى حدثنا عنه المقريزى فى خططه (٢) ، وان لم يشر الى ما كان فيه من حركة علمية .

وقد راجت فى دمياط دراسة القراءات والفقه والحديث ، فممن أقرأ بها عبد السلام بن عبد الناصر ، وهو شيخ له قدم راسخة فى القراءات توفى سنة ٦١٣ (٣) ، وأخذ عنه عبد السلام بن على الكتانى ، المولود بدمياط والذى لم يقنع بما وجده عند أساتذتها ، ومضى يطلب العلم ببغداد ، فتفقه بالنظامية ، وأخذ عن علماء واسط ، ثم عاد وقد تميز فى الفقه والخلاف ، فعين قاضياً ومدرساً بدمياط ، ثم أهله علمه لأن يلى قضاء القضاة لمصر والوجه القبلى ، وتوفى سنة ٦١٩ (٤) . ومن رجال الحديث بدمياط ابن قفل الذى حدث عنه المنذرى فى معجمه ، وكان رجلا صالحا يأوى اليه الفقراء ، ولم يتعرض له الصليبيون

---

(١) بغية الوعاة ص ٣٣ .

(٢) جـ ١ ص ٣٦٢ .

(٣) طبقات القراء للذهبى جـ ٢ ص ١٨٨ ، وحسن المحاضرة جـ ١ ص ٢٣٧ .

(٤) طبقات الشافعية للسبكى جـ ٥ ص ٧٤ ، وحسن المحاضرة جـ ١ ص ١٩١ .

عندما دخلوا دمياط سنة ٦١٦ (١) ، ومن أنبغ تلاميذ دمياط فى ذلك الحين شرف الدين عبد المؤمن الدمياطى ، فقد نشأ بها ، وعن أساتذتها تلقى ثقافته الأولى فى الفقه والحديث والقراءات ، ثم رحل مستزيدا من الثقافة ، حتى صار شيخ المحدثين ، وسوف نترجم له ترجمة واسعة .

جوامع الصعيد

ولابد أن الجوامع باسنا وأسيوط وقفط وقوص وأسوان وادفو وأسفون وأرمنت ، كانت مواطن الثقافة فى الصعيد ، قبل أن تنشأ المدارس فى أكثر هذه البلاد ، وكان بعض هذه الجوامع يتخذ لبث مبادىء الشيعة فى نفوس الشعب أيام الفاطميين ، وقد نجحت هذه الدعاية فى أسوان وادفو واسنا وأسفون وأرمنت ، فحولت أكثر أهلها شيعة ، كما روى ذلك صاحب الطالع السعيد (٢) ، الذى حفظ لنا بعض أسماء من قاموا بالتدريس فى تلك الجوامع ، كصالح بن غازى العذرى الأنماطى الذى كان كثير القراءة لكتب النحو ، واجتاز بقفط بعد الحج ، فرغبه أهلها فى القيام بها ، فأقام ، وكان يجلس لافادة الطلبة ما بين الظهر والعصر بجامع قفط ، الى أن توفى سنة ٥٩٣ ، ودفن بها (٣) .

وكان يدرس بجامع قوص القراءات والفقه والحديث والنحو والهندسة والهيئة ، فقد عرفنا من أساتذته عثمان بن محاسن بن يحيى ، الفقيه المقرىء ، الذى تصدر بجامع قوص لاقراء القراءات (٤) ، وأحمد ابن عيسى بن الكنانى الفقيه المحدث ، المتوفى بقوص سنة ٦٩١ ، وكان له تصدر بجامعها (٥) ، ومحمد بن براهيم السبتى ، الذى اشتغل

---

(١) النجوم الزاهرة جـ ٦ ص ٢٢٨ .
(٢) ص ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ .
(٣) الطالع السعيد ص ١٣٩ .
(٤) المرجع السابق ص ١٩١ .
(٥) الطالع السعيد ص ٥٢ .

عليه طلبة قوص بالنحو وغيره ، فقد كان عالما بالهندسة والهيئة وعلوم كثيرة ، وكان يدرس لهم كتاب سيبويه ، وتوفى سنة ٦٩٥ هـ (١) .

جامع دمشق

زار ابن جبير مدينة دمشق فى عصر الحروب الصليبية أيام صلاح الدين ، وزار جامعها الأموى ، الذى بناه الوليد بن عبد الملك ، وتم بناؤه سنة ٩٦ للهجرة . واجتهد الرحالة فى أن يرسم صورة لهذا الجامع العظيم ، بدأها بقوله : هو من أشهر جوامع الاسلام حسنا ، واتقان بناء ، وغرابة صنعة ، واحتفال تنميق وتزيين . ثم ذكر تاريخ بنائه ، وأخذ يحصى مساحته ، ويعد أبوابه وعمده وقبابه ، وقواراته التى ترمى الماء الى علو ، فيخرج منها كقضبان اللجين ، « ومنظرها أعجب وأبدع من أن يلحقه الوصف » ، وما يتصل به من حجرة ساعات عجيبة (٢) ، ورأى ابن جبير بالجانب الغربى منه مقصورة برسم الحنفية ، يجتمعون فيها للتدريس ، وبها يصلون ، وعدة زوايا غيرها ، يتخذها الطلبة للنسخ والدرس والانفراد من ازدحام الناس، وشاهد فى الصومعة الغربية له، المكان الذى كان يعتكف فيه أبو حامد الغزالى ، ورأى ما كان يعقد فيه من حلقات الدراسة التى كان ينفق على طلبتها ومدرسيها أوسع النفقات . ودخل زاوية المالكية فى الجانب الغربى من الجامع ، وشاهد الطلبة المغاربة مجتمعين فيها .

كان هذا الجامع الذى وصفه ابن جبير من أعظم مواطن الثقافة فى الشام ، وعرف فى عصر الحروب الصليبية طائفة من أعلام العلماء ، الذين لاتزال أسماؤهم لامعة فى تاريخ الحركة الفكرية ، ولا تزال آثارهم محفوظة تدرس الى أيامنا هذه .

وكانت دمشق أبعد من أن تنالها آمال الصليبيين ، فظلت الحركة العلمية ناشطة بجامعها العتيد .

---

(١) المرجع السابق ص ٢٦٢ ، وبغية الوعاة ص ٦ .

(٢) رحلة ابن جبير ص ٢٤٠ ومابعدها .

فمن العلماء الأفذاذ الذين درسوا فيه القراءات والتفسير والعربية علم الدين السخاوى ، أحد نوابغ هذا العصر ، الذى يقول فيه الذهبى: « هو من أفراد العالم ، وأذكياء بنى آدم » وسوف ندرسه دراسة مفصلة فيما يلى .

ومن رجال الحديث فى هذا الجامع القاسم بن الحافظ الكبير ابن عساكر ، والحافظ المشهور عبد الغنى المقدسى ، الذى سنترجم له ترجمة مفصلة بين رجال الحديث ، وأحمد بن فرج الاشبيلى نزيل دمشق، وصاحب القصيدة الجامعة لغالب أنواع مصطلح الحديث ، والتى أولها :

غرامى صحيح ، والرجا فيك معضل
وحزنى ودمعى مرسل ومسلسل
وصبرى عنكم يشهد العقل أنه
ضعيف ومتروك وذلى أجمل

وتوفى سنة ٦٩٩ (١) .

ومن علماء الفقه بجامع بنى أمية ضياء الدين الدولعى (٢) ، خطيب الجامع ، ومدرس الزاوية الغربية منه ، وعبد الله بن على بن سعد القصرى (٣) ، وعماد الدين بن الحرستانى (٤) ومحمود بن عبد الله أبو المثنى المراغى ، وهو فقيه شافعى أصولى (٥) .

---

(١) مراجعه : أ ـ النجوم الزاهرة ج ٨ ص ١٩١ ـ ب ـ طبقات الحفاظ ج ٢ ص ٦٦ .
ج ـ طبقات الشافعية ج ٥ ص ١٢ ـ د ـ معجم المطبوعات لسركيس ج ١ نهر ٢٠٢.
هـ ـ مجموع مهمات المتون المطبوع سنة ١٣١٩ ـ و ـ دائرة المعارف الاسلامية المجلد الأول : ٢٥١ .
ز ـ نفح الطيب ١ : ٢١٩ ـ ح ـ شذرات الذهب ٥ : ٤٤٣ .

(٢) طبقات الشافعية ج ٤ ص ٢٦١ .

(٣) المرجع السابق ص ٢٣٥ .

(٤) مراجعه : أ ـ ذيل الروضتين ص ٢٢٩ ـ ب ـ السلوك للمقريزى ج ١ ص ٥٢٢ .
ج ـ النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٣٥٨ .

(٥) طبقات الشافعية للسبكى ج ٥ ص ١٥٤ ، والسلوك ج ١ ص ٧١١ .

وظفر جامع دمشق بدراسة علمين من أفذاذ علماء النحو فيه ، وهما ابن الحاجب وابن مالك ، اللذين من حقهما أن يفردا بترجمتين مفصلتين .

وممن كان له حلقة كبيرة بجامع دمشق ، لاقراء القرآن والفقه والنحو ، على بن الحسن بن أبى الفضائل ، وله فى الفرائض يد باسطة ، ومات سنة ٥٦٢ هـ (١) .

ورن صوت أبى شامة المقدسى فى جنبات الجامع الأموى بدروس التاريخ ، وأبو شامة من أعيان علماء هذا العصر ، له كتاب الروضتين وذيلهما ، وكتب أخرى أربت على الأربعين ، ومن حقه أن يفرد بترجمة مطولة .

جامع حلب

كانت حلب يومئذ من بلاد الدنيا التى لا نظير لها (٢) ، وجامعها من أحسن الجوامع وأجملها ، وكانت حلب امارة مستقلة حينا ، وتابعة لدمشق تبعية فعلية حينا ، واسمية حينا آخر ، وكانت مركزا من أعظم مراكز العلم فى ذلك الحين ، اذا استثنينا شطرا من عصر الحروب الصليبية الأولى ، خلت فيه حلب من العلماء ، بسبب تهديد الصليبيين لها ، حتى صار الناس يأخذون النحو من أبى السخاء فتيان الحلبى ، وهو حائك من عوام حلب ، قرأ شيئا من النحو وفهم أوائله ، ولما عدم فى زمانه من يعرف هذا الشأن ، وظلت المدينة حينا من الزمن لا عالم بها ، قنع الناس بما عند فتيان الذى مات فى حدود سنة ٥٦٠ (٣) ، ثم لم تلبث حلب أن استعادت مركزها العلمى ، حتى صارت أم البلاد مشحونة بالعلماء ، كما وصفها بذلك ابن خلكان عندما رآها سنة ٦٢٦ (٤) ، واسترد جامعها مكانته ودرس فيه النحو والقراءات والحديث واللغة .

---

(١) طبقات القراء للذهبى جـ ٢ ص ١٦٤ ، وبغية الوعاة ص ٣٣٢ .
(٢) رحلة ابن جبير ص ٢٣٢ .
(٣) بغية الوعاة ص ٣٧٢ .
(٤) وفيات الأعيان جـ ٢ ص ٣٤١ .

ولكن هذه الحركة العلمية قد انطفأ مصباحها عندما سقطت حلب في يد التتار ، فقد خربت ديارها وبادت معاهدها ، لأنهم أحرقوا الجوامع والمساجد والمدارس ودار السلطنة ودور الأمراء ، وأفسدوا افساداً كبيرا (١) ، وظلت خرابا زهاء ثلث قرن ، ثم بدأت العمارة تعود اليها سنة ٦٩٠ هـ (٢) .

جوامع أخرى

والحركة العلمية العالية فى جوامع الشام الأخرى غامضة ، ولعل تلك الجوامع كانت تقوم بنشر الثقافة الأولية ، ولما أنشئت المدارس فى حلب وحمص وبعلبك وحماة ومنبج تكفلت بنشر الثقافة العالية .

أما المسجد الأقصى فقد سقط فى أيدى الصليبيين سنة ٤٩٢ ، فحولوا قبة الصخرة الى كنيسة ، والمسجد الى منزل لسكنى ملكهم ، فاختفى صوت العلم منه زهاء ٩٠ عاما ، حتى فتحه صلاح الدين ، فأعاده الى ما كان عليه .

وعنى بعمارة المسجد الأقصى فى عهد المعظم عيسى والظاهر بيبرس والمنصور قلاوون (٣) ، وكان مركزا من مراكز الثقافة بعد أن استرده المسلمون ، فهذا عبد اللطيف البغدادى يتردد عليه مدة مقامه بالقدس، ويشتغل عليه الناس فيه بكثير من العلوم (٤) ، ولكنى لا أتبين فى وضوح مقدار مساهمته فى الحركة الفكرية فى ذلك الحين .

---

(١) النجوم الزاهره جـ ٧ ص ٢٩٩ .
(٢) السلوك للمقريزى جـ ١ ص ٧٧٥ .
(٣) خطط الشام جـ ٥ ص ٢٦٩ .
(٤) عيون الانباء جـ ٢ ص ٢٠٧ .

ب - دار الحكمة *

شغلت هذه الدار من عصر الحروب الصليبية زهاء ثلاثة أرباع قرن ، كانت فيها مصدر ثقافة رفيعة .

وقد أنشئت قبل عصر الحروب الصليبية ، بنحو قرن ، أنشأها الحاكم بأمرالله بجوار القصر الغربى الصغير ، سنة ٣٩٥ ، وفى يوم السبت العاشر من جمادى الآخرة فتحت تلك الدار ، بعد أن فرشت وزخرفت وعلقت على جميع أبوابها وممراتها الستور ، وأقيم بها قوام وخدام وفراشون وسموا بخدمتها .

وعين لها طائفة من الفقهاء والقراء والنحويين ورجال الحديث والأدب واللغة وعلماء الهيئة والطب ، والرياضة والمنطق والفلسفة ، وأجريت عليهم الأرزاق الواسعة ، وهيئت الدار بمكتبة ضخمة ، نقلت اليها الكتب من خزائن القصرالملكى ، فى سائر العلوم والآداب ، مما لم ير مثله مجتمعا لأحد قبل قط ، وأودعت بها كتب الشيعة ، كما جعل فيها ما يحتاج الناس اليه من الحبر والأقلام والورق والمحابر ، ووقف الحاكم أوقافا تنفق غلاتها على مصالحها .

فتحت الدار أبوابها ودخل الناس على اختلاف طبقاتهم ، يلتمسون فيها ما يريدون ؛ فمنهم من كان يحضر لقراءة الكتب ، ومنهم من كان يحضر لنسخها ، ومنهم من كان يحضر للتعلم على أساتذتها ، والتخرج

---

* مراجعها :

١ - خطط المقريزى جـ ٢ ص ٢٢٦ ، ٣١٣ ، ٣٣٤ ، و جـ ٤ ص ١٥٨ .

٢ - النجوم الزاهرة جـ ٤ ص ٢٢٢ ، ٢٢٣ .

٣ - حسن المحاضرة جـ ١ ص ١٦٨ .

٤ - الحاكم بأمر الله لعنان ص ١٦٤ ، ١٦٥ .

٥ - تاريخ الأزهر له ص ٤٩ ومايليها .

٦ - الفاطميون فى مصر لحسن ابراهيم حسن ص ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٣٧ ، ١٣٨ و ١٣٩ ، ١٤٢ .

٧ - صبح الأعشى جـ ٣ ص ٣٦٢ .

٨ - A History of Egypt in the middle Ages, P. 130

٩ - التعليم فى مصر فى العصر الفاطمى الأول ص ١٥٢ .

فى المواد المختلفة التى يتقنونها ، فكان فيها لذلك قاعة للمطالعة وحجرات خصصت كل واحدة منها بعلم خاص . وعين بعضها للنسخ . وكانت الأهداف التى قصد اليها من انشاء الدار ثلاثة فى جملتها : أولها أن تكون سجلا للحركة الفكرية، فتحفظ بها الكتب والمحاضرات، ليستطيع من يشاء أن ينهل منها ، وأن يعود اليها فى البحث والدراسة . ثانيها تثقيف القضاة بدراسة الفقه الشيعى دراسة واسعة ، وهؤلاء يدخلون دار الحكمة بعد أن يتموا دراستهم فى الجامع الأزهر . ثالثها تعليم رجال الدعوة وتثقيفهم حتى ينهضوا بعبء نشرها فى أرجاء امبراطورية الفاطميين ، وكانوا يدخلون تلك الدار بعد أن يكونوا قد درسوا فى الأزهر أيضا النحو والفلسفة والمنطق والنجوم ، وكان أمر ثقافة هؤلاء موكولا الى داعى الدعاة ، يجتمعون اليه ويتكلمون فى العلوم المتعلقة بمذهبهم . والداعى رجل عالم فى جميع مذاهب أهل البيت ، يقرأ الدرس على فقهاء الدولة ، وبين يديه من نقباء المتعلمين اثنا عشر نقيبا، وله نواب فى سائر البلاد كنواب قاضى القضاة .

وان هذه الأهداف لتدلنا على أن الغرض الذى أنشئت له دار الحكمة انما هو نشر تعاليم الشيعة فى الناس بطريقة علمية منظمة . وان فى الاسم الذى تحمله لدليلا على هذه الغاية ، فان المجالس التى كانت تعقد للدعوة الشيعية فى قصر الخلافة كانت تسمى مجالس الحكمة ، وأنت تستطيع على هذا القياس أن تطلق على تلك الدار دار الدعوة . واذا كان الحاكم بأمر الله فى أول نشأتها قد سمح بدراسة مذهب أهل السنة فيها ، فانه لم يلبث طويلا حتى أبعد مذهب أهل السنة ، وخلصت دار الحكمة للشيعة ومذهبهم .

وقد أصيبت دار الحكمة فى عهد المستنصر ، كما أصيب غيرها بالمحن والبلايا ، فتفرق علماؤها ، وتشتت كتبها للشدة العظمى ،ونضوب موارد الثروة وعجز الدولة عن الانفاق على دور العلم واضطراب شئون الخلافة ، ولكن الحياة الفكرية قد انبعثت فى دار الحكمة مرة أخرى،

فى أواخر القرن الخامس ، عندما قبض على زمام الأمور بدر الجمالى ، وشبت الحروب الصليبية والحياة قوية نشيطة فى دار الحكمة . ولكن لم يمض على ذلك بضع وعشرون سنة حتى أمر الأفضل ابن أمير الجيوش باغلاقها سنة ٥١٣ ، لاجتماع الناس فيها ، وخوضهم فى المذاهب ، خوفا من الاجتماع على المذهب النزارى ، الذى يعتقد أن الخلافة بعد المستنصر من حق ابنه نزار ، لا كما فعل الأفضل من اختيار المستعلى . ولما قتل الأفضل وخلفه المأمون البطائحى ، بعثت دار الحكمة كرة أخرى سنة ٥١٧ ، فى مكان غير مكانها الأول ، فى دار بجوار القصر الكبير الشرقى ، على أن يكون داعى الدعاة ناظرها ، ويقام فيها متصدرون برسم قراءة القرآن . ويبدو من اسناد نظارتها الى داعى الدعاة أنها صارت أشد ما تكون تعصبا للمذهب الشيعى ونشرا له .

هذا وليس فيما بين يدى من المصادر ما يشير الى ما كان يدرس من الكتب فى المواد المختلفة التى كانت تدرس بها .

دار الحكمة بطرابلس الشام

كانت طرابلس فى النصف الثانى من القرن الخامس من أعظم مواطن العلم فى الشام ، بفضل الحسن بن عمار ، قاضى طرابلس للفاطميين ، والمتغلب عليها ، فقد أنشأ بها دار حكمة ، على مثال تلك التى أنشأها الحاكم بأمر الله (١) ، وللغرض نفسه الذى أنشئت من أجله ، وهو نشر التشيع ، وعظمت طرابلس فى زمن بنى عمار ، ويقال : انه كان بها اذ ذاك عدة مدارس وخزائن كتب (٢) ، ولكن نور العلم لم يلبث أن خبا بعد عهد قصير من قيام الحروب الصليبية ، فقد سقطت طرابلس فى يد الفرنج سنة ٥٠٣ ، وظلت عاصمة احدى اماراتهم ، وبقيت فى أيديهم الى أن فتحها الملك المنصور قلاوون سنة ٦٨٨ هـ .

---

(١) خطط الشام جـ ٦ ص ٦٧ .

(٢) المرجع السابق ص ٦٨ .

جـ - المدارس

كان المسجد للمسلمين مكان صلاتهم وعبادتهم ، ويأوون اليه لتلقى القرآن وعلومه ، والحديث وفنونه ، وعلوم اللسان . أما المدارس فمما حدث فى الاسلام ، ولم تكن تعرف فى زمن الصحابة ولا التابعين، وانما حدث انشاؤها بعد القرن الرابع الهجرى (١) . ونقصد بالمدارس تلك الدور المنظمة التى يأوى اليها طلاب العلم ، وتدر عليهم فيها الأرزاق ، ويتولى التدريس لهم وتثقيفهم فئة صالحة من المدرسين والعلماء ، يوسع عليهم فى الرزق ، ويختارون بحسب شروط الواقف ، ممن يحسنون القيام بالغرض الذى ندبوا للقيام به ، ويجازون بما تعلموا من ضروب المعارف الآلهية والبشرية . وكانت هيئة المدارس فى الجملة لا تختلف عن هيئة المساجد .

وعرفت الشام المدارس من وقت مبكر ، بنى شجاع الدين والدولة صادر بن عبد الله أولى مدارس دمشق للأحناف سنة ٤٩١ هـ (٢)، وأنشأ أتابك العسكر أمين الدولة كستكين مدرسة للشافعية سنة ٥١٤ سماها الأمينية ، وهى أول مدرسة أنشئت للشافعية هناك (٣) .

فلما جاء نور الدين أخذ فى انشاء المدارس ، واستدعاء نوابغ العلماء من الأقطار ، يبنى لهم المدارس فى أرجاء امارته . أما فى مصر فأول ما عرف اقامة درس من قبل الخليفة بمرتب ثابت ، كان فى عهد خلافة العزيز بالله ، فى الجامع الأزهر ، كما سبق أن ذكرنا ، ثم أنشئت دار الحكمة للثقافة العالية ، فهى أشبه بجامعة . ولم تذع المدارس فى مصر الا فى عهد صلاح الدين ، الذى استخدم هذه المدارس لاذاعة المذهب السنى فى مصر ، ومن قبل صلاح الدين أنشأ الحافظ لدين الله

---

(١) خطط المقريزى جـ ٤ ص ١٩٢ .

(٢) تنبيه الطالب جـ ١ ص ٤٣٩ .

(٣) المرجع السابق ص ١٢٥ .

فى عهد وزيره أحمد بن الأفضل المدرسة الحافظية بالاسكندرية ، وأنشأ ابن السلار وزير الظافر العبيدى ، وكان من غلاة السنيين على مذهب الشافعى ، مدرسة للشافعية بالاسكندرية (١) سنة ٥٤٦ هـ ، أسند أمرها الى العالم الشهير السلفى (٢) ، وقد اختار الاسكندرية ، لأنه أنشأ مدرسته عندما كان حاكما لها ، ولكى يبعد عن القاهرة مركز الدعوة الشيعية .

جاء صلاح الدين فاقتدى بالملك العادل نور الدين ، فى بناء المدارس فى أرجاء امبراطوريته الواسعة الأطراف .

وكان يغدق على المدرسين هو وأستاذه نور الدين ، وكلما سمعا بعالم ممتاز زينا له نزول بلادهما ، وحققا له جميع رغائبه .

وأنشأ أبناء صلاح الدين المدارس فى الشام وعمر الملك العادل أخو صلاح الدين مدرسة للمالكية بمصر (٣) ، وأراد أن يتم المدرسة التى كان نور الدين قد بدأ بناءها للشافعية ، ولكنه مات قبل تمام عمارتها (٤) ، فأكملها المعظم عيسى ، ونسبها لوالده ، الذى دفن فيها سنة ٦١٩ هـ ، فسميت العادلية . وكانت أعظم مدارس الشافعية بدمشق (٥)

واقتدى أبناء العادل بأبيهم وعمهم .

وتابع المماليك سنة سلفهم من الأيوبيين فى انشاء المدارس وان اقتصر أكثرها على القاهرة .

---

(١) الفاطميون فى مصر ص ٢٦٦ .

(٢) وفيات الاعيان جـ ١ ص ٢٧٠ .

(٣) خطط المقريزى جـ ٤ ص ١٩٥ .

(٤) ذيل الروضتين ص ١٤٨ .

(٥) تنبيه الطالب جـ ١ ص ٢٧٩ .

كما ساهم أمراء الأسرة المالكة وأمراء الدولة فى انشاء المدارس بمصر والشام ، فوقف تقى الدين عمر قصر الفاطميين المعروف بمنازل العز ، مدرسة للشافعية ، عرفت بالمدرسة التقوية (١) ، وبنى بالفيوم مدرستين عندما كانت الفيوم اقطاعا (٢) له ، وبنى فى الشام التقوية بدمشق (٣) ، والمظفرية بحماة (٤) ، كما بنى بالرها مدرسة (٥) . وبنى قطب الدين خسرو أحد أمراء صلاح الدين المدرسة القطبية سنة ٥٧٠هـ وجعلها للشافعية (٦)، وسيف الدين ايازكوج الأسدى أحد أمرائه كذلك المدرسة الأزكشية سنة ٥٩٢ هـ ووقفها على الحنفية (٧) . وبنى الأمير قايماز النجمى مملوك نجم الدين أيوب المدرسة الغزنوية ، وسميت بذلك لأن أبا الفضل أحمد بن يوسف الغزنوى البغدادى المقرىء الفقيه الحنفى أقام بها ، ودرس ، فعرفت به . وأنشأ الأمير جمال الدين شويخ ابن صيرم أحد الأمراء فى عهد الملك الكامل المدرسة الصيرمية (٨) بالقاهرة ، والشريف اسماعيل بن ثعلب ، وهو من ذرية جعفر بن أبى طالب أحد أمراء مصر فى عهد الدولة الأيوبية المدرسة الشريفية سنة ٦١٢، وجعلها لفقهاء الشافعية (٩) . وفى سنة ٦٧٦ هـ أنشأ آق سنقر الفارقانى أحد أمراء الظاهر بيبرس . ونائب السلطنة فى عهد الملك السعيد — المدرسة الفارقانية ، وجعل بها دروسا للشافعية والحنفية ، وجعل شيخها على مذهب أبى حنيفة (١٠) . وبنى حسام الدين طرنطاى نائب السلطنة

(١) حسن المحاضره جـ ٢ ص ٢٢٤ .

(٢) طبقات الشافعية للسبكى جـ ٤ ص ٢٨٦ .

(٣) خطط الشام جـ ٦ ص ٧٨ .

(٤) المرجع السابق ص ٢٧ .

(٥) طبقات الشافعية جـ ٤ ص ٢٨٦ .

(٦) خطط المقريزى جـ ٤ ص ١٩٦ .

(٧) المرجع السابق ص ١٩٩ .

(٨) المرجع السابق جـ ١ ص ١٦٤ ، و جـ ٤ ص ٢١٦ .

(٩) المرجع السابق جـ ٤ ص ٢٠٨ .

(١٠) المرجع السابق جـ ٤ ص ٢٠١ ، والنجوم الزاهرة جـ ٦ ص ٢٦٢ - ولاتزال هذه المدرسة بشارع درب سعادة بقسم الدرب الأحمر .

بمصر في عهد المنصور قلاوون ، مدرسة بجوار داره سنة ٦٨٤ هـ ، وجعلها خاصة بفقهاء الشافعية (١) .

وفى الشام أنشأ بدمشق أسد الدين شيركوه المدرسة الأسدية للشافعية والحنفية بدمشق ، ولا تزال أنقاضها باقية الى اليوم (٢) ، ومدرسة بحلب للشافعية (٣) . ووقف بدمشق مدرستين هما المجاهدية الجوانية والمجاهديةالبرانية ــ الأمير مجاهد الدين أبو الفوارس الكردى المتوفى سنة ٥٥٥ هـ ، ودرس بالجوانية قطب الدين النيسابورى وكثير غيره من الأعلام (٤) .

ومن أمراء نور الدين بدر الدين المعروف بلالا بن الداية ، أنشأ المدرسة البدرية بدمشق وجعلها للحنفية (٥) ، والأمير جرديك النورى الذى أنشأ الجردكية سنة ٦٠١ هـ بحلب وجعلها للحنفية أيضا (٦) ، وأنشأ الأمير جمال الدين شادبخت نائب نور الدين محمـــود بحلب المدرسة الشادبختية بها ، وفى دمشق بنى فلك الدين سليمان أخو الملك العادل المدرسة الفلكية وجعلها للشافعية ، ووقف عليها ودفن فيها سنة ٥٩٩ هـ (٧) ، ودفن الملك الأمجد حسن شقيق الملك المعظم بالأمجدية . وهى مدرسة للحنفية بالقدس (٨). وبنى بالقدس أيضا مدرسة للشافعية الأمير محمد الهكارى وهو من أكبر أمراء العـــادل (٩) ؛ وفتح أيبك المعظمى ثلاث مدارس لتدريس المذهب الحنفى بدمشق ، ورابعة فى بيت

---

(١) خطط المقريزى جـ ٤ ص ٢٢٨ ، والنجوم الزاهرة جـ ٧ ص ٣٨٤ . ومكان هذه المدرسة اليوم مسجد المعروف بجامع أبى الفضل ، بحارة الصاوى من درب ســعادة بالقاهرة ، ولا يزال بجوار هذا الجامع قبة أثرية تحتها قبر طرنطاى .
(٢) خطط الشام جـ ٦ ص ٧٦ .
(٣) طبقات الشافعية جـ ٤ ص ٣٠٩ .
(٤) خطط الشام جـ ٦ ص ٨٩ .
(٥) المرجع السابق ص ٩٠ .
(٦) المرجع السابق ص ١١٠ .
(٧) المرجع السابق ص ٨٧ ، وذيل الروضتين ص ٣٣ .
(٨) تاريخ الواصلين جـ ٢ ص ٢٤٧ .
(٩) ذيل الروضتين ص ١٠٨ .

المقدس (١) ، وبنى الأمير علم الدين سنجر المعظمى سنة ٦٢٨ هـ المدرسة العلمية بدمشق للأحناف (٢) ، والأمير الدمشقى الكبـير ناصر الدولة طرخان مدرسته الطرخانية (٣) ، التى كان من مدرسـيها اسماعيل بن ابراهيم العالم الذى طلب منه المعظم أن يفتى بحل النبيذ فأبى (٤) . ووقف أمين الدولة صاحب بصرى وصرخد المدرسة الأمينية بدمشق(٥) والأمير فتح الدين صاحب بارين ونسيب صاحب حماة ـ المدرسةالفتحية أيضا (٦) . ومن مدارس دمشق الباقية الى اليوم والتى درس بها فى عصرنا الذى نتحدث عنه جماعة من أعيان العلماء ـ المدرسة القيمرية ، وهى التى أنشأها الأمير ناصر الدين القيمرى سنة ٦٦٥ هـ ، وكان مقدم العساكر بالساحل فى عهد الظاهر بيبرس ، وقد بناها لشمس الـدين الشهرزورى ، ولذريته العلماء ، وهى للشافعية ، (٧) وهنـاك القيمرية الصغرى بناها على بن يوسف القيمرى سنة ٦٥٣ للشافعية أيضـا (٨) ووقف الأمير شرف الدين عيسى الهكارى بالقدس دار حديث (٩) .

وظفرت حلب بعناية كثير من الأمراء ، الذين رفعوا فيها دور العلم، فأنشأ حسام الدين محمد بن عمر بن لاجين ابن أخت صـــلاح الدين المدرسة الحدادية (١٠) للأحناف ، وأنشأ عز الدين عبد الملك بن المقدم من أمراء صلاح الدين ، المدرسة المقدمية سنة ٥٦٤ للأحناف كذلك ، وله مدرسة فى دمشق بهذا الاسم أيضا (١١) . وبنى الأمير سيف الدين على بن سليمان بن جندر المتوفى سنة ٦٢٢ هـ ، وهو من أكابر أمراء

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية جـ ٣ العدد ٣ ص ١٨٣ .
(٢) خطط الشام جـ ٦ ص ٩٥ .
(٣) المرجع السابق ص ٩٤ .
(٤) النجوم الزاهرة جـ ٦ ص ٢٧٨ .
(٥) نكت الهميان ص ١٢٠ .
(٦) خطط الشام جـ ٦ ص ٩٥ .
(٧) الدرر الكامنة جـ ٣ ص ١١٣ وص ٢٨١ ، والنجوم الزاهرة جـ ٧ ص ٢٢٥ و ٢٥٧ ، وطبقات الشافعية جـ ٥ ص ١٠ وص ١٢٧ ، والسلوك للمقريزى جـ ١ ص ٧٤٥ وذيل الروضتين ص ٢٣٩ ، وخطط الشام جـ ٥ ص ٨٨ .
(٨) خطط الشام جـ ٥ ص ٨٨ .
(٩) المرجع السابق ص ١٢٤ .
(١٠) المرجع السابق ص ١٠٩ .
(١١) خطط الشام جـ ٦ ص ١١٠ .

حلب وذوى البر والمروءة بها ، مدرستين : احداهما لتدريس مذهب الشافعي وأبى حنيفة ، والثانية لتدريس مذهبى مالك وابن حنبل ،وسمى كلا منهما باسم السيفية (١) . وأنشأ حسام الدين القيمرى المدرسة القيمرية بحلب سنة ٦٤٦ هـ للشافعية (٢) ، وشرف الدين عبد الرحمن بن العجمى المدرسة الشرفية بحلب ، وأنفق عليها مالا جما ، ووقف عليها أوقافا جليلة، وكان فيها غرف وايوان وقاعة للدرس، وفى بنائها وأبوابها من بدائع الصنعة ما يفتخر به الصناع (٣) . وبهذه المدينة أيضا مدرسة النقيب للأحناف أنشأها السيد الشريف المرتضى النقيب عز الدين أبو الفتوح أحمد بن محمد الحسينى المتوفى سنة ٦٥٣ هـ ، وكانت عمارتها من البدائع ويقال لها : تاج حلب (٤) .

وأخذ بعض الوزراء بنصيبهم فى اشادة دور العلم : ففى مصر أسس القاضى الفاضل سنة ٥٨٠ هـ مدرسته الفاضلية (٥) ، وهى من أعظم مدارس مصر ، وفى سنة ٦١٨ أنشأ الوزير الصاحب صفى الدين ابن شكر ، وزير الملك العادل ، مدرسة ، وبنى بجانبها رباطه وتربته ، وجعلها وقفاً على المالكية .

وبنى بعض مستخدمى الدولة مدارس : فهذا والى قوص قد أنشأ دارا للحديث بها ، وجعل مدرسها أبا الفتح محمد بن على القشيرى (٦) ، وهذا الأمير فخر الدين عثمان أستادار الملك الكامل ينشىء بالقاهرة المدرسة الفخرية سنة ٦٢٢ هـ (٧) .

وفى القدس وقف ميمون القصرى خازندار صلاح الدين المدرسة الميمونية ، (٨) وبنى أستاذ داره صارم الدين قايماز ، المدرسة القايمازية.

---

(١) المرجع السابق ص ١٠٧ ، وذيل الروضتين ص ١٤٥ .
(٢) خطط الشام جـ ٦ ص ١٠٨ .
(٣) المرجع السابق ص ١٠٦ .
(٤) المرجع السابق ص ١١٢ .
(٥) السلوك جـ ١ ص ٨٧ .
(٦) الطالع السعيد ص ٧٠ .
(٧) خطط المقريزى جـ ٤ ص ١٩٦ .
(٨) خطط الشام جـ ٦ ص ١٢٥ .

وهى من مدارس الحنفية بدمشق (١) . وأنشأ الأمير عز الدين أستاذ دار المعظمى ، مدرسة بالقدس الشريف . على أنه متى كان القدس بيـــد المسلمين فالوقف على المدرسة التى به ، فان تعطل القدس أنفق الوقف على التدريس بمكان فى الجامع الأموى (٢) . وأنشأ نائب عـــدن فخر الدين الزنجيلى أيام العادل المدرسة الزنجيلية سنة ٦٢٦ ، وهى من أحسن المدارس ودرس بها جلة من الفقهاء (٣) . ووقف محمد بن عقيل ابن كروس محتسب دمشق ، المدرسة الكروسية سنة ٦٤١ هـ لفقهاء الشافعية (٤) . ولما اتصل القاضى بهاء الدين بن شداد بخـــدمة الملك الظاهر ، وقدم اليه فى حلب وولاه قضاءها ووقوفها ، وحل عنده فى رتبة الوزارة ، كانت حلب قليلة المدارس ، وليس بها من العلماء الا نفر يسير ، فاعتنى أبو المحاسن بترتيب أمورها ، وجمع الفقهاء بها ، وعمرت فى أيامه المدارس الكثيرة ، وعمر هو مدرسة قبالة مدرسة نور الدين محمود بن زنكى للشافعية ،وتمت عمارتها سنة ٦٠١ هـ ، وعمر فى جوارها داراً للحديث النبوى (٥) .

وبنى كذلك المثرون من المعلمين مدارس ، ووقفوا عليها أملاكا تكفى للانفاق عليها ، فبنى أحمد بن على الاسنائى وكان نائبا فى الحكم ومدرساً ــ مدرسة بقوص ، (٦) وأنشأ محمد بن بشائر مدرسة للحديث، وهو عالم اشتغل بالحديث وصنف فيه (٧) .

وفى الشام كان للمدرسين فى بناء المدارس نصيب كبير ، فرأينا مثلا شرف الاسلام عبد الوهاب أبا الفرج الحنبلى شيخ الحنابلة بدمشق يبنى المدرسة الشريفية للحنابلة ، سنة ٥٣٦ هـ (٨) ، وابن أبى عصرون يبنى لنفسه مدرستين بدمشـــق وحلب (٩) . وضـــياء الدين محمد

---

(١) المرجع السابق ص ٩٦ .
(٢) خطط الشام جـ ٦ ص ٩٥ .
(٣) المرجع السابق ص ٩٣ .
(٤) المرجع السابق ص ٧٤ ، ٨٩ .
(٥) وفيات الأعيان جـ ٢ ص ٣٥٦ .
(٦) الطالع السعيد ص ٥٠ .
(٧) المرجع السابق ص ٢٧٩ .
(٨) خطط الشام ٦ : ٩٩ .
(٩) طبقات الشافعية للسبكى جـ ٤ ص ٢٣٨ .

ابن عبد الواحد المقدسى ، يبنى مدرسته الضيائية المحمـدية بدمشق للحنابلة (١) . ووقف مهذب الدين عبد الرحيم بن على المعروف بالدخوار سنة ٦٢١ هـ داره لتكون مدرسة للطب (٢) ، كما وقف اسماعيل بن حامد بن عبادة داره مدرسة لطلبة الحديث بدمشق (٣) ، وبنى عبد الله البادرائى المحدث ببغداد ومصر وحلب ، ورسول المستعصم الى الشام ومصر - مدرسة حسنة بدمشق ، وقف عليها وقوفا حسنة ، وجعل بها خزانة كتب جيدة (٤) . وأنشأ وجيه الدين بن المنجى شيخ الحنابلة المدرسة الوجيهية بدمشق سنة ٦٩٠ هـ لدراسة القرآن (٥) ، وفى حلب بنى كمال الدين عمر بن العديم شرقى حلب ، مدرسته الكمالية العديمية ، لدراسة مذهب أبى حنيفة ، وتم بناؤها سنة ٦٤٩ هـ (٦) .

وساهم أغنياء التجار مساهمة ضئيلة فى اقامة دور العلم ، فعرفنا مدرسة ابن الأرسوفى بمصر، وهو التاجر العسقلانى المتوفى سنة ٥٩٣هـ، وقد بنى مدرسته سنة ٥٧٠ (٧) وعرفنا فى دمشق المدرسة المسمارية وقفها للحنابلة سنة ٥٢٠ هـ الحسن بن مسمار الهلالى التاجر (٨) ، والمدرسة الرواحية بدمشق ، وسميتها بحلب ، وبانيهما زكى الدين بن رواحة الحموى ، وهو تاجر غنى توفى سنة ٦٢٢ هـ (٩) .

وكان لسيدات الأسرة النورية والأيوبية يد طولى فى انشاء المدارس، والوقف عليها ، وكان حظ الشام فى ذلك أكبر من حظ مصر ، وفيه كانت جهودهن أظهر ؛ فبنت زوجة نور الدين محمود ثم من بعده صلاح الدين بدمشق ، المدرسة الخاتونية الجوانية للحنفية ، ووقفت عليها أوقافا كثيرة (١٠) .

---

(١) خطط الشام ٦ : ٩٩ . (٢) عيون الأنباء ٢ : ٢٤٤ .

(٣) الطالع السعيد ص ٨١ .

(٤) طبقات الشافعية للسبكى جـ ٥ ص ٥٩ ، وذيل الروضتين ص ١٩٨ ، وخطط الشام جـ ٦ ص ٧٨ .

(٥) خطط الشام جـ ٦ ص ٧٢ . (٦) المرجع السابق ص ١١٢ .

(٧) خطط المقريزى جـ ٤ ص ١٩٤ . (٨) خطط الشام جـ ٦ ص ١٠٠ .

(٩) المرجع السابق ص ٨١ و ١٠٦ .

(١٠) خطط الشام جـ ٦ ص ٩٢ ، والنجوم الزاهرة جـ ٦ ص ٩٩ ، والروضتين جـ ١ ص ٢٦٣ ، وجـ ٢ ص ٦٦ .

وساهمت أختا صلاح الدين فى تشييد المدارس ، فبنت أختـه ست الشام زمرد خاتون ، مدرستين للشافعية بدمشق (١) ، وبنت أخته الأخرى ربيعة خاتون ، مدرسة الصاحبة بدمشق للحنابلة ، ودفنت فى فنائهـا (٢) .

واقتدت بهما بنات أخيهما العادل ، فهذه مؤنسة خاتون ابنته ، كانت مثقفة ثقافة دينية ، وكان لها مال جزيل ، فرأت أن أفضل مايعود عليها بالثواب ، أن توصى ببناء مدرسة يجعل فيها فقهاء وقراء ، فبنيت المدرسة القطبية بالقاهرة ، وجعل فيها درس للشافعية ودرس للحنفية وقراء (٣) . وأنشأت ابنته الأخرى زهرة خاتون المدرسة العادليةالصغرى بدمشق للشافعية (٤) ، أما ابنته الثالثة ضيفة خاتون زوجة الظاهر غازى صاحب حلب ، فقد أنشأت بتلك المدينة مدرسة الفردوس ، وجعلتها تربة ومدرسة ورباطا ، ورتبت فيها خلقا من القراء والفقهاء والصـوفية ، ولا تزال أسوارها باقية « وجامعها عامرا ، وكتب على حائط فنائها بعد البسملة وآيات منسورة الزخرف : « هذا ما أمرت بانشائه ذات الستر الرفيع ، والجناب المنيع ، الملكة الرحيمة ، عصمة الدنيا والدين ، ضيفة خاتون ، ابنة السلطان الملك العادل سيف الدين أبى بكر بن أيوب ، تغمدهم الله برحمته ، وذلك فى أيام مولانا السلطان الملك الناصر العالم العادل المجاهد المرابط المؤيد المظفر المنصور صلاح الدنيا والدين ، يوسف بن الملك العزيز محمـد بن الملك الظاهر غازى بن يوسـف ابن أيوب ، ناصر أمير المؤمنين عز نصره » ، وقد تولى يوسف هذا أمر حلب بعد وفاة والده سنة ٦٣٤ هـ (٥) .

وبنت عذراء بنت أخى صلاح الدين شاهنشاه المدرسة العذراوية بدمشق ، وهى للحنفية والشافعية (٦) .

---

(١) ذيل الروضتين ص ١١٩ .

(٢) المختصر لأبى الفداء ٣ : ١٧٤ .

(٣) خطط المقريزى ٤ : ٢٠٠ .

(٤) خطط الشام ٦ : ٨٦ .

(٥) المرجع السابق ص ١٠٦ .

(٦) خطط الشام ٦ : ٨٦ .

وأنشأت زوج الملك الأشرف موسى مدرسة بجبل قاسيون (١) ، وزوج الملك المعظم عيسى المدرسة الماردانية بدمشق للأحناف (٢) ، كما أنشأت ابنته خديجة خاتون المرشدية بدمشق أيضا (٣) .

وبنت مؤنسة خاتون ، بنت المظفر صاحب حماة مدرسة ، ووقفت عليها وقفا جليلا وكتبا (٤) .

ولم يقتد بسيدات الأسرة المالكة الا القليل ، كالسيدة عاشوراء زوجة الأمير أيازكوج الأسدى ، أحد أمراء صلاح الدين ، وقد اشترت دارا بالقاهرة ووقفتها مدرسة للأحناف (٥) ، وكالسيدة عائشة زوج شجاع الدين بن الدماغ ، فقد جعلت دارها مدرسة للشافعية والحنفية بدمشق سمتها الدماغية ، ودرس بتلك المدرسة جلة من العظماء (٦) .

واشترك الخدم والعتقاء فى تشييد المدارس يقتفون بذلك أثر سادتهم ، وكأنهم بذلك يرضون أنفسهم ويشعرونها بشىء من السمو والرفعة ، فالمدرسة الريحانية بدمشق أنشأها للحنفية ريحان الطواشى سنة ٥٦٥ ، وهو من خدام نور الدين محمود (٧) ، والأسدية بحلب بناها بدر الدين الخادم عتيق أسد الدين شيركوه ، وكانت دارا يسكنها فوقفها بعد موته على دراسة فقه أبى حنيفة (٨) ، واقبال خادم صلاح الدين يقف داريه بدمشق مدرستين : احداهما وهى الكبرى للشافعية ،

---

(١) ذيل الروضتين ص ١٤ .

(٢) النجوم الزاهرة جـ ٦ ص ٣١٥ ، وخطط الشام جـ ٦ ص ٩٦ .

(٣) خطط الشام جـ ٦ ص ٩٦ .

(٤) المختصر لأبى الفداء جـ ٣ ص ١٤٤ ، وخطط الشام جـ ٦ ص ١٤٦ .

(٥) خطط المقريزى جـ ٤ ص ٢٠٩ ، وتاج التراجم ص ٢٥ .

(٦) ذيل الروضتين ص ١٠٨ ، وخطط الشام جـ ٦ ص ٧٩ .

(٧) خطط الشام جـ ٦ ص ٩٢ .

(٨) المرجع السابق ص ١١١ .

والثانية وهى الصغرى الحنفية ووقف عليهما مواضـــع (١) . وبنى ركن الدين منكورش عتيق فلك الدين سليمان سنة ٦٢٥ ، مدرسـة ملاصقة لمدرسة سيده هى المدرسة الركنية . وأنشأ سعد الدين المعروف بفطيس عتيق فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب المدرسة الفطيسية بحلب، وكانت دارا يسكنها فوقفها (٢) . واقتدى بذلك كافور الحسامى خادم ست الشام بنت أيوب المتوفى سنة ٦٢٣ ، فبنى مدرســتين بدمشق لأصحاب أبى حنيفة (٣) ، ووقف عليهما أوقافا جليلة (٤) . وأنشأ جمال الدولة اقبال الظاهرى عتيق ضيفة خاتون بنت العادل ، مدرسة للشافعية وأخرى للحنفية بحلب (٥) ، وعتيق زوجها الملك الظاهر وهو حسام الدين بلدق مدرستين متجاورتين بحلب احداهما للشافعية والثانية للحنفية (٦).

وهكذا نرى هذا العصر قد حفل بانشاء المدارس ، وساهم فى بنائها الملوك والسـلاطين والوزراء والأمراء وكبـار رجـال الدولة والمدرسون والأثرياء وسيدات الأسرة الأيوبية المالكة ، بل شادها أيضا خدم هذه الأسرة وعتقاؤها .

أنواع المدارس

تنوعت المدارس فى عصر الحروب الصليبية ، فكان منها معاهد لتدريس الحديث خاصة فى مصر والاسكندرية وقوص ، وفى دمشق والقدس وحلب ، ومعاهد لتدريس الفقه ، تخصص معظمها لمذهب واحد من مذاهبه الأربعة ، فهذا للشافعية وذاك للمالكية وغيرهما للحنفية أو الحنابلة . وكان أكثر المدارس الخاصة بمصر للشـافعية ثم للحنفيـة فالمالكية ، بينما كان أكثرها فى الشام للحنفية ثم للشافعية ثم الحنابلة

---

(١) ذيل الروضتين ص ٥٦ .
(٢) خطط الشام جـ ٦ ص ١١١ .
(٣) النجوم الزاهرة جـ ٦ ص ٢٦٤ .
(٤) ذيل الروضتين ص ١٥٠ .
(٥) الدارس جـ ١ ص ١١٢ .
(٦) خطط الشام جـ ٦ ص ١٠٨ .

فالمالكية . والظاهر أنه لم تنشأ بمصر مدرسة خاصة للحنابلة . ولعل عز الدين عبد الهادى بن شرف الاسلام ، الفقيه الحنبلى الواعظ الذى قدم الى مصر فى صحبة أسد الدين شيركوه ، أراد أن تكون مدرسته التى بدأ بناءها ولكنه مات قبل أن يتمها ، خالصة للحنابلة، (١) . بل لم يدرس هذا المذهب فى مصر حينئذ الا فى مدارس قليلة العدد كالصالحية والمنصورية ، حيث كان يدرس مع باقى المذاهب . وقل أن تجد معهدا لتدريس مذهبين منها . واذا وجدت معاهد يدرس فيها مذهبا الشافعى وأبى حنيفة ، أو مذهبا الشافعى ومالك ، أو مذهبا أبى حنيفة ومالك أو مذهبا مالك وابن حنبل ، فلن تعثر على مدرسة تدرس مذهبى الشافعى وابن حنبل ، أو أبى حنيفة وابن حنبل . أما المدارس التى كانت تدرس المذاهب كلها فلم تنشأ بغير القاهرة .

ولم تتخصص مدرسة بدراسة النحو الا واحدة بالقدس ، وأخرى بدمشق ، أنشأهما المعظم عيسى . وكان معنى التخصص فى هذه المدارس أن المادة الأساسية فيها هى التى أنشئت المدرسة من أجلها ، وليس ذلك بمانع من أن تدرس الى جانبها مواد أخرى ، فكانت المدرسة التى تنشأ للشافعية مثلا يدرس فيها كثير من ألوان الثقافة الأخرى غير الفقه، كالقراءات والتفسير والحديث ، وغيرها للتلاميذ شافعية وهكذا ، ولعل منشىء هذه المدارس قد رغب أن يكون هناك انسجام بين الطلبة فى المدرسة الواحدة ، وفاته أن اختلاف الطلبة فى المذاهب يكون مدعاة لاحتكاك الآراء ، ومبعثا لمناقشات تجلو الحقيقة وتوسع الأفق . وأغلب الظن أن معنى تخصص المدرسة فى المذهب ، كان يحمل المدرسين على أن يختاروا الكتب فى أصول الفقه مثلا وغيره لمؤلفين من مذهبهم ، وفى ذلك اذا صح تضييق فكرى لاشك فيه .

وأنشئت فى القاهرة ودمشق وحلب مدارس خاصة بالطب ، كما كان يدرس منهج الطب الى جانب المواد الأخرى فى بعض المدارس .

---

(١) المنهج الأحمد جـ ١ قسم ٢ ص ٣٠٥ .

كبريات المدارس

أ – بالقاهرة

ظفرت القاهرة ومصر فى عصر الحروب الصليبية بعدة مدارس ممتازة ، تأنق السلاطين فى بنائها وتأثيثها وتعيين أنبه رجال العلم بها ، وكان يدرس فى هذه المدارس جميع ألوان الثقافة المعروفة فى ذلك الحين . وتأسست مدارس كثيرة يومئذ بقى لنا منها أسماء اثنتين وأربعين مدرســة .

ولكى نرى ألوان النشاط الفكرى فى هذه المعاهد ، يحسن أن نقف عند بعض هذه المدارس ، لنعرف ألوان هذا النشاط ، وندرس بعض من ساهموا فيه .

١ – مدارس الشافعية بالقاهرة

أ – المدرسة الناصرية *

أول مدرسة أنشئت بمصر للسنيين ، اختار صلاح الدين مكانها بجوار الجامع العتيق ، أول مسجد أسس فى مصر الاسلامية ، وتم بناؤها فى أول سنة ٥٦٦ (١) ، وكان يومئذ وزيرا للعاضد ، فكان ذلك من أعظم ما نزل بالدولة ، لأنه أنشـأها لفقهاء الشافعية ، ويريد بهذا أن يمهد لعودة مصر الى أحضان مذهب أهل السنة .

ومن العلماء الرحل الذين قاموا بالتدريس فى هذه المدرســة أمين الدين المظفر التبريزى ، وكان فقيها شافعيا أصوليا .

ومن كبار الرجال الذين درسوا بها فى عصر الحروب الصليبية

---

* زالت هذه المدرسة ، ومحلها اليوم أرض فضاء فى الجنوب الشرقى من جامع عمرو بمصر القديمة ، مشغولة بأقمان الجير والفواخير (هامش النجوم الزاهرة جـ ٥ ص ٢٨٥) .

(١) الروضتين جـ ١ ص ١٩١ .

عيسى بن الصاحب برهان الخضرى السنجارى المتوفى سنة ٦٨٢ هـ، وكان ينوب عن والده فى الوزارة (١) .

ولكن هذه المدرسة برغم أوليتها ، لم تبلغ شأو المدرسة التى أنشئت بجوار قبة الامام الشافعى ، لا فى البنـــاء ولا فيمن درس بها من العلماء وهى :

ب المدرسة الصلاحية **

ولعل صلاح الدين أراد بانشائه هذه المدرسة أن يحيى بها ذكرى الشافعى من ناحية ، وأن يكون انبعاث مذهبه قريبا منه حيث يرقد ، وكان السلطان شافعيا ، فوكل أمر انشاء المدرســة الى نجم الدين الخبوشانى ، فنهض ببناء مدرسة لم يعمر بهذه البلاد مثلها ، لا أوسع مساحة ولا أحفل بناء . ويخيل لمن كان يطوف بها أنها بلد مستقل بذاته بازائها الحمام وغيره من مرافقها ، فكانت أشبه بمدينة جامعية . ولم يضن عليها صلاح الدين بمال ، بل كان يقول لنجم الدين : زد احتفالا وتأنقا ، وعلينا القيام بمئونة ذلك كله (٢) . ووقف عليها حماما بجوارها وفرنا تجاهها ، وحوانيت بظاهرها ، والجزيرة التى تسمى جزيرة الفيل بالنيل خارج القاهرة (٣) . ولعلها بعد أن تم بناؤها سنة ٥٧٢ ، أصبحت أعظم مدرسة فى العالم الاســلامى كله ؛ فكانت لذلك تدعى : تاج المــدارس .

ويدلنا على ما لهذه المدرسة من القدر ، أن جماعة من أعيان العلماء قد تولوا التــدريس فيها ، نذكر من بينهم شــيخها الأول نجم الدين الخبوشانى ، وسيف الدين الآمدى ، وقاضى القضاة تاج الدين بن بنت الأعــز .

وكانت هيئة التدريس فى هذه المدرسة مكونة من مدرس وعشرة معيدين ، ومر بها ثلاثون سنة خلت فيها من مدرس واكتفى بالمعيدين،

---

(١) السلوك جـ ١ ص ٧٢١ .

** يقوم مكانها الآن مسجد الامام الشافعى الذى عمره الأمير عبد الرحمن كتخدا . «عجائب الآثار للجبرتى جـ ٣ ص ٦» .

(٢) رحلة ابن جبير ص ١٧ .

(٣) خطط المقريزى جـ ٤ ص ١٢٥ .

ولسنا ندرى بالضبط تحديد تلك الفترة التى خلت فيها المدرسة من المدرسين ، كما لا ندرى السبب الذى دفع أولى الأمر الى الاستغناء عن مدرس بها .

٢ - مدارس المالكية

د - المدرسة القمحية *

أول مدرسة للمالكية بمصر ، أنشأها صلاح الدين سنة ٥٦٦ ﻫ بجوار الجامع العتيق ، وكان من جملة ما وقفه عليها ضيعة بالفيوم تغل قمحا كان يفرق على مدرسيها وطلبتها ، فعرفت من أجل ذلك بالقمحية ، وجعلها أربع زوايا رتب فيها أربعة من المدرسين ، عند كل مدرس عدة من الطلبة . وهذه المدرسة أجل مدرسة للفقهاء المالكية ، تخرج فيها جماعة من الأفاضل ، ودرس بها أيضا جماعة من الأكابر الصلحاء (١) ، عرفنا منهم عبد الله بن نجم بن شاس ، والحسين بن عتيق ابن الحسين بن رشيق (٢) شيخ المالكية فى وقته .

ب - المدرسة الصاحبية ***

أنشأ هذه المدرسة وزير الملك العادل صفى الدين بن شكر ** ،

---

* هذه المدرسة قد زالت ومحلها اليوم أرض فضاء فى الجهة الشرقية من جامع عمرو بمصر القديمة ، بجوار أقمان الجير والفواخير . «هامش النجوم الزاهرة جـ ٥ ص ٣٨٥» .

(١) خطط المقريزى جـ ٤ ص ١٩٣ ، والانتصار لابن دقماق جـ ٤ ص ٩٥ .

(٢) الديباج المذهب ص ١٥٩ ، وحسن المحاضرة جـ ١ ص ٢١٤ .

*** خطط المقريزى جـ ٣ ص ١٦٩ وجـ ٤ ص ٢٠٥ ، والنجوم الزاهرة جـ ٦ ص ٢٨٠ وفيه تحقيق مكانها ويشغل مكان هذه المدرسة اليوم منزلان متجاوران أحدهما رقم ٨ بشارع الوزير الصاحب والآخر رقم ٤ زقاق سعادة بعطفة الست بيرم بشارع درب سعادة (هامش النجوم الزاهرة جـ ٦ ص ٢٨١) .

** مراجعة :

١ - وفيات الأعيان جـ ١ ص ١١٤ . ٢ - فوات الوفيات جـ ١ ص ٢١٩ .
٣ - خطط المقريزى جـ ٤ ص ٢٠٥ . ٤ - الديباج المذهب ص ١٤٨ .
٥ - النجوم الزاهرة جـ ٦ فى عدة مواضع . ٦ - السلوك جـ ١ فى عدة مواضع
٧ - الروضتين جـ ٢ ص ٢٣٨ و ٢٤٤ . ٨ - ديوان ابن النبيه ص ٥٨ .
٩ - ديوان ابن عنين ص ٤٥ و ٤٩ و ٥١ و ١٠٤ و ١٢٤ و ٢٤١ .
١٠ - ديوان ابن الساعاتى . ١١ - ذيل الروضتين فى عدة مواضع .

ووقفها على المالكية وجعل بها مدرس نحو ، وبنى فيها خزانة كتب جليلة .

ولعل أساتذة هذه المدرسة درسوا فيها كتاب البصائر ، الذى وضعه فى فقه مالك مؤسسها .

٣ ـ مدارس الحنفية

المدرسة السيوفية *

أول مدرسة أنشئت للحنفية بمصر ، بناها صلاح الدين سنة ٥٧٢، وأصلها دار الوزير الفاطمى المأمون البطائحى ، وعرفت بهذا الاسم لأن سوق السيوفية كان حينئذ على بابها ، ووقف عليها صلاح الدين اثنين وثلاثين دكانا ، وقرر فى تدريسها ونظر وقفها محمد بن محمد الجبتى، وجعل له فى كل شهر أحد عشر دينارا ، أما باقى ريع الوقف فينفقه على ما يراه من الطلبة الحنفية المقررين عنده . وظلت هذه المدرسة قائمة الى آخر عصر الحروب الصليبية . ومن أعيان مدرسيها فى ذلك العصر على ابن محمد الغزنوى المتوفى سنة ٦٣٣ .

٤ ـ للشافعية والحنفية

المدرسة الظاهرية **

على أنقاض قاعة الخيم احدى قاعات القصر الفاطمى الكبير ،

---

* تعرف هذه المدرسة اليوم بجامع الشيخ مطهر بأول شارع الخردجية على يسار الداخل اليه من جهة شارع السكة الجديدة وهى مما عمرها أيضا الأمير عبد الرحمن كتخدا (عجائب الآثار للجبرتى ج ٢ ص٦) ، والخطط الجديدة التوفيقية ج ٢ ص ٢٣ .

** السلوك للمقريزى ج ١ ص ٥٠٤ . ٢ ـ الخطط له ج ٤ ص ٢١٦ .
٣ ـ ابن اياس ج ١ ص ١١١ . ٤ ـ نهاية الأرب ج ٢٨ ص ٢٦ .
٥ ـ حسن المحاضرة ج ٢ ص ١٦٠ .
٦ ـ النجوم الزاهرة ج ٧ ص ١٢٠ و ٢١٣ .

وراجع مابقى من آثارها بهامش ص ١٢٠ ج ٧ من النجوم الزاهرة وفى ج ٢ ص ١٤ من الخطط الجديدة التوفيقية .

وهذه المدرسة واقعة بجانب قبة الملك الصالح نجم الدين أيوب من الجهة البحرية =

وبجانب المدرسة الصالحية بنى الظاهر بيبرس مدرسة من أجل مدارس القاهرة ، ظل العمل جاريا فيها زهاء عامين ، ولم يشرع فى بنائها حتى رتب وقفها ، وأمر ألا يستعمل فيها أحد بغير أجرة ، وألا ينقص من أجرته شيء ، وتمت سنة ٦٦٢ ، وكانت مكونة من أواوين أربعة خصص الايوان القبلى للشافعية ، والايوان البحرى للحنفية ، والايوان الشرقى لدراسة الحديث ، والايوان الغربى للقراءات السبع ، وجعل بها خزانة كتب تشتمل على أمهات الكتب فى سائر العلوم ، وبنى بجانبها مكتبا لتعليم أيتام المسلمين كتاب الله تعالى ، وقرر لهم الخبز فى كل يوم ، والكسوة فى فصلى الشتاء والصيف ، كما أنشأ بها مساكن للطلبة والأساتذة ، فلما كان يوم الأحد الخامس من صفر احتفل بافتتاحها ، فجلست كل طائفة فى ايوانها وبدأت الدراسة بمحضر السلطان والوزير، وبعض الأمراء والأعيان ، وبعد أن انتهوا مدت الموائد لهم ، فأكلوا ، ثم وقف أبو الحسين الجزار منشدا (١) :

ألا هكذا يبنى المدارس من بنى ومن يتغالى فى الثواب وفى الثنا
لقد ظهرت للظاهر الملك همة بها اليوم فى الدارين قد بلغ المنى
تجمع فيها كل حسن مفرق فراقت قلوبا للانام وأعينا
ومذجاورت قبرالشهيد (٢)فنفسه النفيسة منها فى سرور وفى هنا
وما هى الا جنة الخلد أزلفت له فى غد ، فاختار تعجيلها هنا

= بشارع المعز لدين الله (بين القصرين سابقا) وقد اندثرت واعتدى الناس على أرضها وأدخلوها فى أملاكهم ، كما دخل جزء منها فى شارع بيت القاضى ولم يبق منها الا الايوان الشرقى وهو معطل ويعرف الآن باسم جامع طاهر داخل عطفة جامع طاهر بشارع بيت القاضى وباق من هذه المدرسة أيضا الكتف الأيمن لبابها الاصلى وعليه اسم منشئها وتاريخ انشائها ، وكان لهذه المدرسة باب جميل من النحاس ليس له مثيل فى صنعه وحسن اتقانه وجمال زخرفه منقوش عليه اسم الملك الظاهر بيبرس وسنة ٦٦١ التى صنع فيها ومما يؤسف له أن هذا الباب مركب على باب المفوضية الفرنسية بشارع الجيزة تجاه حديقة الحيوان .

(١) قيل هذا الشعر ومابعده فى حفل افتتاح المدرسة الظاهرية وقد ذكر فيه اسم الظاهر بيبرس صراحة . وذكر ذلك المقريزى فى خططه ، لا فى المدرسة الصالحية ، كما ذكر السيوطى فى حسن المحاضرة .

(٢) يريد به الصالح أيوب .

وأنشد السراج الوراق قصيدة منها :

مليك له فى العلم حب وأهله فلله حب ليس فيه ملام
فشيدها للعلم مدرسة غدا عراق اليها شيق وشآم
ولا تذكرن يوما نظامية لها فليس يضاهى ذا النظام نظام
ولا تذكرن ملكا ، فبيبرس مالك وكل مليك فى يديه غلام

وقال الشيخ جمال الدين يوسف بن الخشاب :

قصد الملوك حماك والخلفاء فافخر ، فان محلك الجوزاء
انت الذى أمراؤه بين الورى مثل الملوك وجنده أمراء
ملك تزينت الممالك باسمه وتجملت بمديحه الفصحاء
وترفعت لعلاه خير مدارس حلت بها العلماء والفضلاء
يبقى كما يبقى الزمان وملكه باق له ولحاسديه فناء
كم للفرنج وللتتار ببابه رسل مناها العفو والاعفاء
وطرنقه لبلادهم موطوءة وطريقهم لبلاده عذراء
دامت له الدنيا ودام مخلدا ما أقبل الاصباح والامساء

فلما فرغ هؤلاء الثلاثة من انشادهم ، أفيضت عليهم الخلع وكان يوما مشهودا .

وكان أول من عين فى المدرسة الظاهرية لتدريس فقه الشافعى تقى الدين محمد بن الحسين بن رزين ❊ ، وهو امام بارع فى الفقه والتفسير ، وله كتاب يدعى فتاوى ابن رزين ، وتوفى فى ٣ من رجب سنة ٦٨٠ هـ .

❊ مراجعه :
١ ـ طبقات الشافعية جـ ٥ ص ١٩ .
٢ ـ حسن المحاضرة جـ ٢ ص ١١٢ و ١٥٧ و ١٦٠ و ١٩٥ .
٣ ـ خطط المقريزى جـ ٤ ص ٢٥١ .
٤ ـ النجوم الزاهرة جـ ٧ ص ١٢٠ و ٣٥٣ .
٥ ـ السلوك للمقريزى جـ ١ ص ٦٤٨ و ٦٥٧ و ٧٠٤ .
٦ ـ كشف الظنون جـ ٢ نهر ١٢١٨ .

وأول مدرسى الحنفية بها مجد الدين عبد الرحمن بن عمر بن العديم ** .

أما أول من درس الحديث بها فهو عبد المؤمن بن خلف الدمياطى، الذى سنترجم له ترجمة واسعة بين رجال الحديث .

وكان الكمال المحلى أحمد بن على بن ابراهيم *** أول من عين لاقراء القرآن بالروايات، وهو شيخ القراء بالقاهرة .

٥ — للشافعية والمالكية

المدرسة الفاضلية ****

أسسها القاضى الفاضل عبد الرحيم بن على ، بجوار داره فى القاهرة ، وبدأ التدريس فيها أول المحرم سنة ٥٨٠ ، ووقفها على طائفتى الشافعية والمالكية ، وجعل شرط مدرسها أن يكون عالما بالمذهبين ، وجعل فيها قاعة للاقراء ، وكون فيها مكتبة ضخمة ، قيل : انها بلغت مائة ألف مجلد ، وظلت هذه المكتبة عامرة بكتبها حتى وقع الغلاء بمصر سنة ٦٩٦ فمس الطلبة الضر ، فباعوا كتبها حتى ذهب معظم ما فيها ، وكان بجانب المدرسة كتاب برسم الأيتام .

** مراجعه :
١ — حسن المحاضرة جـ ١ ص ٢٢٠ ، وجـ ٢ ص ١٦٠ .
٢ — نهاية الأرب جـ ٢٨ ص ١٢٤ .
٣ — النجوم الزاهرة جـ ٧ ص ١٢٠ و ٢٨١ و ٢٨٢ .
٤ — السلوك جـ ١ ص ٥٤٠ و ٦٤٩ و ٦٥١ .

*** مراجعه :
١ — طبقات القراء للذهبى جـ ٢ ص ٢١٤ .
٢ — حسن المحاضرة جـ ١ ص ١٦٠ و ٢٣٩ .
٣ — النجوم الزاهرة جـ ٧ ص ١٢٠ .
٤ — كشف الظنون جـ ٢ نهر ١٣٠١ .

**** المراجع :
١ — خطط المقريزى جـ ٤ ص ١٩٧ .
٢ — السلوك جـ ١ ص ٨٧ .
٣ — الطالع السعيد ص ١٤٢ .
٤ — الديباج المذهب ص ٢٨٣ .

كانت هذه المدرسة من أجل مدارس القاهرة وأعظمها ، وكان يتولى التدريس فيها كبار لعلماء .

٦ ـ من مدارس المذاهب الأربعة

أ ـ المدرسة الصالحية *

على جزء كبــــير من أرض القصر الفاطمى الكبير ، أنشأ الملك الصالح نجم الدين أيوب مدرسة كبرى ، تم بناؤها سنة ٦٤١ ، وجعلها ذات أواوين أربعة ، لكل مذهب ايوان ، فكانت أول مدرسة أنشئت بمصر للمذاهب الأربعة معا ، وفى عهد الملك السعيد بن بيبرس أضاف الى أوقافها أوقافا أخرى ، على أربعة مدرسين ، عند كل مدرس معيدان وعدة طلبة ، وما يحتاج اليه من أئمة ، ومؤذنين ، وقومة . وغير ذلك، وكان بها مساكن للطلبة (١) .

ب ـ المدرسة المنصورية والقبة **

فى سنة ٦٤٨ أتم المنصور قلاوون منشآته الكبرى بالقــاهرة ، وهى المدرسة والبيمارستان والقبة ، اشترى لها الدار القطبية ، بخط

---

* لم يبق من هذه المدرسة اليوم سوى الوجهة الأثرية الجميلة الحافلة بالزخارف والكتابة ، وتحتجب اليوم وراء سبيل خسرو ومايجاوره من دكاكين بشارع العقادين ، ووراء دكاكين شارع الصرماتية ، والا طريق ضيق من أرض صحن المدرسة يعرف اليوم بحارة الصالحية ، والا ايوان المدرسة المالكية ، وبقايا ايوان المدرسة الشافعية بمحاريبه . (هامش النجوم الزاهرة جـ ٦ ص ٣٤١) .

راجع خطط المقريزى جـ ٤ ص ٢٠٩ وحسن المحاضرة جـ ٢ ص ١٥٩ والنجوم الزاهرة جـ ٦ ص ٣٣٣ و ٣٤١ ، والسلوك جـ ١ ص ٣٩٤ وطبقات الشافعية للسبكى جـ ٥ ص ٨١ وراجع ماآل اليه أمرها الآن فى الخطط الجديدة التوفيقية جـ ٢ ص ١٤ .

(١) الطالع السعيد ص ٥٢ .

** تقع اماكن هذه المنشآت بشارع المعز لدين الله (بين القصرين سابقا) بالقاهرة ، ووجهتها الشرقية المشرفة على الشارع تتكون من قسمين : البحرى منهما وهو الواقع على يمين الداخل من الباب الرئيسى هو وجهة التربة ، وتعلوها القبة ، والقبلى منهما هـو وجهة المدرسة المزخرفة بالحنايا ، المحمولة على عمد من الرخام لتوسطها شبابيك على اشكال جميلة . وبين القبة والمدرسة دهليز طويل فيه أبوابهما ، وكان يوصل قديمة الى =

بين القصرين بالقاهرة ، من خالص مال السلطان ، وأخذ لها من قلعة الروضة ما احتاج اليه من عمد الصوان ، وعمد الرخام ، والأعتاب الجليلة . حتى اذا تم بناء هذه الدور ، أخذ الشعراء يمدحون منشئها ، ويصفونها . ومن هؤلاء شرف الدين البوصيرى الذى قال :

ومدرسة ود الخورنق أنه   لديها حظير ، والسدير غدير
مدينة علم ، والمدارس حولها   قرى ، أو نجوم بدرهن منير
تبددت ، فأخفى الظاهرية نورها   وليس بظهر للنجوم ظهور
بناء ، كأن النحل هندس شكله   ولانت له ، كالشمع، فيه صخور
بناها سعيد ، فى بقاع سعيدة   بها سعدت قبل المدارس دور
ومن حيثما وجهت وجهك نحوها   تلقتك منها نضرة وسرور
اذا قام يدعو الله فيها مؤذن   فما هو الا للنجوم سمير

ومعين الدين عثمان بن سعيد التنيسى ، الذى مدحه بقصيدة أولها :

أنشأت مدرسة ومارستانا   لتصحح الأديان والأبدانا

= البيمارستان . وأما القبة من الداخل فشكلها من أجمل وأبدع القباب المزخرفة بالفسيفساء والخشب المذهب ، يحملها أربعة أعمدة اسطوانية سميكة وطويلة من الجرانيت الاحمر ، والجدران مكسوة بالرخام ، وتحت هذه القبة القبر المدفون به الملك المنصور قلاوون وابنه الناصر محمد . وأما المدرسة فيوجد الآن من مبانيها القديمة الايوان الشرقى ومافيه من الزخارف الجميلة ثم محرابها البديع . وأما المارستان فقد خربت مبانيه القديمة ولم يبق الا أجزاء من بعض قاعاته . وفى سنة ١٩١٥ أنشأت وزارة الأوقاف مستشفى للرمد بباب خاص على جزء كبير من أرض المارستان المذكور . (هامش ص ٣٢٦ من النجوم الزاهرة جـ ٧) وراجع الخطط التوفيقية الجديدة جـ ٢ ص ١٣ .

المراجع :

١ ـ حسن المحاضرة جـ ٢ ص ١٦٠ .
٢ ـ النجوم الزاهرة جـ ٧ ص ١٩٢ و ٣٢٥ و ٣٢٧ .
٣ ـ خطط المقريزى جـ ٣ ص ٢٦٩ ، وجـ ٤ ص ٢١٨ و ٢٦٠ و ٢٦١ و ٢٦٢ و٢٦٣ .
٤ ـ السلوك جـ ١ ص ٧١٦ و ٧١٧ و ٧٢٥ و ١٠٠٠ و ١٠٠١ .
٥ ـ ابن اياس جـ ١ ص ١١٦ .
٦ ـ موير ص ٦٠ و ٦١ .
٧ ـ لين بول ص ٢٨٢ .

ورتب المنصور قلاوون بها دروسا للفقه على المذاهب الأربعة ، لكل طائفة مدرس وثلاثة معيدين، ومتصدرا لاقراء كتاب الله، وخمسين طالبا ، وعين لها اماما شافعيا ، وأربعة مؤذنين ورئيسا لهم ، وغير هؤلاء من القومة والفراشين وبوابا واحدا ، ووقف عليها وعلى القبة والبيمارستان أوقافا كثيرة من ضياع وعقار وبساتين ، وجعل مرتب المقرىء أربعين درهما ، ومرتب المدرس مائتى درهم ، ومرتب المعيد خمسة وسبعين ، ولكل طالب خمسة عشر درهما . وكان لا يعين بهذه المدرسة الا أجل الفقهاء وأعلاهم قدرا .

وكان يلقى بهذه المدرسة الى جانب الدراسة الدينية درس للطب، كان الطلبة يتلقونه نظريا بالمدرسة ، وعمليا فى المستشفى بجانبها .

وأنشأ قلاوون بجانب مدرسته مكتبا لتعليم ستين من أيتام المسلمين كتاب الله ، ورتب فيه فقيهين ، جعل لكل منهما فى كل شهر ثلاثين درهما ، وفى كل يوم ثلاثة أرطال من الخبز ، وكسوة فى الشتاء، وكسوة فى الصيف ، كما قرر لكل يتيم رطلى خبز فى كل يوم وكسوة فى الشتاء ، وكسوة فى الصيف .

أما القبة فمن أعظم المبانى الملكية وأجلها قدرا ، وهى تجاه المدرسة المنصورية ، وهما جميعا من داخل باب البيمارستان المنصورى، رتب فيها فضلا عن خمسين مقرئا لكل منهم عشرون درهما فى الشهر، وامام حنفى له ثمانون درهما ، وفى كل سنة خلعة ، وستة مؤذنين لكل منهم ثلاثون درهما ولرئيسهم أربعون — درسا لتفسير كتاب الله ، ودرسا لحديث رسول الله ، لكل منهما مدرس رتب له فى كل شهر أربعون درهما ، ومعيد وثلاثون طالبا ، يعطى كل واحد منهم عشرة دراهم ، وزيادة على ذلك عين قارئا يقرأ الحديث بين يدى المدرس فى أوقات الدروس ، ويقرأ بين يديه أيضا للعوام فى صبيحة كل يوم أربعاء، ورتب له فى كل شهر ثلاثون درهما .

وبهذه القبة مكتبة فخمة ، فيها عدة أحمال من الكتب ، التى وقفها المنصور قلاوون فى أنواع العلوم ، ففيها مصاحف شريفة ، وكتب

للتفسير والحديث والفقه واللغة والطب والأدبيات ودواوين الشـعراء، ورتب لها أمين قرر له فى الشهر أربعون درهما ، وله خمسة مساعدين، كما عين للقبة خدم وقومة وفراشون وبوابون .

وقد أصبح لهذه القبة مكان ملحوظ ومنزلة سامية ، ففيها يحلف الأمراء يمين الولاء للسلطان ، ومنها خرج الأشرف خليل بحملته الحربية الكبرى ؛ لاخراج الصليبيين من الشام ، ولما عاد مضى اليها ، ووقف عليها بعض ما فتحه من البلاد .

٧ ـ من مدارس الحديث بالقاهرة

دار الحديث الكاملية *

كان أول دار أنشئت للحديث ، تلك التى بناها نور الدين محمود فى دمشق (١) . أما هذه فثانى دار أقيمت له ، أنشأها بين القصرين السلطان الملك الكامل محمد بن العادل الكبير سنة ٦٢١ (٢) ، ووقفها على المشتغلين بالحديث النبوى ، ثم من بعدهم على فقهاء الشافعية ، وبنى فيها منازل يسكن بها الطلبة (٣) والمدرسون (٤) ، وجعل لها خزانة كتب يليها أحد الرجال المثقفين (٥) . وأول من تولى مشيخة هذه الدار أبو الخطاب عمر بن دحية ، مؤلف كتاب نهاية السول فى خصـائص الرسـول (٦) .

---

*لاتزال هذه المدرسة موجودة الى اليوم بشـارع بين القصرين ، بجوار جامع السلطان برقوق وتعرف باسم جامع الكامل (هامش النجوم الزاهـرة جـ ٦ ص ٢٢٩) والخطط الجديدة التوفيقية جـ ٢ ص ١٢ .

(١) خطط المقريزى جـ ٤ ص ٢١١ . (٢) النجوم الزاهرة جـ ٦ ص ٢٥٨ .
(٣) الدرر الكامنة جـ ٣ ص ٣٨٣ . (٤) الطالع السعيد ص ١٧ و ٣٢٠
(٥) بغية الوعاة ص ٥ .
(٦) وألف للملك الكامل أيضا كتاب المطرب فى أشعار أهل المغرب . ارجع فى ترجمته الى :
١ ـ دول الاسلام جـ ٢ ص ١٠٤ . ٢ ـ حسن المحاضرة جـ ١ ص ١٦٦ .
٣ ـ بغية الوعاة ص ٣٦٠ . ٤ ـ النجوم الزاهرة جـ ٦ ص ٢٩٥
٥ ـ ذيل الروضتين ص ٦٥ و ١٦٣ ٦ ـ شذرات الذهب جـ ٥ ص ١٦٠
٧ ـ ديوان ابن عنين ص ٢٢٠ . ٨ ـ تذكرة الحفاظ للذهبى جـ ٤ ص ٢١٢ =

وحفظ لنا السيوطى فى كتابه : حسن المحاضرة (١) ثبتا بمن تولوا مشيخة هذه الدار ، وكثير منهم من أعيان المحدثين . وكان آخر من وليها فى عهد الحروب الصليبية ابن دقيق العيد .

٨ ـ للطب

المهذبية **

مدرسة للطب بناها خارج القاهرة الطبيب محمد بن أبى الوحش المعروف بابن أبى حليقة ، والمولود بالقاهرة سنة ٦٢٠ ، وهو من أسرة اشتغل أفرادها بالطب ، وخدم الظاهر بيبرس ، وفى سنة ٦٨٤ ، عين رئيسا للأطباء بديار مصر ، بمرسوم سلطانى ، كما عين مدرسا للطب بالبيمارستان المنصورى ، وقد أدت هذه المدرسة وظيفتها فى نشر الثقافة الطبية ، الى جانب المدرسة المنصورية . وسنرى نهضة الطب فى ذلك العصر نهضة مباركة عند حديثنا عن علم الطب .

ب ـ بالاسكندرية

كانت الاسكندرية تلى القاهرة من حيث المكانة العلمية فى ذلك الحين ، حفلت بطائفة كبيرة من أعيان العلماء فى مواد الثقافة المختلفة، ودرس فيها كثير من رجال السنة ، حتى فى الوقت الذى كان مذهب أهل الشيعة سائدا فيها ، ولعل كثيرا من علماء السنة رأوا بيئة الاسكندرية أصلح من القاهرة لاذاعة التعاليم السنية فيها ، ولهذا

= ٩ ـ التكملة لكتاب الصلة لأبى عبد الله محمد بن أبى بكر القضاعى البلنسى المعروف بابن الابار ط. مدينة مجريط بمطبعة رونس سنة ١٨٨٢ م المجلد الثانى ترجمة ١٨٣٢ .

١٠ ـ البداية والنهاية ج ١٣ ص ١٤٤ .

١١ ـ نفخ الطيب ص ٥٢٥ طبع أوربا .

١٢ ـ وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٨١ .

١٣ ـ مفرج الكروب .

(١) ص ١٥٩ ج ٢ .

** خطط المقريزى ج ٤ ص ٢٤٥ ، ولاتزال موجودة الى اليوم بعطفة مراد بك ـ الخطط الجديدة التوفيقية ج ٢ ص ٤٠ .

اختارها ابن السلار موطنا لانشاء مدرسة للشافعية فيها سنة ٥٤٦ هـ (١١٥١ م) أسند ادارتها الى السلفى (١) .

المدرسة السلفية

عمرت هذه المدرسة ، وكانت تعرف بالمدرسة السلفية حتى بعد وفاة شيخها ، ولم يكن للشافعية بالاسكندرية مدرسة غيرها (٢) ، وسوف نترجم لشيخها الأول ترجمة موسعة .

وليست هذه المدرسة السلفية بالمدرسة الحافظية ، التى صدر سجل فاطمى نقله صبح الأعشى ، بتعيين مدرس فيها يدعى أبا الطاهر ، لأن ابن السلار لم يكن وزيرا للحافظ لدين الله ، والسجل يدل على أن الحافظية أنشئت فى عهد الوزير أحمد بن الأفضل ، وكانت لتدريس علوم الشريعة ، فيكون قد أنشىء بالاسكندرية قبل صلاح الدين مدرستان .

فلما جاء صلاح الدين استكثر منها ، وفتح أبوابها للأقربين والأبعدين ، ونصب فيها مدرسين لجميع ألوان العلوم ، وقد شاهد ابن جبير هذه المدارس عند ما زار الاسكندرية فى أيام ابن أيوب ، وقال عنها : ومن مناقب هذا البلد ومفاخره ، العائدة فى الحقيقة الى سلطانه، المدارس والمحارس الموضوعة فيه لأهل الطلب والتعبد ، يفدون من الأقطار النائية ، فيلقى كل واحد منهم مسكنا يأوى اليه ، ومدرسا يعلمه الفن الذى يريد تعلمه ، واجراء يقوم بجميع أحواله . واتسع اعتناء السلطان بهؤلاء الغرباء الطارئين ، حتى أمر بتعيين حمامات يستحمون فيها ، متى احتاجوا الى ذلك ، ونصب لهم مارستانا لعلاج من مرض منهم ، ووكل بهم أطباء يتفقدون أحوالهم ، وتحت أيديهم خدام يأمرونهم بالنظر فى مصالحهم التى يشيرون بها من علاج وغذاء (٣) .

---

(١) الفاطميون فى مصر ص ٢٩٦ .

(٢) وفيات الأعيان جـ ١ ص ٣٧٠ .

(٣) رحلة ابن جبير ص ١٠ .

والظاهر أن أغلب مدارس الاسكندرية كان لطائفة المالكية ، فقد عرفنا عددا جما من أساطين هذا المذهب يسكنون ذلك الثغر .

فمن تلك المدارس :

مدرسة ابن الأنجب

وقد عرفت باسم مدرسها على (١) بن الأنجب الفقيه المالكى ، وأحد أكابر حفاظ الحديث وعلومه ، وظل بها حتى مات سنة ٦٢١ هـ ، ومولده بالثغر سنة ٥٤٤ هـ .

ومنهـــا :

مدرسة بنى حديد

التى درس فيها أحمد (٢) بن محمد بن سلامة ، وهو من رؤساء المـــالكية ، توفى سنة ٦٤٥ هـ .

ولست أدرى ان كانت دار الحديث النبيهية التى تولى مشيختها على ابن أحمد العراقى (٣) المتـوفى ســـنة ٧٠٤ هـ ، قد أنشئت فى عصر الحروب الصليبية أو بعده .

حـ ـ الفيوم

يرجع الفضل فى انشاء المدارس بالفيوم الى ابن أخى صلاح الدين : تقى الدين عمر بن شاهنشاه . فانه أنشأ بمدينة الفيوم مدرســتين : احداهما للشـــافعية والأخرى للمالكية ، بناهما عندما كانت الفيــوم اقطاعا له ، ووقف عليهما وقفا جيدا (٤) .

---

(١) ترجمته فى ابن خلكان جـ ١ ص ٣٢٩ .
(٢) الديباج المذهب ص ٧٨ .
(٣) الدرر الكامنة جـ ٣ ص ١٧ ، وحسن المحاضرة جـ ١ ص ١٨١ .
(٤) وفيات الأعيان جـ ١ ص ٣٨٣ .

د ـ المنية

أو منية ابن خصيب ، وكان فيها مركز للتدريس ، لا أدرى ان كان مدرسة أو جامعا ، قام بالتدريس فيه العفيف يعقوب المهيونى (١) ، قاضى المدينة ومدرسها ، المتوفى سنة ٦٤٩ ، كما أنه قد عاش فيها أيضا العالم المفسر المشهور ابن فرج القرطبى ، صاحب التفسير المعروف ، والمتوفى سنة ٦٧١ ، وسوف نعقد له ترجمة مفصلة .

هـ ـ بأسيوط

الفائزية

كان بها المدرسة الفائزية ، قام بالتدريس فيها مدرس قدير ، قدم من المغرب بعد أن درس به المقدمة الجزولية فى النحو (٢) على مؤلفها، ثم طوف فى البلاد ، فدخل بغداد وحماة ودمشق ، ودرس بها النحو على الكندى ، والأصول على السيف الآمدى ، وأتقن فقه الشافعى والأصول والنحو ، وكان عارفا بالعروض والحكمة والمنطق ، ذلك هو الفتح بن موسى بن حماد ، الذى تولى التدريس فى نظامية بغداد ، ولما دخل مصر ولى قضاء آسيوط ، ودرس بالفائزية حتى مات سنة ٦٦٣ (٣) .

و ـ بقوص

كانت قوص من مراكز العلم الهامة فى ذلك العصر ، نشأ بها ودرس فيها طائفة من العلماء ، نذكر منهم ابن دقيق العيد وكثيرا من أفراد أسرته ، وكانت قوص يومئذ مدينة حفيلة الأسواق ، متسعة المرافق ، كثيرة الخلق ، لكثرة الصادر والوارد من الحجاج والتجار

---

(١) ذيل الروضتين ص ١٨٧ .

(٢) مؤلفها عيسى بن عبد العزيز الجزولى البربرى النحوى ، وهى فى غاية الايجاز ، مع الاشتمال على كثير من النحو . كشف الظنون جـ ٢ نهر ٤٨٠٠ .

(٣) مراجعه : ا ـ طبقات الشافعية للسبكى جـ ٥ ص ١٤٦ .
(ب) بغية الوعاة ص ٣٧٢ .
جـ ـ حسن المحاضرة جـ ١ ص ١٩٤ . د ـ السلوك جـ ١ ص ٥٤٢ .

اليمنيين والهنديين وتجار أرض الحبشة ، لأنها محط للجميع ، ومحط للرحال ، ومجتمع الرفاق ، وملتقى الحجاج المغاربة والمصريين والاسكندريين ، ومن يتصل بهم ، ومنها يفوزون بصحراء عيذاب ، واليها انقلابهم فى صدرهم من الحج (١) .

وذكر الأدفوى وهو من رجال النصف الأول من القرن الثامن ، أن بقوص ستة عشر مكانا للتدريس ، ولست أدرى كم كان بها من الأماكن فى قرنى الحروب الصليبية : السادس والسابع ، ولكنا علمنا أن ثلاث مدارس كانت قائمة حينئذ ، هى :

المدرسة النجيبية

لمنشئها النجيب بن هبة الله رئيس قوص سنة ٦٠٧ ، وكانت هذه المدرسة أصل الخير (٢) . ولها خزانة كتب فيها جملة صالحة . من بينها عيون الأدلة لابن القصار فى نحو ثلاثين مجلدا (٣) . ولما بنيت هذه المدرسة أشير على مؤسسها أن يحضر لها مجد الدين على بن وهب ابن دقيق العيد (٤) ، فجاء وقام بالتدريس بها .

والثانية هى : المدرسة الغربية

بساحل قوص .

أما الثالثة فهى : دار الحديث السابقية

التى أنشأها السابق والى قوص ، وأسند أمر التدريس فيها الى محمد بن دقيق العيد، ودبج خطبة كتاب وقفها أحمد بن محمد بن قدس الأرمنتى المتوفى سنة ٦٦٢ ، وهى خطبة طويلة أولها : أحمد الله الذى أسعد جد من جد فى احياء سنته ، وأصعد من كان سابقا فى مضمرات

---

(١) رحلة ابن جبير ص ٥٤ .

(٢) الطالع السعيد ص ٢٢٠ .

(٣) المرجع السابق ص ٢٢٥ .

(٤) له ترجمة مطولة بكتاب الطالع السعيد ص ٢٢٩ ، وحسن المحاضرة جـ ١ ص ٢١٦ .

التقرب اليه مستنا فى سنته . ومنها : أما بعد فان الأبنية كمائم تتفتح عن زهرها ... وأجلها وأجلاها ذكرا وأسماها وأسناها قدرا .. ، دار دار فضل حديثها وحديث فضلها، وسار بفخرها وعزها المثل السائر حتى عز وجود مثلها ، وشاكلت مهابط وحى الله المحجوجة بأهل شرفهـا وشرف أهلها ، فأسست على تقوى من الله ورضوان ... ألا وهى هذه المدرسة الشريفة مواقعها ، الشرقية مطالعها ، الكريمة منازعها ، العميمة منافعها .. تدعو المتقرب بها الى أن يدعى من مكان قريب ليوفى أجره الجزيل ... وهو السـيد الأجل سابق الدين أعز الله نصره ، ونصر عزته ، وبسط مدته ، ومد بسطته ، ورفع قدره ، وقدر رفعته . ولم تنس الخطبة مدح مدرسـها الأول ابن دقيق العيد (١) . وبنى بهذه المدرسة خزانة كتب (٢) ، بها السنن الكبير للبيهقى ، وتاريخ بغـداد للخطيب البغدادى، ومعجم الطبرانى الكبير، الذى اشتمل على نحو خمسة وعشرين ألف حـديث ، ورتب فيه مـؤلفه الصحـابة على الحروف الهجائية (٣) ، وكان بها أيضا كتاب البسيط فى التفسير لأبى الحسن الواحدى (٤) ، مما يدل على أن التفسير مما كان يدرس بها ، لأن هذه الكتب قرأها فيها ابن دقيق العيد، وقد درس بدار الحديث هذه الأبناء الثلاثة (٥) لمجد الدين على بن دقيق العيد .

أما المدارس التى أرجح أنها قد أقيمت بقوص فى عصر الحروب الصليبية ، فتسع غير ما تقدم ، كما أنى أرجح أيضا اقامتها فى أواخر عصر الحروب الصليبية ، ولم أقطع بوجودها فى ذلك العصر ؛ لأن من عثرت عليه من أساتذتها قد مات بعد عصر تلك الحروب بقليل . وهذه المدارس هى : مدرسة ابن الأسفونى (٦) ، والمدرسة الأفرمية (٧) ، والخاتونية (٨) والسراجية (٩) ومدرسة ابن السديد (١٠) التى وقفها

---

(١) الطالع السعيد ص ٧٠ . (٢) المرجع السابق ص ٣٢٥ .
(٣) كشف الظنون جـ ٢ نهر ١٧٣٧ . (٤) المرجع السابق جـ ١ نهر ٢٤٥ .
(٥) راجع الطالع السعيد ص ٥١ و ٧٠ و ٣٨١ .
(٦) الطالع السعيد ص ٢٨١ . (٧) المرجع السابق ٨٥ .
(٨) الدرر الكامنة جـ ٣ ص ١٠٠ . (٩) الطالع السعيد ص ٢٧٠ .
(١٠) المرجع السابق ص ٥٠ .

أحمد بن على الاسنائى المتوفى سنة ٧٠٤ ، والمدرســة السقطية (١) والمجدية (٢) والمعزية (٣) والنجمية (٤) .

ز ـ اسنا

وصفها الأدفوى بأنها بلدة كبيرة ، خرج منها جمــع كبير من أهل العلم والأدب ، وبها مدرستان ، ولعل ذلك كان فى عهده ، أما فى عصر الحروب الصليبية فيظهر أنه كان بها أكثر من ذلك ، والمقطوع به ثلاث، والمرجح وجوده ثلاث غيرها .

والمدارس الثلاث هى الأفرمية ، والمعزية ، ومدرسة ابن السديد .

ومن مدرسى الأولى عطاء الله بن على بن زيد الحميرى (٥) .

ومن مدرسى الثانية النجيب بن مفلح ، أحد تلامذة مجد الدين القشيرى ، واستمر على العلم والعبادة حتى مات سنة ٦٩٧ .

ولعل مدرسة ابن السديد كانت آخر مدرسة أنشئت باسنا فى عصر الحروب الصــليبية ، ذلك أن عمارتها قد تمت ، عنــدما حضر تقى الدين بن دقيق العيد الى اسنا ، لزيارة الشيخ بهاء الدين بن سيد الكل ، وكان هذا القدوم فى سنة ٦٩٠ (٦) .

أما المدارس الثلاث التى أرجح وجودها فى عصرنا الذى نتحدث عنه ، فالمدرسة الغربية ، والمدرسة المجدية ، والمدرسة العزية .

ح ـ بأسوان

من أهم مواطن الثقافة بمصر فى ذلك العهد ، خرج منها خلائق

---

(١) المرجع السابق ص ٢٨٢ . (٢) المرجع السابق ص ٢٢٧ .
(٣) الدرر الكامنة ج ٣ ص ٣٢٣ .
(٤) الطالع السعيد ص ٢٧٠ .
(٥) الدرر الكامنة ٢ : ٤٥٥ ، والطالع السعيد ص ١٩٣ .
(٦) الطالع السعيد ص ٤٠١ ، فى آخر ترجمة ابن سيد الكل ، وأول ترجمة ابن السديد .

كثيرة من أهل العلم والرواية والأدب (١) ، ويبدو أن سوق الأدب كانت رائجة بها ، والى أساتذتها يرحل الطلبة لدراسته ، ويظهر أن وجود بنى الكنز بها ، وهم أمراء أصائل من ربيعة ، كان له دخل فى انعاش الحركة الأدبية بهذه المدينة ، فقد كانوا أهل فتوة ومكارم ، ممدحين مقصودين من البلاد الشاسعة (٢) ، وقد صنع لهم على بن عرام سيرة ، ذكر فيها مناقبهم وحالهم ، وجمع أسماء من مدحهم من أهل الثغر ومن ورد عليهم .

وهذا محمد بن حميد بن حيدرة يدرس الأدب بأسوان على القاضى الأديب ، ثم يتصدر هو بدوره لتدريس الأدب بأسوان ، ويرحل اليه الطلبة (٣) .

ويظهر أن المدارس قد أنشئت بها منذ وقت مبكر ، فقد رأينا اسماعيل بن محمد بن حسان الفقيه الشافعى يتولى الحكم بأسوان، والتدريس بمدرستها ، وقد توفى سنة ٥٩٩ (٤) ، وذكر الادفوى فى كتابه أن بأسوان ثلاثة مواضع للتدريس فى عهده ، وقد تأكدنا من أن مدرستين كانتا بأسوان فى عصر الحروب الصليبية ، ونرجح وجود ثالثة .

أما المدرستان فهما السيفية والنجمية .

وأما المدرسة التى أشك فى وجودها بأسوان فى عصر الحروب الصليبية فهى البانياسية ، لأنى لم أعثر على من عمل بها سوى ملاعب ابن عيسى بن ملاعب الفقيه الشافعى المتوفى سنة ٧١٩ (٥) .

ط ـ دمشق

كانت دمشق فى عصر الحروب الصليبية ، من أهم مراكز العلم فى العالم الاسلامى كله ، أسس فيها من المدارس فى هذين القرنين

(١) الطالع السعيد ص ١٢ .
(٢) المرجع السابق نفسه .
(٣) بغية الوعاة ص ٣٩ .
(٤) حسن المحاضرة ج ١ ص ١٩٠ ، والطالع السعيد ص ٨٥ .
(٥) الطالع السعيد ص ٣٧٦ .

زهاء تسعين مدرسة : منها أكثر من ثلاثين للحنفية ، ونحو ثلاثين للشافعية . وثمان للحنابلة ، وثنتان للمالكية ، ومثلهما للشافعية والحنفية، وثمان للحديث ، وأربع للطب ، وربما كانت هذه المدارس قد عاشت جميعا حينا من الزمن معا ، مما يدل على حركة علمية ناشطة ، ونهضة فى الثقافة مزدهرة . وها نحن أولاء ندرس أهم ما أنشىء فى دمشق من المدارس .

١ ـ مدارس للحنفية

أ ـ الصادرية

أول مدرسة أقيمت فى دمشق ، أنشأها شجاع الدولة صادر ابن عبد الله سنة ٤٩١ (١) ، ويظهر أنه قد بنى بها منزلا لسكنى الطلبة والمدرسين (٢) . وكانت خاصة بمذهب أبى حنيفة .

ب ـ النورية الكبرى

قال ابن شداد : أنشأها الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى سنة ٥٦٣ ، وقال صاحب تنبيه الطالب (٣) فى مدارس دمشق : وفيه نظر ، انما أنشأها ولده الصالح اسماعيل ، ثم نقله من القلعة بعد فراغها ودفنه بها ، قال : وهى بعض دار هشام بن عبد الملك بن مروان، وكانت قديما دار معاوية بن أبى سفيان .

ومن أشهر العلماء الذين تولوا أمر هذه المدرسة جمال الدين الحصيرى ، وليها سنة ٦٢٣ ، واستمر متوليا لها الى أن توفى بها فى ٤ من صفر سنة ٦٣٦ ، وقد حضر المعظم درس جمال الدين مع الفقهاء عندما ولى الجمال أمرها (٤) .

وزار هذه المدرسة ابن جبير ، وهو عائد من الحج ، وأعجب

---

(١) الدارس جـ ١ ص ٤٢٩ .

(٢) ذيل الروضتين ص ١٩٨ .

(٣) ص ٤١٧ .

(٤) له ترجمة مطولة فى هذا الكتاب .

بفخامتها ، ووصفها بقوله (١) : « ومن أحسن مدارس الدنيا منظرا مدرسة نور الدين رحمه الله ، وبها قبره نوره الله ، وهى قصر من القصور الأنيقة ، ينصب فيها المـاء فى شاذروان ، وسط نهر عظيم ، ثم يمتد المـاء فى ساقية مستطيلة ، الى أن يقع فى صهريج كبير وسط الدار ، فتحار الأبصار فى حسن ذلك المنظر » .

ودرس بهذه المدرسة كثير من غير أسرة الحصيرى . ولا تزال المدرسة عامرة الى اليوم ، كما أخبرنا بذلك الأستاذ كرد على فى كتابه خطط الشام (جـ ٦ ص ٩٧) .

جـ ـ المدرسة العزيزية

من أعيان مدارس دمشـق ، أسـسها الملك الأفضل على بن صلاح الدين ، ثم أتمها أخوه العزيز عثمان ، ووقف عليها أوقافا كثيرة، ونقل اليها والده العظيم فى قبة بجوارها (٢) ، ويظهر أنه كان بهـا مساكن للطلبة والمدرسين .

وظفرت العزيزية بتدريس طائفة من مشـهورى الرجال فيها ، نذكر منهم عبد اللطيف البغدادى (٣) ، وسبط ابن الجوزى ، وولده عبد العزيز (٤) .

ومنهم سيف الدين الآمدى (٥) شيخ المتكلمين فى زمانه ، والبارع فى المنطق وأصول الفقه والفلسفة .

د ـ المدرسة القليجية *

من مدارس الحنفية ، وقفها الأمير سيف الدين على بن قليج ،

---

(١) رحلة ابن جبير ص ٢٦٤ .
(٢) تنبيه الطالب جـ ١ ص ٢٩٩ .
(٣) عيون الأنباء جـ ٢ ص ٢٠٧ .
(٤) ذيل الروضتين ص ٢١٩ .
(٥) له ترجمة مطولة فى هـذا الكتاب .

* المراجع :
١ ـ عيون الأنباء جـ ٢ ص ٢٦٠ .
٢ ـ تنبيه الطالب جـ ١ ص ٣٧ ، وجـ ٢ ص ٣٨ .

وكان بها بيوت يسكنها الطلبة ، وكان يدرس بها الفقه والفنون الأدبية والقرآن والتفسير والقراءات .

٢ - مدارس للشافعية

أ - المدرسة الأمينية

قيل : انها أول مدرسة بنيت بدمشق ، بناها للشافعية أتابك العساكر ، الملقب بأمين الدولة سنة ٥١٤ .

وممن درس بها قطب الدين النيسابورى * ، وهو فقيه شافعى ، وامام فى الخلاف والأصول والتفسير والوعظ .

ودرس بها كذلك الجمال المصرى (١) ، الذى ولى منصب قضاء القضاة بالشام .

ب - المدرسة التقوية **

كانت تسمى نظامية الشام ، وكانت احدى مدارس ست فى دمشق ، تعد أجل مدارسها ، وهى هذه ، والعزيزية ، والفلكية ، والعادلية ، والمجاهدية ، والكلاسة .

بناها سنة ٥٧٤ تقى الدين *** عمر ابن أخى صلاح الدين،

---

* مراجعه :
١ - طبقات الشافعية جـ ٤ ص ٢٠٩ ٢ - النجوم الزاهرة جـ ٦ ص ٩ .
٣ - السلوك جـ ١ ص ٤٢ . ٤ - الروضتين جـ ١ ص ٩ و ١١ و ١٣ .
(١) تنبيه الطالب جـ ١ ص ١٢٥ .

** المراجع :
١ - تنبيه الطالب جـ ١ ص ٦٢ و ١٥٦ و ١٥٩ .
٢ - ذيل الروضتين ص ١٣٧ و ١٣٨ .
٣ - طبقات الشافعية جـ ٥ ص ٧٤ ، ٧٥ .

*** مراجعه :
١ - وفيات الأعيان جـ ١ ص ٣٨٣ .
٢ - النوادر لابن شداد ص ١٢٩ و ١٣٠ و ١٣١ و ١٤٢ و ١٩١ .
٣ - النكت العصرية لعمارة فى مواضع كثيرة .
٤ - طبقات الشافعية للسبكى جـ ٤ ص ٣٣٩ و ٢٨٦ .

=

وهو من أركان البيت الأيوبى . ومن أشهر من درس بها فخر الدين ابن عساكر * ، الذى انتهت اليه رياسة الشافعية بالشام ، وكان من تلامذته عز الدين بن عبد السلام .

وظلت التقوية عامرة الى القرن العاشر ، وهى اليوم خانقاه ، كما ذكر ذلك الأستاذ كرد على فى خطط الشام (ج ٦ ص ٧٨) .

ج المدرسة العادلية الكبرى **

لما قدم قطب الدين النيسابورى الى دمشق ، فى عهد نور الدين محمود ، شرع الملك سنة ٥٦٨ فى بناء مدرسة للشافعية ، يدرس فيها قطب الدين ، ولكنه مات قبل اكمالها . وفى عهد الملك العادل أراد اكمالها ، غير أن الأجل وافاه قبل اتمامها ، فأراد ابنه الملك المعظم عيسى أن يتم عمل أبيه ، فأتمه فجاءت المدرسة ضخمة فخمة ووقف عليها ما يحفظها ويضمن بقاءها . ودفن فيها العادل سنة ٦١٩ فنسبت اليه .

وفوض المعظم أمر التدريس بها ، الى قاضى قضاته جمال الدين يونس بن بدران ، قال أبو شامة : وحضر درسه أعيان الشيوخ والقضاة والفقهاء ، وحضر السلطان الملك المعظم عيسى بن العادل ، وتكلم فى

= ٥ - النجوم الزاهرة ج ٦ ص ١٠ . ٦ - خطط المقريزى ج ٤ ص ١٩٤ .
٧ - تنبيه الطالب ج ١ ص ١٥٦ ٨ - الكامل لابن الاثير ج ١١ ص ١٦٤ .
٩ - الروضتين ج ١ و ٢ فى مواضع متفرقة .

* مراجعه :
١ - وفيات الأعيان ج ١ ص ١٧٧ . ٢ - النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٢٥٦ .
٣ - خطط الشام ج ٤ ص ٤٦ .
٤ - فوات الوفيات ج ١ ص ٢٦١ .
٥ - طبقات الشافعية ج ٥ ص ٦٦ .
٦ - ذيل الروضتين ص ١٣٦ .
٧ - تنبيه الطالب ج ١ ص ٦٢ .
٨ - شذرات الذهب ج ٥ ص ٩٢ .

** المراجع :
١ - تنبيه الطالب ج ١ ص ٢٧٧ . ٢ - فوات الوفيات ج ٢ ص ١٨٢ .
٣ - ذيل الروضتين ص ٣٢ و ١٣٨ و ١٤٨ و ٢١٢ .

الدرس مع الجماعة ، وكان الاجتماع بايوان المدرسة ، وجلس عن يمين السلطان الى جانبه شيخ الحنفية جمال الدين الحصيرى ، ويليه شيخ الشافعية شيخنا فخر الدين بن عساكر ، ثم القاضى محيى الدين ابن الشيرازى ، ثم القاضى محيى الدين بن يحيى الذكى ، وجلس عن يسار السلطان الى جانبه مدرس المدرسة قاضى القضاة جمال الدين المصرى ، والى جانبه شيخنا سيف الدين الآمدى ، ثم القاضى شمس لدين بن سنى الدولة ، ثم القاضى نجم الدين خليل قاضى العسكر ، ودارت حلقة صغيرة ، والناس وراءهم متصلون ملء الايوان ، وكان فى دور تلك الحلقة أعيان المدرسين والفقهاء ، وقبالة السلطان فيها شيخنا تقى الدين بن الصلاح وغيره ، وكان مجلسا جليلا لم يقع مثله » . وكان ذلك الاجتماع ايذانا بافتتاح الدراسة بالعادلية الكبرى التى صارت من أعظم مدارس الشافعية بدمشق ، ودرس بها وسكنها جلة من العلماء ، ففيها وضع المقدسى كتابه : تاريخ الروضتين فى أخبار الدولتين ، وعمل ابن خلكان تاريخه المشهور : وفيات الأعيان .

د ـ المدرسة الشامية البرانية *

أنشأتها ست الشام بنت نجم الدين أيوب ، وأخت صلاح الدين المتوفاة سنة ٦١٦ ، وتعرف هذه المدرسة بالحسامية نسبة الى ابنها حسام الدين بن لاجين الذى دفن فيها ، وشرطت واقفتها ألا يجمع المدرس بينها وبين غيرها .

* المراجع :
١ ـ ذيل الروضتين ص ١١٠ و ١٧١ .
٢ ـ النجوم الزاهرة جـ ٧ ص ٣٦٠ .
٣ ـ طبقات الشافعية للسبكى جـ ٥ ص ١٩ و ٣١ .
٤ ـ بغية الوعاة ص ١٠٦ و ١٢٧ و ١٥٥ .
٥ ـ تنبيه الطالب وارشاد الدارس جـ ١ ص ٢٠٨ .

٣ - مدارس للشافعية والحنفية

المدرسة العذراوية *

بنتها عذراء بنت شاهنشاه بن أيوب بدمشق للشافعية والحنفية ، وتوفيت مؤسستها فى ١٠ محرم سنة ٥٩٣ ، وكان فخر الدين بن عساكر أول من ألقى الدرس بهـا ، فكان يلقى بهـا وبالنورية والجاروخية بدمشق ، وبالمدرسة الصلاحية بالقدس ، يقيم بالقدس أشهرا ، وبدمشق أشـهرا .

٤ - مدارس للحنابلة

أ - المدرسة الشريفية **

بناها لطائفة الحنابلة ووقفها عليهم ، شرف الاسلام عبد الوهاب *** ابن عبد الواحد بن محمد الأنصارى ، الفقيه الواعظ شيخ الحنـابلة بالشام بعـد والده .

ب - المدرسة العمرية ****

هذه مدرسة بناها أحد رجال أحمد بن حنبل ، مما يدل على شدة اخلاص رجال هذا المذهب ، وحبهم لنشره واذاعته فى الناس .

بنى هذه المدرسة بجبل قاسيون للقرآن وفقه الحنابلة ، الشـيخ أبو عمر بن قدامة : محمد بن أحمد ، وهو عالم زاهد عابد ، مجيد للفقه والفرائض والنحو ، وكانت له حرمة عند نور الدين وقرب من

---

* المراجع :
١ - النجوم الزاهرة جـ ٦ ص ١٤٣ و ٣٤٠ .
٢ - ذيل الروضتين ص ١١ و ١٧١ .
٣ - تنبيه الطالب جـ ١ ص ٢٩١ .

** تنبيه الطالب جـ ٢ ص ١٦١ .

*** مراجعة :
١ - الكامل لابن الأثير جـ ١١ ص ٤١ . ٢ - الروضتين جـ ١ ص ١٧ .
٣ - النجوم الزاهرة جـ ٥ ص ٢٦٩ ٤ - شذرات الذهب جـ ٤ ص ١١٣
٥ - المنهج الأحمد جـ ١ قسم ٢ ص ٢٤٤ .
٦ - تنبيه الطالب جـ ٢ ص ١٦١ .

**** تنبيه الطالب جـ ٢ ص ١٨٩ ، والمنهج الأحمد جـ ٢ ص ٣٣٣ .

صلاح الدين ، يحضر الغزو معه ، ولمــا مات لم يخلف دينارا ولا درهما ، ولا قليلا ولا كثيرا ، ولم يتخلف عن جنازته أحد من القضاة والعلماء والأمراء والأعيان وعامة الخلق ، وودعته دمشق وداعا حافلا ، وكان يوما مشهودا ،وحرز من حضر جنازته فكانوا عشرين ألفا * .

وقد حفظ القرآن فى هذه المدرسة أمم كثيرة ، واشتهر أمرها وشاع ذكرها ، فى الآفاق ، وصارت مأوى العلماء والعاملين ، وسكن الفقهاء والصالحين ، ورأس جمــاعة من طلبتها ، وصاروا من أعيــان المذهب ووجوه الناس .

٥ ـ مدارس للمالكية

المدرسة الصلاحية **

أنشأها صلاح الدين بالقرب من البيمارسان النورى ، ومن أعيان مدرسيها فى عصر الحروب الصليبية العالم المشــهور ابن الحاجب ، وقاضى قضاة المــالكية عبد السلام الزواوى .

٦ ـ للحديث

أ ـ دار الحديث النورية ***

أول دار أنشئت للحديث خاصة بالشام . بناها نور الدين محمود ابن زنكى ، ووقف عليها وعلى من بها من المشتغلين بعلم الحديث وقوفا كثيرة . وقد تولى مشيختها فى عصره شيخ رجال الحديث أبو القاسم ابن عساكر ، الذى سنترجم له ترجمة واسعة فى فصل الحديث .

---

* مراجعة :
١ ـ النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٢٠١ .
٢ ـ ذيل الروضتين ص ٧١ .
٣ ـ المنهج الأحمد ج ٢ ص ٣٣٣ .
٤ ـ شذرات الذهب ج ٥ ص ٢٧ .
٥ ـ طبقات الحنابلة لابن رجب ج ٢ ص ٧٤ .
٦ ـ نهاية الأرب ج ٢٩ ص ٣١ .

** تنبيه الطالب ج ٢ ص ١١٦ .

*** حسن المحاضرة ج٢ ص١٥٩ . وبغية الوعاة ص١٢٧ ، وطبقات الشافعية ج ٥ ص ٥٤ ، وتنبيه الطالب ص ٧٢ ، والروضتين ج ١ ص ٢٢٩ .

وفى النورية الكبرى يقول العرقلة الشاعر الدمشــقى ، يمدحها ويمدح منشئها :

ومدرســة سيدرس كل شيء وتبقى فى حمى علم ونســك
تضــوع ذكرها شرقا وغــربا بنور الدين محمود بن زنكى
يقول وقوله صدق وحق بغير كنــاية وبغير شــك:
دمشق فى المدائن بيت ملكى وهذى فى المدارس بيت ملكى

ب ـ دار الحديث الأشرفية *

كانت مجاورة لقلعة دمشق ، بناها الأشرف موسى فى عامين ، وبنى بجانبها بيتا سكنا للشيخ المدرس بها ، وأنشأ لها خزانة كتب وقفها عليها ، ووقف على الدار أوقافا دارة تكفيها ، وفتحت الدار أبوابها ليلة النصف من شعبان سنة ٦٣٠ ، وكان أول من أملى الحديث بها ودرسه ، علم من أعلام رجال الحديث فى ذلك العهد ، ومن له فيه آثار باقية الى اليوم ، وهو تقى الدين بن الصلاح الذى ســنترجم له ترجمة واسعة فيما يلى ، ويظهر أنها بعد وفاة شيخها الأول أهملت ، وقل الاشتغال بها ، وأهمل وقفها ، ولكنها لم تلبث أن استعادت مجدها يوم وليها أبو شامة المقدسى ، صاحب كتاب الروضتين ، ويحيى بن شرف النووى المحدث الفقيه المشــهور ، وســوف نترجم لهــذين العالمين ترجمة مفصلة .

---

* مراجعها :
١ ـ طبقات الشافعية للسبكى ج ٣ ص ٧٦ وج ٥ ص ١٣٧ .
٢ ـ ذيل الروضتين ص ٤ و ١٦١ و ٢١٠ .
٣ ـ النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٢٨٠ .
٤ ـ الدرر الكامنة ج ٤ ص ٤٩ و ٤٥٨ .
٥ ـ بغية الوعاة ص ٢٩٧ .
٦ ـ تنبيه الطالب ج ١ ص ١٩ .

٧ ـ من مدارس القرآن

المدرسة الوجيهية *

التى أنشئت لدراسة القرآن وحفظه وقراءته بالقراءات ، أنشأها وجيه الدين محمد بن عثمان التنوخى ، شيخ الحنابله بدمشق .

٨ ـ من مدارس الطب

المدرسة الدخوارية **

وهى دار الطبيب عبد الرحيم بن على الدخوار ، وقفها لتكون مدرسة للطب ، ووقف عليها ضياعا وعدة أماكن ، يستغل منها ما ينفق فى مصالحها ، وفى مرتب المدرس ، ومرتبات المشتغلين بها .

وأول من درس بها واقفها ، الذى برز فى الطب ، وتثقف على يديه جماعة كبيرة من الأطباء ، وصنف فى الصناعة الطبية كتبا ، ومات ليلة الاثنين خامس عشر صفر سنة ٦٢٨ .

وابتدىء بالصلاة فى هذه المدرسة يوم الجمعة ، صلاة العصر ثانى عشر ربيع الآخر ، سنة ٦٢٨ ، حيث افتتحت الدراسة بها .

تلك نماذج لما أنشىء من مدارس فى هذه المدينة ، التى كانت تعج بالحركة العلمية .

---

* تنبيه الطالب جـ ١ ص ١٨ .

** المراجع :

١ ـ خطط الشام جـ٦ ص ١٠٢ و جـ٤ ص ٤٦ .

٢ ـ عيون الأنباء جـ ٢ ص ٢٤٤ .

٣ ـ تنبيه الطالب جـ ٢ ص ٢١١ .

ى ـ حلب

وكانت تلى دمشق فى المركز العلمى ، وأكثر مدارسها أنشىء فى عهد نور الدين ، وأبناء صلاح الدين ، وكان مذهب أبى حنيفة له الغلبة فيما أنشىء من هذه المدارس ، التى بلغت زهاء أربعين مدرسة . وصارت حلب فى عهد الملك الظاهر ، بفضل القاضى بهاء الدين بن شداد ، محط رحال العلماء ، ومأوى أعلامهم ، حتى اذا أغار التتار على حلب ، كانت هذه المدارس من بين ضحاياهم ، ولم تستعد حلب الحياة بعدئذ الا فى آخر عهد الحروب الصليبية .

ومن أشهر مدارس حلب :

١ ـ المدرسة الزجاجية

وهى أول مدرسة أنشئت بها سنة ٥١٥ (١) أو سنة ٥١٧ لأهل السنة ، بناها بدر الدولة سليمان بن أرتق ، صاحب حلب . ومن بين مدرسى هذه المدرسة ضياء الدين عيسى البكارى ، الذى اتصل بأسد الدين شيركوه ، وأصبح أحد أمراء صلاح الدين (٢) .

ب ـ المدرسة العصرونية

فلما جاء نور الدين محمود أنشأ بها مدرسة سنة ٥٤٥ (٣) ، وبنى بها مساكن للمعينين بها من الفقهاء ، واستدعى لها من سنجار شرف الدين بن أبى عصرون ، وهو الفقيه الذى أنشأ له نور الدين مدارس فى أرجاء مملكته : بحلب ودمشق وحماة وحمص وبعلبك .

---

(١) خطط الشام جـ ٤ ص ٣٨ . والحديث عن هذه المدرسة فى سعة بكتاب اعلام النبلاء جـ ٤ ص ٢٥٠ .

(٢) مراجعه :

١ ـ وفيات الأعيان جـ ١ ص ٣٩٣ ٢ ـ النجوم الزاهرة جـ ٦ ص ١١٠
٣ ـ الكامل لابن الأثير جـ ١١ ص ٢٠٠ ، و جـ ١٢ ص ٢٠ .
٤ ـ النوادر لابن شداد ص ١٠٠ . ٥ ـ الروضتين جـ ١ ص ١٦١ .

(٣) خطط الشام جـ ١ ص ٣٨ . والكلام عنها بسعة فى كتاب اعلام النبلاء جـ٤ ص ٢٨٢ .

وعرفت المدارس التى أنشئت له بالمدارس العصرونية ، نسبة اليه * .

ج - المدرسة الحلاوية **

وعمر نور الدين مدرسة أخرى للحنفية عرفت بالحلاوية ، جدد بها مساكن يأوى اليها الفقراء ، وأصبحت من أعظم المدارس ، وأكثرها طلبة ، وأغزرها مرتبا .

ولما زار ابن جبير مدينة حلب سنة ٤٨٠ ، كان بها خمس مدارس أو ست ، منها مدرسة للحنفية كانت تتصل بالجامع من الجانب الغربى ، وتناسبه حسنا واتقان صنعة ، قال صاحب الرحلة : « وهذه المدرسة من أحفل ما شاهدناه من المدارس ، بناء وغرابة صنعة ، ومن أظرف ما يلحظ فيها أن جدارها القبلى مفتح كله بيوتا ، وغرفا ، لها طيقان يتصل بعضها ببعض ، وقد امتد بطول الجدار عريش كرم مثمر عنبا ، فحصل لكل طاق من تلك الطيقان قسطها من ذلك العنب متدليا أمامها ، فيمد الساكن فيها يده ، ويجتنيه متكئا ، دون كلفة ولا مشقة » (١) .

وأسس الملك الظاهر بحلب مدرسة الظاهرية للشافعية والحنفية ، كما أنشئت فى عهده مدارس كثيرة ، بفضل القاضى بهاء الدين بن شداد ، الذى اتصل بالملك الظاهر سنة ٥٩١ ، وحل عنده فى رتبة الوزارة والمشاورة ، فوجه همه الى جعل حلب مركزا من مراكز العلم تنافس دمشق ، وعنى ابن شداد بترتيب أمورها وجمع الفقهاء بها ، وعمرت فى أيامه المدارس الكثيرة ، وكان الملك الظاهر قد قرر له اقطاعا جيدا ،

---

*مراجعه :

١ - وفيات الأعيان ج ١ ص ٢٥٥ . ٢ - الروضتين ج ١ ص ١٣ و ١٧ .

٣ - الكامل لابن الأثير ج ١٢ ص ٢٠ .

٤ - طبقات الشافعية ج ٤ ص ٢٣٧ .

٥ - النجوم الزاهرة ج ٦ ص ١٠٩ . ٦ - نكت الهميان ص ١٨٥ .

** تعريف طويل بها فى كتاب اعلام النبلاء ج ٤ ص ٥٠٢ .

(١) رحلة ابن جبير ص ٢٣٢ .

يحصل به جملة مستكثرة ، ولم يكن له خرج كثير ، فانه لم يولد له ، ولم يكن له أقارب ، فتوفر له شيء كثير ، فعمر مدرسة نور الدين سنة ٦٠١ ، وعمر في جوارها دارا للحديث النبوي ولما صارت حلب على هذه الصورة قصدها الفقهاء من البلاد ، فحصل بها الاشتغال والاستفادة وكثر الجمع بها (١) .

ك - القدس

لما استرجع صلاح الدين بيت المقدس سنة ٥٨٣ ، بدأ ينفذ فيه سياسته التي اتبعها في أنحاء امبراطوريته ، تلك السياسة التي ترمي الى نشر العلم ، وتزويد شعبه بالثقافة التي لا مجد لأمة بدونها ، فأنشأ به مدرسة للشافعية ، كانت من أجل ما بناه من المدارس ، سنة ٥٨٨ (٢) ، وفوض أمر تدريسها الى القاضي بهاء الدين بن شداد (٣) . وبنى المعظم عيسى بن العادل مدرسة للحنفية ، كان يدرس فيها من كتب هذا المذهب كتاب الهداية (٤) . كما أنشأ أيضا مدرسة للنحو سنة ٦٠٤ ، كان يدرس فيها كتاب سيبويه (٥) . وأنشأ أمير من كبراء أمرائه هو أبو محمد بن أبي القاسم الهكاري مدرسة للشافعية (٦) ، ووقف الأمير شرف الدين عيسى الهكاري دارا للحديث بالقدس (٧) .

ل - حماة

يظهر أن الفضل في انشاء المدارس بها يعود الى نور الدين محمود ، الذي أنشأ لابن أبي عصرون مدرسة بها . وفوض اليه أن يولي التدريس فيها من يشاء (٨) .

(١) وفيات الأعيان ج ٢ ص ٣٥٦ .
(٢) خطط الشام ج ٦ ص ١٢٢ ، والأنس الجليل ج ٢ ص ٣٩٣ .
(٣) تاريخ الواصلين ج ١ ص ٢٢٤ .
(٤) خطط الشام ج ٦ ص ١٢٣ ، والأنس الجليل ج ٢ ص ٣٩٣ .
(٥) خطط الشام ج ٦ ص ١١٩ ، والأنس الجليل ج ٢ ص ٣٨٦ .
(٦) ذيل الروضتين ص ١٠٨ .
(٧) خطط الشام ج ٦ ص ١٢٤ ، والأنس الجليل ج ٢ ص ٣٩٦ .
(٨) خطط الشام ج ٦ ص ٦٧ .

ولما صارت حماة من نصيب الملك المظفرتقى الدين عمر ، أنشأ بها المدرسة المظفرية (١) وأنشأت احدى حفيداته : مؤنسة خاتون ، المدرسة الخاتونية (٢) كما كان بها مدرسة للحنفية رآها ابن جبير ، (٣) وأنشئت بها المدرسة السلطانية المنصورية التى كان يدرس بها السيف الآمدى العالم المشهور (٤) ، ومدرسة ابن المشطوب (٥) .

م - حران

كانت هذه البلدة يومئذ مشهورة بأنها مقر للصالحين المتزهدين ، ومثابة للسائحين المتبتلين ، يتحدث ابن جبير عن أهلها قائلا (٦) : « وأما عبادهم وزهادهم والسائحون فى الجبال منهم فأكثر من أن يقيدهم الاحصاء » ؛ ولذا وجد مذهب ابن حنبل بيئة صالحة للاستقرار فى هذه المدينة ، بحيث لم تستطع مدرسة لمذهب آخر أن تقوم فيها ، وأشار ابن جبير الى أن بها مدرسة واحدة (٧) ، وهى المدرسة التى أمر نور الدين بانشائها فيها ، وقد بناها لحامد بن محمود الحرانى ، وكان ورعا ثقة وتوفى سنة ٥٧٠ (٨) ، وأخذ عنه العلم جماعة من أهل حران ، منهم فخر الدين بن تيمية ، الذى أنشأ مدرسة خاصة به لتدريس فقه ابن حنبل .

ن - مدن أخرى

وبنى نور الدين مدرسة لابن أبى عصرون فى حمص ، هى التى أشار اليها ابن جبير فى رحلته (٩) ، وقال ياقوت فى القرن السابع : انه كان بها مدارس على عهده (١٠) .

(١) المرجع السابق ص ١٢٧ .
(٢) المختصر لأبى الفداء جـ ٣ ص ١٤٤ .
(٣) رحلة ابن جبير ص٢٣٥ .
(٤) تاريخ الواصلين جـ ١ ص ٢٠٦ .
(٥) طبقات الشافعية جـ ٥ ص ١٤٦ .
(٦) رحلة ابن جبير ص ٢٢٤ .
(٧) المرجع السابق ص ٢٢٦ .
(٨) المنهج الأحمد جـ ٢ قسم أول ص ٢٩٧ .
(٩) ص ٢٣٧ .
(١٠) خطط الشام جـ ٦ ص ١٢٨ .

وفى بعلبك أنشأ نور الدين مدرسة أيضا ، ولعل مدارس أخرى أنشئت فيها بعد ذلك ، فان الصالح أيوب عندما زار بعلبك أعطى أهل المدارس والربط وأرباب البيوت عشرين ألف درهم (١) ، وربما امتازت بعلبك بميلها الى دراسة فنون البلاغة ، فقد عرفنا اثنين من رجال هذه الفنون درسا بهذه المدينة ، وهم عبد الواحد بن عبد الكريم بن خلف المتوفى سنة ٦٥١ (٢) « وبدر الدين بن مالك مؤلف كتاب ضوء المصباح ، اختصار كتاب مفتاح العلوم للسكاكى ، فى علوم البلاغة .

وأقام نور الدين مدرسة أخرى لابن أبى عصرون فى منبج (٣) ، التى زارها ابن جبير ، فرأى أهلها أهل فضل وخير ، سنيين شافعيين (٤)

وأنشأ تقى الدين عمر مدرسة بالرها (٥) ، وكانت قد ظلت حينا من الدهر فى أيدى الصليبيين ، حتى استردها زنكى والد نور الدين . وبنى أحد أبناء ملوك حماة مدرسة بالمعرة سنة ٥٩٥ (٦) . وكان ببصرى مدرسة تدعى الأمينية لا نعرف اسم بانيها (٧) ، وربما كان قد أنشىء بها فى هذا القرن أيضا مدارس أخرى ، زارها الصالح أيوب ، وأعطى أهلها مع من أعطى عشرين ألف درهم (٨) .

ولم تكن المدن وحدها هى العامرة بالعلماء فى ذلك الحين ، بل ان بعض القرى كان بها علماء أعلام ، يختلف اليها علماء دمشق ، ويدرسون فيها ، فمن جملة تآليف الحافظ ابن عساكر كتب ، فى روايات أهل داريا وكفر سوسية وصنعاء ودمشق وغيرها (٩) . ولا أدرى شيئا عن حال العلم فى البلاد التى بليت بحكم الصليبيين ، ومن المعقول أن الثقافة العربية فيها قد اضمحلت ، ولم يزدهر سوى مدرسة

---

(١) السلوك للمقريزى ج ١ ص ٣٢٦ .
(٢) بغية الوعاة ص ٢٧٦ ، وهامش السلوك ج ١ ص ٣٨٩ .
(٣) خطط الشام ج ٦ ص ٦٨ .
(٤) رحلة ابن جبير ص ٢٢٨ .
(٥) طبقات الشافعية للسبكى ج ٤ ص ٢٨٦ .
(٦) خطط الشام ج ٦ ص ١٣٠ . (٧) المرجع السابق .
(٨) السلوك ج ١ ص ٣٢٦ . (٩) خطط الشام ج ٤ ص ٤٨ .

اليعاقبة بطرابلس ، وفيها نشأ أبو الفرج بن العبرى صاحب التاريخ المعروف به (١) .

نظام المدرسة

كانت المدرسة فى أغلب الأحيان تسمى باسم منشئها ، وقلما تعرف باسم مدرسها أو مكان وجودها ، وكان بانيها يقف عليها من الأوقاف ما يكفى للانفاق على مدرسيها وطلبتها وباقى مستخدميها ، وعلى اصلاحها ، وكان يحدد عدد من تدفع اليه هذه الأوقاف من المدرسين والطلبة وغيرهم ، وربما وقف على طلبة العلم بالمدرسة من لم يبنها ، رغبة فى المساهمة فى اذاعة العلم ونشر الثقافة واستجلابا للدعاء ، وكان يتولى شئون النظر فى هذه الأوقاف ناظر يعينه منشىء المدرسة ، وقد يكون مدرسها .

والمستخدمون فى المدرسة عادة هم : ناظر وقفها ، ومدرسوها على اختلاف طبقاتهم ، والمشرف على شئون المكتبة ، والامام ، والمؤذنون ، والقيم على المدرسة ، ويشبه أن يكون رئيس خدمها ، والخدم .

وكان المدرسون على طبقتين : مدرسين ومعيدين ؛ فالمدرس هو من يتصدى لتدريس العلم من تفسير وحديث وفقه ونحو وتصريف وغير ذلك (٢) ، أما المعيد فيلى رتبة المدرس ، والأصل فيه أنه اذا ألقى المدرس الدرس وانصرف ، أعاد للطلبة ما ألقاه المدرس اليهم ليفهموه ويحسنوه (٣) ، وكان عمل المعيد تبسيط العلم للشادين (٤) ، وتوضيح الغامض لهم ، فكان المدرس يلقى الثقافة العالية على سامعيه، فمن احتاج الى ايضاح شىء أو فهمه عاد فى ذلك الى المعيد ، ومن أجل

---

(١) المرجع السابق ص ٣٩ .

(٢) صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٦٤ .

(٣) المرجع السابق والصفحة نفسها .

(٤) طبقات الشافعية للسبكى ج ٤ ص ٢٤٣ .

هذا كان المعيد يجلس الى جانب المدرس (١) ليعرف سير الدرس ، فيوضح ما خفى منه . ويكون للمدرس الواحد معيد أو أكثر تبعا لعدد الطلبة وكثرتهم ، واذا خلت المدرسة من المدرسين وتولى أمرها المعيدون ، كما حدث فى بعض الأحيان لبعض المدارس (٢) ، كان معنى ذلك أن المدرسة أصبحت للنشىء لا للمنتهين . وقد يكون العالم مدرسا بمدرسة ومعيدا بأخرى (٣) ، مما يدل على أن المناصب كانت فى المدرسة محدودة ، كما نراه الآن فى جامعتنا ، وقد يتولى المدرس التدريس فى أكثر من مدرسة ، وقد اجتمع لابن خلكان التدريس فى سبع مدارس ، وهنا نرى منصبا جديدا فى المدرسة هو منصب نائب المدرس ، فقد كان من الجائز أن ينيب المدرس عنه من يراه كفئا لذلك، فكان مثلا ، على بن محمد على القشيرى يدرس بالصالحية نيابة عن أبيه ، ومحمد بن أحمد بن على القشيرى يدرس بالنجيبية بقوص نائبا عن أبيه (٤) . وكثيرا ما كان يجمع المدرس بين التدريس والقضاء (٥) ، وكان ينظر الى هذين المنصبين بمنظار واحد ، وهاك تقليدا للقاضى المدرس ابن بندار ، كتبه ضياء الدين بن الأثير ، ويقول فيه بعد أن حدثه عن مهامه قاضيا : وبعد أن بوأناك هذه المكانة ، وحملناك هذه الأمانة ، فقد رأينا أن نجمع لك بين تنفيذ الأحكام وحفظ أصولها ، وألا نخلبك من النظر فى دليلها ومدلولها ، فان الترك يوحش العلوم من معهود أماكنها ، ويذهب بها من تحت أقفال خزائنها ، ومنصب التدريس كمنصب القضاء ، أخ يشد من عضده ، ويكثر من عدده ، فتول المدرسة (الفلانية) عالما أنك قد جمعت بين سيفين فى قراب ، وسلكت سبيلين الى تحصيل الثواب ، وركبت أعز مكان وهو تنفيذ الحكم . وجالست خير جليس ، وهو الكتاب (٦) .

(١) الطالع السعيد ص ٨٨ .
(٢) حسن المحاضرة جـ ٢ ص ١٥٧ .
(٣) بغية الوعاة ص ٨٧ و ٩٧ و ١٢٠ .
(٤) الطالع السعيد ص ٢١٨ و ٢٧٦ .
(٥) المرجع السابق ص ٤٠١ وحسن المحاضرة جـ ٢ ص ١٠٧ .
(٦) حسن المحاضرة جـ ٢ ص ١٠٧ .

وهاك يوما فى حياة مدرس قاض ، هو هبة الله بن عبد الله بن سيد الكل ، قال الأدفوى (١) : « كانت أوقاته موزعة ، يقوم الثلث الأخير من الليل ، فاذا قارب طلوع الفجر حضر الى المدرسة ، وتوجه الى أن يركع الفجر ، ويصلى الصبح ، ثم يقرأ عليه شىء من الاحياء وغيره من كتب الرقائق ، الى أن يسفر الوقت ، ثم يعبر الى بيته يطالع ويحضر المعيدون ، ثم يخرج فيتكلم فى الدرس زمانا ، ثم يقوم من يختار القيام ، وتجلس الطلبة تقرأ عليه عربية وأصولا وفرائض وجبرا ومقابلة الى وقت كبير ، ثم يجلس للقضاء الى قريب وقت الظهر ، ثم يدخل بيته ، ثم يخرج يصلى الظهر ويسأل عن فتاوى ، ثم يدخل ، ويخرج العصر يجلس للقضاء ، ثم يدخل بيته ، ثم يخرج يصلى المغرب، ثم يدخل بيته ، ثم يخرج يصلى العشاء ، ويقرأ شيئا من الرقائق ، الى الوقت الذى يريد .

وكثيرا ما تولى منصب التدريس قاضى القضاة (٢) ، وقد يجمع الواحد بين القضاء والتدريس والخطابة (٣) ، بل بين التدريس وقيادة الجيش (٤) ، وكان تولى التدريس والاعادة يتطلب أحيانا مرسوما ملكيا ، ففى كتاب الانتصار لابن دقماق (٥) ، فى أيام الصالح نجم الدين أيوب ، وقع لقاضى القضاة بدر الدين السنجارى بالتدريس بالمدرسة التقوية مع المدرسة الشريفية ، وفى كتاب السلوك (٦) استقر شمس الدين محمد بن علم الدين بن القماح فى الاعادة بمدرسة الشافعى من القرافة بتوقيع شريف ، ويظهر أن ذلك كان فى المدارس التى للسلطان اشراف عليها .

وحفظ لنا القلقشندى نسخة سجل فاطمى ، بتولية مدرس فى

---

(١) الطالع السعيد ص ٤٠١ .
(٢) الانتصار لابن دقماق جـ ٤ ص ٩٤ ، والطالع السعيد ص ٦٩ .
(٣) الدرر الكامنة جـ ٣ ص ٤٩٢ .
(٤) المختصر جـ ٣ ص ١٦١ .
(٥) جـ ٤ ص ٩٤ .
(٦) جـ ١ ص ٧٠٠ .

ثغر الاسكندرية صدر فى عهد الحافظ (٥٣٤ - ٥٤٤ هـ) الذى أصدر أمره بانشاء المدرسة الحافظية بهذا الثغر ، ويظهر أنها أنشئت فى عهد الوزير أحمد بن الأفضل بن أمير الجيوش ، كما يدل على ذلك ما لقب به فى هذا السجل ، ووصفه بالسيد الأجل الأفضل ، ولست أدرى عن هذه المدرسة الحافظية شيئا ، الا أنها كانت لتدريس علوم الشريعة بها ، واذا كان الوزير أحمد هو الذى أنشأها فان مذهب أهل السنة والأمامية يكون قد وجد سبيله الى هذه المدرسة . ولنذكر هنا بعض نصوص هذا السجل ، الذى تكفل فيه الوزير برزق طلبة المدرسة وأستاذها الذى سيشرف على هذا الانفاق . بدأ السجل بالحديث عن الخليفة والوزير ورعايتهما مصالح الأمة ، فقال : أمير المؤمنين لما منحه الله من الخصائص التى جعلته لدينه حافظا ، ولمصالح أمور المسلمين ملاحظا ، ولما عاد بشمول المنافع لهم مواترا ، وبما أحظاهم عنده تبارك وتعالى معينا وعليه مثابرا ، لا يزال يوليهم احسانا وفضلا ومنا .. وقد يسر الله لخلافته ودولته ، ووهب لامامته ومملكته ، من السيد الأجل الأفضل أكرم ولى ضاعف تقواه وايمانه ، وأكمل صفى وقف اهتمامه واعتزامه على ما يرضيه سبحانه ... ثم يتحدث عن السبب الذى دعا الى بناء مدرسة بثغر الاسكندرية ، فيقول : ولما انتهى الى أمير المؤمنين ميزة ثغر الاسكندرية - حماه الله تعالى - على غيره من الثغور ، فانه خليق بعناية تامة لا تزال تتجدد عنده وتفور ؛ لأنه من أرقى الحصون والمعاقل ، والحديث عن فضله وخطير محله لا تهمة فيه للراوى والناقل ، وهو يشتمل على القراء والفقهاء والمرابطين والصلحاء ، وأن طالبى العلم من أهله ومن الواردين اليه ، والطارئين عليه ، مشتتو الشمل ، متفرقوا الجمع - أبى أمير المؤمنين أن يكونوا حائرين متلددين ، ولم يرض لهم أن يبقوا مذبذبين متبددين ، وخرجت أوامره بانشاء المدرسة الحافظية ... ويصف السجل المدرس الذى اختير لهذه المدرسة بقوله : واستقرت التقدمة فى هذه المدرسة لك أيها الفقيه الرشيد جمال الفقهاء أبو الطاهر ، لنفاذك واطلاعك ، وقوتك فى الفقه واستضلاعك ، ولأنك الصدر فى علوم الشريعة ، والحال منها فى

المنزلة الرفيعة ، والمشتغل الذى اجتمع له الأصول والفروع ، ومن اذا اختلف فى المسائل والنوازل كان اليه فيها الرجوع ، هذا مع ما أنت عليه من الورع والتقى ، وأن مجاريك لا يكون الا ناكصا على عقبه مخفقا ، وأمر أمير المؤمنين أن تدريس علوم الشريعة للراغبين ، وتعلم ما علمك الله اياه لمن تريد ذلك من المؤثرين والطالبين ، وخرج أمره بكتب هذا المنشور بذلك ، شدا لأزرك ، وتقوية لأمرك ، ورفعا لذكرك . وينتهى السجل باطلاق يد المدرس فى التصرف بما يراه فى شئون المدرسة ، وطلبه من كافة المستخدمين « رعاية المدرسة المذكورة ، ومن احتوت عليه من الطلبة ، واعزازهم ، والاشتمال عليهم ، والاهتمام بمصالحهم، والتوخى على منافعهم» . وطلب أن يقرأ هذا المنشور بالمسجد الجامع، وأن يودع منه نسخة بهذه المدرسة (١) .

وكان فى دور الحديث منصب آخر ، هو منصب المسمع ، وهو الذى يتولى قراءة الحديث بين يدى المدرس ؛ فكان محمد بن أبى المعز، وأحمد بن محمد الكردى ، ممن قاما بذلك فى دار الحديث الأشرفية (٢) . وأرجح أن بعض معاهد التعليم فى ذلك الحين كان فيها منصب التصدر أو المشيخة ، ويتولاه أستاذ متخصص فى المادة التى وكل اليه أمر تدريسها ، فترى مثلا العلم العراقى قد ولى مشيخة التفسير بالمنصورية (٣) ، وغيات بن فارس قد تصدر للاقراء بالفاضلية (٤) ، وكان التصدر أكثر ما يكون بالجوامع ، ولا يختص بالاقراء ، بل يتصدر العالم للاقراء ، وللنحو ، وللأصول ، وللفقه ، والأدب ، وغير ذلك (٥) .

وكان أغنياء المدرسين لايتقاضون أجرا على تدريسهم ، بل

---

(١) صبح الأعشى جـ ١٠ ص ٢٥٨ .

(٢) الدرر الكامنة جـ ١ ص ٢٩٢ ، و جـ ٤ ص ٤٩ .

(٣) حسن المحاضرة جـ ١ ص ١٩٧ .

(٤) طبقات القراء للذهبى جـ ٢ ص ١٨٤ .

(٥) راجع بغية الوعاة ص ٤١ و ١٤٥ و ٢١٢ و ٢٣٣ و ٢٩٣ و ٣٠٨ و ٣٧١ .

يبيعون مما يملكون وينفقون على أنفسهم (١) ، أما غيرهم فلهم مرتبات يأخذونها من وقف المدرسة (٢) ، وأكبر مرتب عرفتــه لمدرس فى تلك الأزمان هو المرتب الذى فرضه العزيز عثمان للحسن بن الخطير ، فقد قرر له فى الشهر ستين دينارا ، ومائة رطل خبزا ، وخروفا وشمعة فى كل يوم (٣) ، وأقل مرتب عرفته هو مرتب مدرس التفسير بالقبة المنصورية وكان مقررا له أربعون درهما فى الشهر (٤)، أى مايساوى ثلاثة دنانير (٥) وكانت المرتبــات تتفاوت بين هذين ؛ فقرر صــلاح الدين للخبــوشانى أربعين دينارا فى الشهر ، وستين رطلا خبزا ، وراويتين من ماء النيل ، وقرر لابن رزين نصفها ، ولابن دقيق العيد ربعها ، وللسنجارى كلهــا ، وجعل الظاهر بيبرس للاشرف بن الأعز فى كل يوم دينارا صوريا ، وفى كل شهر عشرة مكاكيك حنطة ولحما (٦) . وكان مدرس المنصــورية يتقاضى خمسة عشر دينارا ، والمعيد زهاء خمسة دنانير ونصف دينار (٧) وكان مرتب محمد بن محمد الجبتى المدرس الحنفى بالسيوفية أحــد عشر دينارا فى الشهر (٨) ، واذا كان بيده المدرس عدة مناصب نال مرتباتها جميعا أو اقتصر على بعضها . واذا مات الفقيه أو المعيد أو المدرس ، وله زوجة وأولاد ، يعطون من معلوم تلك الوظيفة التى كانت له ما تقــوم به كفايتهم ، ثم ان فضل من المعلوم شيء عن قدر الــكفاية فلا بأس باعطائه لمن يقوم بالوظيفة (٩) . وقد بلغت مرتبات المدرسين فى عهــد نور الدين وصلاح الدين قدرا كبيرا ، فكان ينفق فى عهد صلاح الدين على فقهاء دمشق فقط وكانوا ستمائة ، زهاء ثلاثمائة ألف دينار (١٠) . وقد أشير على نور الدين أن يستعين بما ينفق عليهم فى شئون الحرب فأبى (١١) .

---

(١) طبقات الشافعية للسبكى جـ ٤ ص ١٨

(٢) المرجع السابق جـ ٥ ص ٦٧ .

(٣) بغية الوعاة ص ٢١٩ .

(٤) السلوك جـ ١ ص ١٠٠٠ .

(٥) حسن المحاضرة جـ ٢ ص ١٥٧ .

(٦) نكت الهميان ص ١٢٠ .

(٧) السلوك جـ ١ ص ١٠٠١ .

(٨) خطط المقريزى جـ ٤ ص ١٩٦

(٩) طبقات الشافعية جـ ٥ ص ٦٧ .

(١٠) خطط الشام جـ ٤ ص ٣٩ .

(١١) الكامل لابن الأثير جـ ١١ ص ١٣٢ .

ويظهر أن بعض نظار هذه المدارس كانوا يمطلون المدرسين أحيانا ، فلا يحصلون على مرتياتهم الا بشق الأنفس وبارضاء ذوى المناصب العالية ، ولعل هذا هو الذى دفع أباشامة الى أن ينقطع عن المدرسة ، ويشتغل بزراعة أرضه ، فلما عوتب فى ذلك أنشأ قصيدة كبيرة ، تبلغ مائة وثمانية أبيات (قابلة للزيادة) نقد فيها نظام الوقف ، وما جره على المدارس من ابعاد أهل الكفاءة من بين مدرسيها ، وهو نقد صحيح الى حد بعيد ، فان ترك الوقف تحت رحمة نظاره ، يدفعهم الى التلاعب به على حسب أهوائهم ، ويودى فى النهاية بالمدرسة ، كما حدث لأكثر مدارس هذا العصر . قال أبو شامة :

أيها العاذل الذى ان تحرى ... قال خيرا ، ونال بالنصح أجرا
لا تلمنى على الفلاحة ، واعلم ... أنها من أحل كسب وأثرى

اتخذ حرفة تعيش بها يا طالب العلم ، ان للعلم ذكرا
لا تهنه بالاتكال على الوقف ، فيمضى الزمان ذلا وعسرا
انما تحصل الوقوف لشرير ، ونذل من العلوم مبرا
أو لمن يلزم الأكابر ، لا يبرح فى خدمة لهم ، ومدح ، واطرا
طالبا جاههم ، مجيبا الى كل أمور لهم ، عكوفا ، مصرا
فترى قاضى القضاة ومن يذكر درسا ، يرعاه سرا وجهرا

قاصدا قربه ، فيصغى اليه ... فاعلا ما يريد ، نفعا وضرا
والضعيف المشغول بالعلم يلقى ... من ولاة الأمور هجرا وهجرا
وهو المستحق لو أبصروا الحق ... ولكن عموا ، فيارب غفرا
انما كانت المدارس عونا ... لأولى العلم حسب، فى الناس طرا
درست فى زماننا ، اذ تولاها ... أولو الجهل والحماقة قهرا
صدقات الوقوف ينفر منها ... كل حر تأتيه صفوا ويسرا

كيف حال الذى يذل لها بالقبول ، كى يحصل نزرا (١)

---

(١) ذيل الروضتين ص ٢٢٢ .

ولو أن ديوان المدارس الذى استحدث فى أيام المعظم عيسى (١) نما نموا طبيعيا ، فتولى ادارة الأوقاف على المدارس كلها ، وحقق رغبات الواقفين من العناية بأمر اصلاح المدراس ، واختيار المدرسين ، لصينت وما مسها الخراب .

أما الطلبة فما كانت المدارس تستقبلهم بالمجان فحسب ، بل وقف بانوها الأوقاف الكثيرة عليهم ، مما يهيىء لطالب العلم فراغ البال من ناحية المعاش (٢) ، فكانوا يعطون المال والخبز . وكان بعض الملوك يقفون على طلبة العلم استجلابا لدعائهم . وفى أكثر المدارس كان الطلبة يجدون فيها بيوتا يأوون اليها ، كما يجد من يريد من المدرسين هذه البيوت (٣) فينصرف الجميع ، وقد هيئت لهم كل وسائل العيش ، الى الدراسة والبحث من غير أن يصرفه شاغل من شواغل الحياة ، ولو أنه حوفظ على هذا النظام ونقى مما فيه من العيوب ، لكان المثل الأعلى للنظام المدرسى الصحيح .

خزائن الكتب

وكان للفاطميين غرام بالكتب، يجمعونها فى خزائن منظمة، وكانت أعظم خزائنهم خزانة القصر الفاطمى ، كان لها فى القصر أربعون خزانة، من جملتها واحدة فيها ثمانية عشر ألف كتاب من العلوم القديمة ، وقد اختلف المؤرخون فى عدد ما بالخزائن من الكتب ، فمن قائل : ان كتبها تزيد على مائتى ألف كتاب ، وآخر يدعى أنها كانت تشتمل على ألف وستمائة ألف كتاب ، وبعضهم يرفع محتوياتها الى ألفى ألف كتاب، وذكر ابن أبى واصل أنها كانت تزيد على مائة وعشرين ألف مجلد (٤).

---

(١) ذيل الروضتين ص ٢٢٦ .
(٢) رحلة ابن جبير ص ١٠ و ١٧ و ١٩ و ٢٢ و ٢٢٦ .
(٣) راجع ذيل الروضتين ص ١٤٩ و ١٨٨ و ٢٠٠ و ٢٠٢ و ٢٠٩ و ٢١٩ و٢٢٩ و ٢٣٩ ، والدرر الكامنة جـ ٣ ص ٢٨٣ و ٤٦٨ .
(٤) خطط المقريزى جـ ٢ ص ٢٥٣ وما يليها .

وكانت هذه الكتب تتناول ألوان الثقافة المختلفة فى ذلك العصر. من فقه على سائر المذاهب ، ونحو ، ولغة ، وحديث ، وتاريخ ، وسير ملوك ، وأدب ، وفلك ، وطب ، وكيمياء ، وقد قسمت هذه الكتب ؛ ووضع لها فهرس منظم ،وألصق على باب كل خزانة ورقة مترجمة عما فيها من الكتب .

وقد أصيبت هذه المكتبة بكثير من المحن فى عهد المستنصر ، فمنها ما نهب ، ومنها ما أخذه الجند والوزراء ، فى مقابل المتأخر لهم من الأرزاق ، ومنها ما أغرق ، ومنها ما أحرق ، ومنها ما حمل الى سائر الأقطار ، ومنها ما أبقى فى العراء ، وأسفت عليه الريح التراب ، فصار تلالا تعرف بتلال الكتب . ولكن بعد أن استقرت الأمور فى مصر ، عاد الى مكتبة القصر حياتها وعظمتها ، حتى صح لابن أبى طى أن يقول، بعد ذكر استيلاء صلاح الدين على القصر : ومن جملة ما باعوه خزانة الكتب ، وكانت من عجائب الدنيا ، ويقال : انه لم يكن فى جميع بلاد الاسلام دار كتب أعظم من التى كانت بالقاهرة ، فى القصر . ولكن هذه الدار الثمينة التى كانت تزهو بها عاصمة الخلافة الفاطمية ، لقيت شر مصير على يد صلاح الدين ، فقد دفعه التعصب ضد الفاطميين الى أن يبدد هذه الثورة الفكرية الغالية ، التى تعب الفاطميون فى جمعها من أقطار الأرض ، فباعها بأرخص الأثمان . قال العماد ، وهو شاهد عيان لما أصيبت به هذه المكتبة العامرة : وكان لبيع الكتب فى القصر كل أسبوع يومان ، وهى تباع بأرخص الأثمان ، وخزائنها فى القصر مرتبة البيوت ، مقسمة الرفوف ، مفهرسة بالمعروف ، فقيل للامير بهاء الدين قراقوش متولى القصر ، والحال والعاقد للأمر : هذه الكتب قد عاث فيها العث، وتساوى سمينها والغث، ولاغنى عن تهويتها ونفضها، واخراجها من بيوت الخزانة الى أرضها ، وهو تركى لاخبرة له بالكتب، ولا دراية له بأسفار الأدب ، وكان مقصود دلالى الكتب أن يوكسوها، ويخرموها ويعكسوها ، فأخرجت وهى أكثر من مائة ألف من أماكنها ، وغربت من مساكنها ، وخربت أوكارها ، وذهبت أنوارها ، وشتت

شملها ، وبت حبلها ، واختلط أديبها بنجوميها ، وشرعيها بمنطقيها وطبيها بهندسيها ، وتواريخها بتفاسيرها ، ومجاهيلها بمشاهيرها ، وكان فيها من الكتب الكبار ، وتواريخ الأمصار ، ومصنفات الأخبار ما يشتمل كل كتاب على خمسين أو ستين جزءا مجلدا ، اذا فقد منها جزء لا يخلف أبدا ، فاختلطت واختبطت ، فكان الدلال يخرج عشرة عشرة، من كل فن كتبا مبترة ، فتسام بالدون ، وتباع بالهون ، والدلال يعرف كل شدة ، وما فيها من عدة ، ويعلم أن عنده من أجناسها وأنواعها ، وقد شارك غيره فى ابتياعها ، حتى اذا لفق كتابا قد تقوم عليه بعشرة ، باعه بعد ذلك لنفسه بمائة ، قال : فلما رأيت الأمر ، حضرت القصر ، واشتريت كما اشتروا ، ومريت الأطباء كما مروا ، واستكثرت من المتاع المبتاع ، وحويت نفائس الأنواع . ولما عرف السلطان ما ابتعته وكان بمئين أنعم على بها ، وأبرأ ذمتى من ذهبها ، ثم وهب لى أيضا من خزانة القصر ما عينت عينه من كتبها . ودخلت عليه يوما وبين يديه مجلدات كثيرة انتقيت له من القصر وهو ينظر فى بعضها ، ويبسط يدى لقبضها. قال : وكنت طلبت كتبا عينتها ، فقال : وهل فى هذه شيء منها ؟ فقلت، كلها ، وما أستغنى عنها ، فأخرجتها من عنده بحمال (١) . وحصل للقاضى الفاضل قدر كبير منها ، ذلك أنه دخل اليها واعتبرها ، فكل كتاب صلح له قطع جلده ، ورماه فى بركة كانت هناك ، فلما فرغ الناس من شراء الكتب اشترى تلك الكتب التى ألقاها فى البركة على أنها مخرومات، ثم جمعها بعد ذلك (٢) . ولما أنشأ المدرسة الفاضلية جعل فيها من كتب القصر مائة ألف مجلد (٣) . وهكذا صارت تلك الثروة التى لا تقدر بثمن ، كالميراث مع أمناء الأيتام ، يتصرف فيها بشره الانتهاب والالتهام. كما قال العماد الكاتب (٤) .

---

(١) الروضتين جـ ١ ص ٢٦٨ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٠٠ .

(٣) خطط المقريزى جـ ٢ ص ٢٥٥ .

(٤) الروضتين جـ ١ ص ٢٠٠ .

وكان لدار الحكمة مكتبة عامرة كما ذكرنا ، وكان للأزهر أيضا مكتبته التى أسند أمر الاشراف عليها سنة ٥١٧ الى داعى الدعاة (١) .

ولم يلبث الأيوبيون أن تشبهوا بالفاطميين ، فأنشأ الكامل فى مدرسته دارا للكتب لها قيم يشرف عليها . وأصبحت قاعة الكتب جزءا من بناء المدرسة كما رأينا. ولم تقتصر خزائن الكتب على المدارس وحدها بل عمت المساجد والجوامع ، فبجامع دمشق مكتبة عامرة (٢) ، وبجامع الاسكندرية كتب محبوسة (٣)، وهكذا. وكان العلماء يكونون لأنفسهم مكتبات خاصة بهم ، كما كان بعض الوزراء يقوم بتكوين هذه المكتبات فى منازلهم ؛ فهذا الأفضل شاهنشاه بن بدر الجمالى يكون له خزانة عامرة ، وعندما علم أن أفرائيم الطبيب باع كتبه لرجل عراقى ، أبى الأفضل الا أن تبقى تلك الكتب فى مصر ، فبعث الى أفرائيم من عنده بجملة المال الذى كان قد اتفق عليه مع العراقى ، ونقلت الكتب الى خزانة الأفضل (٤) . وقد خلف أفرائيم من الكتب ما يزيد على عشرين ألف مجلد (٥) ، ووجد لأمين الدولة أبى الحسن السامرى الوزير عشرة آلاف مجلد ، كلها بخطوط منسوبة وكتب نفيسة (٦) . ومن الوزراء الذين أغرموا بالكتب جمال الدين القفطى ، فقد جمع من الكتب ما لا يوصف ، وقصد بها من الآفاق ، وكان لا يحب من الدنيا سواها، وله حكايات غريبة فى غرامه بالكتب ، وقد أوصى بها للناصر صاحب حلب ، وكانت تساوى ألف دينار (٧) .

وكان للكتب سوق بمصر ودمشق ، وكان موضعه تجاه الجانب

---

(١) تاريخ الأزهر لعنان .

(٢) ذيل الروضتين ص ١٥٩ .

(٣) بغية الوعاة ص ٣٣ .

(٤) عيون الأنباء جـ ٢ ص ١٠٥ .

(٥) المرجع السابق .

(٦) السلوك جـ ١ ص ٣٧٨ .

(٧) فوات الوفيات جـ ٢ ص ٩٧ .

الشرقى ، من جامع عمرو بن العاص ، فى أول زقاق القناديل بجوار دار عمرو (١) ، وربما يكون قد جددت سوق جديدة للكتب فى القاهرة بالقرب من المدرسة الصالحية ؛ لتكون الكتب على مقربة من دور العلم التى أنشئت فى مصر .

ومما يدل على ضخامة عدد ما بسوق دمشق من الكتب أن حريقا شب فيها سنة ٦٨١ ، فأحرق لشمس الدين ابراهيم الجزرى خمسة عشر ألف مجلدة ، سوى الكراريس (٢) ، فكان ذلك كارثة أصابت الكتب فى عصرنا الذى نتحدث عنه ، كما أصيبت بكارثة أخرى فى مصر ، فقد ظهر سنة ٦٩١ بقلعة الجبل حريق عظيم فى بعض خزائن الخاص ، وأتلف شيئا عظيما من الذخائر والنفائس والكتب وغيرها (٣) . وهذا سبب من الأسباب التى فقدنا بها كثيرا من منتجات هذا العصر ، وآثاره الفكرية.

نظم التعليم

كان الصبيان يتلقون تعليمهم الأولى فى المكاتب . يبدءون دراستهم بحفظ السور القصار من القرآن (٤) ، بطريق التلقين ، كما كان الشأن فى البلاد الشرقية بأسرها (٥) ، وتعلم الخط ، وتظل هاتان المادتان مصطحبتين ، وقد يقوم بتدريسهما اثنان مستقلان ، ولذلك يتأتى للصبيان حسن الخط ، لأن المعلم له لا يشتغل بغيره ، فهو يستفرغ جهده فى التعليم ، والصبى فى التعلم كذلك ، فيسهل عليه . ويتعلم الصبيان الخط فى الأشعار وغيرها ، تنزيها لكتاب الله عز وجل عن ابتذال الصبيان له بالاثبات والمحو (٦) . ثم يدرس المؤدب للصبيان عقائد أهل السنة والجماعة ، ومن المعقول أن الصبيان فى العصر

---

(١) خطط المقريزى جـ ٣ ص ١٦٥ .
(٢) نهاية الأرب جـ ٢٩ ص ٢٨ أ
(٣) النجوم الزاهرة جـ ٨ ص ٣٣ .
(٤) نهاية الرتبة ص ١٠٣ .
(٥) رحلة ابن جبير ص ٢٥٢ .
(٦) المرجع السابق .

الفاطمى كانوا يتلقون مبادىء العقائد الشيعية . ثم يدرسون أصـول الحســاب ، وما يستحسن من المراسلات والأشــعار دون سخيفها ومسترذلها (١) ، وهنا يدققون في اختيار المحفوظات للصبيان ، فيمنعون من حفظ شيء من شعر ابن الحجاج (٢) والنظر فيه ، ويضربون عـلى ذلك، وكذلك ديوان صريع الدلا (٣) فانه لاخيرفيه، وفي العصر الأيوبي منع دراســة الأشعار ، التى عملها شعراء الشيعة المغالون فى أهل البيت ، فلا يعرفهم مدرسهم شيئا من ذلك ، بل يعلمهم الأشــعار التى مدح بها الصحابة رضوان الله عليهم ، ليرسخ ذلك فى قلوبهم (٤) ، ولعل الأمر كان على العكس فى العصر الفاطمى ، الذى كان يختار فيه أشعار الشيعة فى مدح أهل البيت ، وعندما يروح الصبيان الى منازلهم يأمرهم المؤدب بتجويد الخط على المثال ، ويكلفهم عرض ما أملاه عليهم حفظا غائبا لا نظرا (٥) .

هذا ما كان يؤخذ به الصبى من الناحية العلمية . أما واجب المكتب نحو دينه وخلقه ، فأخذه عمليا بتعاليم الدين ، فمن كان عمره فـوق سبع سنين ، أمره المؤدب بالصلاة فى جماعة ، عملا بقوله عليه الســلام: علموا صبيانكم الصلاة لسبع ، واضربوهم على تركها لعشر ، ويأمره مؤدبه ببر الوالدين والانقياد لأمرهما ، وتقبيل أيديهما عند الدخـول اليهما ، ويضربه على اساءة الأدب والفحش فى الكلام ، وغير ذلك من الأفعال الخارجة على قانون الشرع ، على ألا يضرب صبيا بعصا غليظة تكسر العظم ، ولا رقيقة تؤلم الجسم ، بل تكون وسطا ، ويتخــذ جلدا عريض السير ، ويعتمد فى ضربه على اللوايا والأفخاذ وأســافل الرجلين، لأن هذه المواضع لايخشى منها مرض، ولا غائلة (٦) ، ولاينبغى

---

(١) المرجع السابق ص ١٠٣ .

(٢) شاعر من كبار الشيعة ، اشتهر شعره بالخلاعة والمجون ، توفى سنة ٣٩١ .

(٣) شاعر قدم مصر سنة ٤١٢ ، ومدح الخليفة الظاهر الفاطمى وله قصيدة فى المجون .

(٤) نهاية الرتبة ص ١٠٤ .

(٥) المرجع السابق ص ١٠٣ .

(٦) المرجع السابق نفسه .

للمؤدب أن يستخدم أحد الصبيان فى حوائجه ، وأشغاله التى فيها عار على آبائهم ، ولا يرسله الى داره وهى خالية ، لئلا تتطرق اليه التهمة، ولا يرسل صبيا مع امرأة ليكتب لها كتابا (١) .

وكان للمكتب سائق مكلف بأخذ الصبيان يوميا الى المكتب ، وردهم الى بيوتهم بعد انتهاء الدرس ، ولابد لهذا السائق أن يكون أمينا ثقة ، حتى لا تفسد به أخلاق الصغار (٢) .

وحفظ لنا التاريخ أسماء طائفة عرفت بالمقدرة على تعليم الصغار وتثقيفهم ، مثل أبى التقى صالح بن أحمد القرشى المقدسى ، فقد كانت له سيرة حسنة فى التعليم بالمكتب ، وسياسة مشهورة لم يكن يقدر عليها سواه ، وساعده على ذلك تنوع ثقافته وسعة معلوماته (٣) .

تلك هى الثقافة الأولية ، فمن شاء اقتصر عليها ، ومن أراد الزيادة لجأ الى مدرسة من هذه المدارس الكثيرة التى تحدثنا عنها ، فيجد أستاذ المادة التى يريد أن يتخصص فيها ، وكانوا يقدمون لذلك بحفظ المتون (٤) ، لما يريدون أن يتوسعوا فى دراسته ، ومنهم من أعانته حافظته ، فحفظ فى كل علم كتابا ، كما فعل الحسن بن الخطير .

وكان كبار العلماء لا يكتفون بما يتلقونه فى بلادهم ، بل يرحلون الى مراكز العلم المختلفة التى تحدثنا عنها فى مصر والشام ، والى الموصل وبغداد ومكة (٥) وغيرها من بلاد الفرس (٦) ، فاذا وصل الطالب الى مرحلة يقتنع أستاذه عندها أنه أصبح أهلا لأن يجلس مجلس الأستاذ، منحه بذلك أجازة ، ولا يصل الطالب الى مرتبة الفقيه الا اذا أمكنه أن

---

(١) المرجع السابق ص ١٠٤ .
(٢) المرجع السابق .
(٣) عيون الأنباء جـ ٢ ص ٢٤٧ .
(٤) الدرر الكامنة جـ ٤ ص ٣٩ .
(٥) ذيل الروضتين ص ١٤٠ و ١٤١ و ١٤٣ و ١٤٦ .
(٦) بغية الوعاة ص ١٠ و ١٨ و ٣٩ و ٦٠ و ٦٦ .

يعترض على أستاذه ويصير الى حالة يمكنه فيها أن يقول له: لم؟ ويحسن الاعتراض عليه (١) . وقد تنوعت هذه الاجازات : فمنها ما يمنح للطالب يجيزه بتدريس المواد التى أجاد دراستها ، وينص فى الاجازة على هذه المواد . واعتاد الأستاذ أن يثنى على تلميذه فى اجازته ، فهذا مجدالدين على القشيرى يجيز محمد بن على القوصى بالتدريس، ويكتب فيأجازته: الفقيه العالم عماد الدين محمد ، بدأ بالقرآن العظيم ، فأحكم القراءات السبع ، ثم ثنى بالاشتغال بمذهب الامام الشافعى درسا وتكرارا ، فختم على المهذب أو أكثره ، ثم اشتغل على بعلم التفسير ، تفسير القرآن العظيم ، واحتوى منه على حظ جسيم، ثم آقبل على قراءة علم الرقائق، بصوت شج وقلب صادق ، فى مسجد الجامع ، ومشهد الجوامع ، وصحبنى مدة مديدة ، سنين عديدة ، تزيد على العشرة . ثم كتب اذنه له بالتدريس ، وختمه بخطه . وفيها شهادة الشيخين الفقيهين العالمين : بهاء الدين هبة الله القفطى ، وجلال الدين أحمد الدشناوى ، شهدا على شيخهما ، وأثنى كل منهما على المجاز المذكور ، وأرخ الشيخ بهاء الدين فى رسم شهادته بالنصف من شعبان سنة ٦٥٠ (٢) .

وقد يجيز الأستاذ تلميذه بالتدريس والفتوى معا ، كما أجاز ابن دقيق العيد تلميذه عمر بن المفضل . وكان ابن دقيق العيد يتأنق فى اجازاته . قال — بعد سؤال شمس الدين له بالاجازة : أستخير الله تعالى فى الايراد والاصدار ، وأعتصم به من آفتى التقصير والاكثار، واستغفر الله فيما فرط فى الجهر والاسرار ، وأقول : انى ذاكرت فلانا زينه الله بالتقوى ، وحرسه فى السر والنجوى ، فى فنون من العلوم الشرعية : العقلية والنقلية ، فألفيته يرجع الى معقول صحيح ، ومنقول صريح ، واطلاع على المشكلات ، واضطلاع بحل المعضلات ، لا سيما فى فقه المذهب ، فانه أصبح فيه كالعلم المذهب ، وقام بعلم العربية

---

(١) طبقات الشافعية جـ ٤ ص ٢٥٨ .

(٢) الطالع السعيد ص ٣٠٩ .

والتفسير ، فصار فيهما الفاضل النحرير ، وقد أجبته الى ما التمس ، وان كان غنيا بما حصل واقتبس ، فليدرس مذهب الشافعى لطالبيه ، وليجب المستفتى بقلمه وفيه ، ثقة بفضله الباهر ، وورعه الوافر ، وفطرته الوقادة ، وألمعيته النقادة ، والله تعالى ينفعنا واياه بما علمناه ، ويرفعنا بذلك لديه فما القصد سواه (١) .

وقد تكون الاجازة بالفتوى فحسب، كما أجيز بها محمد بن صادق الأرمنتى (٢) ، أو برواية الحديث كما أجاز السلفى لعلى بن يوسف القفطى الوزير أن يروى عنه (٣) . وقد يجيز الأستاذ لطالبه أن يروى مصنفاته ، أو يروى مسموعاته ، أو أن يدرس كتابا بعينه ، قد درسه عليه . وهناك شهادات للعلماء بقراءة الطلبة عليهم مادة بعينها (٤) ، وما كانت هذه الشهادة تصل الى درجة الاجازة .

والغالب فيما يمنح من الاجازات أن يكون قصيرا كما أوردنا ، وقد تطول الاجازة حتى تصبح قريبة من كراستين ، كهذه الاجازة التى منحت لابن شداد ، وفيها يذكر كل شىء بالتفصيل (٥) .

كان ذلك نظام التعليم العام ، وقد أقبل الناس على التزود من الثقافة بأوفى نصيب ، يدفعهم الى هذا ما كان يظفر به العلماء فى ذلك الحين ، من مركز اجتماعى ملحوظ ، عند الشعب وعند الحكام ، وكان هؤلاء الحكام يقبلون على الثقافة والتزود منها بأوفى الأنصباء .

ونقل لنا المقريزى فى كتابه : الخطط (٦) ، المنهج الخاص بتعليم

---

(١) المرجع السابق ص ٢٣٥ .
(٢) المرجع السابق ص ٢٩١ .
(٣) المرجع السابق ص ٢٣٧ .
(٤) المرجع السابق ص ١٩٤ .
(٥) وفيات الأعيان جـ ٢ ص ٣٥٤ .
(٦) جزء ٣ ص ٣٤٧ .

المماليك ، وكيف كانوا يؤخذون بمنهج عسكرى عنيف ، فقد كان المماليك الصغار - وأغلب من كان يجلب منهم - يسلمون فى أول أمرهم الى من يعلمهم الكتابة ، ثم يبدءون بحفظ كتاب الله ، وكان كل جماعه لها فقيه ، يتولى ذلك ، ويمرنهم على آداب الشريعة ، وملازمة الصلوات ، فاذا شب الواحد منهم ، علمه الفقيه شيئا من الفقه ، وأقرأه فيه مقدمة ، فاذا صار الى سن البلوغ أخذ فى تعليمه أساليب الحرب من رمى السهام ، ولعب الرمح ، ونحو ذلك ، فيتسلم كل طائفة معلم ، حتى يبلغ المملوك الغاية فى معرفة ما يحتاج اليه ، ثم ينتقل فى المناصب رتبة بعد رتبة ، الى أن يصير من الأمراء ، ومنهم من يصير فى رتبة فقيه عارف ، أو أديب شاعر ، أو حاسب ماهر ، وكانت الرقابة عليهم شديدة ، وعقوبة من يخالف القانون رادعة زاجرة .

وكان صغار الأسرى الذين يظفر بهم الجيش فى حروبه ، يتلقون تعليمهم على نظام يشبه ذلك ، ويقال لهم (الترابى) ، ومنهم من صار أميرا (١) .

وقبل أن أختم هذا الفصل أعرض بعض آراء المربين فى ذلك العصر ، عساها تلقى شيئا من الضوء على طرق التربية المتبعة يومئذ .

فمن آراء عبد اللطيف البغدادى : أن الأفضل لطالب العلم ألا يأخذ العلم من الكتب ، وان وثق من نفسه بقوة الفهم ، بل عليه بالأستاذين فى كل علم يطلب اكتسابه ، واذا كان الأستاذ ناقصا ، فليأخذ عنه ما عنده . ويوصى الطالب باستظهار الكتب استظهارا يستغنى به عن الكتاب ، ومن أجل هذا ينبغى ألا يشغل نفسه بغير كتاب واحد حتى يتقنه ، وتبعا لهذه النظرية يرى عبد اللطيف ألا يشغل المرء نفسه بعلمين دفعة واحدة ، بل يجب أن يواظب على العلم الواحد سنة أو سنتين أو ما شاء الله ، حتى اذا تمكن منه انتقل الى علم آخر ، واذا حصل المرء علما احتاج الى مراعاته حتى ينمو ، ومراعاته تكون

---

(١) خطط المقريزى جزء ٣ ص ٣١٤ .

بمذاكرة المبتدىء، ومباحثة الأقران، واشتغال العالم بالتعليم والتصنيف، ويوصى عبد اللطيف بالحذر من اعجاب المرء بنفسه فيما وصل اليه من أصناف المعارف ، فمن الواجب أن يعرض المرء خواطره على العلماء وتصانيفهم ، وأن يتثبت ولا يعجل (١) .

ويرى على بن خليفة بن يونس (٢) أن الواجب على الطالب أن يعرف القواعد والأصول أولا ، وأن يتقن ذلك كل الاتقان ، قبل أن يطالع كتب المتشككين والجدليين ، وقال : غذاء النفس بالعلوم على التدريج ، فابتدىء بالسهل القليل وتدرج ، فانها تشتاق حين تقوى . وقال : المعدة القوية تهضم جميع ما يرد اليها من أنواع الأغذية ، والنفس الفاضلة تقبل جميع ما يرد عليها من العلوم ، وقال : اشتغل من كل علم بكلام أربابه الأول . وهو يحث على عدم التعصب لكلام انسان قبل اختباره ووزنه (٣) .

وبعد فقد آن لنا أن نعرض ألوان الثقافة المختلفة فى ذلك العصر، مبينين اتجاهاتها المتنوعة ، وأعظم ما أنتجته أقلام أربابها ، ومترجمين لأشهر رجالها ..

---

(١) عيون الأنباء جـ ٢ ص ٢٠٨ .

(٢) أحد أطباء العصر ومدرسيه . راجع عيون الأنباء جـ ٢ ص ٢٥٢ .

(٣) عيون الأنباء جـ ٢ ص ٢٥٢ وما يليها .

علم القراءات

عرفت مصر من هــــذه القراءات أول ما عرفت ، قراءة نافع بن عبد الرحمن ، نقلها اليها جماعة (١) من أشهرهم عثمان بن سعيد القبطى المصرى الملقب بورش ، الذى ولد بمصر سنة عشر ومائة ، ورحل الى نافع ، فقرأ عليه القرآن عدة مرات ، سنة خمس وخمسين ومائة ، فلمـــا عاد الى مصر انتهت اليه رياسة الاقراء بالديار المصرية .

أما بلاد الشام فقد عرفت منذ وقت مبكر قراءة مقرئها ابن كثير، أحد القراء السبعة ، كما عرفت قراءة نافع ، فقد أخذ عنه طائفة من أهلها نذكر منهم عتبة بن حماد ، وأبا مسهر الدمشقى (٢) ، وعرفت قراءة الكسائى عند ما زارها ، ولم تلبث باقى القراءات أن وفــدت الى الشـــام .



كان علم القراءات من المواد التى تدرس فى الجوامع والمدارس التى أنشئت فى عصر الحروب الصليبية ، واشـــتهر من رجاله أساتذة تركوا فيه كتبا لا تزال تدرس الى يومنا هذا . وقـــد عرفنا فى عصر الحروب الصليبية زهاء مائتى مقرىء ، اقتصر أكثرهم على تلقى القرآن عن شيخه ، واقرائه تلاميذه ، مكتفيا من الثقافة بهذا الحد ، ومضـــيفا اليها ما لابد له منه من معرفة اصطلاحات هذا العلم ، ولكن كثيرا من هؤلاء القراء ، لم يكتف بهذه الثقافة المحدودة ، وأضاف اليها مـــواد أخرى ، كان أكثرها النحو والفقه . وقد تتسع ثقافة بعضهم فيضـــيف اليها التفسير والحديث ، أو يدرس باتقان اللغة ، أو علم الـــكلام ، أو علم الأصول ، أو يتجه اتجاها أدبيا ، فيدرس اللغة والأدب ، ويمارس الكتابة ، أو قول الشعر ، أو التاريخ ، أو تتسع ثقافته فيدرس الحديث، والتفسير ، والأصول، والنحو، والخلاف، والحساب، والجبر والمقابلة،

(١) راجع غاية النهاية جـ ٢ ص ٣٣١ .

(٢) غاية النهاية جـ ١ ص ٣٣١ .

والفرائض ، الى جانب القراءات ، كما حصل عبد السلام بن عبد الله ابن تيمية (١) . وندر أن نجد بينهم من درس الى جانب ثقافته الدينيــة علوم الأوائل : من فلسفة ومنطق ، كالقاسم بن أحمد بن الموفق الأندلسى المرسى ، فقد انتهت اليه مشيخة الاقراء بدمشق ، وكان اماما فى النحو، يعرف الفقه ، والأصول ، ويدرس علوم الأوائل ، ولعله احتــاج الى دراستها لاحتياجه اليها فى علم الكلام الذى كان يدرسه (٢) . أو أن يتقن بعضهم علم الطب حتى ينبغ فيه ، كعبد الصمد بن سلطان المصرى، الذى كان رأسا فى الطب (٣) .

وقد عرف طلبة هذا العصر عددا كبيرا مما ألف فى علوم القراءة، وعدد الذهبى من كتب هذه المادة تسعة وأربعين كتابا (٤) ، منها : كتاب العنوان (٥) لأبى طاهر بن خلف الأندلسى المتوفى سنة ٤٥٥ ، قال عنه ابن خلكان : هو عمدة فى هذا الشأن ، ذكر فيه ما اختلف فيــه القــراء الســبعة بايجاز واختصار . وقد شرحه فى عصرنا الذى نتحدث عنــه عبد الظاهر بن نشوان المصرى المتوفى سنة ٦٤٩ ، وهو والد الــكاتب البليغ محيى الدين بن عبد الظاهر ، وقد انتهت اليه رياسة الاقراء فى زمانه (٦) ، وذكر فيه أن شيخه أبا الجود غياث الدين كان كثيرا مايعول

(١) ارجع الى طبقات القراء جـ٢ ص ٢٠٤ ، والسلوك للمقريزى جـ١ ص ٣٦٥ ، والنجوم الزاهرة جـ٧ ص ٣٣ ، وغاية النهاية جـ١ ص ٣٨٥ ، وطبقات الحنابلة لابن رجب جـ٢ ص ٣٠٥ ، وشذرات الذهب جـ٥ ص ٢٥٧ .

(٢) ارجع الى بغية الوعاة ص ٣٧٥ ، وغاية النهاية جـ ٢ ص ١٥ ، والســلوك للمقريزى جـ١ ص ٥٠٣ .

(٣) ارجع الى طبقات القراء للذهبى جـ٢ ص ١٨٧ ، وحسن المحاضرة جـ١ ص٢٣٧ ، وبغية الوعاة ص ٣٠٦ ، وغاية النهاية جـ١ ص ٣٨٨ .

(٤) طبقات القراء جـ٢ ص ١٩٢ .

(٥) غاية النهاية جـ ١ ص ٣٨٦ .

(٦) ارجع فيه الى :

١ - طبقات القراء جـ ٢ ص ٢٠٢ .

٢ - حسن المحاضرة جـ ١ ص ٢٣٨ .

٣ - بغية الوعاة ص ٣٠٧ .

٤ - نكهت الهميان ص ١٩٤ .

٥ - السلوك جـ ١ ص ٣٨٢ .

٦ - النجوم الزاهرة جـ ٧ ص ٢٤ .

٧ - غاية النهاية جـ ١ ص ٣٩١ .

٨ - كشف الظنون جـ ٢ نهر ١١٧٧ .

على هذا الكتاب ، فشرحه وأضاف اليه من القـــراءات المشهورة ، والروايات المأثورة ، وعلل كل قراءة ، وذكر الأئمة ورواتهم ، ومنها كتاب المصباح الزاهر ، فى القراءات العشر البـــواهر ، لمؤلفه أبى الكرم الشهرزورى ، المتوفى ببغداد سنة ٥٥٠ (١) .

ومن أشهر الكتب التى عنى بها فى مصر دراسة وحفظا وشرحا ، كتاب التيسير (٢) فى القراءات السبع ، لأبى عمر وعثمان الدانى المتوفى سنة ٤٤٤ ، وقد هيأ لهذا المؤلف النبوغ فى القراءات وجوده فى عصر كان أمير دانية بالأندلس فيه ، الأمير مجاهد أحد موالى العامريين ، الذى عنى فى امارته بنشر العلوم عموما ، والقراءات خصوصا ، وظهر فى عهده أبو عمرو هذا ، وبلغ الغاية فيها ، وتعددت تآليفه ، وعول الناس عليها ، وعدلوا عن غيرها ، واعتمدوا من بينها كتاب التيسير ، حتى اذا ظهر الشاطبى ، عمد الى تهذيب ما دونه أبو عمرو وتلخيصه ، فنظم فى ذلك قصيدة ، رتبها ترتيبا محكما ، ورمز فيها لأسماء القراء ، ليتيسر عليه ما قصده من الاختصـــار ، وليكون أسهل للحفظ ، لأجل نظمها ، فاستوعب فيها الفن استيعابا حسنا ، وعنى الناس بحفظها ، وتلقينهـــا للولدان المتعلمين (٣) . وقد اختصر كتاب التيسير مقرىء الفيوم أحمد بن على بن شكر (٤) . ومن قبله عنى به أيضا عيسى بن عبد العزيز اللخمى

---

(١) غاية النهاية جـ١ ص٥٦٩ ، وكشف الظنون جـ٢ نهر ١٧٠٦ .

(٢) مخطوط بدار الكتب رقم ١٤ و ٣١٨ و ٣١٩ و ٣٣٤ و ٤١٤ و ٥ ش و ١٠ و ٥٠ و ٣١٠ قراءات

(٣) مقدمة ابن خلدون ص ٣٨٢ .

(٤) مراجعه :

١ - طبقات القراء للذهبى جـ ٢ ص ٢١٣ .

٢ - غاية النهاية جـ ١ ص ٨٧ .

٣ - بغية الوعاة ص ١٥٠ .

مقرىء الاسكندرية ، فألف كتابا سماه تيسير التيسير (١) .

ولم يقف جهد العلماء في مصر والشام في عصر الحروب الصليبية ، على دراسة ما يرد اليهم من أرجاء العالم الاسلامي ، بل ساهموا في امداد المكتبة العربية بكتب جديدة من تأليفهم ، فأمدنا بعضهم بكتب تبحث في ناحية خاصة من القراءات ، ككتاب الاحالة في شرح الامالة (٢) ، لعيسى بن عبد العزيز اللخمي مقرىء الاسكندرية الذي أمدنا بكتب كثيرة تبحث جزئيات معينة : ككتاب الاهتداء في الوقف والابتداء (٣) ، وكتاب التحرير في اذهاب ما في الراءات من التكرير (٤) ، وكتاب التسديد في مراتب التشديد ، وكتاب جامع الحفاظ في اختلاف القراء في الألفاظ (٥) ، وكتاب الفصل ، في الفصل بين ألف الأصل والقطع والوصل (٦) ، وكتاب المواد في كيفية النطق بالضاد (٧) . كما ألف عبد العزيز بن علي بن سلمة المتوفى في حلب بعد سنة ٥٦٠ ، — وأصله من اشبيلية بالأندلس — كتابا في الوقف والابتداء (٨) ، وصنف في هذا الموضوع أيضا عبد السلام بن علي بن عمر الزواوي قاضي قضاة المالكية بدمشق (٩) .

ومنهم من ألف في القراءات عامة ، كمحمد بن اسرائيل الدمشقي المتوفى سنة ٦٧١ في كتابيه : الاستبصار والمغني (١٠) ، وقد حرر فيهما الاسناد والطرق ، وظهرت فيهما أستاذيته ، وعيسى اللخمي في كتابه : الانتقاء من مشهور القراءات ، والمنتقى من غريب الطرق والروايات (١١) وكتاب التذكرة المختصرة في القراءات العشرة (١٢) ، والحسن بن عبدالله ابن بليمة (١٣) في كتابه : تلخيص العبارات في القراءات ، وكتاب عبد الله بن محمد النكزاوي (١٤) ، وغير هؤلاء .

---

(١) — (٧) بغية الوعاة ص ٣٦٨ .
(٨) طبقات القراء ج ٢ ص ١٧١ .
(٩) المرجع السابق ص ٢١٩ .
(١٠) غاية النهاية ج ٢ ص ١٠٠ .
(١١) بغية الوعاة ص ٣٦٨ .
(١٢) طبقات القراء ج ٢ ص ٢١١
(١٣) حسن المحاضرة ج١ ص ٢٢٥
(١٤) المرجع السابق ص ٢٣٩ .

وكثر فى هذا العصر نظم هـــذه المادة ، حتى يتيسر حفظها على طالبيها ، فمن ذلك أرجوزة فى علم القراءات لعبد السلام بن عبد الله بن تيمية المتوفى سنة ٦٥٢ (١) ، وأخرى لمنصور بن سرايا المقرىء المفسر الاسكندرى المتوفى سنة ٦٥١ (٢) ، ونظم ابن مالك النحــوى قصيدة دالية موجزة فى القراءات (٣) ، ويحيى بن معطى الزواوى قصيدة فى القراءات السبع (٤) أيضا . وكان أشهر ما نظم فى هذا العصر القصيدة الشاطبية ، التى سماها مؤلفها : حرز الأمانى ووجه التهانى ، وســوف نتحدث عنها حديثا مطولا فى ترجمة مؤلفها .

ويجدر بنا الآن أن نترجم لبعض هؤلاء الرجال ، الذين ساهموا فى نهضة هذا العلم ، فمنهم :

عبد الرحمن بن عتيق بن خلف *

الأستاذ الثقة المحقق، الذى انتهت اليه رياسة الاقراء بالاسكندرية، ولد سنة اثنتين وعشرين أو خمس وعشرين وأربعمائة ، ودرس القراءات على ابن نفيس وطبقته ، والنحو على ابن بابشاذ ، ونبغ فيهما ، ولا سيما

---

(١) طبقات الحنابلة جـ ٢ ص ٣٠٥ .

(٢) ارجع فيه الى طبقات المفسرين للسيوطى ص ٤٢ ، وغاية النهاية جـ٢ ص٣١٢، وحسن المحاضرة جـ ١ ص ٣٣٨ ، وطبقات القراء للذهبى جـ ٢ ص ٢٠٩ .

(٣) كشف الظنون جـ ٢ نهر ١٣٣٨ .

(٤) معجم الأدباء جـ ٢٠ ص ٣٥ .

* مراجعه :

١ - غاية النهاية جـ ١ ص ٣٧٤ .

٢ - طبقات القراء للذهبى جـ١ ص ١٥٠ .

٣ - حسن المحاضرة جـ ١ ص ٢٣٥ .

٤ - شذرات الذهب جـ ٤ ص ٤٩ .

٥ - النجوم الزاهرة جـ ٥ ص ٢٢٥ .

٦ - كشف الظنون جـ ١ نهر ٣٥٤ و جـ ٢ نهر ١٧٧٣ .

٧ - دول الاسلام جـ ٢ ص ٣٠ .

٨ - العقد المذهب ص ١٥٩ .

٩ - طبقات محمد أمين بن حبيب ص ٢١٤ .

القراءات ، حتى قال فيه سليمان بن عبد العزيز الأندلسي: ما رأيت أحدا أعلم بالقراءات منه ، لا بالمشرق ، ولا بالمغرب ، وألف فيها كتاب التجويد فى القراءات السبع ، وهو كتاب قال عنه ابن الجزرى : من أشكل كتب القراءات حلا ومعرفة ، ويسميه صاحب كشف الظنون : التجويد لبغية المزيد . كما نسب اليه كتابا آخر ، سماه : مفردة يعقوب ، لعله يتحدث فيه عن قراءة يعقوب الحضرمى ، أحد القراء العشرة . وفى النحو شرح مقدمة أستاذه . وكان من أنبغ تلاميذه أبو طاهر السلفى ، ومات سنة ست عشرة وخمسمائة .

الشاطبى

هو القاسم بن فيره بن خلف الرعينى الشاطبى (١) ، ولد فى آخر سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة بشاطبة ، احدى بلاد الأندلس ، وكان فاقد البصر . فحفظ ببلدته القرآن ، وقرأ بها القراءات ، وأتقنها ، ثم رحل

* مراجعة :
١ - نفح الطيب ج ١ ص ٣٣٩ ط بولاق .
٢ - طبقات الشافعية للسبكى ج ٤ ص ٢٩٧ .
٣ - الديباج المذهب فى طبقات المالكية ص ٢١٥ .
٤ - طبقات القراء للذهبى ج ٢ ص ١٧٧ .
٥ - غاية النهاية ج ٢ ص ٢١ وص ٢٣٠ .
٦ - وفيات الأعيان ج ١ ص ٤٢٢ .
٧ - معجم الأدباء ج ١٦ ص ٢٩٤ .
٨ - ذيل الروضتين ص ٧ .
٩ - بغية الوعاة ص ٣٧٩ .
١٠- النجوم الزاهرة ج ٦ ص ١٣٦ .
١١- نكت الهميان ص٢٢٨ .
١٢- مقدمة ابن خلدون ص ٣٨٢ .
١٣- كشف الظنون ج١ نهر ٣٤٣ و ج٢ نهر ٦٤٦ و٦٨٦ و ١١٥٩ و ١٩٠٧ .
١٤- شذرات الذهب ج٤ ص ٣٠١ .
١٥- البداية والنهاية ج١٣ ص ١٠ .
١٦- مفتاح السعادة ص ١١٠ ب .
١٧- طبقات الشافعية لابن قاضى شهبة ص ٤٠ .

(١) فيرة بكسر الفاء وسكون الياء وتشديد الراء وضمها معناه : الحديد ، والرعينى نسبة الى ذى رعين أحد أقيال اليمن ، نسب اليه خلق كثير . وقيل اسمه أبو القاسم ، وكنيته اسمه ، ولكن فى اجازات أشياخه أبو محمد القاسم ، كما رآها ابن خلكان .

الى بلنسية ، بالقرب من بلده . حيث عرض ما درسه من القراءات على بعض أساتذتها ، وأعاد درس كتاب التيسير للدانى ، ودرس الحديث والنحو والأدب والفقه والتفسير : فقرأ الكتاب لسيبويه ، والكامل للمبرد ، وادب الكاتب لابن قتيبة ، وربما قرأ بها كتاب رى الظمآن فى تفسير القرآن ، على مؤلفه الحسن بن النعمة ، كما روى تفسير عبد الحق بن عطيه . وقد أوتى استعدادا خاصا ، منحه النبوغ فى كل ما درس . وأعطى قوة حافظة ، فكان عالما بكتاب الله قراءة وتفسيرا، مبرزا فى حديث رسول الله ، اذا قرىء عليه البخارى ومسلم صحح النسخ من حفظه ، وأملى أمالى على الموطأ ، فى المواضع المحتاج اليها ، أماما فى النحو واللغة ورواية الأدب ، وله شعر الا أن السليقة الأدبية كانت تنقصها حرارة العاطفة وروح الفن ، ومن ذلك قوله :

يلومونني . اذا ما وجدت ملائما ومالى ملیم حين سمت الأكارما
وقالوا : تعلم للعلوم نفاقها بسحر نفاق تستخف العزائما

وهى قصيدة طويلة ، وله :

بكى الناس قبلى لاكمثل مصائبى بدمع مطيع كاالسحاب الصوائب
وكنا جميعا ثم شتت شملنا تفرق أهواء عراض المواكب

ولكن ذلك لا ينقص من قدره عالما كبيرا .

ويقول ابن خلكان ، وصاحب نفح الطيب : انه قد خطب ببلده مع صغر سنه ، أما أبو شامة فى ذيل الروضتين فيروى أن سبب انتقاله الى مصر ، أنه أريد أن يتولى الخطابة ، فاحتج بأنه قد وجب عليه الحج ، وأنه عازم عليه . فترك وطنه ، ولم يرجع اليه ، تورعا مما كان الأمراء يلزمون به الخطباء ، من ذكرهم على المنابر ، بأوصاف لم يرها سائغة شرعا . وربما يكون قد أقيم فى الخطابة ثم فر منها .

ترك الأندلس سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة ، يريد الحج ، فدخل مصر فى ذلك العام ، ولست أدرى ان كان قد أتم فريضة الحج أو لم يتمها . ولكنه ألقى عصا التسيار فى مصر ، مستوفيا حظه من الثقافة التى تتصل بالقرآن ، ورأى أن يستوفى حظه من الحديث ، فسمع بالاسكندرية الحافظ السلفى ، ثم جاء الى القاهرة تسبقه اليها شهرته،

فطلبه القاضي الفاضل للاقراء بمدرسته ، فأجاب ، بعد شروط اشترطها عليه ، برغم ما كان فيه من الفقر ، ولست أدرى عن هذه الشروط شيئا ، ولكن القاضى ، الفاضل ، فضلا عن قبول هذه الشروط ، أنزله على الرحب والسعة ، وعظمه تعظيما كبيرا ، وجعله شيخ مدرسته . وظل الشاطبي بهذه المدرسة، متصدرا لاقراء القرآن الكريم وقراءاته، والنحو، واللغة . ولم يفارق القاهرة سوى مرة واحدة ، سنة تسع وثمانين وخمسمائة ، حيث زار بيت المقدس ، وصام فيه رمضان ، واعتكف ، وهنأ صلاح الدين بفتحه ، ثم عاد الى مدرسته التى انتهى اليه فيها رياسة الاقراء .

وكان الشاطبي يعرف مذهب الشافعي ومالك ، ولذا تؤرخ له طبقات الشافعية والمالكية ، وكان شرط مدرس الفاضلية أن يكون ملما بالمذهبين كما ذكرنا (١) .

وثابر على الاقراء بمدرسته ، فكان يصلى فيها الصبح بغلس ، ثم يجلس للاقراء ، والناس يتسابقون السرى اليه ليلا ، فاذا قعد لا يزيد على قوله : من جاء أولا فليقرأ ، وظل خادما للقرآن الكريم ، حتى توفى يوم الأحد بعد صلاة العصر ، الثامن والعشرين من جمادى الآخرة ، سنة تسعين وخمسمائة ، ودفن بمقبرة القاضى الفاضل ، وخلف ابنا ، هو محمد الذى روى قصيدة أبيه فى القراءات .

أما مواهب هذا الرجل وأخلاقه ، فيكبرها معاصروه ومؤرخوه: قالوا: كان أعجوبة فى الذكاء ، يجلس اليه من لايعرفه ، فلا يرتاب به أنه يبصر لذكائه ، وأنه لايبدو منه ما يدل على العمى . وكان زاهدا عابدا مخلصا فيما يقول ويعمل ، منقطعا للعلم والعمل ، يتجنب فضول الكلام ، ولا ينطق الا بما تدعو اليه الضرورة ، ولا يجلس للاقراء الا على طهارة ، فى هيئة حسنة ، وخشوع ، واستكانة ، وكان يعتل العلة الشديدة فلا يشتكى ولا يتأوه ، وكان لا يرى التقرب الى الأمراء ولا نفاقهم ، ولا الزلفى اليهم ، حكى أن الأمير عز الدين موسك الذى

---

(١) راجع ص ٤٨ .

كان والد ابن الحاجب حاجبا له ، بعث الى الشاطبى يدعوه الى الحضور عنـده ، فأمر الشيخ بعض أصحابه أن يكتب اليه :

قل للأمير نصيحـة : لا يركنن الى فقيـه
ان الفقيـه اذا أتى أبوابكم لا خـير فيه

وكان من تلاميـذه طائفة من المبرزين ، نذكر منهم أبا الحسـن السخاوى ، وهو أجل أصحابه ، وابن الحاجب وغيرهما ، وقد بارك الله له فى أصحابه ، فكلهم قد أنجب ، وكلهم كان يضمر لأستاذه أسمى آيات الحب والاجلال ، حتى أنشد أبو شامة المقدسى من نظمه فى ذلك :

رأيت جمـاعة فضـلاء فازوا برؤية شيخ مصر الشـاطبى
وكـلهم يعظمـه ، ويثنى كتعظيم الصـحابة للنبى

وترك لنا القاسم ثلاث قصائد : عرفت الأولى بالشاطبية ، واسمها حرز الأمانى ، ووجه التهانى ، والثانية رائية ، والثالثة تدعى تتمة الحرز، من قراءة أئمة الكنز وكلها فى القراءات وما يتعلق بها .

أما الأولى فأشهر ما خلف ، وعدتها ألف ومائة وثلاثة وسبعون بيتا قال عنها ابن خلكان : لقد أبدع فيها كل الابداع، وهى عمدة قراء هذا الزمان فى نقلهم ، فقل من يشتغل بالقراءات الا ويقدم حفظها ومعرفتها، وهى مشتملة على رموز عجيبة ، واشارات خفية لطيفة، وما أظنه سبق الى أسلوبها . أما ابن الجزرى فيقول : ومن وقف على قصيدتيه علم مقدار ما أتاه الله فى ذلك ، خصوصا اللامية : (حرز الأمانى) التى عجز البلغاء من بعده عن معارضتها ، فانه لايعرف مقدارها، الا من نظم على منوالها، أو قابل بينها وبين مانظم على طريقها ، ولقد رزق هذا الكتاب من الشهرة والقبول ، ما لا أعلمه لكتاب غيره فى هذا الفن ، وتنافس الناس فيها ، ورغبوا فى اقتناء النسخ الصحاح منها ، وبالغوا فى التغالى فيها ، وأخذ أقوالها مسلمة ، واعتبار ألفاظها منطوقا ومفهوما ، حتى خرجوا بذلك عن

حد أن تكون لغير معصوم ، وتجاوز بعضهم الحد، فزعم أن ما فيها هو القراءات السبع ، وأن ما عـدا ذلك شـاذ لا تجوز القراءة به .

وظفرت هذه القصيدة بعناية كبـرى من الشراح الذين حلوا رموزها ، ووضحوا مراميها ، وكان عصرنا الذى نتحدث عنه حافلا بهذه الشروح فى مصر والشام ، وان تفوقت الشام فى ذلك . وأول من شرحها تلميذه أبو الحسن السخاوى المتوفى سنة ٦٤٣ ، وقد قرأ القصيدة على أستاذه ، وسمى شرحه : فتح الوصيد فى شرح القصيد . وشرحها أبو شامة المقدسى المتوفى سنة ٦٦٥ ، شرحا سماه : ابراز المعانى ، قال عنه كشف الظنون : وهو تأليف متوسط لا بأس به ، ثم اختصره فى كتاب سماه : احراز المعانى (١) . وشرحها أبو عبد الله محمد بن أحمد المعروف بشعلة المتوفى سنة ٦٥٦ ، وسمى شرحه كنز المعانى ، وأبو عبد الله محمد ابن الحسن بن محمد المتوفى سنة ٦٧٢ ، وهو شرح وسط سماه اللآلىء الفريدة ، وفرغ منه فى صفر سنة ٦٧٢ ، وتقى الدين يعقوب بن بدران الدمشقى المصرى المعروف بالجرايدى ، المتوفى سنة ٦٨٨ ، اقتصر فيه على حل رموزه ، وسماه : كشف الرموز ، كما شرحها أيضا مقـرىء الفيوم ابن شكر المتوفى فى حدود سنة ٦٤٠ ، والمنتجب بن أبى العـز رشيد المتوفى بدمشق سنة ٦٤٣ ، والقاسم بن أحمد بن الموفق المتوفى بدمشق سنة ٦٦١ ، ومحمد بن على بن موسى الأنصارى الدمشقى المتوفى سنة ٦٥٧ . كما شهد هذا العصر أيضا شرح برهان الدين الجعبـرى المتوفى سنة ٧٣٢ ، وقد فرغ من تأليفه فى سلخ شعبان سـنة ٦٩١ ، وسماه كنز المعانى (٢) .

وقام باختصار هذه القصيدة جمال الدين بن مالك النحـوى ، المتوفى سنة ٦٧٢ ، فى قصيدة سماها : حوز المعانى فى اختصار حرز

---

(١) بدار الكتب رقم ٣٤ قراءات .

(٢) بدار الكتب رقم ٣٤ ، ٣٥ قراءات .

الأمانى ، والمختصرة من بحر الشاطبية وقافيتها ، كما قام باكمالها أحمد ابن على المحلى الضرير ، شيخ القراء بالقاهرة ، المتوفى سنة ٦٧٢ ، وكان الشاطبى نفسه قد أتمها من قبل فى قصيدة ، سماها : تتمة الحرز من قراء أئمة الكنز ، وهى فى رواة القراءات السبعة .

وقد ساعد الشاطبى على نجاحه فى رموزه واشاراته ذهن يحب الألغاز ، ويميل اليه ، قالوا : انه كان كثيرا ما ينشد هذا اللغز ، وهو للخطيب الحصكفى فى نعش الموتى :

أتعرف شيئا فى السـماء نظيره　　اذا سار صاح الناس حيث يسير
فتلقاه مركوبا ، وتلقـاه راكبا　　وكل أمـير يعتليـه أسـير
يحض على التقوى ، ويكره قربه　　وتنفـر منه النفس ، وهـو نذير
ولم يستزد عن رغبـة فى زيارة　　ولـكن على رغم المـزور يزور

وقد ألف الشاطبى قصيدته : حرز الأمانى بالقاهرة ، وعرفنا أن مصدرها كتاب أبى عمرو الدانى ، الذى درسه القاسم بن فيره ، أمـا الرموز والاشارات التى بها فمن بنات أفكاره .

ونظم فى القاهرة أيضا قصيدته الرائية فى فن الرسم ، وهى نظم لكتاب آخر فى هذا الفن لأبى عمرو الدانى ، قال ابن خلدون : وربما أضيف الى فن القراءات فن الرسم أيضا ، وهو أوضاع حروف القرآن فى المصحف ، ورسومه الخطية ، لأن فيه حروفا كثيرة ، وقع رسمها على غير المعروف من قياس الخط ، كزيادة الياء فى بأييد وزيادة الألف فى لا أذبحنه ، ولا أوضعوا ، والواو فى جزاؤ الظالمين ، وحذف الألفات فى مواضع دون أخرى ، وما رسم فيه من التاءات ممدود والأصـل فيه مربوط على شكل الهاء . وغـير ذلك ، فلما جـاءت هـذه المخالفة لأوضاع الخط وقانونه احتيج الى حصرها ، فكتب الناس فيها أيضا ، وانتهت بالمغرب الى أبى عمرو الدانى ، فكتب فيها كتبـا من أشـهرها

كتاب المقنع (١) ، وأخذ به الناس ، وعولوا عليه، ونظمه القاسم الشاطبى فى قصيدته المشهورة ، على روى الراء ، وولع الناس بحفظها، وسمى الشاطبى قصيدته الرائية : عقيلة أتراب القصائد ، فى أسنى المقاصد (٢) وشرحها كذلك ابراهيم الجعبرى (٣) شارح حرز الأمانى ، وأبو شامة المقدسى (٤) .

وللشاطبى أيضا منظومة رائية (٥) ، فى بيان المدنى والمكى من آيات القرآن وسوره ، عدد أبياتها مائتان وسبعة وتسعون بيتا .

وبعد فانه لا يضير الشاطبى أنه استقى مؤلفاته من كتب غيره ، فانه انفرد بنظمها ووضع رموزها واشاراتها ، وتقريب العلم بها لطلبة العلم وحفاظه ، وقد أصبحت كتبه ملاذ طلاب هذه الفنون ، أكثر من الأصول التى أخذت عنها .

علم الدين السخاوى *

على بن محمد بن عبد الصمد ، ولد بسخا ، احدى أعمال مديرية الغربية سنة ٥٥٨ ، واشتغل فى أول أمره بالفقه على مذهب مالك ، ثم

---

(١) مخطوط بدار الكتب رقم ٢٦٣ قراءات .
(٢) بدار الكتب رقم ب ٢١٤٤٦ .
(٣) مخطوط بدار الكتب رقم ٢٤٩ قراءات .
(٤) بدار الكتب رقم ٤٩٣ مجاميع .
(٥) بدار الكتب رقم ب ٢٣٥٣٥ .

* مراجعه :
١ ـ طبقات القراء الذهبى ج ٢ ص ١٩٦ .
٢ ـ غاية النهاية فى طبقات القراء ح ١ ص ٥٦٨ .
٣ ـ الفوائد البهية فى تراجم الحنفية ص ٤٧ .
٤ ـ حسن المحاضرة ج١ ص ١٩٢ .
٥ ـ النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٢٥٤ وج ٧ ص ٢٨٤ .
٦ ـ بغية الوعاة ص ٣٤٩ .
٧ ـ ذيل الروضتين ص ١٧٧ .
٨ ـ طبقات الشافعية للسبكى ج٥ ص ١٢٦ .
٩ ـ وفيات الأعيان ج١ ص ٣٤٥ .
١٠ـ معجم الأدباء ج ١٥ ص ٦٥ .
١١ـ طبقات المفسرين ص ٢٥ .
١٢ـ المختصر فى أخبار البشر ج٣ ص ١٧٤ .

انتقل الى مذهب الشافعى ، وهو الذى كان يفتى به ، وسكن بمسجد فى القرافة كان يؤم به مدة طويلة ، حتى اذا حضر مصر الشيخ الشاطبى لازمه ، وقرأ عليه القرآن بالروايات ، وأخذ عنه قصيدته حرز الأمانى، كما أخذ الحديث فى الاسكندرية عن السلفى ، وأبى طاهر بن عوف، وفى مصر عن البوصيرى وغيره ، وكان يعلم أولاد الأمير ابن موسك ، وانتقل معه الى دمشق ، وهناك تابع دراسته ، فقرأ القراءات على أبى اليمن الكندى ، ودرس عليه النحو واللغة والأدب . وفيها قرأ كتاب المصباح فى القراءات للشهرزورى ، وسمع الحديث من ابن عساكر وغيره ولم يكن له عمل سوى الدراسة ، فأصبح اماما ممتازا فى القراءات، بصيرا بعللها ، نابغة فى النحو واللغة والتفسير والأدب ، وأتقن هذه العلوم ، حتى لم يعد فى عصره من يلحقه فيها ، كما كان فقيها ، مفتيا ، أصوليا ، مناظرا ، ازدحم عليه الناس، وتنافسوا فى الأخذ عنه، وقصدوه من البلاد ، قال الحافظ أبو عبد الله فى تاريخ الاسلام : قرأ عليه خلق كثير الى الغاية ، ولا أعلم أحدا من القراء فى الدنيا أكثر اصحابا منه . وقال ابن خلكان : رأيته راكبا بهيمة وحوله اثنان أو ثلاثة يقرأون عليه دفعة واحدة ، فى أماكن من القرآن مختلفة ، وهو يرد على الجميع، قال الذهبى : وفى النفس من هذه الرواية شىء ، فان الله تعالى ما جعل لرجل من قلبين فى جوفه ، وهو مخالف للسنة ، وفى القراءة المختلفة زوال بهجة القرآن ، وتشويش القراء بعضهم على بعض ، ولكن ابن الجزرى يقبل الرواية ويؤيدها ، ولكنى لا أميل الى رأيه .

وظل يقرىء الناس نيفا وأربعين سنة بجامع دمشق ، ثم بتربة أم الصالح ، ولأجله بنيت ، وجعل شرط شيخها أن يكون أعلم أهل البلد فى القراءات .

= ١٣- كشف الظنون جـ١ نهر ١٣٢ و ١٤٠ و جـ٢ نهر ١٧٧٥ و ٥٩٣ و ١١٧١ و ١٩٨٤ و ١٨٧١ و ١٩٢٧ و ٢٠٤١ و ١٥٢٣ .

١٤- شذرات الذهب جـ ٥ ص ٢٢٠ . ١٥- فهارس دار الكتب .

١٦- البداية والنهاية جـ ١٣ ص ١٧٠ . ١٧- مفتاح السعادة ص ١١٢ب .

١٨- طبقات الشافعية لابن قاضى شهبة ص ٥٢ ب .

١٩- دول الاسلام جـ ٢ ص ١١٣ .

ومن أشهر تلاميذه أبو شامة ، أخذ عنه القراءات والتفسير وفنون العربية ، والقاضي عبد السلام الزواوى ، ويعقوب الجرايدى وغيرهم.

كان السخاوى ممتازا فى ذكائه ، حاد القريحة ، دينا ، خيرا ، متواضعا ، مطرح التكلف ، حلو المحاضرة ، حسن النادرة ، وافر الحرمة، محببا الى الناس ، وكان له شعر وسط ، ولكنه أفضل من شعر أستاذه الشاطبى ، فمن ذلك قصيدة مدح بها صلاح الدين ، ومقطوعة أنشدها وقد حضرته الوفاة ، فقال :

قالوا : غـدا يرحل ركب الحمى ويننزل الركب بمغنـــاهم
وكل من كان مطيعـا لهـم أصـبح مسرورا بلقيـاهم
قلت : فلى ذنب ، فمـا حيلتى ؟ بأى وجـــه أتلقـاهم ؟
قالوا : أليس العفـو من شأنهم لا سـيما عمـن ترجـاهم

وكان مغرما بنظم الألغاز فى النحو ، وأورد السيوطى طائفة منها فى بغية الوعاة .

وتوفى علم الدين السخاوى ليلة الأحد ، الثـانى عشر من جمادى الآخرة ، سنة ثلاث وأربعين وستمائة ، وشعر الناس يوم مات بأنهم فقدوا علما غزيرا . وترك لنا مؤلفات فى القـراءات والنحو والتفسير وغيرها . فمن مؤلفـاته فى القـراءات شرح كتـاب أسـتاذه : حرز الأمانى فى مجـلدين (١) ، وهو أول من شرحها ، وكان قد درسها على مؤلفها ، ولعل ذلك الشرح كان باشارة من الشاطبى نفسه ، فابن الجزرى يقول : ان الشاطبى أشار اليه بقـوله : يقيض الله لها فتى يشرحها ، وشرح الرائية لأستاذه أيضـا ، وسـماه الوسيلة الى كشف العقيلة (٢) ، وله كتاب جمال القراء وكمال الاقراء (٣) ، وهو كتـاب يشتمل على عدة مصنفات فى القراءات والتجويد والنـاسخ والمنسوخ

---

(١) بدار الكتب رقم ب ٢١٤٢٠ .

(٢) مخطوطة بدار الكتب رقم ٦٦ و ٤٨٣ مجاميع .

(٣) بدار الكتب رقم ٩م قراءات .

والوقف والابتداء وغير ذلك . وكتاب عمدة المفيد وعدة المجيد في علم التجويد (١) . وهي قصيدة نونية في ستين بيتا ، ووضع عليها شرحا مختصرا، كما شرحها أيضا اسماعيل بن محمد الحموى المتوفى سنة ٦٧٠. وذكر له صاحب كشف الظنون من الكتب في القراءات أيضا : كتاب نثر الدرر ، وكتاب أقوى العدد ، وكتاب الافصاح في القراءات السبع، وكتاب منهاج التوقيف . وفي النحو ترك على المفصل شرحين : كبيرا في أربع مجلدات سماه المفضل في شرح المفصل (٢) ، وصغيرا سماه : سفر السعادة وسفير الافادة (٣) ، وله كتاب نظم الضوابط النحوية (٤) وكتاب منير الدياجى في تفسير الأحاجى ، شرح فيه أحاجى الزمخشرى ، في النحو ، والتزم أن يعقب كل أحجيتين للزمخشرى بلغزين من نظمه ، قال السيوطي : وهو من أجل الكتب في موضوعه ، وصنف في أصول الدين منظومة سماها : الكوكب الوقاد في الاعتقاد ، وفي التفسير وضع كتابا ، وصل فيه الى سورة الكهف، في أربعة أسفار، ومات قبل اكماله، قال ابن الجزرى : من وقف عليه ، علم مقدار هذا الرجل ، ففيه من النكت والدقائق واللطائف ما لم يكن في غيره ، وله كتاب ضم سبع قصائد في مدح الرسول صلوات الله عليه . شرحه تلميذه أبو شامة ، وكتاب المفاخرة بين دمشق والقاهرة ، وكم كان بودنا أن لو ظفرنا بهذا الكتاب ، لنرى فيه صورة صادقة لهاتين المدينتين ، في ذلك العصر ، وله أيضا مجموعة من الخطب .

---

(١) مخطوطة بدار الكتب رقم ٣٧١ و ٣٨٢ قراءات .

(٢) بدار الكتب رقم ١٩ ش نحو .

(٣) بدار الكتب - مخطوط رقم ١٧ ش - ٧٨ مجاميع م عربية .

(٤) بدار الكتب رقم ١٦٠٤ نحو .

التفسير

كانت حركة التفسير حركة ناشطة فى ذلك الحين ، وكان مادة أساسية فى بعض ما أنشىء من المدارس ، وعرفت من رجاله فى ذلك العهد زهاء خمسين مفسرا ، تركوا أكثر من ثلاثين تفسيرا ، ضاع كثير منها ، وبقى القليل ، وحسبنا أن يكون من بين القليل البـاقى تفسير القرطبى المشهور .

وان العلماء قد وضعوا منهجا ثقافيا لمن يتصدى لتفسير كتاب الله، فقالوا : ان العلوم التى يحتاج المفسر اليها خمسة عشر علما ، هى اللغة، والنحو ، والتصريف ، والاشتقاق ، والمعانى ، والبيان ، والبديع ، وعلم القراءات، وأصول الدين، أى الكلام، وأصول الفقه، وأسباب النزول، والقصص ، والناسخ والمنسوخ ، والفقه ، والأحاديث ، فضـلا عن الموهبة (١) . وما ذكره العلماء من المواد ينير السبيل لفهم كتاب الله . وقد اختلفت حظوظ علماء هذا العصر من هذه المواد ، وان اتفق أكثرهم فى سعة الثقافة ، وكان منهم من وسعت ثقافته من هذه المواد ، فـكان فقيها ، عالما بالحساب والهيئة ، والطب ، والنحو ، واللغة ، والعروض، والقوافى ، والشعر ، والتاريخ ، والخلاف ، والمنطق ، والكلام ، قارئا بالعشر ، كالحسن بن الخطير ، بل كان يحفظ كتابا فى التفسـير لتـاج القـراء .

واذا كان المفسر يلقى على التفسير ظلا من ثقافته ، لأنهـا المجـال الذى يستطيع أن يبرز فيه ، ويخلع رداء من شخصيته بما يضفيه عـلى التفسير من ذوقه وآرائه ، فربما كنا نظفر بألوان متعددة ، فيما أنتجه هذا العصر ، تبعا للأذواق والميول المختلفة التى تناولت كتـاب الله بالتفسير ، فنرى روح الشاعر الأديب فى تفسير الحسن بن على بن الزبير

---

(١) كشاف اصطلاحات الفنون ص ٣٠ .

وروح الفقيه المشرع فيما فسر به الفخر بن تيمية . والعناية بالقراءات فيما كتبه علم الدين السخاوى ، وابن سرايا ، ولهجة الوعظ و لاعتبار بالتاريخ فيما دبجه سبط بن الجوزى ، ومحمد بن أسعد العراقى ، ويحيى بن محمد التجيبى . وتوجيهات نحوية فى تفسير على بن عبد الله الوهرانى ، وعلى بن ابراهيم الغزنوى . ومناقشات كلامية فى كتاب على بن أحمد التجيبى . بل ربما كنا قد وجدنا لمحات طبية . فيما كتبه ابن الخطير ، وابن اللبودى ، الذى سمى كتابه : **الأنوار الساطعات،** فى شرح الآيات البينات .

كانت هذه الألوان كلها مما يقبله جمهور المسلمين ، وقد وجد فى هذا العصر تفسير لبعض المتصوفة على طريقتهم ، فى تأويل الآيات تأويلا لا يتفق مع ظاهر النص ، صنف ابن عربى تفسيرا كبيرا على طريقة أهل التصوف ، وصل فيه الى سورة الكهف ، وكتبه — كما قيل — فى ستين سفرا (١) ، وألف على بن أحمد التجيبى الصوفى المتكلم تفسيرا ، قال عنه الذهبى : وله تفسير فيه عجائب ، ولم أتحقق بعدما كان منطويا عليه ، غير أنه تكلم فى علم الحروف والأعداد ، وزعم أنه استخرج علم وقت خروج الدجال ، ووقت طلوع الشمس من مغربها، ويأجوج ومأجوج (٢) .

ولم أعثر فى هذا العصر على تفسير كتبه الشيعة ، فلعل ما كتبوه فى هذه الناحية باد مع ما أباده صلاح الدين من كتبهم . وتفسير الشيعة لا يقبله جمهور المسلمين . ولست أدرى ان كان تفسير جوامع الجامع (٣) الذى ألفه أبو على الفضل بن الحسن الطبرسى المتوفى سنة ٥٤٨ ، وجمع فيه خلاصة كتابية فى التفسير ، وهما : مجمع البيان، والكافى الشافى ، لست أدرى ان كانت مصر قد عرفت أو لم تعرف

---

(١) كشف الظنون جـ ١ نهر ٤٣٨ .

(٢) طبقات المفسرين ص ٢٢ .

(٣) بدار الكتب رقم ٢١٤٥٦ و ١١٩٢ و ١٠٠٣ تفسير .

هذا الكتاب ، وهو تفسير على مذهب الامامية . أما كتاب التفسير الذى عثرت على أنه مؤلف فى العصر الفاطمى ، فهو تفسير الحسن بن على بن الزبير، وهو تفسير (على ماأرجح) على مذهب جماعة المسلمين، لأن مؤلفه وان كان ممن اختص بالصالح بن رزيك — لم يشاركه فى مذهبه ، بل كان سنيا ، وكان ممن رحب بالأيوبين ، وحبس لاتصاله بشيركوه (١) .

واذا كان كثير من آثار هذه الحقبة ، قد فقد ، فقد بقى للقرطبى تفسيره ، ولابن المنير جزء من تفسيره ، وكتابه الانتصاف من الكشاف، ولابن عربى بعض تفسيره (٢) . وكتاب ايجاز البيان فى الترجمة عن القرآن (٣) ، وكتاب رد معانى الآيات المتشابهات الى معانى الآيات المحكمات (٤) كما بقى للعز بن عبد السلام تفسيره (٥) ، وفوائد له ، وهى أسئلة وأجوبة تتعلق بالقرآن الكريم (٦) ، وكتاب كشف الأشكالات عن بعض الآيات (٧) وهو أجوبة عن أسئلة مشكلة فى آيات من القرآن الكريم ، كما عثرنا على بعض تفسير ابن ظفر الصقلى ، الذى سماه ينبوع الحياة (٨) ، وعلى منظومة السخاوى فى بيان متشابهات الكتاب (٩) ، ومنظومة الديرينى فى التفسير .

وقد تنوعت كتب التفسير فى هذا العصر ، بين موجزة كتفسير العز بن عبد السلام ومحمد بن سليمان بن محمد (١٠) ، وبين مطولة تبلغ مجلداتها خمسين سفرا أو تزيد ، فكشف الظنون ينقل أن تفسير سبط ابن الجوزى فى نحو ثلاثين مجلدا (١١) ، والطالع السعيد (١٢) ينقل أن

(١) معجم الأدباء جـ ٩ ص ٤٧ .
(٢) دار الكتب رقم ٣٢ تفسير .
(٣) دار الكتب رقم ١٠٩٦ تفسير .
(٤) دار الكتب رقم ١٠١٩ تفسير .
(٥) دار الكتب رقم ٣٢ تفسير .
(٦) دار الكتب رقم ٧٧م تفسير .
(٧) دار الكتب رقم ٨٣٦ تفسير .
(٨) بدار الكتب الأجزاء ٢و٣و٥ رقم ٣١٠ تفسير .
(٩) دار الكتب رقم ٥٧٤ و ٦٥٣ و ١١٣٤ تفسير .
(١٠) النجوم الزاهرة جـ ٧ ص ٢٤٣ .
(١١) جـ ١ نهر ٤٤٨ .
(١٢) ص ١٠٠ .

تفسير المهذب الأسوانى فى خمسين مجلدا ، وقف المؤلف على نيف وثلاثين جزءا منها ، وقد يضع المؤلف تفسيرا مطولا ، ثم يختصره ، بل قد يكون لأحدهم مطول ، ووسط ، ومختصر .

ولم يقف نشاط العلماء عند تفسير القرآن مجتمعا ، بل اكتفى بتفسير بعضه بعض العلماء . وانصرفت طائفة الى تنظيم الاستفادة من كتب التفسير التى وضعها سواهم ، فاختصروها ، كما اختصر الحسين ابن ابى بكر بن عياض تفسير أبى اسحق الثعلبى النيسابورى المتوفى سنة ٤٢٧ اختصارا حسنا (١) ، ومنهم من فسر جزءا منه ، قد يكون آية ، كما فسر أبو شامة البسملة تفسيرين : أحدهما كبير ، والثانى صغير (٢) ، وكما فسر آية الاسراء ، فى كتاب سماه : نور السرى ، فى تفسير آية الاسرا ، وقد يكون تفسير سورة ، كتفسير سورة الاخلاص، لعبد اللطيف البغدادى (٣) ، وتفسير سورة ق ، لابن القوبع ، وقد يكون تفسير آيات متناثرات ، كما فعل الأشرف بن الأعز المتوفى بحلب سنة ٦١٠ ، فقد ألف كتابا سماه : جنة الناظر ، وجنة المناظر ، وهو خمس مجلدات فى تفسير مائة آية ومائة حديث (٤) ، ويؤخذ من عنوان الكتاب أنها آيات وأحاديث يحتاج اليها المناظر .

ومنهم من انصرف الى ناحية خاصة فى القرآن ، فدرس الناسخ والمنسوخ فيه ، وللسخاوى فى ذلك تأليف سماه : الطود الراسخ فى المنسوخ والناسخ (٥) ، ومن قبله ألف محمد بن بركات بن هلال السعدى ، للأفضل بن أمير الجيوش ، كتابه : الايجاز فى معرفة ما فى القرآن من منسوخ وناسخ (٦) ، أو درس ما قد يتراءى من آيات مشكلة أو متشابهة ، كما فعل أبو شامة ، وابن عربى ، والسخاوى ، والعز بن عبد السلام ، وقد أوردنا بعض كتبهم فى ذلك فيما مضى،

---

(١) كشف الظنون جـ ٢ نهر ١٧٥٦ .
(٢) فوات الوفيات جـ ١ ص ٢٥٣ .
(٣) فوات الوفيات جـ ٢ ص ٧ .
(٤) نكت الهميان ص ١٢٠ .
(٥) كشف الظنون جـ ٢ نهر ١١١٨ .
(٦) بغية الوعاةص ٢٤ .

او فسر غريبه ، كما فعل موفق الدين بن قدامة المقدسى ، فى كتابه : قنعة الأريب ، فى تفسير الغريب (١) ، أو شرح أسماء الله الحسنى الواردة فى القرآن الكريم ، كما ألف فى ذلك التلمسانى ، فكان يذكر الاسم ، والآية التى ورد فيها ، والمعنى الذى ذكره المفسرون الثلاثة، وهم: البيهقى والغزالى، وابن برجان الأندلسى، وماانفرد به كل واحدمنهم، وما اتفق عليه اثنان منهم ، وذكر أشياء على لسان أهل التصوف (٢) . أو تعرض لأسرار ما بدئت به بعض السور من الحروف ، وقد ألف فى ذلك ابن عربى كتابا ، سماه : المبادىء والغايات ، فى أسرار الحروف المكنونات ، والأسماء والدعوات ، قال فى كشف الظنون (٣) : وهو فيما تتضمنه حروف المعجم من العجائب والآيات ، تكلم فيه على الحروف المجهولة التى فى أول سور القرآن . كما ألف عبد العظيم بن عبدالواحد العدوانى المصرى المتوفى سنة ٦٥٤ ، كتابا فى ذلك ، سماه : الخواطر: السوانح ، فى أسرار الفواتح (٤) ، أو عنى بذكر اتصال الآى بعضها ببعض ، كمحمد بن عبد الله المرسى السلمى، فى كتابه: رى الظمآن (٥)، أو تحدث فى أمثال القرآن، كمهذب الدين الخيمى المتوفى سنة ٦٤٢، وكان اماما فى اللغة أديبا شاعرا (٦) . ومنهم من أعرب القرآن كله ، كالمنتجب بن أبى العز رشيد ، أو سورة منه ، ومن ألف فى علوم القرآن، كأبى شامة ، أو فى فضائل القرآن وآداب حملته ، كالسخاوى ، والقرطبى ، والنووى . أو فى خط المصحف الامام ، وقد صنف فى ذلك عيسى بن عبد العزيز اللخمى كتابين : أحدهما فى خط المصحف الامام، والثانى فى الخلاف فيما فى خط المصاحف من الاختلاف .

هذا وقد رأينا فيما مضى أن النظم قد استخدم فى تفسير القرآن، وفى أغراض ترتبط به .

---

(١) مخطوط بدار الكتب رقم ٥٤٥ لغة .

(٢) كشف الظنون جـ ٢ نهر ١٠٣٤ .

(٣) المرجع السابق جـ ٢ نهر ١٥٧٩ .

(٤) المرجع السابق جـ ٢ نهر ٧٢٧ .

(٥) معجم الادباء جـ ١٨ ص ٢١١ .

(٦) فوات الوفيات جـ ٢ ص ٢٤٣ وبغية الوعاة ص ٧٨ .

وقد عرفت مصر والشام طائفة كبيرة من كتب التفسير ، كانت تدرس فى معاهدها المختلفة ، فمن ذلك : كتب الطبرى ، والثعلبى ، ويسمى كتابه : الكشف والبيان ، فى تفسير القرآن ، وكتب مكى ، والهروى ، والقتيبى ، والواحـــدى ، والمهـــدوى ، والدامغانى ، والقشيرى (١)، وعرفنا ماوضعه الغزالى من هذه الكتب، وكان الغزالى من أنصار التفسير بالرأى ، وألف كتبا قرآنية كثيرة ، منها: كتاب خواص القرآن ، وفواتح السور ، وكتاب مشكاة الأنوار ، ومصفاة الأسرار ، وهى رسالة مشتملة على فصول فى قوله تعالى : الله نور الســموات والأرض ، وكتاب ياقوتة التأويل ، فى تفسـير التنزيل (٢) ، كما عرفنا فى ذلك الحين كتابين مهمين : أحدهما كتاب الكشاف للزمخشرى، وهو من كتب التفسير بالرأى ، وكان له أثر كبير فى الحركة الفكرية فى مصر ، والثانى كتاب المحرر الوجيز ، فى تفسير الكتاب العزيز ، وهو تفسير ابن عطية الغرناطى المتـوفى سـنة ٥٥٦ ، قال صاحب كشف الظنون (٣) : قد أثنى عليه أبو حيان ، وقال هو أجل من صنف فى علم التفسير ، وأفضل من تعرض للتنقيح فيه والتحرير ، وقيل كتاب ابن عطية أقل وأجمع وأخلص ، وكتاب الزمخشرى ألخص وأعوص ، وبعض أجزاء من تفسير ابن عطية بدار الكتب (٤) ، وكان هبة الله بن على بن السديد يقرأ هذا التفسير فى مدرسته التى بناها باسنا (٥) . وعرف أيضا فى ذلك العهد تفسير للكواشى الموصلى الذى تعلم فى دمشق ، وتوفى بالموصل سنة ٦٨٠ ، وقد جود فيه الاعراب ، وحرر أنواع الوقوف ، وأرسل منه نسخة الى مكة والمدينة والقدس ، وهو التفسير الذى اعتمد عليه فيما بعد الجلالان : المحلى والسيوطى فى تفسيرهما (٦) .

أما أشهر رجال التفسير فى ذلك العصر فهم :

---

(١) راجع التيسير .

(٢) دار الكتب رقم ب ، ٢١٩٣٧ .

(٣) جـ ٢ نهر ١٦١٣ .

(٤) رقم ١٠ تفسير ورقم ١١ و ٣٥٦ .

(٥) الطالع السعيد ص ٤٩١ .

(٦) بغية الوعاة ص ١٧٥ .

عالى بن ابراهيم الغزنوى *

أحد علماء حلب المبرزين فى التفسـير والفقه واللغة العربية والأصول والجدل . لقى الزمخشرى ، وقرأ عليه ، وكتب عنه ، ولما عاد الى حلب أقام بها مدرسا ، وألف فى الفقه والتفسير ، وسمى مؤلفه فيه تقشير التفسير ، فرغ منه فى حلب سنة ٥٧٢ ، وفيه أعاريب ومسائل نحوية ، وكانت وفاته سنة ٥٨٢ .

الجمال المصرى **

يونس بن بدران بن فيروز ، ولد بمصر فى حدود سنة ٥٥٥ ، وسمع من السلفى وغيره ، وكان واسع الثقافة سعة هيأته للاتصال بالوزير صفى الدين بن شكر ، الذى اعتنى به ، وجعله وكيل بيت المال فى الشام ، وفوض اليه التدريس بالمدرسة الأمينية ، وهيأ له الاتصال بالعادل ، فأصبح رسوله الى الخليفة ، والى ملوك الروم وغيرهم ، وفى عهد المعظم تولى منصب قاضى قضاة الشام ، وعهد اليه بالتدريس بالمدرسة العادلية ، وكان أول من درس بها حين كمل بناؤها ، وكان يلقى بها قبل درس الفقه ، درسا فى التفسير طويلا ، تجرى فيه مباحث ، ويحضره جماعة من الفضلاء ، يجلس للحكم بعد العصر الى

---

* تاج التراجم ص ٣٧ ، وبغية الوعاة ص ٣٢٥ ، وطبقات المفسرين للداودى ص ٩٣ب .

** مراجعه :

١ - حسن المحاضرة ج ١ ص ١٩١ .
٢ - ذيل الروضتين ص ١٤٨ .
٣ - طبقات الشافعية للسبكى ج ٥ ص ١٥٣ .
٤ - ديوان ابن عينن ص ٨٥ و ١٤٣ و ٢٣٧ .
٥ - تنبيه الطالب ج١ ص ١٢٥ .
٦ - البداية والنهاية ج ١٣ ص ١١٤ .
٧ - طبقات الشافعية لابن قاضى شهبة ص ٤٩ ب .
٨ - العقد المذهب ص ١٧٣ ب .
٩ - طبقات المفسرين للداودى ص ٣٤٣ ب .

أن يصلى المغرب ، وكان اذا فرغ من الحكم بين الخصوم ، تجرى بحضرته المذاكرة فى العلم ، حتى ينفض مجلسه ، ولم ينقم الناس عليه شيئا فى ولايته سوى رغبته فى تنمية بيت المال ، واستنابته فى الحكم ولده محمدا ، ولم يكن ذا طريقة مستقيمة .

والظاهر أن الجمال المصرى كان شديدا فى تنفيذ الحدود ، وأن ابن عنين الشاعر المشهور ، كان ينال منه شدة وعنفا على شربه الخمر ، مما دعاه الى أن يقول ، وهو بعيد عن دمشق منفى منها ، فى رسالة الى أخيه :

وصدقت ، ان دمشق جنة هذه الـ　　دنيا ولكن الجحيم ألـذ لى
لا الحاكم المصرى ينفـذ حكمه　　فيها على ، ولا العوانى الموصلى

يريد بالحاكم المصرى الجمال يونس بن بدران ، وبالعوانى الموصلى ابراهيم بن موسى ، رئيس شرطة دمشق ، وقد ظل العداء متصلا بين ابن عنين والجمال المصرى ، حتى مات هذا ، فودعه الشاعر ببيتى هجاء ، فقال ، وكان قد أوصى أن يدفن فى داره :

ما قصر المصرى فى رأيه　　اذا جعل الحفرة فى داره
فخلص الأحياء من رجمه　　وخلص الأموات من ناره

واختصر الجمال كتاب الأم للشافعى ، وألف مصنفا فى الفرائض ، ومات فى ربيع الآخر سنة ٦٢٣ .

المرسى السلمى *

فى مرسية احدى مدائن الأندلس ، ولد محمد بن عبد الله بن محمد سنة ٥٧٠ ، وتلقى ثقافته بالأندلس ، فدرس القرآن والنحو

---

* مراجعه :
١ ـ طبقات المفسرين للسيوطى ص ٣٥ .
٢ ـ معجم الأدباء جـ ١٨ ص ٢٠٩ .
٣ ـ بغية الوعاة ص ٦٠ .
٤ ـ شذرات الذهب جـ ٥ ص ٢٦٩ .
٥ ـ كشف الظنون جـ ١ نهر ٤٥٨ .
٦ ـ طبقات الشافعية لابن قاضى شهبة ص ٥٣ .
٧ ـ طبقات المفسرين للداودى ص ٢٥٦ .

والأصول والفقه والقراءات والخلاف والحديث وعلم الكلام واللغة والأدب ، ولما خرج الى الحج سنة ٦٠٧ ، قام برحلات كثيرة فى المشرق فدخل بغداد وأقام بها ، يسمع ويقرأ الفقه والخلاف والأصلين بالنظامية ثم رحل الى خراسان ، ووصل الى مرو الشاهجان وغيرها ، يسمع الحديث ، وكان يحفظ فيه صحيح مسلم ، وتنقل كثيراً فى البلاد ، فحينا هو فى دمشق ، وحينا هو فى حلب ، وحينا يأتى الى الموصل أو الى مكة والمدينة ، يفيد ، ويستفيد ، ثم انتقل الى مصر سنة ٦٢٤ ، وكان حيثما حل يقوم بتدريس ما حذقه من المواد ، وقد هيأته ثقافته الواسعة ومواهبه الممتازة أن يفسر كتاب الله ، فوضع فى ذلك تفسيراً كبيراً ، سماه : رى الظمآن فى تفسير القرآن ، وهو ضخم يزيد على عشرين جزءا ، قصد فيه الى بيان ارتباط الآى بعضها ببعض ، وله تفسير وسط فى عشرة أجزاء ، وتفسير صغير فى ثلاثة .

ولم تقف جهوده عند حد التفسير ، بل اختصر فى الحديث كتاب مسلم ، ووضع كتابا فى أصول الفقه ، وآخر فى أصول الدين ، وله فى النحو كتاب الكافى ، وكتاب الضوابط النحوية وأمال على المفصل للزمخشرى ، أخذ عليه فيها سبعين موضعا ، أقام على خطئها البرهان ، وصنف كتابا فى البديع والبلاغة .

ومات متوجها الى دمشق ، فى منتصف ربيع الأول سنة ٦٥٥.

القرطبى *

محمد بن أحمد بن أبى بكر بن فرح ، من أشهر مفسرى ذلك العصر ، وقد بقى لنا تفسيره كاملا .

---

* مراجعه :

١ – طبقات المفسرين للسيوطى ص ٢٨ .

٢ – الديباج المذهب ص ٢٧٩ .

٣ – مقدمة ابن خلدون ص ٣٨٤ .

٤ – شذرات الذهب ج ٥ ص ٣٣٥ .

٥ – نفح الطيب ج ١ ص ٤٢٨ .

٦ – شجرة النور الذكية فى طبقات المالكية ص ١٩٧ .

٧ – كتب المؤلف .

٨ – فهارس دار الكتب .

٩ – طبقات المفسرين للداودى ص ٢١٣ .

ولد بقرطبة من بلاد الأندلس ، وتلقى بها ثقافة واسعة فى الفقه والنحو والقراءات ، وسمع من أبى العباس أحمد بن عمر القرطبى بعض كتاب المفهم فى شرح مسلم ، ودرس البلاغة وعلوم القرآن واللغة ، ثم وفد الى مصر ، كما وفد غيره من علماء الأندلس ، وكانت بلادهم فى ذلك الحين تتخطفها الفرنجة ، فآثروا البقاء فى مصر ، لما كانت تتمتع به من الاستقرار السياسى حينئذ، ولست أدرى متى قدم الىمصر ، واستقر فى الصعيد بمنية ابن خصيب (المنيا) ، يقضى وقته بين العبادة والتأليف ، ويقول مؤرخوه عنه : انه كان من عباد الله الصالحين ، والعلماء الورعين الزاهدين متفننا متبحرا فى العلم ، له تصانيف مفيدة ، تدل على امامته ، وكثرة اطلاعه ، ووفور فضله .

وترك القرطبى مؤلفات شتى، أهمها كتابه فى التفسير الذى سماه: جامع أحكام القرآن ، والمبين لما تضمن من السنة وآى الفرقان . وتقوم دار الكتب بطبعه ، وتقدر أنها ستتمه فى عشرين جزءا .

والقرطبى لا يقف فى تفسير القرآن عند حد ما روى من ذلك عن الرسول والسلف الصالح ، بل يتخذ ما أوتيه من أدوات العلم وسيلة يستعين بها على فهمه ، وان كان يعد معرفة ما أثر من ذلك ضرورياً لفهم كتاب الله .

وقد بدأ القرطبى تفسيره بعدة أبواب رآها ضرورية قبل الدخول فى التفسير ، وأوضح لها الخطة التى انتهجها فى كتابه بقوله : وبعد ، فلما كان كتاب الله هو الكفيل بجميع علوم الشرع الذى استقل بالسنة والفرض ، ونزل به أمين السماء الى أمين الأرض ، رأيت أن أشتغل به مدى عمرى ، واستفرغ فيه منتى ، بأن أكتب فيه تعليقا وجيزا يتضمن نكتا من التفسير واللغات ، والاعراب والقراءات ، والرد على أهل الزيغ والضلالات ، وأحاديث كثيرة شاهدة لما نذكره من الأحكام ، ونزول الآيات ، جامعا بين معانيها ، ومبينا ما أشكل منها بأقاويل السلف، ومن تبعهم من الخلف .. وشرطى فى هذا الكتاب اضافة الأقوال الى قائليها، والأحاديث الى مصنفيها، فانه يقال : « من بركة العلم أن يضاف

القول الى قائله » ، وأضربت عن كثير من قصص المفسرين وأخبار المؤرخين ، الا ما لابد منه ولا غناء عنه للتبيين ، واعتضت من ذلك تبيين آى الأحكام ، بمسائل تسفر عن معناها ، وترشد الطالب الى مقتضاها، فضمنت كل آية تتضمن حكما أو حكمين فما زاد مسائل نبين فيها ما تحتوى عليه من أسباب النزول والتفسير والغريب والحكم ، فان لم تتضمن حكما ذكرت ما فيها من التفسير والتأويل ، وهكذا الى آخر الكتاب (ص ٢) . وصدر المؤلف كتابه بعدة أبواب : منها واحد ذكر فيه جملامن فضائل القرآن والترغيب فيه، وفضل طالبه وقارئه ومستمعه والعامل به . وباب لكيفية التلاوة وما يكره منها وما يحرم . وآخر فى فضل القرآن وأهله . وباب شرح فيه معنى قول النبى صلى الله عليه وسلم : « ان هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف ، فاقرءوا ما تيسر منه »، وعرض أقوال العلماء فى ذلك ، وصلته بالقراءات . وعقد بابا لجمع القرآن ، وسبب كتابة عثمان للمصاحف ، وترتيب سور القرآن ، وآياته وشكله ولفظه وتحزيبه وعدد حروفه وأجزائه وآيه . ثم عرض لمعنى السورة والآية والكلمة والحرف ، وهل ورد فى القرآن كلمات خارجة عن لغات العرب أولا . ثم ذكر بابا فى اعجاز القرآن ووجه هذا الاعجاز.

والقرطبى ينقل كثيرا عن ابن عطية الذى سبق أن تحدثنا عنه ، والذى لخص تفاسير من سبقه ممن يرون ضرورة معرفة آراء السلف ، واقتدى به فى ذلك القرطبى .

ولم يكتف المفسر بالفصل الذى عقده فى تفسيره الجامع ، لبيان فضائل القرآن وفضل قارئه ومستمعه ، بل ألف فى ذلك كتابا خاصا ، دعاه التذكار ، فى أفضل الأذكار (١) ، وقد رأى أن يجمع فى هذا الكتاب أربعين حديثا ، ترتبط بهذا الموضوع ، وقد تفنن العلماء فى اختيار أربعين حديثا فى مقاصد شتى ، كما سنتحدث عن ذلك فى فضل الحديث ، ووضع القرطبى كتابه على طريقة كتاب : التبيان ، فى

(١) مخطوط بدار الكتب رقم ب ٢٣٠٤٦ .

آداب حملة القرآن ، للنووى ، ولكن كان التذكار أتم منه وأكثر علما.

وللقرطبى مؤلفات أخرى ، منهــا كتاب التذكرة (١) ، بأحوال الموتى وأمور الآخرة .

وله غير ذلك : كتاب شرح أســماء الله الحسنى ، وكتاب قمع الحرص بالزهد والقناعة ، ورد ذل السؤال بالكتب والشفاعة (٢) ، وله أرجوزة جمع فيها أسماء النبى ، وله تآليف وتعاليق غير هذه ، وكانت وفاته بالمنية سنة ٦٧١ ، وترك ولده شهاب الدين أحمد ، الذى روى عن والده بالاجازة .

ابن المنير السكندرى *

علامة الاسكندرية وفاضلها ، أحمد بن محمد بن منصور ، ولد سنة ٦٢٠ ، وهو أحد الأئمة المتبحرين فى التفسير والفقه ، كما كان خطيبا مصقعا ، وله يد طولى فى الأدب وفى النظم والنثر ، تتلمذ على جماعة ، منهم ابن الحاجب ، الذى لم يجتمع به الا بعد أن حفظ مختصره فى الفقه ، ومختصره فى الأصول .

---

(١) مخطوط بدار الكتب رقم ٨٨٣و ٨٨٤ تصوف .

(٢) مخطوط بدار الكتب رقم ٢١٨ م مجاميع حديث .

* مراجعه :

١ ـ حسن المحاضرة جـ١ ص ١٤٢ .

٢ ـ فوات الوفيات جـ ١ ص ٧٢ .

٣ ـ بغية الوعاة ١٦٨ .

٤ ـ النجوم الزاهرة جـ ٧ ص ٣٦١ .

٥ ـ السلوك للمقريزى جـ ١ ص ٥٥٣ و ٧٢٧ .

٦ ـ كشف الظنون جـ ١ نهر ١٣٦ وجـ ٢ نهر ١٤٧٧ .

٧ ـ الديباج المذهب ص ٧٨ .

٨ ـ شذرات الذهب جـ٥ ص ٣٨ .

٩ ـ مفتاح لاسعادة ص ١٣٥ .

١٠ـ طبقات المفسرين للداودى ص ٣٨ .

وله تآليف حسنة ، منها تفسير للقرآن ، سماه : البحر الكبير ، فى نخب التفسير ، وقد اعترض عليه فى هذه التسمية بأن البحر الكبير مالح ، وأجيب عن ذلك بأن البحر محل العجائب والدرر . عثرت على الجزء الثالث منه بدار الكتب (١) ، فوجدته يتحدث عن المعانى اللغوية، والنواحي النحوية والصرفية ، ووجوه القراءات ، وآراء العلماء فى التفسير . والغالب عليه النقل .

أما كتابه الثانى فى التفسير ، فكتاب الانتصاف من الكشاف، الذى ألفه فى عنفوان الشبيبة ، وكتب له بالثناء عليه عز الدين بن عبد السلام ، وشمس الدين الخسروشاهى شيخ القرافى ، وغيرهما من العلماء ، وقد طبع هذا الكتاب على هامش الكشاف ، وغرض ابن المنير الأساسى من تأليفه ، الرد على الزمخشرى فى توجيهاته ، التى تتفق مع مذهب المعتزلة .

وله غير ذلك : كتاب الاقتفا فى فضائل المصطفى . عارض به الشفا (٢) للقاضى عياض ، ورتبه على قسمين : الأول فى فضائل النبى، والثانى فى سيرته ، وبسط قصة المعراج بسطا فى أربعة أبواب ، وله كتاب فى تفسير حديث الاسراء فى مجلد ، واختصر تهذيب المدونة فى فقه المالكية ، وله ديوان خطب كان مشهورا فى عصر ابن فرحون مؤرخه ، وله مناقب الشيخ أبى القاسم الغبارى أحد الصوفية ، وله شعر كشعر العلماء ، ومات بالاسكندرية سنة ٦٨٣ ، ولا يزال قبره الى اليوم بالاسكندرية فى جامع المنير .

---

(١) مخطوط رقم ٦٠ تفسير .

(٢) راجع حديثا طويلا عن هذا الكتاب فى كشف الظنون جـ٢ نهر ١٠٥٢ ، ويقول عنه بعد حديث طويل عن موضوعه ، وما ناله من العناية : وهو كتاب عظيم النفع ، كثير الفائدة ، لم يؤلف مثله فى الاسلام .

ابن النقيب *

محمد بن سليمان بن الحسن ولد بالقدس سنة ٦٢١ أو سنة ٦١١ . ولا ندرى عن ثقافته الشىء الكثير ، الا أنه كان فقيها حنفيا ، وله مشاركة تامة فى العلوم ، واشتغل أكثر دهره بالتفسير ، وكان زاهدا عابدا متواضعا أمارا بالمعروف ، قدم مصر ، فتتلمذ على بعض أساتذتها ، ودرس بالعاشورية احدى مدارس الحنفية ، وأقام مدة بالجامع الأزهر ، لست أدرى ان كان فيها مفيدا أو مستفيدا ، ثم عاد الى القدس ، وظل به حتى مات سنة ٦٩٨ .

أما كتابه فى التفسير فاسمه : التحرير والتحبير ، لأقوال أئمة التفسير ، فى معانى كلام السميع البصير ، قالوا : انه تفسير كبير الحجم ، والظاهر أن هذا التفسير كما يدل عليه عنوانه ، جمع وتحرير لأقوال أئمة التفسير ، كان له فضل جمعها ، وابداء رأيه فيها .

الدميرى الديرينى **

عبد العزيز بن أحمد بن سعيد ، فقيه شافعى وأديب ، تتلمذ لعز الدين بن عبد السلام وغيره ممن عاصره ، وغلب عليه التصوف .

---

* مراجعه :
١ ـ فوات الوفيات جـ ٢ ص ٢١٥ .
٢ ـ طبقات المفسرين ص ٣٢ .
٣ ـ الفوائد البهية ص ١٦٨ .
٤ ـ حسن المحاضرة جـ ١ ص ٢٢٠ .
٥ ـ كشف الظنون جـ ١ نهر ٣٥٨ .
٦ ـ شذرات الذهب جـ٥ ص ٤٤٢ .
٧ ـ طبقات المفسرين للداودى ص ٢٤٥ ب .

** مراجعة :
١ ـ طبقات الشعرانى جـ١ ص ١٧٦ .
٢ ـ طبقات الشافعية جـ ٥ ص ٧٥ .
٣ ـ حسن المحاضرة جـ ١ ص ١٩٧ .
٤ ـ شذرات الذهب جـ٥ ص ٤٥٠ .
٥ ـ كتابه التيسير .
٦ ـ العقد المذهب ص ١٨٩ .
٧ ـ طبقات المفسرين للداودى ص ١٢٨ .

اتخذ الريف له مقرا ، فهو يتنقل فيه من موضع الى آخر ، وكانوا يرسلون له من مصر مشكلات المسائل فيجيب عنها .

كان النظم التعليمى سهلا على الدميرى ، فنظم كتاب الوجيز فيما يزيد على خمسة آلاف بيت ، وكتاب التنبيه ، وهما فى فقه الشافعية ، ونظم السيرة النبوية (١) ، ووضع كتابا فى التصوف ، سماه : طهارة القلوب ، فى ذكر علام الغيوب .

أما آثاره فى تفسير القرآن فكتابان منظومان : أحدهما تفسير كامل للقرآن فى مجلدين ، سماه : المصباح المنير ، فى علم التفسير . والكتاب الثانى : أرجوزة فى تفسير غريب القرآن ، سماها التيسير(٢) فى علم التفسير ، بدأها بقوله :

يارب أنت المستعان، الكافى الواحد ، الفرد ، الرحيم، الشافى

ويظهر أنه نظم هذه الأرجوزة ، قبل تأليف كتابه فى التفسير ، واتخذ هذه الأرجوزة مقدمة أشبع رغبته بعدها .

قال الشعرانى : مات رضى الله عنه سنة سبع وتسعين وستمائة ، وقبره بديرين ظاهر ، يزار الى عصرنا هذا .

العلم العراقى *

عبد الكريم بن على بن عمر ، قدم والده من الأندلس ، وتزوج ابنة أبى اسحق العراقى ، شارح المهذب فى فقه الشافعية ، ولم يكن

---

(١) مخطوطة بدار الكتب رقم ١٧٦٤ تاريخ .
(٢) بدار الكتب رقم ٤٧٠ تفسير .

* مراجعة :
١ - طبقات الشافعية للسبكى جـ ٦ ص ١٢٩ .
٢ - حسن المحاضرة جـ ١ ص ١٩٧ .
٣ - نكت الهميان ص ١٩٥ .
٤ - الدرر الكامنة جـ ٢ ص ٣٩٩ .
٥ - طبقات المفسرين للداودى ص ١٤٢ .

أبو اسحق عراقيا ، وانما كان مصريا دخل العراق ، فعرف بهذه النسبة التى انتقلت الى حفيده ، وقد ولد الحفيد بمصر سنة ٦٢٣ ، ودرس العلوم الشرعية، ومهر فى الفقه والأصول والعربية والحساب ، وبرع فى الكتابة ، وكان له نظم ونثر ، وفى نكت الهميان نموذج من نظمه، وشــهر باقتداره على التعليم وصبره على الطلبة ، وأنه كان حســن الفكاهة ، ذا دعابة وتواضع ، فأقبل عليه التلاميذ من كل فج ، حتى ان أكثر من كان بمصر ممن قرأ عليه وتتلمذ له . وصار علم الدين من علماء مصر المعدودين .

وكان له فى التفسير يد باسطة ، واختصاص بتفسير الزمخشرى ، ولى مشيخة التفسير بالمنصورية بعد بهاء الدين بن النحاس ، ووضع تفسيرا للقرآن مختصرا ، وصنف مؤلفا دعاه : الانصاف ، فى مســائل الخــلاف ، بين الزمخشرى وابن المنير ، جعله حكما بين الكشــاف والانتصاف ، وقد عوتب المؤلف فى انتصاره للزمخشرى . وألف العلم العراقى شرحا للتنبيه فى الفقه ، ومات سنة ٧٠٤ .

الحديث

درس الحديث فى ذلك العصر طائفة كبيرة ، عرفت منهم زهاء ثلاثمائة محدث ، اشتغلوا بالحديث رواية ودراية ، ونعنى بالرواية العلم الذى يبحث عن كيفية اتصال الأحاديث بالرسول ، من حيث أحوال رواتها ضبطا وعدالة ، ومن حيث كيفية السند اتصالا وانقطاعا ، الى غير ذلك من أحواله . ونعنى بالدراية البحث عن المعنى المفهوم من ألفاظ الحديث ، وعن المراد منها مبنيا على قواعد اللغة ، ومطابقا لأحوال النبى (١) . وقد رأينا فيما مضى عناية نور الدين والأيوبيين بانشاء المدارس الخاصة بدراسته ، كما ألف فى هذا العصر الخليفة الناصر لدين الله ببغداد كتابا فى الحديث سماه : روح العارفين ، وسيره الى مصر والشام سنة ٦١٢ (٢) .

وقد كان الحديث مادة تدرس فى عصر الفاطميين متأثرا بمذاهب الشيعة ، وفى ذلك تقول دائرة المعارف الاسلامية (٣) : أما فيما يختص برواية السنة ، فللشيعة عدة مؤلفات فى الحديث ، تختلف اختلافا جوهريا عن كتب أهل السنة . وقد أنكروا بوجه خاص جميع الأحاديث والتقارير ، التى ترجع فى حجيتها الى الخلفاء الثلاثة الأول قبل على ، كما رفضوا الأحاديث التى تجعل عليا تاليا لهؤلاء الخلفاء . وقد عرفت بعض المحدثين فيه .

وكان أشهر رجال الحديث فى عصرنا من طبقة الفقهاء . وذلك طبيعى لاتصال الحديث بالفقه ، لأن ينبوع من ينابيع التشريع ، ولكن العناية به لم تقف عند طائفة الفقهاء فحسب ، بل رأينا كثيرا من الأدباء والمؤرخين يعنون بروايته ودراسته ، لأنه من نماذج البلاغة ، ومصدر

---

(١) كشف الظنون جـ ١ نهر ٦٣٥ .

(٢) السلوك جـ ١ ص ١٨٠ .

(٣) المجلد الثانى ، العدد الخامس ، ص ٢٨٧ .

من مصادر التاريخ ، وكثيرا ما كان يجمع رجل الحديث بين الفقه والحديث والتفسير والأدب واللغة والنحو « لأنها مواد يحتاج بعضها الى بعض .

واذا كان ابن الصلاح فى مقدمة كتابه : علوم الحديث ، يشكو من قلة اهتمام عصره بالحديث وعلومه ، فذلك بالموازنة بما سبقه من العصور ، فلسنا نجد مثلا بين رجال عصرنا من يضارع البخارى ومسلما، ولكنا نجد من بينهم من لا نكاد نسوى به أحدا جاء من بعدهم .

وكانت أمهات كتب الحديث قد وضعت قبل ذلك العصر الذى نتحدث عنه : ألف الامام مالك المتوفى سنة ١٧٩ ، كتابه : الموطأ ، ووضع الامام أحمد بن حنبل المتوفى سنة ٢٤١ ، كتابه : المسند . كما وضعت بقية المسندات أيضا ، وتمت الكتب الستة الصحيحة ، وهى : كتاب الجامع الصحيح للبخارى المتوفى سنة ٢٥٦ ، والجامع الصحيح لمسلم المتوفى سنة ٢٦١ ، والجامع الصحيح للترمذى المتوفى سنة ٢٧٩، وسنن ابن ماجه المتوفى سنة ٢٧٣ ، وسنن أبى داود المتوفى سنة ٢٧٥ ، والسنن الكبير للنسائى المتوفى سنة ٣٠٣ .

وكانت هذه الكتب أساس دراسة الحديث فى ذلك الحين ، يقرؤها الأساتذة فى دروسهم ، ويحفظها المحدثون فى صدورهم ، ويدور حولها المؤلفون .

ولكن ، هل انقطعت الرواية نهائيا فى ذلك العصر ، ولم يعد هناك رواة للحديث ينقلونه من جيل الى جيل ؟ الظاهر أن الرواية لم تنقطع، وأن من رجال هذا العصر من روى الحديث بسند متصل الى رسول الله ، كهذه الأجزاء التى وضعها ابن عساكر والسلفى والدمياطى ، وككتاب المختار فى الحديث للحافظ ضياء الدين المقدسى ، فقد صحح فيه أحاديث لم يسبق الى تصحيحها (١) . ولكن ذلك كان قليلا بالنسبة لما رصدته كتب السالفين .

(١) كشف الظنون جـ ٢ نهر ١٦٢٤ .

كانت هذه الكتب الصحاح السالفة هي الأساس لدراسة الحديث، وللتأليف فيه ، فرأينا طائفة من العلماء قد تصدت لشرح هذه الكتب ، أو اختصارها ، أو للجمع بينها ، أو اعرابها ، أو معرفة ما اتفق فيه مؤلفوها .

ورأيت في هذا العصر ولوع العالم بأن يجمع من مختاراته أربعين حديثا ، واختلفت مقاصدهم في جمعها واختيارها ، فمنهم من اختار أربعين حديثا قدسيا ، كمحيي الدين بن عربي (١) ، ومنهم من اختار أربعين حديثا ، عن أربعين شيخا ، في أربعين مدينة ، كما فعل أبو طاهر السلفي (٢) ، ومنهم من اختارها في الأحكام ، كما جمع الحافظ المنذري (٣) ، ومنهم من جمعها في فضائل القرآن ، كما فعل القرطبي، أو متعلقة بالطب ، كما فعل عبد اللطيف البغدادي ، الى غير ذلك من ألوان مختلفة .

كما تنوعت اتجاهات رجال الحديث في ذلك الحين : فمنهم من جمع أحاديث ترتبط بموضوع معين ، كما جمع المنذري أحاديث الترغيب والترهيب، أو أحاديث ذات صفة خاصة: كالثمانيةالاسناد، وهي مايرويها ثمانية ، والسباعية ، والسداسية، وغيرها ، وكطوال الأحاديث، وموضوعها ، وغريبها ، وهي الأحاديث التي ينفرد بها بعض الرواة ، أو ينفرد فيها بعضهم بأمر لا يذكره فيه غيره ، اما في متنه ، واما في اسناده (٤) . ومنهم من جمع الأحاديث التي ترتبط بالأحكام الشرعية ، ورتبها على أبواب الفقه ، كما فعل النووي ، وابن دقيق العيد ، في كتابه الالمام في أحاديث الأحكام ، صنفه في عشرين جزءا ، جمع فيه متون الأحاديث المتعلقة بالأحكام ، مجردة عن الأسانيد ، ثم شرحه ، وجمع في هذا الشرح ما جعله مؤلفا حافلا لم يصنف مثله ، ولكنه

---

(١) بدار الكتب رقم ٤٨ و ٤٩ و ٥٩٦ حديث .

(٢) كشف الظنون جـ ١ نهر ٥٤ .

(٣) بدار الكتب رقم ١٨٠٩ و ١٣٨٤ حديث .

(٤) علوم الحديث لابن الصلاح ص ١١٠ .

لم يكمله، ولو كملت نسخته لأغنت عن كل مصنف فى هذا الباب (١)، وكتب أبو عبد الله السعدى كتابا فى أحاديث الأحكام أيضا (٢) ، وصنف أبو شامة كتابا فى مجلدين تكلم فيه على الأحاديث المستنبط منها الأحكام (٣) . واتجاه بعض الفقهاء هذا الاتجاه يدفعهم الى مرتبة الاجتهاد .

ومن العلماء من وقف عند حد تفسير حديث أو عدة أحاديث ، أو شرح أحاديث كتاب معين ، كما فعل أبو شامة فى شرحه أحاديث كتاب الوسيط فى الفقه، ومنهم من ذكر لكل صحابى ما له من الأحاديث.

أما علوم الحديث ، وهى ما تبحث فى أحوال السند ، فتعنى به عناية تامة من حيث اتصاله وانقطاعه ، وقوة رجاله أو ضعفهم ، وفى نقد المتن من حيث صحته وشذوذه ، أو تحريفه أو تصحيفه (٤) — فقد ظفرت فى هذا العصر بمؤلف عد مرجعا فى هذا الشأن منذ تأليفه، وهو كتاب ابن الصلاح ، الذى كشف عن مشكلاته الأبية ، وأحكم معاقده ، وقعد قواعده ، كما قال مؤلفه فى صدر كتابه وسنتحدث عنه بسعة .

وترك لنا هذا العصر أيضا منظومة فى هذه العلوم ، وهى منظومة ابن فرح التى تعرف بالغرامية؛ لأن أولها : غرامى صحيح ، وهى منظومة لامية فى ثلاثين بيتا ، اشتملت على أهم ألقاب الحديث ، وعنى بها كثير من العلماء فشرحها ، كما ألف ابن دقيق العيد كتابا فى ذلك ، وسماه : الاقتراح فى بيان الاصطلاح (٥) .

أما أشهر محدثى هذا العصر فهم :

---

(١) راجع الطالع السعيد ص ٣٢٢ ، وطبقات الشافعية ج ٦ ص ٤ ، وحسن المحاضرة ج ١ ص ١٤٣ ، وفوات الوفيات ج ٢ ص ٢٤٤ ، وكشف الظنون ج ١ نهر ١٥٨ .

(٢) فوات الوفيات ج ٢ ص ٢٣٨ .

(٣) طبقات الشافعية ج ٥ ص ١٥١ ، ووفيات الأعيان ج ٢ ص ٣٦٠ ، وكشف الظنون ج٢ نهر ٧٥٩ .

(٤) راجع دائرة المعارف الاسلامية الجزء ٢ العدد ٥ تعليق الأستاذ أمين الخولى على مادة حديث .

(٥) فوات الوفيات ج ٣ ص ٢٤٤ .

ابن عساكر *

أبو القاسم على بن الحسن بن هبة الله ، ولا أعلم كيف جاءته هذه الكنية فان مؤرخيه لا يعرفون أحدا من جدوده يسمى عساكر ، ولكنه اشتهر بذلك فى التاريخ ، هو وأبناء أسرته .

ولد بدمشق ، فى أوائل عصر الحروب الصليبية ، أول المحرم سنة تسع وتسعين وأربعمائة (سبتمبر سنة ١١٠٥) ، وتلقى ثقافته الأولى فى الفقه والحديث بدمشق ، فأخذ فيها عن جماعة ، منهم والده وأخوه ضياء الدين ، ثم رحل الى بغداد سنة عشرين وخمسمائة ، وأقام بها خمس سنين ، يدرس بالمدرسة النظامية ، فأكمل دراسته فى الفقه ، وعلق مسائل الخلاف ، كما درس النحو هناك ، ولم يكتف فى الحديث بما وصل اليه ، بل رحل فى طلبه الى أمهات مدن العراق وخراسان والجزيرة والشام والحجاز ، فمضى فى رحلته الى الشرق ، حتى وصل الى مرو الشاهجان ، كما سمع بالكوفة ، ومكة ، والمدينة ، وأكثر من

---

* مراجعه

١ - وفيات الأعيان جـ١ ص ٣٣٥ .
٢ - معجم الأدباء جـ ١٣ ص ٧٣ .
٣ - طبقات الشافعية الكبرى للسبكى جـ٤ ص ٢٧٣ .
٤ - الروضتين جـ ١ ص ١٠ و ص ٢٦١ .
٥ - طبقات الحفاظ للسيوطى جـ٢ ص ٤٣ .
٦ - دائرة المعارف الاسلامية جـ١ العدد ٤ ص ٢٣٧ .
٧ - الخريدة للعماد الأصفهانى المصورة جـ١ ص ٤٧ .
٨ - تنبيه الطالب وارشاد الدارس جـ١ ص ٧٣ .
٩ - شذرات الذهب جـ٤ ص ٢٣٩ .
١٠- النجوم الزاهرة جـ٥ ص ٥٦ ، وجـ٦ ص ٧٧ .
١١ - كشف الظنون جـ١ نهر ٥٤ و ٥٥ و٥٧ و ١٠٣ و ٢٤٠ و ٩٧٤ و ٢٩٤ و جـ٢ نهر ١٧٣٦ .
١٢- تذكرة الحفاظ للذهبى جـ٤ ص ١٢٢ .
١٣- ذيل الروضتين ص ١٣٦ .
١٤- البداية والنهاية جـ١٢ ص ٢٩٤ .
١٥- مفتاح السعادة ص ٦٤ .
١٦- طبقات الشافعية لابن قاضى شهبة ص ٣٧ .
١٧- دول الاسلام جـ٢ ص ٦٢ .

الأخذ عن العلماء ، حتى صارت عدة شيوخه ألفا وثلاثمائة شيخ ، ومن النساء بضعا وثمانين امرأة ، وكان موضع اعجاب أساتذته وتقديرهم ، قال عنه أحد أساتذته : ما كنا نسمى الشيخ أبا القاسم ببغداد ، الا شعلة نار ، من توقده وذكائه وحسن ادراكه ، وقال البغداديون : قدم علينا من دمشق ثلاثة ما رأينا مثلهم : الشيخ يوسف الدمشقى ، والصائن أبو الحسين هبة الله بن الحسن ، وأخوه أبو القاسم . وكذلك قدره الخراسانيون أيضا .

وعاد ابن عساكر الى الشام ، وقد أصبح من كبار فقهاء الشافعية ، متفردا فى الحديث وعلومه ، متقنا لما حفظه من الأحاديث متنا وسندا ، متثبتا مما يحفظ ، ومحتاطا فيما يأخذ .

وقضى أبو القاسم بعد عودته الى دمشق ، زهاء أربعين عاما ، فى الجمع ، والتصنيف ، والمطالعة ، والتسميع ، حتى فى نزهه وخلواته ، ويحاسب نفسه على كل ساعة تمضى بدون عمل ، حتى جمع فى الحديث مالم يجمعه غيره .

وقد عرف له سلطانا عصره مكانته ، أما نور الدين فقد بنى له دار الحديث بدمشق ، ووكل اليه أمرها ، وكان ابن عساكر يسمع نور الدين فى مجالسه حديث رسول الله ؛ وأما صلاح الدين فكان يقدره عظيم التقدير ، وكان الحافظ يحضر مجلسه ، ولما مات حضر السلطان الصلاة عليه ، ومشى فى جنازته . ومات ابن عساكر ليلة الاثنين ، الحادى والعشرين من رجب ، سنة احدى وسبعين وخمسمائة .

وكان يدين بمذهب الأشعرى وينافح عنه ، وألف فى ذلك كتابا ، سماه : تبيين (١) كذب المفترى ، فيما نسب الى أبى الحسن الأشعرى ، رد به على الحسن بن على الأهوازى الدمشقى المتوفى سنة ٤٤٦ هـ ، وكان يكره مذهب الأشعرى ويضعفه .

---

(١) الكتاب مطبوع ، نشره المقدسى .

أما آثاره العلمية فعدد ضخم ، ويمكن تقسيمها أربعة أقسام بحسب موضوعها ، فأغلبها موضوعات حديث ، ثم كتب فى التاريخ ، فكتاب فى علم الكلام ، وآخر فى الأدب .

وتتألف كتبه فى الحديث من مجموعات اختارها أو رواها ، فله أحاديث رواها مثلا عن جماعة من كفر سوسية ، وأخرى عن جماعة من أهل حرستا ، ووضع كتابا جمع فيه بين سنن أبى داود وجامع الترمذى والنسائى ، ورتبه على حروف المعجم ، ودعاه : الاشراف على معرفة الأطراف (١) ، وكتابا فى اثنين وسبعين جزءا ، جمع فيه ما اتفق عليه شيوخ الأئمة الثقاة فى الحديث . وله كتب تتناول أحاديث ذات غرض واحد ، مثل كتاب المستقصى فى فضائل المسجد الأقصى ، الذى اشتمل على ما جاء من الحديث فى بيت المقدس (٢) ، وكتاب فضل عاشوراء والمحرم فى ثلاثة أجزاء ، وفضائل مقام ابراهيم ، وتبيين الامتنان بالأمر بالاختتان (٣) — أو ذات صفة خاصة كالأحاديث الخماسية الأسناد ، أو السداسية ، أو السباعية ، أو المسلسلات ، وقد جمعها فى عشرة أجزاء ، وله أمال فى الحديث ضخمة ، كما جمع عدة أنواع من الأربعينيات ، فاقتدى بالسلفى فيما جمعه من أربعين حديثا ، سمعها فى أربعين بلدا ، نقلها عن أربعين شيخا ، وزاد على ما أتى به من الغرابة ، بأن جعلها عن أربعين من الصحابة ، كما جمع أربعين حديثا فى الجهاد ، دفعه الى جمعها بلا ريب هذا الصراع العنيف ، بين المسلمين والصليبيين فى عهده ، وجمع أربعين حديثا من الطوال فى ثلاثة أجزاء . وروى فى أجزاء معينة الأحاديث التى رواها صحابى بعينه . وله ، بدار الكتب ، كتاب كشف المغطى ، فى فضل الموطا (٤) .

---

(١) بدار الكتب رقم ٣٣ حديث .

(٢) بالخزانة التيمورية منه الأجزاء ١٢ — ١٥ .

(٣) مخطوط بدار الكتب رقم ١٥٧ م حديث .

(٤) بدار الكتب رقم ب ٢٣٢٧٥ و ٢٣٢٧٦ و ٢٣٢٧٧ .

أما كتبه التاريخية ، فأشهرها مدينـــة دمشق (١) ، فى ثمانين مجلدا ، وهو من أعظم المفاخر فى التاريخ ، وضعه على نسق تاريخ بغداد ، لأبى بكر الخطيب ، وقد عنى العلماء بهذا الكتاب ، فمنهم من جعل ذيولا أهمها ذيل القاسم ولد المصنف ، وذيل عمر بن الحاجب . ومنهم من اختصره كأبى شامة ، وابن منظور صاحب لسان العرب ، وارجع اذا شئت الى كتاب كشف الظنون ج ١ نهر ٢٩٤ ، لترى ما لهذا الكتاب من ذيول ومختصرات .

ولابن عساكر غيره ، كتاب المعجم وهو خلاصة لمشهورى الرجال ، وبخاصة الشافعية ، ولهذا الكتاب ذيل لمحمد بن عبد الواحد المقدسى المتوفى سنة ٦٤٣ هـ ، كما وضع معجما فى اثنى عشر جزءا ترجم فيه لأساتذته الذين سمع منهم أو أجازوا له ، ومعجما خاصا بمن سمع منه من النساء ، وألف معجما للصحابة ، وكتابا فيمن نزل المزة وحدث بها ، وآخر فى أربعة أجزاء لمن وافقت كنيته كنية زوجته ، وغيرهما فى خمسة عشر جزءا تحدث فيه عن مناقب الشبان ، ومعجما فى جزء لأسماء القرى والأمصار التى سمع بها ، الى غير ذلك من كتب التراجم .

وأملى ابن عساكر سبعة مجالس فى فضائل الصديق ، رضى الله عنه ، ثم أكملها بأربعة أخرى ، بعد أن كان قد قطع سلسلة أماليه ، باملاء مجالس فى ذم اليهود وتخليدهم فى النار ، ثم أملى فى كل واحد من الخلفاء أحد عشر مجلسا .

ووضع ابن عساكر فى علم الكلام كتابا ، سماه : كذب المفترى ، فيما نسب الى أبى الحسن الأشـــعرى ، وهو من الكتب المهمة فى موضوعه ، حتى قالوا : ان كل سنى لا يكون عنده ذلك الكتاب ، فليس من نفسه على بصيرة ، وقد بينا فيما مضى سبب تأليفه . أما كتابه فى الأدب فيسمى بالأطراف الأدبية .

---

(١) من الكتاب نسخ خطية بدار الكتب رقم ٤٩٢ و ٣٢٧١ و ١٧ م و ٤٣ م تاريخ . ومنه نسخة بالمكتبة التيمورية فى ٤٨ مجلدا ، منها مجلد خاص بفهرس الأعلام الواردة فى الكتاب (رقم ١٠٤١ تاريخ) .

وكان ابن عساكر يقول من الشعر ما لا يبلغ درجة الجودة ، وتجد نماذج كثيرة من شعره فى كتاب خريدة القصر ، وكتاب معجم الأدباء لياقوت .

كان ابن عساكر هذا أنبغ أسرته ، الذين عرف التاريخ منهم أخاه الفقيه المحدث هبة الله ، وولده القاسم ، وولدى أخيه محمد ، وهما : الحسن وكان محدثا ، وعبد الرحمن وكان مدرسا فقيها محدثا .

أبو طاهر السلفى *

فى جروان ، احدى محال مدينة أصبهان ، من بلاد الفرس ، ولد المحدث العظيم أحمد بن محمد بن أحمد السلفى ، لقب بذلك جد له يسمى ابراهيم ، نسبة الى سلفه ، بكسر ، السين ، وفتح اللام والفاء ، وفى الآخر هاء ، وهو لفظ أعجمى ، قيل معناه : غليظ الشفة ، وقيل معناه : ثلاث شفاه ، لأن شفة له كانت مشقوقة ، فصارت مثل شفتين .

تلقى دراسته الأولى بأصبهان ، فأخذ الحديث عن كثير من علمائها ، وفى سنة ثلاث وخمسمائة ، رحل الى بغداد ، حيث أخذ الحديث ، ودرس الفقه ، واللغة ، ثم حج وسمع بالحرمين ، وطوف بالبلاد فى

---

* مراجعه :

١ - وفيات الأعيان ج ١ ص ٣١ .
٢ - النجوم الزاهرة جـ٦ ص ٨٧ و ١٢٧ .
٣ - طبقات الشافعية الكبرى للسبكى جـ٤ ص ٤٣ .
٤ - طبقات المفسرين للسيوطى ص ٥٦ .
٥ - طبقات الحفاظ للسيوطى جـ٢ ص ٣٩ .
٦ - حسن المحاضرة ج ١ ص ١٦٥ .
٧ - ديوان ابن سناء الملك ص ١٠٤ .
٨ - الكامل لابن الأثير ج ١١ ص ٢١٢ .
٩ - شذرات الذهب لابن العماد ج ٤ ص ٢٥٥ .
١٠- تذكرة الحفاظ للذهبى جـ٤ .
١١- كشف الظنون ج ١ نهر ٥٤ و ٣٩٨ ، وج ٢ نهر ٥٨٧ ، وج ٣ نهر ٩٨٢
١٢- البداية والنهاية ج ١٢ ص ٣٠٧ .
١٣- كتبه .
١٤- دول الاسلام جـ٢ ص ٦٥ .

طاب الحديث ، وانتهى به المطاف الى دمشق ، سنة تسع وخمسمائة ، حيث أقام بهـا عامين ، ثم مضى الى صـور ، وركب البحر الى الاسكندرية ، فجاءها سنة احدى عشرة وخمسمائة . وظل مقيما بها ما بقى من عمره الطويل ، لم يغادرها الا مرة واحدة ، حين خرج الى مصر ، يسمع الحديث من أساتذتها ، ثم عاد الى الثغر ولم يفارقه .

عاش السلفى فى الاسكندرية ، موفور الكرامة ، مرعى الحرمة ، فى عصر الفاطميين والأيوبيين .

درس السلفى الفقه على مذهب الشافعي ، ولكن السـبكى فى طبقاته ، مع اعترافه له بالحـديث ، لا يعترف له بالفقه ، وأورد له فتوى اعترض عليها .

ويذكر له مؤرخوه أيضا ، معرفته باللغة ، وتجـويده القرآن بالروايات ، وبراعته فى الأدب ، وأنه كان ينظم الشعر .

أما العلم الذى نبغ فيه السلفى ، وأصبح به علما بين معاصريه ، فهو علم الحديث الذى طاف من أجله البـلاد ، وامتاز فيه بالاتقان والحفظ والنقد والتثبت ، ولم يكن فى مصر من يضارعه فى ذلك ، بل لقد تفرد بهذه المعرفة فى العالم الاسلامى كله ، بعد وفاة ابن عساكر .

وكان السلفى مغرما بجمع الكتب ، ينفق عليها الكثير من ماله ؛ حتى جمع منها عددا ضخما ، وكتب منها بخطه الشىء الكثير .

وظل السلفى قائما بمدرسته ، على دراسة الحديث ونشره ، حتى مات فجأة، يوم الجمعة، ٥ من ربيع الآخر، سنة ست وسبعين وخمسمائة، ودفن بالاسكندرية . وترك مؤلفات فى التاريخ والحديث . أما مؤلفاته فى التاريخ فهى : تراجم لأساتذته ، دعاها : معاجم شيوخه . وأما فى الحديث فله مختارات جمعها ، تزيد على مائة جزء ، وله جزء جمع فيه ما رواه من أحاديث ، وكتاب دعاه الأربعين البلدانية ، جمع فيه أربعين حديثا ، عن أربعين شيخا ، فى أربعين مدينة ، وجمع فى كتاب آخر أربعين حديثا ، رواها عن القاضى أبى النصر محمد بن على بن عبد الله

ابن ودعان حاكم الموصل ، قال فيه : وقد خرجت أسانيد هذه الأخبار وجمعتها ، حتى كملت اربعين حديثا ، وتتبعت السماعات الى أن صحت، رجاء المثوبة من الله تعالى ، لحصول الانتفاع بها ، والتأدب بآداب الله تعالى . وآداب نبيه صلى الله عليه وسلم . وفى الكتاب كثير من خطب رسول الله (وهو بدار الكتب ، مخطوط رقم ١٢٣ م و ١٢٥٦ و ١٥٦٩ حديث) ، كما أن له مجموعة أخرى من الأحاديث السداسية الأسـانيد .

عبد الغنى المقدسى *

فى سنة احدى وأربعين وخمسمائة ، وفى قرية جماعيل احدى قرى مدينة نابلس ، ولد الحافظ عبد الغنى بن عبد الواحد ، ولم يكد يبلغ العاشرة حتى جاء الى دمشق ، حيث ظل الى أن بلغ العشرين من عمره ، يدرس الحديث ، ثم رحل الى بغداد ، هو وابن عمته المـوفق ابن قدامة ، الذى صار فيما بعد علما من أعلام الحنابلة ، وأقاما ببغداد أربع سنين ، يأخذان عن أساتذتها الفقه ، والخلاف ، والحديث ، ثم عاد الحافظ الى دمشق ، ولم يبق بها طويلا ، فغادرها راحلا الى مصر والاسكندرية ، حيث أخذ عن عبد الله بن برى والسلفى ، ولم تقف

---

* مراجعة :

١- طبقات الحفاظ للسيوطى جـ ٢ ص ٥٠ .
٢- طبقات الشافعية الكبرى للسبكى جـ٤ ص ٢٧٦ .
٣ - النجوم الزاهرة جـ ٦ ص ١٨٥ .
٤ - ذيل الروضتين لأبى شامة ص ١٦ و ٤٦ .
٥ - حسن المحاضرة جـ١ ص ١٦٥ و ٢٢٨ .
٦ - شذرات الذهب جـ ٤ ص ٣٤٥ .
٧ - تذكرة الحفاظ للذهبى جـ ٤ ص ١٦٥ .
٨ - كشف الظنون جـ ٢ نهر ١١٧١ .
٩- المنهج الأحمد جـ٢ ص ٣٢٤ .
١٠- طبقات الحنابلة لابن رجب ص ١٦ .
١١- فهارس دار الكتب فى الحديث ومصطلحه .
١٢- كتبه .
١٣- البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٣٨ .

رحلاته عند هذا الحد ، بل سافر الى آصبهان وهمدان والموصل وغيرها ، يطلب الحديث ويسعى اليه ، وانتهى به المطاف الى دمشق ، وأخذ يلقى الحديث فى جامعها ، وقد صار فى هذه المادة علما ممتازا، لا يخشى بأس السلطان ، ولا أولاد السلطان ، قد منحه الله هيبة على أن يواجههم بالحق ، وهذا كله مضاف الى كرم مفرط ، وايثار على النفس .

ظل الحافظ يقرأ الحديث بجامع دمشق ، ثم جاء الى مصر يدرس بها الحديث .

وعاش الحافظ عبد الغنى ضنينا بوقته ، يقضيه كله فى العبادة، وتلقين القرآن ، والحديث ، والتأليف ، حتى مرض ، ومات يوم الاثنين، الثالث والعشرين من ربيع الأول سنة ستمائة .

ألف الحافظ عبد الغنى كتبا تزيد على الأربعين ، منها فى الحديث: كتاب المصباح (١) ، فى عيون الأحاديث الصحاح ، فى ثمانية وأربعين جزءا ، ونهاية المواد ، من كلام خير العباد ، فى مائتى جزء ، وتحفة الطالبين ، فى الجهاد والمجاهدين ، فى أحد عشر جزءا .

ومنها فى الفقه : كتاب الأحكام ، على أبواب الفقه ، فى ستة أجزاء، وكتاب العمدة (٢) فى الأحكام ، مما اتفق عليه البخارى ومسلم ، وفى تاريخ رجال الحديث : كتاب الكمال (٣) ، فى معرفة الرجال ، وهو مشتمل على رجال الصحيحين وأبى داود والترمذى والنسائى وابن ماجه فى عشرة مجلدات ، وكتاب تبيين الاصابة ، لأوهام حصلت فى الصحابة ، وفى شرح الحديث : كتاب غنية الحفاظ ، فى تحقيق مشكل الألفاظ ، فى مجلدين ، وفى أصول الدين : وضع كتاب الاقتصاد فى الاعتقاد ، وكتاب الصفات . كما ألف سيرة للنبى ، وكتابا جمع مناقب

---

(١) بدار الكتب الجزء الثالث عشر ، وهو مخطوط بخط مؤلفه ، على ما يظهر ، رقم ١٩٠٥ حديث .

(٢) مخطوط بدار الكتب رقم ٣٣١ و ٣٣٢ و ٧٨٤ و ٨٤٣ و ١٠١٤ وله شروح بدار الكتب .

(٣) بدار الكتب رقم ٥٥ مصطلح الحديث ، وللحافظ عبد الغنى كتاب آخر بدار الكتب هو النصيحة فى الأدعية الصحيحة ، مخطوط رقم ٧٥٨ و ١٢٦ م حديث .

عمر بن عبد العزيز ، وآخر أرخ فيه محنة الامام أحمد ، فى ثلاثة أجزاء ، الى غير ذلك .

هذا وقد وضع الحافظ ضـياء الدين المقدسى ، سـيرة لأخيه عبد الغنى ، فى جزأين وكان الحافظ ضياء الدين نابغة فى الحديث ، ومن كبار الرجال فيه . وهو بانى المدرسة الضيائية بدمشق ، كما سبق أن ذكرنا .

ابن الصلاح *

فى قرية شرخان ، القريبة من شهرزور ، احدى مدن خراسـان ، وفى عام سبع وسبعين وخمسمائة ، ولد عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان ، الذى لقب بتقى الدين ، وعرف بابن الصلاح ، لقب والده الذى كان أحد مشايخ الأكراد المشار اليهم ، وقد عنى أبوه بثقافته أيما عناية، حتى صار أحد فضلاء عصره ، فى التفسير ، والحديث ، وأسماء الرجال، وما يتعلق بعلم الحديث ، واللغة ، والنحو . وامتاز فى الفقه بسداد الفتاوى ، حتى كان العمدة فى زمانه على فتاويه ، كما نبغ فى علوم الحديث ، حتى أصبح لفظ الشيخ اذا أطلق فى هذا العلم ينصرف اليه ، والى ذلك أشار العراقى المتوفى سنة ٨٠١ هـ فى ألفيته فى مصطلح الحديث ، اذ يقـول :

---

* مراجعه :

١ ـ وفيات الأعيان جـ ١ ص ٣١٢ .
٢ ـ طبقات الشافعية للسبكى جـ٥ ص ١٣٧ .
٣ ـ طبقات الحفاظ للسيوطى جـ ٢ ص ٥٨ .
٤ ـ النجوم الزاهرة جـ ٦ ص ٢٨٠ و ٣٥٤ .
٥ ـ ذيل الروضتين ص ١٨٥ . ٦ ـ شذرات الذهب جـ ٥ ص ٢٢١
٧ ـ تنبيه الطالب وارشاد الدارس جـ ١ ص ٢٠ .
٨ ـ تذكرة الحفاظ جـ ٤ ص ٢٢١ .
٩ ـ فوات الوفيات جـ٢ ص ١٨٢ .
١٠ـ كشف الظنون جـ٢ نهر ١١٦١ و ١٨٣٠ و ١٢١٩ .
١١ـ علوم الحديث له .
١٢ـ البداية والنهاية جـ ١٣ ص ١٤٣ .
١٣ـ طبقات الشافعية لابن هداية ص ٨٤ .
١٤ـ الأنس الجليل جـ٢ ص ٤٤٩ . ١٥ـ دول الاسلام جـ٢ ص ١١٣ .

وكلما أطلقت لفظ الشيخ ما   أريد الا ابن الصلاح منهما

ودرس بالرواحية ، وعند مابنى الأشرف بن العادل دار الحديث فوض تدريسها اليه ، واشتغل الناس عليه بالحديث فيها ، وظل فى مشيخة هذه المدرسة ثلاث عشرة سنة ، وحينما أنشأت ست الشام بنت أيوب المدرسة الشامية الجوانية ، درس بها كذلك فكان يقوم بالتدريس فى هذه المدارس الثلاث ، من غير اخلال بشىء منها الا لعذر ضرورى لا مفر منه .

وكان ابن الصلاح لا يحب الخوض فى العقائد الدينية ، ولا يميل الى التعمق فى درسها ، ومن أجل ذلك ما كان يمكن أحدا فى دمشق ، من قراءة المنطق والفلسفة ، والحكام يطيعونه فى ذلك .

وظل تقى الدين قاسما وقته بين التعليم والتأليف ، حتى توفى يوم الأربعاء ، الخامس والعشرين من ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعين وستمائة ، بدمشق ، ووصف أبو شامة مشهد جنازته ، وما كان بها من جمع حاشد .

وقد روى عن ابن الصلاح خلق كثير ، ومن أنبغ من أخذ عنه ابن رزين ، وابن خلكان ، وأبو شامة .

وألف ابن الصلاح فى الحديث والفقه . أما فى الحديث فقد شرح صحيح مسلم ، وألف كتابا فى علوم الحديث ، عرف بمقدمة ابن الصلاح ، نال شهرة واسعة ، وصار أصلا من أصول دراسة هذا العلم (١) .

وفى الفقه ألف كتاب مناسك الحج ، وهو كتاب مبسوط جمع فيه أشياء حسنة ، يحتاج اليها الناس ، واعترض على كتاب الوسيط فى الفقه للغزالى ، وصنع فى ذلك مجلدا كبيرا ، سماه : مشكل الوسيط ، وجمع بعض أصحابه فتاويه فى مجلد ، قال عنه صاحب كشف الظنون : انها من محاسنه . كما وضع طبقات للشافعية ، اختصرها النووى كما سيأتى :

---

(١) منه نسخة خطية ، كتبت فى حياة المؤلف وقرئت عليه ، وهى بمكتبة بلدية الاسكندرية رقم ١٩٦٤ ده .

وله بمكتبة الأزهر أمالى ابن الصــلاح (رقم (٣٧٤٩) ٩٠٣٠ حــديث) .

عبد العظيم المنذرى *

ولد بمصر ، فى غرة شعبان ، سنة احدى وثمانين وخمسمائة ، وقرأ القرآن بالسبع وتأدب ، ودرس النحو ، وتفقه ، ثم طلب الحديث، فرحل من أجله الى مكة ، والمدينة ، ودمشق ، وحران ، والاسكندرية، والرها ، وبيت المقدس ، حتى صار أحد الحفاظ المشهورين .

ولما عاد الى مصر درس بالجــامع الظــافرى ، ثم ولى مشيخة دار الحديث الكاملية ، وظل ملازما لها ينشر العلم بها عشرين عاما ، وكان عز الدين بن عبد السلام يحضر مجلسه ولا يحدث ، كما كان عبد العظيم يحدث ولا يفتى . ومن أشــهر تلاميذه ابن خلكان . وابن دقيق العيد، وعبد المؤمن الدمياطى .

وتوفى عبد العظيم بمصر ، سنة ست وخمسين وستمائة ، وترك كتبا عديدة فى الحديث : اختصر سنن أبى داود فى كتاب سماه المجتبى (وهو بدار الكتب [1] رقم ١٤٤٤ و ١٩ حديث) ووضع عليه حواشى مفيدة ، واختصر صحيح مسلم (بدار الكتب رقم ٤٧٦ و ٤٧٧ و ٧٥٢

---

* مراجعه :

١ - طبقات الشافعية للسبكى جـ٥ ص ١٠٨ .
٢ - كشفت الظنون جـ١ نهر ١٢٨ و جـ٢ نهر ١٧٣٥ .
٣ - طبقات الحفاظ للسيوطى جـ٢ ص ٥٩ .
٤ - حسن المحاضرة جـ١ ص ١٦٦ .
٥ - بدائع الزهور لابن اياس جـ ١ ص ٩٥ .
٦ - المختصر فى أخبار البشر جـ٣ ص ١٩٧ .
٧ - السلوك للمقريزى جـ ١ ص ٤١٢ .
٨ - النجوم الزاهرة جـ٧ ص ٦٨   ٩ - شذرات الذهب جـ٥ ص ٢٧٧
١٠- تذكرة الحفاظ للذهبى جـ٤ ص ٢٢٨ .
١١- فهارس دار الكتب .   ١٢- كتبه .
١٣- ذيل الروضتين ص ٢٠١ .
١٤- البداية والنهاية جـ ١٣ . ص ٢١٢ .
١٥- طبقات الشافعية لابن قاضى شهبة ص ٥١ب .
١٦- دول الاسلام جـ٢ ص ١٢٣ .

(١) فى مكتبة بلدية الاسكندرية نسخة عنوانها مختصر سنن ابى داود رقم ٨١٤ب.

حديث) كما اختصر سنن الخطيب البغدادى (بدار الكتب رقم ٤٨٥ حديث) وجمع بين الصحيحين فى كتاب ، منه جزء مخطوط بدار الكتب (رقم ١٤٥٢ حديث) وجمع عدة أربعينيات : منها أربعون حديثا فى الأحكام (بدار الكتب رقم ١٨٠٩ و ١٣٨٤ حديث) ، وأربعون فى فضل اصطناع المعروف بين المسلمين وقضاء حوائجهم (بدار الكتب رقم ١٨٢٦ حديث) ، وأربعون فى هداية الانسان ، لفضل طاعة الامام، والعدل والاحسان (بدار الكتب رقم ١٦١١ و ١٦٥١ حديث، مخطوط) . كما جمع جزءا أورد فيه ما ورد من الحديث فيمن غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر . وكتابا ذكر أنه ألفه حاويا لما تفرق فى غيره من الكتب ، خاصا بالترغيب والترهيب .

وله فى الحديث كذلك كتاب كفاية المتعبد وتحفة المتزهد (مخطوط بدار الكتب رقم ٣٧ مجاميع — حديث) وكتاب صحيح المنذرى (١) .

وعلى منهج علماء ذلك العصر ألف الحافظ المنذرى معجما لشيوخه وسوف نتحدث فى فصل التاريخ عن مزايا هذه المعاجم . كما أنه أفرد شيخ البخارى : محمد بن سلام ، بترجمة فى كتاب دعاه : الاعلام .

محيى الدين النووى *

فى محرم سنة احدى وثلاثين وستمائة ، وفى نوى من أعمال

(١) منه نسخة مخطوطة بمكتبة جامع الشيخ ابراهيم باشا رقم ٤١ .

* مراجعة :

١ - طبقات الشافعية جـ ٥ ص ١٦٥ .
٢ - السلوك جـ ١ ص ٦٤٨ .
٣ - طبقات الحفاظ للسيوطى جـ٢ ص ٦٤ .
٤ - النجوم الزاهرة جـ ٧ ص ٢٧٨ و ٣٥٨ .
٥ - بدائع الزهور لابن اياس جـ١ ص ١٢١ .
٦ - نهاية الأرب للنويرى جـ ٢٨ ص ١٢٢ .
٧ - تنبيه الطالب وارشاد الدارس جـ ١ ص ٢٣ .
٨ - شذرات الذهب جـ ٥ ص ٣٥٤ .
٩ - تذكرة الحفاظ للذهبى جـ ٤ ص ٢٥٩ .
١٠ - حسن المحاضرة جـ٢ ص٧٥ . ١١ - فهارس دار الكتب . =

حوران ، بالقرب من دمشق ، ولد الفقيه المحدث يحيى بن شرف بن موسى ، وقضى طفولته بمسقط رأسه ، حيث أولع منذ وقت مبكر بحب القرآن وحفظه .

سمع النووى فى الحديث الكتب الستة ، والمسند ، والموطأ ، وغيرهما ، وتفقه ، وقرأ اللغة ، ودرس على ابن مالك بعض مصنفاته .

وولى مشيخة دار الحديث الأشرفية ، بعد أبى شامة ، ولم يتناول من مرتبها درهما .

وكان مع الزهد والورع ، وقورا مهيبا ، لا يبالى أن يواجه بيبرس بالانكار عليه ، ان رأى سببا يدعو الى ذلك ، وكان يكثر المكاتبات اليه ، ويعظه فى أمور المسلمين . والرسائل المحفوظة له فى ذلك تدل على أنه رقيق فى نصحه ، كيس فى ارشاده ، وكان السلطان يقبل أحيانا بعض نصائحه ، وأحيانا يرفضها مهددا ، فلا يثنى هذا التهديد من النووى ، بل يعيد الكرة مرة أخرى ، متبعا طريق اللين ، ثم يعرض الى تهديد السلطان فيقول له : « وأما تهديد الرعية بسبب نصيحتنا ، وتهديد طائفة العلماء ، فليس هو المرجو من عدل السلطان وحلمه ... وأما أنا فى نفسى فلا يضرنى التهديد ولا أكثر منه ، ولا يمنعنى ذلك من نصيحة السلطان ، فانى أعتقد أن هذا واجب على، وعلى غيرى ، وما ترتب على الواجب فهو خير وزيادة ، عند الله تعالى ، انما هذه الحياة الدنيا متاع ، وان الآخرة هى دار القرار ؛ وأفوض

= ١٢ـ كتب النووى .

١٣ـ كشف الظنون جـ١ نهر ٤٩٠ و ٣٣٩ و ٤٦٥ و ٩٢ و ٥٩ و ٣٩٨ و ٥٥٠ و ٥٥٧ و جـ٢ نهر ١٢٣٠ و ٩٣٦ .

١٤ـ اكتفاء القنوع بما هو مطبوع ص ١٣١ و ١٣٢ .

١٥ـ مقدمة ابن خلدون ص ٣٨٦ و ٣٨٧ .

١٦ـ معجم المطبوعات العربية والمعربة لسركيس جـ٢ نهر ١٨٧٧ و ١٨٧٨ و ١٨٧٩ .

١٧ـ البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٧٨ .

١٨ـ طبقات الشافعية لابن هداية ص ٨٦ .

١٩ـ طبقات الشافعية لابن قاضى شهبة ص ٥٧ ب .

امرى الى الله ، ان الله بصير بالعباد ، وقد أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نقول الحق ، حيثما كنا ،والا نخاف فى الله لومة لائم » وتجد بعض هذه الرسائل بكتاب حسن المحاضرة ، واشتد مرة مع السلطان ، عندما أراد هذا أن يفرض ضرائب جديدة على الشعب ، محتجا بأعمال القتال ضد التتار ، فأبى النووى أن يوافق على ذلك ، وحدثت بينهما مشادة ، احتفظ فيها النووى برأيه ، وان أغضب بيبرس .

وبعد عمر ملىء بالتثقف ، والتعليم ، والتصنيف ، والعبادة ، توفى فى ٢٤ رجب سنة ست وسبعين وستمائة ، وهو فى الخامسة والأربعين من عمره ، ودفن ببلده نوى .

وترك النووى مؤلفات شتى ، كتبها فى زهاء خمسة عشر عاما . ويمكن تقسيمها أربعة أنواع : فى الحديث ، والفقه ، واللغة ، والتاريخ. ففى الحديث شرح صحيح مسلم بن الحجاج شرحا متوسطا مفيدا ، وسمى كتابه : المنهاج ، فى شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١) ، وقد اختصر المنهاج شهاب الدين أحمد بن عبد السلام المغافرى (٢) . وشرح قطعة من صحيح البخارى ، وسمى شرحه : تحفة البارى على صحيح البخارى (٣) . وجمع أحاديث الأحكام الفقهية فى كتاب دعاه : خلاصة الأحكام ، من مهمات السنن وقواعد الاسلام (٤) .

واقتدى برجال هذا العصر ، فجمع أربعين حديثا صحيحة ، ربما كانت أشهر ما جمع من الأربعينيات ، وقد اعتنى العلماء بشرحها وحفظها ، فكثرت شروحها ، وعدد صاحب كشف الظنون منها زهاء عشرين . وله أيضا الخلاصة فى الحديث ، لخص فيه الأحاديث المذكورة

---

(١) بدار الكتب رقم ١٤٤٦ و ١٧٤١ حديث ، وقد طبع الكتاب بمصر سنة ١٢٨٣ .

(٢) مخطوط بدار الكتب رقم ٤٩٤ حديث .

(٣) يوجد منه جزء بدار الكتب رقم ١٣٧ و ١٣٨ و ١٣٩ حديث .

(٤) مخطوط بدار الكتب رقم ٢٠٩ حديث .

فى شرح المهذب فى فقه الشافعية ، وكتـــاب رياض الصالحين (١) ، وهو مختصر جمعه من الأحاديث الصحيحة ، مشتملا على ما يكون طريقا لصاحبه الى الآخرة ، جامعا للترغيب ، والترهيب ، والزهد ، ورياضـــات النفـــوس ، وله كتاب الأذكار المنتخبة من كـــلام ســـيد الأبرار (٢) ، وكتـــاب حلية الأبرار وشعار الأخيار (٣) ، وهما مجموعتان من الأحاديث النبوية . وله كذلك حديث آداب القرآن (٤) . وكتاب الاشارات ، الى بيان الأسماء المبهمات ، أورد فيه ما وقع فى متون الأحاديث من الأسماء المبهمات (٥) .

أما فى علوم الحديث فقد أعجبته مقدمة ابن الصلاح ، فاختصرها فى كتاب سماه : الارشاد فى أصول الحديث ، ثم لخص كتابه الارشاد فى آخر ، دعاه : التقريب والتيسير ، لمعرفة سنن البشير النذير (٦) .

وفى الفقه وضع النووى كتابا عد من أصول كتب الشافعية ، هو كتاب منهاج الطالبين (٧) ، الذى اختصره زكريا الأنصارى فى كتابه منهج الطلاب (٨) ، ووضع كتبا منثورة ، فكتاب الايضاح فى مناسك الحج ، وكتاب فى فضل القيام لأهل العلم ، والحـــديث ، والزهاد ، والعباد ، والصلحاء ، والقراء (٩) . وجمع فتاويه فى كتابين : كبير وصغير (١٠) . وله كذلك متن يدعى متن المجموع (١١) ، وكتاب روضة الطالبين ، وعمدة المفتين (١٢) .

---

(١) بدار الكتب رقم ب ٢١٢٩٢ و ٢١٢٩٣ و ٢٢١ وطبع بمكة ومصر رقم ١٣٤١ و ١٩٢٩ حديث .

(٢) بدار الكتب رقم ب ٢١٢٩٢ و ٢١٣٩٣ .

(٣) مخطوط بدار الكتب رقم ٨ و ٩ و ١٠ ، ومطبوع رقم ٢٠١٠ و ٢٠١١ حديث .

(٤) بدار الكتب رقم ٥٤٥ مجاميع حديث .

(٥) بدار الكتب كتاب له اسمه الاشارات الى ضبط الألفاظ المشكلات مخطوط رقم ١٤١٩ حديث .

(٦) بدار الكتب رقم ٢٠٧٢٠ مصطلح الحديث .

(٧و٨) الكتابان مطبوعان بمصر سنة ١٣١٤ وسنة ١٣٠٨ .

(٩) مخطوط بدار الكتب رقم ٧٤م مجاميع .

(١٠) له بمكتبة معهد دمياط فتاوى فى مجلد واحد رقم ٥ فقه .

(١١) بمكتبة معهد دمياط رقم ٩ فقه .

(١٢) منه نسخة خطية بمكتبة الأزهر رقم ١٢٤ (١٢٠٤) فقه شافعى .

وللنووى كتاب سماه : التبيان فى آداب حملة القرآن . وله كتاب تهذيب الأسماء واللغات (١) ، وفى التاريخ وضع كتبا ترتبط بفنيه : الفقه والحديث ، فاختصر طبقات الشافعية (٢) التى وضعها ابن الصلاح: رتبها على حروف المعجم ، ولاحظ الترتيب أيضا فى أسماء الآباء والأجداد ، وبدأ بالمحمدين ، ثم بالأحمدين ، وزاد أشياء لم يذكرها الأصل . ووضع مناقب الشافعى فى كتاب . واختصر كتاب أسد الغابة فى معرفة الصحابة . ووضع كتاب رياض الصالحين فى ذكر رجال الصحيحين (٣) .

الشرف الدمياطى *

فى بلدة تونة (٤) ببحيرة تنيس ، من أعمال دمياط ، ولد شرف الدين عبد المؤمن بن خلف بن أبى الحسن بن شرف ، فى آخر سنة

(١) مخطوط بدار الكتب رقم ٨٥ مصطلح الحديث .

(٢) مخطوط بدار الكتب رقم ٢٠٢١ و ٦٢م تاريخ .

(٣) بدار الكتب رقم ٧١م و ٧٢م حديث .

* مراجعه :

١ - فوات الوفيات جـ٢ ص ١٧ .
٢ - طبقات الشافعية للسبكى جـ٦ ص ١٤٠ .
٣ - حسن المحاضرة جـ١ ص ١٦٧ وجـ٢ ص ١٦٠ .
٤ - النجوم الزاهرة جـ٧ ص ١٢٠ وجـ٨ ص ٢١٣ و ٢١٨ .
٥ - طبقات الحفاظ جـ٢ ص ٦٥ .
٦ - الدرر الكامنة جـ٢ ص ٤١٧ .
٧ - غاية النهاية فى طبقات القراء جـ١ ص ٤٧٢ .
٨ - شذرات الذهب جـ٦ ص ١٢ .
٩ - تذكرة الحفاظ للذهبى جـ٤ ص ٢٦٨ .
١٠- كشف الظنون جـ١ نهر ٤٠٤ وجـ٢ نهر ١٧٣٥ .
١١- فهارس دار الكتب .
١٢- كتبه .
١٣- طبقات الشافعية لابن قاضى شهبة ص ٦٧ .
١٤- العقد المذهب ص ١٩٢ .

(٤) وردت فى معجم البلدان لياقوت أنها فى جزيرة قرب تنس ودمياط ، وكانت من البلاد التى يشتغل أهلها فى نسج المنسوجات القطنية والحريرية وفى صيد الأسماك وقد اندثرت ، ومكانها اليوم يعرف بكوم سيدى عبد الله ابن سلام الواقع فى جزيرة ببحيرة المنزلة ، التى كانت تسمى قديما بحيرة تنيس ، وهذه الجزيرة شرقى بلدة المطرية على بعد خمسة كيلو مترات منها .

ثلاث عشرة وستمائة ، وتلقى ثقافته الأولى بدمياط ، فدرس بها الفقه واصوله ، وقرأ القرآن بالروايات ، وأراد استكمال ثقافته ، فمضى الى الاسكندرية ، وعمره ثلاث وعشرون سنة (سنة ٦٣٦ هـ) ، وأخذ الحديث من أصحاب السلفى ، ثم قدم القاهرة ، ولازم الحافظ المنذرى، حتى صار معيدا لديه ، وحج وعمره ثلاثون عاما (سنة ٦٤٣ هـ) ، فسمع بالحرمين ، وارتحل الى الشام سنة ٦٤٥ هـ ، كما ارتحل الى بلاد الجزيرة والعراق ، وسمع جملة كبيرة من المشايخ ، يناهزون ألفا وثلاثمائة ، حتى صار من كبار حفاظ زمانه ، راسخا فى الفقه ، نحويا ، لغويا ، عالما بالقراءات ، وامتاز فى الحديث ، وأربى فى علم النسب على المتقدمين ، فهو يناقشهم ويبين أخطاءهم .

ولى الشرف الدمياطى مشيخة الظاهرية ، ثم وقع الاختيار عليه لتدريس الحديث فى المدرسة المنصورية ، وعاش موسعا عليه فى الرزق ، ذا حرمة وجلالة ، حتى توفى فجأة بالقاهرة ، بعد أن صلى عصر يوم الأحد ، خامس عشر ذى القعدة سنة خمس وسبعمائة ، وقد أربى على التسعين ، وودعته القاهرة توديعا حافلا ، ولم ينسه أهل دمشق ، بل صلوا عليه صلاة الغائب ، ودفن بمقبرة باب النصر ، وفقد العلم بموته اماما بارعا ومجودا حجة ، ومحدثا ثقة .

وله مصنفات فى الحديث ، والفقه ، واللغة والتاريخ ، منها فى الحديث جزء جمع فيه أحاديث من روايته (١) ، وجزء فيه أحاديث عوال صحاح من أماليه (٢) ، وجزء فيه أحاديث ، جمعها البرزالى ، رواية عنه (٣) ، وكتاب المتجر الصالح فى ثواب العمل الصالح (٤)، وكتاب التسلى والاغتباط بثواب من تقدم من الأفراط (٥). وكتاب كشف المغطى ، فى تبيين الصلاة الوسطى (٦) ، وكتاب

---

(١) بدار الكتب ، ضمن مجموعة مخطوطة رقم ٢٧٢٤ حديث .
(٢) بدار الكتب ضمن مجموعة مخطوطة بالرقم السابق .
(٣) بدار الكتب رقم ١٢٦٠ حديث .
(٤) مخطوطة بدار الكتب رقم ٤٧٨ و ١٢١م حديث .
(٥) مخطوط بدار الكتب رقم ١٦٠م حديث .
(٦) بدار الكتب رقم ٥٩٣ حديث .

فضـــل الخيـــل (١) ، الذى كان من رواته مؤرخ مصر : تقى الـــدين المقريزى . وجمع أربعين حديثا عن أهل بغداد ، ســـماها : الأربعـــين المتباينة الاسناد ، فى حديث أهل بغداد ، وله فى التاريخ معجم فى أربعة مجلدات ، جمع فيه مشـــايخه ، وكتاب أرخ فيه لمن اســـمه عبد المؤمن ، سماه : العقد المثمن ، ووضع ســـيرة مختصرة للرســـول الكريم ، وألف تاريخ قبائل الخزرج .

---

(١) بدار الكتب رقم ٢٨٨ فنون حربية .

الفقه

كان مذهب مالك أول ما عرفته مصر من المذاهب الأربعة ، قدم به اليها عبد الرحمن بن خالد المتوفى بالاسكندرية سنة ١٣٦ هـ ، واشتهر مذهب مالك منذ ذلك الحين ، ولم يكن مذهب أبى حنيفة معروفا فى مصر ، حتى قدم اسماعيل بن اليسع الكوفى قاضيا ، وكان يذهب الى قول أبى حنيفة (١) ، فعرفت مصر ذلك المذهب ، وان لم تقبل عليه ، ولم يزل مذهب مالك منتشرا بمصر ، حتى قدم الشافعى سنة ١٩٨ هـ ، فصحبه من أهل مصر جماعة من أعيانها وكتبوا عنه ما ألفه ، وعملوا بما ذهب اليه ، ولم يزل أمر مذهبه يقوى بمصر ، وذكره ينتشر ، وصار مذهبه ومذهب مالك يعمل بهما أهل مصر ، ويولى القضاء من كان يذهب اليهما ، أو الى مذهب أبى حنيفة ، الى أن قدم القائد جوهر سنة ٣٥٨ هـ بجيوش المعز لدين الله ، فمن حينئذ فشا فى ديار مصر مذهب الشيعة ، وعمل به فى القضاء والفتيا وأنكر ما خالفه (٢) ، وعمل الفاطميون على نشر مذهبهم ، بالترغيب حينا ، والقوة حينا آخر .

ومن أهم مظاهر الفرق بين مذهب الشيعة ومذهب أهل السنة ، أن أهل الشيعة (١) فى الآذان ينادون بحى على خير العمل ، ويجهرون بالصلاة على على بن أبى طالب ، وولديه : الحسن والحسين ، وفاطمة الزهراء . (٢) وفى صلاة الجمعة يزيدون القنوت فى الركعة الثانية . (٣) وفى الصيام يصومون رمضان ، ويفطرون ، على حساب لهم ، لا على رؤية الهلال . (٤) وفى الميراث يردون على ذوى الأرحام ، ولا يورثون مع البنت أخا ولا أختا ولا عما ولا جدا ولا ابن أخ ولا ابن عم ، وذلك كى يكون ميراث النبى قد انتقل الى ابنته فاطمة ، دون شريك لها فى ذلك من عم أو ابن عم ، وهم لا يورثون مع الولد الذكر أو الأنثى ، الا الزوج أو الزوجة والأبوين والجدة ، ولا يرث مع الأم الا من يرث مع الولد (٣) .

---

(١) خطط المقريزى جـ ٤ ص ١٤٥ . (٢) المرجع السابق ص ١٤٦ .

(٣) المرجع السابق ١٥٦ .

وجاءت الحروب الصليبية والتشيع هو المذهب الرسمى للدولة فى مصر ، وبرغم ذلك ورغم ما كان يلاقيه أهل السنة من العسف أحيانا ، لم تنقطع دراسة المذاهب الثلاثة فى مصر ، وفى كتاب حسن المحاضرة ثبت بأسماء علماء هذه المذاهب . ولما قتل الخليفة الآمر ، وولى الوزارة أحمد بن الأفضل ، أعلن مذهب الامامية والدعوة للامام المنتظر ، ورتب سنة ٥٢٥ هـ أربعة قضاة : أحدهم امامى ، والآخر اسماعيلى ، والثالث مالكى ، والرابع شافعى ، فحكم كل بمذهبه وورث بمقتضاه ، وأبطل حى على خير العمل ، فلما قتل عاد الأمر الى مذهب الاسماعيلية ، الى أن ولى الوزارة صلاح الدين سنة ٥٦٤ ، فأنشأ بمصر مدرسة للشافعية ، وأخرى للمالكية ، وصرف قضاة الشيعة كلهم ، وفوض القضاء لعبد الملك بن درباس ، فلم يستنب بمصر الا من كان شافعيا ، فتظاهر الناس بمذهب الشافعى ومالك ، واختفى مذهب الشيعة اسماعيلية وامامية ، حتى فقد من أرض مصر (١) ، وان لم تفقد عقيدة التشيع . ولما كان نور الدين محمود حنفيا ، نشر مذهب أبى حنيفة ببلاد الشام ، ومنه كثرت الحنفية بمصر ، وقدم اليها عدة من بلاد الشرق وبنى لهم صلاح الدين المدرسة السيوفية بالقاهرة، ولم يكن فى الدولة الأيوبية بمصر كثير ذكر لمذهب أبى حنيفة (٢) ، وانما كان الجمهور على مذهب الشافعى ، وعليه علماء البلاد وفقهاؤها، الا الاسكندرية فأكثر أهلها مالكيون (٣) .

أما فقهاء مذهب الامام أحمد بن حنبل فهم قليلون جدا ، قال السيوطى فى حسن المحاضرة (٤) : « ولم أسمع بخبرهم فى مصر الا فى القرن السابع وما بعده ، وذلك أن الامام أحمد رضى الله عنه كان فى القرن الثالث ، ولم يبرز مذهبه خارج العراق الا فى القرن الرابع ، وفى هذا القرن ملك العبيديون مصر ، وأقاموا مذهب الرفض والشيعة ، ولم يزولوا منها الى أواخر القرن السادس ، فتراجعت اليها

---

(١) خطط المقريزى جـ٤ ص ١٦١ .
(٢) المرجع السابق .
(٣) رحلة ابن جبير ص ٧٥ .
(٤) جـ٢ ص ٢٢٧ .

الأئمة من سائر المذاهب . وأول امام من الحنابلة علمت حلوله بمصر الحافظ عبد الغني المقدسي . ثم اشتهر مذهب أحمد بن حنبل ، ومذهب أبي حنيفة ، في آخر الدولة الأيوبية » فلما كانت سلطنة الملك الظاهر بيبرس ولى بمصر والقاهرة أربعة قضاة ، وهم شافعي ومالكي وحنفي وحنبلي (١) ، وان لم يجعل بيبرس للحنابلة نصـــيبا في مدرسته التي أنشأها (٢) ، فلما بنى قلاوون مدرسته ، جعل لكل مذهب من المذاهب الأربعة حظا في منصوريته ، ولم يبق غير هذه المذاهب الأربعة ، وعودى من تمذهب بغيرها . وأنكر عليه ، ولم يول قاض ولا قبلت شهادة أحد، ولا قدم للخطابة والامامة والتدريس أحد ، ما لم يكن مقلدا لأحد هذه المذاهب ، وأفتى فقهاء الأمصار بوجوب اتباع هذه المذاهب وتحريم ما عداها (٣) . واذا كان بعض العلماء قد وصل الى أن استقى الأحكام من أدلتها ، فقد كان اجتهادهم يجرى في دائرة المذهب الذي اختاروه لأنفسهم ، لا يرتفعون عنه الى درجة الاجتهاد المطلق .

وفي الشام عمل بمذهب الشيعة عندما كان متحدا مع مصر ، تحت سلطان الفاطميين فلما تقلص معظم هــذا الســلطان ، وجدت المذاهب الأربعة سبيلها ثانية اليه ، في وقت مبكر ، قبل عصر الحروب الصليبية، فلم يكن مذهب الشيعة معمولا به في الشام ، عندما اندلعت نيران هذه الحروب ، الا في محيط ضيق جدا ، هو البلاد التي ظلت خاضعة لنفوذ الفاطميين ، على أن تلك البلاد لم تبق الا قليلا حتى زال عنها سلطانهم ، ولم يتحد الشــام مع مصر مرة أخرى ، الا في ظل الدولة الأيوبية السنية ، واذا كان مذهب الشافعي له قصب السبق في مصر ، يليه مذهب مالك فأبي حنيفة فأحمد بن حنبل ، فان المكانة الأولى في الشام كانت لمذهب أبي حنيفة ثم للشافعي ، ويحتل مذهب ابن حنبل المرتبة الثالثة ، بينما يقل مذهب مالك في تلك الربوع .

---

(١) خطط المقريزي جـ٤ ص ١٦١ .

(٢) السلوك جـ٤ ص ٥٠٣ .

(٣) خطط المقريزي جـ٤ ص ١٦١ .

لا أستطيع أن أرسم صورة صحيحة ، لأعلام علماء الشيعة ، فى أواخر العصر الفاطمى ، ولا أكاد أعرف منهم سوى هؤلاء الذين تولوا القضاء فى تلك الحقبة من الزمن ، والذين أوردهم السيوطى فى كتابه : حسن المحاضرة (١) ، ولا أستطيع كذلك أن أرسم صورة لجهودهم العلمية ، فكثير من الكتب التى ألفت ودرست فى العهد الفاطمى ، قد دثر بانتهائها ، لحرص الدولة الأيوبية التى خلفتها ، على محو رسومها وآثارها ، فلم يعن بتداولها والتعريف عنها (٢) . ولعل علماء الشيعة اتخذوا من كتابى : الاقتصار ، والرسالة الوزيرية دستورا ، حتى فى هذا العصر ، لدراسة فقه الشيعة .

أما الكتب التى عنى بدراستها ، وكانت أسسا فى فقه الشافعية ، فأشهرها وأكثرها تداولا كتاب التنبيه (٣) لأبى اسحق ابراهيم بن على الشيرازى ، مدرس المدرسة النظامية ببغداد ، والمتوفى سنة ٤٧٦ هـ (٤)

عنى بهذا الكتاب فى مصر والشام ، فقام كثير من العلماء بشرحه ، وقد عرفت من هذه الشروح فى ذلك العصر زهاء عشرة ، منها المطيل ومنها المختصر ، كما أن أحد هؤلاء الشراح ، وهو موفق الدين حمزة ابن يوسف الحموى ، تعرض للاشكالات الواردة عليه فأجاب عنها ، ووضع النووى شرحا له كما ذكرنا (٥) ، ومن العلماء من وضع عليه تعليقات ، تبين بعض ما غمض فيه ، كعبد الرحمن الدمنهورى (٦) . وعبد المنعم بن أبى بكر بن أحمد (٧) . ومنهم من نظمه كجعفر بن أحمد ابن الحسين السراج (٨) ، وعبد العزيز الدميرى (٩) الذى وضع كتاب دقائق التنبيه .

---

(١) جـ ٢ ص ١٠٣ .
(٢) تاريخ الأزهر لعنان ص ٨٧ .
(٣) بدار الكتب رقم ٧١٥ فقة شافعى .
(٤) راجع خطط المقريزى جـ ٤ ص ١٨٢ ، وكشف الظنون جـ ١ نهر ٤٨٩ .
(٥) بدار الكتب رقم ٨٤٧ فقه .
(٦) حسن المحاضرة جـ١ ص ١٩٦ .
(٧) طبقات الشافعية جـ٥ ص ١٣٢ .
(٨) كشف الظنون جـ١ نهر ٤٩٤ .
(٩) طبقات الشافعية جـ٥ ص ٧٥ .

ولمؤلف التنبيه كتاب آخر كان موضع العناية فى هذا العصر أيضا، هو كتاب المهذب (١) الذى تم تأليفه فى جمادى الآخرة سنة ٤٦٩ ، اعتنى بشأنه فقهاء الشافعية ، وقد شرحه فى هذا العصر محيى الدين النووى ، كما ذكرنا ، وابراهيم بن منصور العراقى ، خطيب الجامع العتيق (٢)، وعلق عليه جملة من الفوائد فى مجلدين ابن أبى عصرون(٣)، كما اختصره عبد الحميد بن عيسى الخسروشاهى (٤) ، وجمع ابن منعة بينه وبين الوسيط فى كتاب ، دعاه المحيط (٥) .

وألف الغزالى المتوفى سنة ٥٥٠ كتباً ثلاثة فى الفقه ، وهى البسيط ، والوسيط (٦) ، والوجيز (٧) ، ظفر اثنان منها وهما : الوسيط والوجيز ، بعناية كبرى فى عصر الحروب الصليبية .

ومن كتب الشافعية التى درست فى هذا العصر أيضا كتاب المحرر (٨) ، للامام أبى القاسم عبد الكريم الرافعى القزوينى (٩) المتوفى سنة ٦٢٣ هـ ، وهو أحد الكتب المشهورة عندهم ، وظفر المحرر بشرح رجال هذا العصر والتعليق عليه واختصاره ، وكان من أهم مختصراته كتاب منهاج الطالبين ، الذى ألفه النووى ، فأصبح هذا المختصر من أهم الكتب التى عنى بها الشافعية، فحفظوه، وشرحوه واختصروه (١٠).

ودرس فى هذا العصر أيضا كتاب الهادى (١١) لقطب الدين النيسابورى ، المتوفى سنة ٥٧٨ هـ ، وقد شرحه أبو القاسم هبة الله ابن عبد الله القفطى ، المتوفى سنة ٦٩٧ هـ (١٢) ، وكتاب مختصر أبى شجاع ، الذى شرحه هبة الله القفطى أيضا (١٣) .

---

(١) بدار الكتب رقم ٧٧٥ فقه .
(٢) حسن المحاضرة جـ١ ص ١٩٠
(٣) بغية الوعاة ص ١٨٥ .
(٤) عيون الأبناء جـ ٢ ص ١٧٤
(٥) وفيات الأعيان جـ١ ص ٤٧٦ .
(٦) بدار الكتب رقم ٣١٣ فقه .
(٧) وفيات الأعيان جـ ١ ص ٤٦٤ .
(٨) مخطوط بدار الكتب رقم ٢٤٣ فقه شافعية .
(٩) كشف الظنون جـ١ نهر ١٦١٢ .
(١٠) المرجع السابق جـ٢ نهر ١٨٧٣ .
(١١) بدار الكتب شرح الهادى ، مخطوط رقم ١٠٢٤ فقه شافعية .
(١٢) كشف الظنون نهر ٢٠٢٦ .
(١٣) بغية الوعاة ص ٤٠٨ ، وطبقات الشافعية للسبكى جـ٥ ١٦٤ .

وعرفت البـلاد كذلك كتاب التهـذيب للبغوى ، الذى شرحه أبو شـامة المقدسى (١) ، وكتاب الحـاوى (٢) للشـيخ نجم الدين عيد الغفار القزوينى ، المتوفى سنة ٦٦٥ هـ ، وهو من كتب الشـافعية المهمة ، ونهاية المطلب (٣) فى دراية المذهب ، لامام الحرمين عبد الملك ابن عبد الله الجوينى ، المتوفى سنة ٤٧٨ هـ ، واختصره ابن عصرون ، المتوفى سنة ٥٨٥ هـ فى كتاب سماه : صفوة المذهب من نهاية المطلب ، فى سبعة مجلدات (٤) ، كما اختصره عز الدين بن عيد السلام فى كتاب سماه : الغاية (٥) ، ودرس أبو شامة بالمدرسـة الركنية مختصر المازنى، وهو ، وكتاب التنبيه ، والوسيط، والوجيز من الكتب الخمسة المشهورة بين الشافعية ، يتداولونها أكثر تداول ، وهو للشيخ اسماعيل بن يحيى المـازنى المتوفى سـنة ٢٦٤ هـ ، وهو أول من صـنف فى مذهب الشافعى (٦) .

هذا ومما كان يدرس أيضا كتاب الأم للشافعى ، وقـد اختصره يونس بن بدران الجمال المصرى ، المتوفى سنة ٦٢٣ هـ (٧) .

هذه هى جهود علماء البلاد فى دراسة كتب الشافعية الكبرى الوافدة عليهم ، وكان لبعض هذه الجهود من التقدير ما للكتب الأصلية نفسـها . على أنهم قد ساهموا كذلك بانتاجهم الخـاص ، المسـتقل، فوضعوا كتبا كثيرة فى الفقه ، لعل أهمها كتاب القواعد الكبرى (٨) ، لعز الدين بن عبد السلام ، قال فى كشف الظنون عنه (٩) : « وليس لأحد مثله ، وله القواعد أيضا ، ونهاية الاختصار » .

وساهم ابن أبى عصرون فى الانتاج مساهمة كبرى ، فوضع مآخذ النظر (١٠) .

---

(١) ذيل الروضتين ص ٤٠ .
(٢) بدار الكتب رقم ١٤١٣ فقه شافعية .
(٣) بدار الكتب رقم ٣٠٠ فقه .
(٤) كشف الظنون جـ٢ نهر ١٩٩ .
(٥) طبقات الشافعية جـ٥ ص ١٠٣ .
(٦) كشف الظنون جـ٢ نهر ١٦٣٥ .
(٧) ذيل الروضتين ص ١٤٨ .
(٨) بدار الكتب رقم ٨٤٦ فقه شافعية .
(٩) جـ٢ نهر ١٣٥٩ .
(١٠) طبقات الشافعية جـ٢ ص ٢٣٨ .

وكتاب الذريعة فى معرفة الشريعة (١) ، وكتاب الانتصار لمذهب الشافعى ، وهو كبير فى أربعة مجلدات (٢)، وكتاب المرشد فى مجلدين، وهو أحكام مجردة بلفظ وجيز ، كانت الفتوى عليه فى مصر ، قبل وصول شرح الرافعى الكبير اليها (٣) ، وكتاب التنبيه فى معرفة الأحكام (٤) . كما وضع مجلى بن جميع المتوفى سنة ٥٥٠ هـ كتاب الذخائر . رتبه على نظام لم يسبق اليه (٥) . وكتب عبد الله النهرى كتابه : المجموع (٦) ، وابن شداد كتابه : الموجز (٧) ، وأبو شامة المقدسى أرجوزة فى الفقه ، وكتابا سماه : المذهب (٨) ، وموسى بن على ابن وهب القشيرى كتابه : المغنى (٩) .

هذا رسم تقريبى لسير الحركة الفكرية فى فقه الشافعية ، أما مذهب أبى حنيفة فأشهر ما كان يدرس من كتبه فى عصرنا ثلاثة : الجامع الكبير (١٠) ، والجامع الصغير ، ومختصر القدورى ، وربما ضممنا اليها كتاب الهداية .

أما الجامعان فمؤلفهما صاحب أبى حنيفة ، الامام المجتهد ، محمد ابن الحسن الشيبانى ، المتوفى سنة ١٨٧ هـ ، وقد كتب للجامع الكبير فى عصرنا شروح جمة ، عرفت منها زهاء عشرة ألفها رجال عصرنا الذى نتحدث عنه ، ومن ذلك شرحان كتبهما جمال الدين الحصيرى ، أستاذ المعظم عيسى ، والمتوفى سنة ٦٣٦ هـ ، أحدهما مختصر فى مجلدين . زاد فيه على ما فى الجامع زهاء ثلاثين وستمائة وألف مسألة ، وبالغ فيه فى الايضاح بالنظائر والشواهد ، وايراد الفروق بأوجز العبارات، تسهيلا للحفظ ، وثانيهما مطول بلغ فى الجمع والتحقيق الغاية ، ويسمى بالتحرير (١١) فى شرح الجامع الكبير ، وهو فى ثمان مجلدات ، ألفه

---

(١) المرجع السابق .
(٢) نكت الهميان ص ١٨٥ .
(٣) كشف الظنون جـ٢ نهر ١٦٥٤
(٤) طبقات الشافعية جـ٤ ص ٢٣٨
(٥) كشف الظنون جـ٢ نهر ٨٢٢ .
(٦) حسن المحاضرة جـ١ ص ١٩٢ .
(٧) وفيات الأعيان جـ٢ ص ٣٦٠ .
(٨) ذيل الروضتين ص ٤٠ .
(٩) الطالع السعيد ص ٣٨١ .
(١٠) بدار الكتب رقم ٧٤٠ فقه حنفى .
(١١) بدار الكتب بخط المؤلف رقم ٩٩ فقه حنفى .

حين قرأ عليه الكتاب الملك المعظم عيسى (١) ، وقد وضع المعظم نفسه شرحا عليه (٢) ، ونظم الجامع الكبير أبو الحسن على بن خليل الدمشقى المتوفى سنة ٦٥١ هـ (٣) . أما كتاب الجامع الصغير فمشتمل على اثنتين وخمسمائة وألف مسألة ، ولكن العناية بهذا الكتاب فى عصرنا الذى نتحدث عنه ، كانت دون العناية بالجامع الكبير ، وكان المعظم عيسى يعطى مائة دينار لمن يحفظ الجامع الكبير ، وخمسين دينارا لمن يحفظ الجامع الصغير (٤) .

ونال مختصر القدورى عناية كبرى فى هذا العصر أيضا ، وهو الذى يطلق عليه لفظ الكتاب فى المذهب ، ومؤلفه أحمد بن محمد بن أحمد القدورى، البغدادى الذى انتهت اليه رياسة الحنفية بالعراق، وألف كتبا فى الفقه لأبى حنيفة ، ومسائل الخلاف بينه وبين الشافعى ، وبينه وبين أصحابه ، ومات ببغداد سنة ٤٢٨ هـ (٥) ، وقد عنى العلماء بهذا الكتاب ، فشرحه بعضهم ، ونظمه بعض آخر .

أما كتاب الهداية ، فمؤلفه برهان الدين على بن أبى بكر المرغينانى، المتوفى سنة ٥٩٣ هـ ، وهو شرح على متن له سماه : هداية المبتدىء ، ولكنه فى الحقيقة كالشرح لمختصر القدورى ، وللجامع الصغير لمحمد .

ولم يقف جهد علمائنا عند حد دراسة هذه الكتب وخدمتها ، ولكنهم بذلوا جهدا أصيلا ، وأضافوا ثروة جديدة الى ثروة الأقدمين ، ذكر ابن خلكان أن المعظم عيسى أمر الفقهاء أن يجردوا له مذهب أبى حنيفة دون صاحبيه فجردوه له فى عشر مجلدات ، وسموه : التذكرة

---

(١) الطالع السعيد جـ١ نهر ٥٦٧ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) كشف الظنون نهر ٥٧٠ .

(٤) المرجع السابق نهر ٥٦٨ .

(٥) تاج التراجم ص ٥ .

المعظمية، نسبة اليه، وكان لايفارقه سفرا ولا حضرا، ويديم مطالعته (١). ووضع كثير من العلماء كتبا في فقه أبي حنيفة، فرأينا أحمدبن محمدالغزنوى يضع كتابا عرف بالمقدمة الغزنوية (٢) ، ومحمد بن أحمد القاضي العامري كتابه : المبسوط في نحو ثلاثين مجلدا (٣) ، وغالي بن ابراهيم الغزنوى يؤلف كتابه : المشارع ، ويضع عليه شرحا يسميه : المنافع(٤)، ولعل أكبر ما وضعه علماء هذا العصر كتاب المحيط ، الذي وضعه رضي الدين السرخسي في أربعين مجلدا ، وللعلماء حديث طويل في صحة نسبة هذا الكتاب الى مؤلفه (٥) .

وفي مذهب الامام مالك ، كان كتاب المدونة (٦) لعبد الرحمن بن القاسم المالكي ، المتوفى سنة ١٩١ هـ ، من أعظم ما عنى به في عصر الحروب الصليبية ، والمدونة من أهم الكتب في مذهب الامام مالك (٧)، درسها العلماء وشرحوها، ومن شروحها الطراز، لسند بن عنان بن ابراهيم الأزدي ، المتوفى بالاسكندرية سنة ٥٤١ هـ (٨) ، وهذب البرادعي المدونة ، وأصبح هذا التهذيب من أجل كتب المالكية ، فقام العلماء على شرحه حينا ، واختصاره حينا آخر (٩) .

ووضع علماء مصر في تلك الحقبة كتبا في فقه المالكية ، عد بعضها من مراجعه المهمة: ألف الوزير: صفي الدين بن شكر كتاب البصائر (١٠)،

---

(١) كشف الظنون جـ١ نهر ٣٩٣ .

(٢) الجواهر المضية ص ٤٠ ، ووصفها بكشف الظنون جـ٢ نهر ١٨٠٢ ، وهي بدار الكتب رقم ٤٢٣ و ٥٤٤ فقه حنفي .

(٣) الجواهر المضية ص ٦٠ .

(٤) تاج التراجم ص ٣٧ .

(٥) تاج التراجم ص ٤٣ ، والجواهر المضية ص ٨٨ .

(٦) بدار الكتب رقم ٤٢٥ ـ ٤٢٦ فقة مالكي .

(٧) كشف الظنون جـ٢ نهر ١٦٤٤ .

(٨) حسن المحاضرة جـ١ ص ٢١٣ ، والديباج المذهب ص ١٣٠ .

(٩) راجع حسن المحاضرة جـ١ ص ٢١٤ و ٢١٥ و ١٤٢ و ٢٥٠ ، والديباج المذهب ص ٨٧ .

(١٠) الديباج المذهب ص ١٤٨ .

وكان كل من يحفظه ينال منه حظا وافرا، وقصد بذلك أن يتشبه بالوزير: عون الدين بن هبيرة (١)، ووضع جمال الدين بن شاس المتوفى سنة ٦١٦هـ كتابه : الجواهر الثمينة فى مذهب عالم المدينة (٢) . عكف عليه طائفة المالكية بمصر ، يدرسونه ويحفظونه ، أما الكتاب الذى وضعه ابن الحاجب ، وعرف بالمختصر ، أو جامع المهمات ، فقد ظفر من العلماء بعناية خاصة ، وأصبح مرجعا لهم وشرحوه (٣) ، ووضع القرافى المتوفى سنة ٦٤٨ هـ كتابيه : الذخيرة (٤) ، والقواعد (٥) ، وذلك يدل على مقدار الجهد الذى بذلته مصر فى تنمية ثروة المالكية .

وفى فقه أحمد بن حنبل ، كان مختصر الخرقى ، لمؤلفه : أبى القاسم عمرو بن حسين الخرقى الحنبلى الدمشقى ، المتوفى سنة ٣٣٤ (٦) ، مما يدرس فى هذا العصر ، ويعنى به ، شرحه موفق الدين بن قدامة المقدسى الحنبلى المتوفى سنة ٦١٠ فى كتاب سماه : المغنى (٧) . وهو من أهم كتب الحنابلة (٨) ، كما نظم مختصر الخرقى جعفر بن أحمد بن الحسين السراج (٩) . ووضع مؤلف المغنى عدة كتب مهمة فى فقه الحنابلة . فألف المقنع ، الذى شرحه ابن أخيه عبد الرحمن بن محمد ، فى عشر مجلدات وألف العمدة (١٠) التى شرحها اسماعيل بن محمد بن الأثير الحلبى المتوفى سنة ٦٩٦ هـ (١١) ، ووضع الكافى فى أربعة مجلدات (١٢) ،

(١) خطط المقريزى جـ١ ص ٢٠٥ .

(٢) وفيات الأعيان جـ١ ص ٢٥٧ .

(٣) بدار الكتب رقم ٢٠ فقة مالك . راجع النجوم الزاهرة جـ ٨ ص ٢٢٥ ، وطبقات الشافعية جـ٦ ص ٤ و ١٢٥ .

(٤) بدار الكتب رقم ٣٤ و ٣٥ فقه مالك .

(٥) كشف الظنون جـ٢ نهر ٨٢٥ والديباج المذهب .

(٦) قال عنه ابن خلكان « جـ١ ص ٣٧٩ » : كان من أعيان الفقهاء الحنابلة وصنف فى مذهبهم كتبا كثيرة . من جملتها المختصر الذى يشتغل به أكثر المبتدئين من أصحابهم .

(٧) كشف الظنون جـ٢ نهر ١٤١٥ .

(٨) مطبوع .

(٩) المنهج الأحمد جـ١ ص ٢١٤ .

(١٠) كشف الظنون نهر ١١٦٤ .

(١١) معجم المطبوعات لسركيس جـ١ نهر ٣٨ .

(١٢) كشف الظنون جـ ٢ نهر ١٣٧٨ .

واختصر الهـداية ، وهى مما عنى به فى هذا العصر أيضـا ، ومؤلفها أبو الخطاب محفوظ بن أحمد الكلواذانى البغدادى الحنبلى ، المتـوفى سنة ٥١٠ هـ (١) . وكتب لها علماء عصرنا عدة شروح ، وساهمت أسرة ابن تيمية فى هذا المجهود الفقهى ؛ فوضع فخر الدين بن تيمية ثلاثة مصنفات فى فقه الحنابلة ، على طريقة البسيط والوسيط والوجـيز للغزالى (٢) ، وألف عبد السلام كتاب ملتقى الأحكام ، وهـو كتـاب مرتب على أبواب الفقه ، مدلل عليها بالأحاديث (٣) ، ووضع المحـرر، والأحكام الكبرى ، فى عدة مجلدات (٤) .

هذا وصف تقريبى للجهود التى بذلها علمـاء مصر والشام فى الناحية الفقهية ، وهى جهود ضخمة كبيرة ، ولا عجب ، فقد كان الفقه مصدر التشريع يومئذ ، وعليه يعتمد الحكام فيما يصدرونه من الأحكام وكان السلطان قبل أن يصدر تشريعا مهما ، يظفر أولا بموافقة الفقهـاء عليه ، وكان السلاطين أنفسهم ، يدرسون الفقه ؛ لحاجتهم اليه فى الفصل فيمـا يعـرض عليهم من القضايا ، وهم جالسون بدار العـدل مع القضـاة .

ولم تقف جهود العلماء عند حد تأليف الكتب التى تشمل أبواب الفقه كلها ، بل خص كثير من العلماء جهودهم بناحية خاصة من نواحى الفقـه ؛ وكان أظهر هذه النواحى ناحية الفرائض ، التى شـهر بالتعمق فيها عدد كبير من علماء هذا العصر ، وألفوا فيها كتبا كثيرة ، بين منثورة ومنظومة .

كما ألف العلماء فى ذلك العصر رسائل فى مسائل جزئية فى الفقه، فتجدهم مثلا فى موضوع الصلاة قد وضعوا رسالة فى مقاصـدها ، وأخرى فى سمت القبلة وصفاتها ، أو فى السواك ، أو فى النية ، أو فى الجهر بالبسملة ، أو فى امامة الأعمى ، ووضع بعضهم رسالة فى

---

(١) المرجع السابق نهر ٢٠٣١ .

(٢) مختصر طبقات الحنابلة ص ٤٧ .

(٣) كشف الظنون جـ ٢ نهر ١٨١٦ .

(٤) مختصر طبقات الحنابلة ص ٥٠ .

تفضيل الصلاة على الصيام . وفي موضوع الصيام مثلا ، نجد رسالة في رؤية الهلال ، وأخرى في نية الصوم ، وما في يوم الشك من الكلام، وثالثة في مقاصد الصوم وفي الحج عنى العلماء بذكر مناسكه ، ووضعوا في ذلك رسائل نثرية ونظمية ، وكذلك عنوا بموضوع الزواج والطلاق ، وأحكامهما ، ومن الطبيعي في مثل العصر أن يعنى بباب الجهاد ، فرأينا فيه مؤلفات كثيرة ، منها مؤلف بقلم نور الدين محمود نفسه (١) ، ومنها واحد ألفه محمود بن محمد بن صيفي ، وأهداه الى الأشرف موسى ، فأثابه بخمسمائة دينار (٢) ، ومنها كتاب لعز الدين بن الأثير (٣) ، وكتاب لأبي العوالي ، ألفه للملك الصالح نجم الدين أيوب، وفرغ منه في ربيع الأول سنة ٦٤٧ هـ (٤) . وفي بعض هذه الرسائل دراسة مسائل كانت تشغل بال هذا العصر . فتجد رسالة في تحريم الحشيش ، وأخرى في أحكام السماع ، وثالثة في قضاء الأعمى وجوازه، وغيرها في الترغيب عن صلاة الرغائب ، وكان بعضهم في القرن الثالث قد اختلق حديثا في فضلها (٥) ، وتجد رسائل في وصول الثواب الى الأموات ، وزيارة قبور الصالحين .

وعنى العلماء في هذا العصر أيضا بصفات القاضي وآدابه ، فرأينا في هذه الناحية مؤلفات كثيرة ، كما جمع بعضهم فتاويه ، أو ما أجاب به عن أسئلة وردت اليه ، واستقصى بعضهم مذاهب الفقهاء فألف فيها، أو درس الخلاف بينهم ، أو ما أخذه عليهم من الأغاليط . أو في ترجيح مذهب على آخر . وقد يتعصب بعضهم كما فعل على بن محمد النخعي، الذى ألف كتابا انتقص فيه من الشافعي . ورد عليه نصر المقدسي (٦) .

---

(١) الاسلام والحضارة العربية لكرد على جـ ٢ ص ٢٩٢ .

(٢) بغية الوعاة ص ٣٨٩ .

(٣) كشف الظنون جـ٢ نهر ١٤١٠ .

(٤) المرجع السابق نهر ٩٧٨ .

(٥) المرجع السابق جـ٢ نهر ١٠٨١ .

(٦) تاج التراجم ص ٣٣ .

مما يدل على أن التعصب كان يبلغ أشده أحيانا بين أرباب المذاهب ويطول بى الحديث اذا أنا تحدثت عن الجزئيات الكثيرة التى تناولها علماء هذا العصر .

هذا ولم يكتف بعض العلماء بذكر الأحكام مجردة عن أدلتها ، بل أورد هذه الأدلة التى استنبطت منها تلك الأحكام ، كما فعل ذلك بهاء الدين بن شداد فى كتابه : دلائل الأحكام ، والعز بن عبد السلام، ومحيى الدين النووى .

والآن أرى أن أعرض بعض رجال هذه الحركة الفكرية الفقهية ، ليتم بذلك رسم الصورة ، بقدر المستطاع ، فمن رجال الشافعية :

جمال الاسلام على بن المسلم

أنبغ تلاميذ الغزالى بالشام ، وأشهر من خلفه فيه بعد سفره ، لازمه الجمال طول مقامه بدمشق ، وكان الغزالى يثنى على علمه وفهمه ، وهو الذى عناه بقوله عندما خرج من الشام : خلفت بالشام شابا ان عاش كان له شأن ، فكان كما تفرس فيه ، كان عالما بالتفسير ، والأصول، والفقه ، والفرائض ، والحساب ، وتعبير الرؤيا . ودرس حينا بحلقة الغزالى . ثم اختاره واقف المدرسة الأمينية ، وهى أول مدرسة أنشئت للشافعية سنة ٥١٤ هـ بدمشق - للتدريس فيها ، عام انشائها ، وأصبح شيخ الشام ، وعمدة أهله ، واليه مرجعهم فى الفتاوى التى يذكر له مؤرخوه أنه كان موفقا فيها ، كما يذكرون أن له مؤلفات فى التفسير والفقه ، وأنه أملى عدة مجالس فيهما ، ولكنى لم أعثر على شىء من آثاره العلمية ، ويثنون على علمه بالمذهب ، وتثبته من أصوله وقواعده، ويطرون أخلاقه الشخصية والاجتماعية. قضى وقته فى التدريس والوعظ، ويظهر أنه أخذ بنصيب فى الرد على الشيعة . واظهار مذهب السنة .

---

* مراجعه :

١ - طبقات الشافعية جـ ٤ ص ٢٨٣ .   ٢ - طبقات المفسرين ص ٢٦ .

٣ - خطط الشام جـ ٤ ص ٤٢ .

٤ - شذرات الذهب جـ٤ ص ١٠٢ .   ٥ - الدارس جـ١ ص ١٢٥ .

روى عنه ابنه محمد ، والحافظان : ابن عساكر ، والسلفى . ويقـولون: ان الشام يوم فقده فى ذى القعدة سنة ٥٣٣ هـ ، لم يجـد من بعـده يخلفـه .

كمال الدين الشهرزورى*

محمد بن عبد الله بن القاسم الموصلى ، ولد سنة ٤٩٢ هـ بالموصل، حيث أخذ عن جده لأمه ، ورحل الى بغداد ، وتفقه بها ، ودرس الأصول والخلاف ، ورحل الى نور الدين محمود بدمشق سنة ٥٥٠ هـ . وهناك استطاع أن يصل الى أسمى المناصب ، فوكل اليه القضاء ، وأمر المساجد والمدارس والحسبة ، وادارة أموال السلطان ، وعهد اليه بشرطة دمشق، وترقى الى درجة الوزارة ، وحكم بلاد الشام الاسلامية فى ذلك الوقت، وصار مرد أمور الدولة ، لا يمضى شىء حتى يمضيه ، ومن ذلك تعيين الولاة . ولما مات نور الدين وآلت دمشق الى صلاح الدين أبقاه على ما كان له من نفوذ ، وعندما حضر السلطان الى دمشق ، مشى بنفسـه الى دار قاضى القضاة : كمال الدين ، زائرا مستشيرا ، وقـد حـاول الوشاة أن يفسدوا بين الرجلين ، وأن يغيروا عقيدة صلاح الدين فيه ، من جهة غناه وثروته ، فقد كان الكمال ثريا ، يهب ألف دينـار فمـا فوقها ، ولكن القاضى الفاضل قال له : « هـذا رجل معظم فى العلم والسؤدد ، وأفعال نور الدين عند الناس مسددة ، وكان منها تعظيم هذا الرجل ، وغالب ما ينسب اليه كذب ، وأما ما ذكر من كثرة دخله فهو ، وان كثر ، دون كثير من أمراء المملكة ، ولعله أحق ببيت المـال وأمواله

---

* مراجعه :

١ - وفيات الأعيان جـ١ ص ٤٧٢ .
٢ - الروضتين جـ١ ص ٣٣ و ٣٥ و ٣٦ و ١٤٨ و ١٨٢ و ٢٦٢ و ٢٦٣ .
٣ - النجوم الزاهرة جـ ٦ ص ٧٩ و ٨٠ .
٤ - طبقات الشافعية للسبكى جـ ٤ ص ٥٤ .
٥ - شذرات الذهب جـ ٤ ص ٢٤٣ .
٦ - البداية والنهاية جـ ١٢ ص ٢٩٦ .
٧ - العقد المذهب فى طبقات حملة المذهب ص ١٥٧ .

من كثير منهم » ، فظل صلاح الدين مبقيا عليه ، حتى مات ، وهو فى نفوذه وسلطانه ، يوم الخميس ، سادس المحرم سنة ٥٧٢ هـ .

بهاء الدين بن شداد *

يوسف بن رافع بن تميم الأسدى ، ولد بالموصل ليلة العاشر من شهر رمضان سنة ٥٣٩ هـ ، ومات أبوه وهو صغير السن ، فنشأ عند أخواله بنى شداد ، ونسب اليهم ، وفى الموصل حفظ القرآن الكريم، وأتقن القراءات السبع ، ورواية الحديث وشروحه ، والتفسير ، والفقه، وكثيرا من كتب الأدب ، ودرس الخلاف دراسة تعمق ، وباحث فيه متفننى أصحابه . وبعد هذه الدراسة المستفيضة انحدر الى بغداد، وهناك أخذ عن بعض أساتذتها الحديث والفقه ، وعين معيدا بالمدرسة النظامية ، بعد وصوله الى بغداد بقليل ، وظل معيدا نحو أربع سنين، عاد بعدها الى الموصل، حيث عين مدرسا بالمدرسة التىأنشأها كمال الدين

---

* مراجعه :

١ - طبقات الشافعية للسبكى جـ٥ ص ٥٨١ وص ١٥٢ .
٢ - وفيات الأعيان جـ٢ ص ٣٥٤ .
٣ - الروضتين جـ١ ص ١٨٥ و ١٨٩ وجـ٢ ص ٥٢ و ٦٩ و ٧٠ و ٧١ و ٢٠٦ و ٢٠٨ .
٤ - ذيل الروضتين ص ١٦٣ .
٥ - شذرات الذهب جـ٤ ص ٣٢٧ .
٦ - النوادر السلطانية له .
٧ - السلوك للمقريزى جـ١ ص ١٧٤ و ٨٢ و ١٤٠ و ١٦٨ و ١٧٦ و٢٤١ و ٢٤٣.
٨ - طبقات القراء للذهبى جـ٢ ص ١٩٣ .
٩ - المختصر جـ٣ ص ١٥٦ .
١٠- معجم المطبوعات لسركيس جـ١ نهر ١٣٨ .
١١- مفرج الكروب جـ٢ ص ٢٩٤ .
١٢- خطط الشام جـ٤ ص ٤١ .
١٣- غاية النهاية فى طبقات القراء جـ٢ ص ٣٩٥ .
١٤- الفاطميون فى مصر ص ٢٩٢ .
١٥- كشف الظنون جـ١ نهر ١٢٥ .
١٦- البداية والنهاية جـ١٣ ص ١٤٣ .
١٧- الأنس الجليل جـ٢ ص ٤٤٧ .
١٨- طبقات الشافعية لابن قاضى شهبة ص ٤٩ .
١٩- اعلام النبلاء جـ ٤ ص ٣٨٣ .

الشهرزورى ، ولازم الاشتغال ، وانتفع به النـــاس .

واتصل ابن شداد بخدمة صلاح الدين ، فى مستهل جمادى الأولى سنة ٥٨٤ هـ ، وقدم ابن شداد للسلطان كتابا كان قد جمعه له ، ويشتمل على فضائل الجهاد ، وما أعد الله سبحانه وتعالى للمجاهدين ، يحتوى على مقدار ثلاثين كراسة ، فولاه صلاح الدين قضاء العسكر ، وقـــربه وأغدق عليه حبه ، وشهد معه معارك عدة ، حدثت بينه وبين الصليبيين، وكان رســـول السلطان الى الأمراء ، وخطيب المجـــالس التى يعقـــدها صلاح الدين للتشاور فى أمور الجهاد ، وكان القاضى يحمل للســـطان أسمى ما يستطيع الانسان أن يحمله من آيات الاجلال والاكبار ، وولاه السلطان أيضا الحكم بالقدس الشريف ، وفوض اليه نظر مدرســـته الصلاحية ، وتدريسها بالقدس . ولما مات صلاح الدين مضى ابن شداد الى حلب ، لجمع كلمة الاخوة وتحليف بعضهم لبعض ، وفى سنة ٥٩١هـ اتصل بهاء الدين بخدمة الملك الظاهر بن صلاح الدين، فقدم اليه بحلب، فولاه قضاءها ووقوفها ، وحل عنده فى رتبة الوزير والمشـــير ، وكانت حلب يومئذ قليلة المدارس ، ليس بها من العلماء الا نفر يسير ، فاعتنى بهاء الدين بترتيب أمورها ، وجمع الفقهاء بهـــا ، وعمـــرت فى أيامه المدارس الكثيرة .

وفى يوم الأربعاء الرابع عشر من صفر سنة ٦٣٢ هـ توفى بحلب، ودفن بقبره الذى كان قد أعده بنفسه ، بين مدرسته ودار الحديث .

وترك عدة كتب ساعده على تأليفها حياته وثقافته ، فهيأ له اتصاله بصلاح الدين ، أن يضع مؤلفا فى سيرته ، سماه : النوادر السلطانية .

وهيأ له قيامه بشئون القضاء أن يضع كتابا يتعلق بالأقضية فى مجلدين ، سماه : ملجأ الحكام عند التباس الأحكام (١) ، ومكنه علمه الوثيق بالحديث أن يضع كتابا فى مجلدين سماه : دلائل الأحكام، تكلم فيه على الأحاديث المستنبط منها الأحكام ، كما دفعته رغبته فى الاتصال بصلاح الدين ، وكان أحب الأحاديث اليه حديث الجهـــاد ، أن يضع له

(١) مخطوط بدار الكتب رقم ٤٦ م فقه .

مصـــنفا فيه . وألف في الفقه كتـــاب الموجز الباهر ، كما ألف كتـــاب الأعلاق الخطيرة ، فى تاريخ الشام والجزيرة .

عز الدين بن عبد السلام *

نشأ في مهاد الفقر ، ورفعته ثقافته الى أن أصبح ينادى الملوك بأسمائهم ، ولم يعمه المجد عن الحق ، فنادى على رءوس الأشهاد بخطئه يوم بان خطؤه ، ولم يدعه حب السيطرة والســـلطان الى النزول عن كرامته ، أو الرجوع عن معتقده ، ولم تهيأ له وسائل الثقافة صـــغيرا، ولكنه جد حتى صار أستاذ عصره ، وأعلم أهل زمانه .

---

* مراجعه :

١ - فوات الوفيات جـ١ ص ٢٨٧ .
٢ - النجوم الزاهرة جـ٦ و جـ ٧ فى مواضع متفرقة .
٣ - طبقات الشافعية للسبكى جـ٥ ص ٨٠ .
٤ - ذيل الروضتين ص ١٧٠ و ٢٠٨ و ٢١٦ .
٥ - حسن المحاضرة جـ١ ص ١٤١ وجـ٢ ص ١٠٩ و ١١٠ و ٣٨ .
٦ - خطط الشام جـ٤ ص ٤٧ و ١١٠ .
٧ - السلوك للمقريزى جـ١ ص ٣١٢ و ٣٥٤ و ٤١٦ .
٨ - المختصر جـ٣ ص ١٦٩ و ٢١٥ و ١٩٦ .
٩ - معجم المطبوعات لسركيس جـ١ نهر ١٦٤ .
١٠- نهاية الأرب جـ ٢٨ ص ١٨ .
١١- بدائع الزهور لابن اياس جـ١ ص ٩٤ .
١٢- تاج التراجم ص ١٥١ .
١٣- شذرات الذهب جـ٥ ص ٣٠١ .
١٤- فهارس دار الكتب .
١٥- **كتبه .**
١٦- مفتاح السعادة ص ٢٠٨ .
١٧- كشف الظنون جـ١ نهر ٢٢٠ و ٤٣٨ وجـ ٢ نهر ١٥٩٠ .
١٨- البداية والنهاية جـ١٣ ص ٢٣٥ .
١٩- رفع الاسر عن قضاة مصر ص ١٦٨ .
٢٠- طبقات الشافعية لابن هداية ص ٨٥ .
٢١- طبقات الشافعية لابن قاضى شهبة ص ٥١ .
٢٢ - الخطط الجديدة التوفيقية جـ ١٦ ص ٤٩ .
٢٣- طبقات المفسرين للداودى ص ١٣٠ .

ولد بدمشق، سنة سبع أو ثمان وسبعين وخمسمائة، حيث تفقه على فخر الدين بن عساكر ، وجمال الدين بن الحرستاني ، وقرأ الأصول على السيف الآمدي ، وأخذ الحديث عن القاسم بن عساكر ، ودرس النحو، ورحل الى بغداد ، فأقام بها أشهرا . ونبغ العز في أصول الفقه ، وأصول الدين ، والتفسير ، وبرع في الفقه حتى صار أعلم أهل عصره فيه ، قالوا: وقد انتهى به الأمر الى مرتبة الاجتهاد ، فصار يفتي بما يؤدي اليه اجتهاده ، وكان موفقا سديدا في فتاويه .

ولي في دمشق خطابة الجامع الأموي ، والامامة فيه ، ولما جاء الى مصر ، ولي بها خطابة جامع عمرو بن العاص ، والقضاء والتدريس في المدرسة الصالحية .

ولعز الدين بن عبد السلام مؤلفات في الفقه، والتفسير، والحديث، وعلم الكلام ، والتصوف ؛ ففي الفقه له كتاب القواعد الكبرى (١) . وكتاب الغاية في اختصار النهاية (٢) ، وكتاب الامام في أدلة الأحكام ، والفتاوى المصرية (٣) ، وهي مجموع مشتمل على فنون من المسائل والفوائد . وله كتاب في التفسير يدعى : بحار القرآن (بدار الكتب رقم ٣٢ تفسير) ورسالة تسمى : فوائد العز بن عبد السلام وهي أسئلة وأجوبة متعلقة بالقرآن الكريم (مخطوطة بدار الكتب رقم ٧٧ تفسير)، وأخرى دعاها كشف الاشكالات عن بعض الآيات ، وهي أجوبة عن أسئلة مشكلة في آيات من القرآن الكريم (مخطوط بدار الكتب رقم ٨٣٦ تفسير ، وله كتاب الى الايجاز في بعض أنواع المجاز (٤) سنتحدث عنه فيما بعد . واختصر في الحديث صحيح مسلم . ووضع في علم الكلام ، كتاب الفرق بين الايمان والاسلام (٥)،

(١) له بدار الكتب كتاب يسمى قواعد الاسلام ، رقم ٨٤٦ فقه ، وكتاب يدعى : قواعد الأحكام في مصالح الأنام ، رقم١ ش فقه . ومن هذا الكتاب نسخة خطية كتبت في حياة المؤلف ، وهي بمكتبة بلدية الاسكندرية رقم ١٢١٩ب .

(٢) بدار الكتب رقم ١٨٦ فقه .

(٣) بدار الكتب كتاب يدعى فتاوى ابن عبد السلام رقم ١٤ مجاميع .

(٤) طبع بالآستانة سنة ١٣١٣ هـ .

(٥) مخطوط بدار الكتب رقم ٣٥م علم الكلام .

وكتاب بداية السول فى تفضيل الرسول صلى الله عليه وسلم (١) ، وملحة الاقتصاد فى الاعتقاد (٢) .

وفى التصوف ـ وكانت له اليد الطولى فيه ـ ألف : بيان أحوال الناس يوم القيامة ، وفوائد البلوى والمحن ، وكتاب حل الرموز ومفاتيح الكنوز ، تكلم فيه عن بعض أحاديث ، وألفاظ من كلام القوم ، وكتاب مسائل الطريقة فى علم الحقيقة .

ولم يترك عز الدين كتبا فحسب ، ولكنه ترك تلاميذ صاروا من أعلام الأئمة ، ومن نوابغ العلماء ، نذكر منهم : ابن دقيق العيد ، وهو الذى لقبه بسلطان العلماء ، وعلاء الدين الباجى ، والحافظ الدمياطى ، والدشناوى ، وهبة الله القفطى .

وبعد عشرين عاما عاشها عز الدين فى مصر ، يحيط به الاكبار والاجلال ، مات فى جمادى الأولى سنة ٦٦٠ هـ ، وشهد الظاهر بيبرس جنازته ، وصلى عليه ، وحضر دفنه ، كما شيعه الأمراء ، والخاصة ، والأجناد ، وطبقات الشعب .

سلطان بن ابراهيم المقدسى *

أستاذ الشافعية بمصر فى عصره ، وكانت المدة التى أقامها فيها ، كافية لاثارة حركة قوية بين الفقهاء ، فأقبلوا عليه يأخذون عنه .

ولد بالقدس سنة ٤٤٢ هـ ، وتفقه بها وسمع الحديث ، ثم دخل الديار المصرية ، فأخذ عنه فقهاؤها ، حتى كان أكثر فقهاء مصر من تلامذته ،

---

(١) له بدار الكتب رسالة مخطوطة تسمى : رسالة فى بيان تفضيل النبى (ص) على جميع الأنام . (رقم ٦١٤ مجاميع علم الكلام) .

(٢) مخطوطة بدار الكتب رقم ٦٥١ علم الكلام .

* مراجعه :
١ ـ طبقات الشافعية للسبكى جـ ٤ ص ٢٢٢ .
٢ ـ حسن المحاضرة جـ ١ ص ١٨٨ .
٣ ـ شذرات الذهب جـ٤ ص ٥٨ .
٤ ـ النجوم الزاهرة جـ٥ ص ٢٢٩ .
٥ ـ طبقات الشافعية لابن قاضى شهبة ص ٣٠ .

ومن أنبغ من أخذ عنه : السلفى ، ومجلى بن جميع ، وظل بمصر حتى مات سنة ٥١٨ هـ أو سنة ٥١٩ هـ ، وقيل بل سنة ٥٣٥ هـ ، وله كتاب فى بعض أبواب الفقه .

تاج الدين ابن بنت الأعز *

عبد الوهاب بن خلف بن بدر ، ولد بالقاهرة سنة ٦١٤ هـ ، وهو ينحدر من قبيلة بنى علامة ، وهى بطن من لخم، واشتهر بابن بنت الأعز، نسبة الى جده لأمه ، وهو الصاحب الأعز مقدام بن أحمد بن شكر ، أحد وزراء الملك العـادل .

وهيأت له بيئته أن يظفر من الثقافة بحظ وفير ، وقرأ على الحافظ المنذرى سنن أبى داود ، وحدث عن غيره أيضا ، وكان عبد الوهاب ذكى الفطرة ، حاد القريحة ، ذا رأى سديد ، وذهن ثاقب ، وعقل راجح ؛ فهيأ له ذلك كله أن يصل الى أسمى المناصب وأرفعها ، وأن يجمع منها ما لم يجمعه أحد قبله ، فولى الوزارة، ونظر الدواوين، وقضاء القضاة، والخطابة ، ومشيخة الشيوخ ، والحسبة ، والامامة ، وتدريس الصلاحية والصالحية . وفى عهد بيبرس كان قاضى القضاة ، وقد شرط عدة شروط أغلظ فيها، فقبل السلطان شروطه لثقته به، وكان ذلك يوم ١٠ من جمادى الأولى سنة ٦٥٩ هـ ، صلى بالسلطان ظهر ذلك اليوم ، وحكم بعده ، وكان تاج الدين قاضيا مفرط النزاهة ، اتفق الناس على عدله ، صلبا

* مراجعه :
١ - طبقات الشافعية للسبكى جـ ٥ ص ١٣٣ .
٢ - حسن المحاضرة جـ١ ص ١٩٤ و جـ٢ ص ١١١ و ١٣٨ و ١٥٧ .
٣ - النجوم الزاهرة جـ٧ ص ١٢١ و ٢٢٢ .
٤ - ذيل الروضتين ص ٢٤٠ .
٥ - السلوك للمقريزى جـ١ ص ٤٤٨ و ٥٣٨ و ٥٦١ .
٦ - نهاية الأرب جـ٢٨ ص ٦٢ .
٧ - شذرات الذهب جـ ٥ ص ٣١٩ .
٨ - تاريخ الأدب العربى بمصر والشام على عهدى المماليك والعثمانيين للأستاذ السباعى بيومى ص ١٩ .
٩ - البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٤٩ .
١٠- رفع الاصر عن قضاة مصر ص ١٧٦ب .
١١- طبقات الشافعية لابن قاضى شهبة ص ٥٥ ب .

في الدين ، متثبتا في أحكامه ، يولي الأكفاء ، ولايبالي بأحد ، ولايداهنه، ولا يقبل شهادة مريب ، وقد أثارت صلابته في مذهبه بعض الأمراء ، فأغرى الظاهر بيبرس أن يولي قضاة من المذاهب الأربعة ، ففعل بيبرس ، على أن يبقى لتاج الدين النظر في مال الأيتام، والمحاكمات المختصة ببيت المال ، وكان هذا سنة ٦٦٣ هـ .

وقد منعته كثرة المناصب من التأليف ، وعن ابن دقيق العيد أنه قال : لو تفرغ ابن بنت الأعز للعلم لفاق ابن عبد السلام ، وظل في منصب القضاء حتى توفي في ٢٧ من رجب سنة ٦٦٥ هـ .

جلال الدين الدشناوي *

في مدينة دشنا من صعيد مصر ، ولد جلال الدين أحمد بن عبد الرحمن بن محمد سنة ٦١٥ هـ ، وتثقف ثقافة واسعة في قوص والقاهرة ، فأخذ الحديث عن الحافظ المنذري ، ودرس الفقه على مجد الدين القشيري ، وعز الدين بن عبد السلام ، وقرأ الأصول على شمس الدين الأصبهاني ، وتثقف في النحو على شرف الدين المرسي . وألف بعض كتبه في القاهرة ، ودرست عليه بها ، ثم عاد الى قوص ، حيث أصبح علما من أعلام فقه الشافعية ، وتخرج على يديه جماعة صارت لها مكانة كبرى في العلم ، منهم : ولده تاج الدين محمد ، ومحيي الدين القوصي ، وجمال الدين الأرمنتي ، وعلم الدين بن تقي الدين القشيري ، وغيرهم .

وكان يجمع الى العلم الورع والتقوى وكمال الأخلاق . وله وصية يوصي فيها ابنه بالعلم ومكارم الخلق ، وظفر باكبار شيوخه ومعلميه ، واعترافهم بفضله ، قال الشيخ نصير الدين بن الطباخ للشيخ

---

* مراجعه :

١ - طبقات الشافعية للسبكي جـ ٥ ص ٩ .
٢ - حسن المحاضرة جـ١ ص ١٩٥ .
٣ - الطالع السعيد ص ٣٨ .
٤ - طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ص ٥٤ .

عز الدين بن عبد السلام : ما أظن فى الصعيد مثل هذين الشابين ، يعنى جلال الدين ، وتقى الدين القشيرى ، فقال الشيخ : ولافى المدينتين . وكان الشيخان : عز الدين ، وزكى الدين ، يثنيان عليهما ، ويميــلان اليهما ، والشيخ عز الدين الى الشيخ جـــلال الدين أميل ، والشيخ زكى الدين الى الشيخ تقى الدين أميل .

شرع جلال الدين فى شرح التنبيه ، فوصل فيه الى كتاب الصيام، وصنف مناسك الحج ، وسمعت عليه بالقاهرة ، وألف مقدمة فى النحو، ومختصرا فى أصول الفقه .

وتوفى جلال الدين بمدينة قوص ، يوم الاثنين مستهل شـــهر رمضان سنة ٦٧٧ هـ .

ابن دقيق العيد *

تقى الدين أبو الفتح محمد بن مجد الدين أبى الحسن على بن وهب بن مطيع القشيرى ، ولد يوم السبت الخامس والعشرين من شعبان سنة ٦٢٥ هـ ، بظهر البحر الأحمر ، قريبا من ساحل مدينة ينبع بالحجاز وأبواه متوجهان من قوص للحج .

---

* مراجعه :
١ - الدرر الكامنة جـ ٤ ص ٩١ . ٢ - فوات الوفيات جـ ٢ ص ٢٤٤
٣ - النجوم الزاهرة جـ ٨ ص ٢٠٦ و ٧٩ و ١٤٨ .
٤ - السلوك للمقريزى ، الجزء الأول ، فى مواضع شتى .
٥ - خطط المقريزى جـ٤ ص ٢٦٢ و ٢٥١ .
٦ - طبقات الشافعية للسبكى جـ٦ ص ٢ .
٧ - طبقات الحفاظ للسيوطى جـ٢ ص ٦٥ .
٨ - حسن المحاضرة جـ١ ص ١٤٣ و جـ٢ ص ١١٣ و ١٥٩ .
٩ - دائرة المعارف الاسلامية ، المجلد الخامس ، الجزء الحادى عشر ، ص ٤١٧
١٠- الطالع السعيد ص ٢٩ و ٧٢ و ٣١٧ و ٣٥٢ .
١١- الديباج المذهب ص ٣٨٣ . ١٢- تذكرة الحفاظ للذهبى جـ٤ ص ٢٧٢
١٣- رفع الاصر ص ٢٤٦ ب . ١٤- شذرات الذهب جـ٦ ص ٥ .
١٥- طبقات الشافعية لابن قاضى شهبة ص ٦٨ .
١٦- الخطط الجديدة جـ ١٤ ص ١٣٥ .

وكانت أسرة ابن دقيق العيد قد اتخذت قوص موطنا لها بعد أن هجرت مدينتها الأولى منفلوط ، نشأ الفتى بقوص ، وكانت من أهم مراكز الثقافة فى ذلك الحين ، فحفظ القرآن الكريم ، ثم درس فقه مالك على والده الذى كان من أئمة المالكية ، كما أخذ عنه الحديث والأصول، ودرس فى قوص على غير والده أيضا ، فأخذ فقه الشافعية عن تلميذ والده: بهاء الدين القفطى، ودرس الأصول على شمس الدين الأصبهانى، والنحو على شرف الدين المرسى ، ثم رحل فى طلب العلم الى القاهرة والاسكندرية ودمشق والحجاز ، وأخذ عن كبار علماء عصره ، مثل: الرشيد العطار ، والحافظ المنذرى ، وعز الدين بن عبد السلام ، وعليه درس فقه الشافعية أيضا . وبهذا أتقن وهو شاب مذهبى الشافعى ومالك اتقانا عظيما ، بلغ به الى درجة الافتاء بهما .

وعاد الشاب الى مدينته ، وقد درس الفقه على المذهبين ، وأصول الفقه ، والحديث ، وعلومه ، وعلم الكلام ؛ والتفسير ؛ والنحو ؛ واللغة والأدب . وكان أكبر ما امتاز فيه الفقه والحديث ، أما فى الفقه فقد ارتفع عن مستوى التقليد المطلق الذى يقف فيه عند نصوص الأئمة لا يحيد عنها ، بل ارتفع الى حيث يستخلص الأحكام من أدلتها فى الكتاب والسنة . وقد وضع كتاب الالمام . جمع فيه الأحاديث التى يستنبط منها الأحكام ، مما يدل على ما وصل اليه من درجة ممتازة ، فى الاستنباط والاستدلال .

وأما فى الحديث فقد برع فى معرفة متنه واسناده ، حتى أصبح أوحد عصره فيه ، وله فى علوم الحديث مؤلف ، دعاه الاقتراح فى معرفة الاصطلاح ، واليه أسند السابق والى قوص التدريس فى دار الحديث التى أنشأها بها .

وقد ساعده على بلوغ هذه المنزلة من العلم ذكاء ممتاز ، ودأب على التحصيل، وسهر بالليل للدرس، وشره فى القراءة، وغرام بالاطلاع، وحافظة قوية ، قال الأدفوى فى الطالع السعيد : كان له قدرة على المطالعة ، رأيت خزانة المدرسة النجيبية بقوص ، فيها جملة كتب ، من

جملتها عيون الأدلة لابن القصار ، فى نحو من ثلاثين مجلدة ، وعليها علامات له ، وكذلك رأيت كتب المدرسة السابقية ، رأيت على السنن الكبير للبيهقى ، فيها من كل مجلدة علامة ، وفيها تاريخ الخطيب كذلك، ومعجم الطبرانى الكبير ، والبسيط للواحدى ، وغير ذلك ، وأخبرنى شيخنا الفقيه سراج الدين الدندرى ، أنه لما ظهر الشرح الكبير للرافعى اشتراه بألف درهم ، وصار يصلى الفرائض فقط ، واشتغل بالمطالعة ، الى أن أنهاه مطالعة ، ويقال : انه طالع كتب الفاضلية عن آخرها .

والى جانب غرامه بالقراءة كان كثير النقد والتحرى والتدقيق فيما يقرأ ، لا يقبل الشىء من غير أن يعمل فيه فكره ؛ فيقبله أو يرفضه .

وظفر ابن دقيق العيد بشهرة واسعة ، وصوت بعيد ، وتقديرعميق فى قوص والقاهرة ، حتى فى أيام أساتذته . وفى سنة ٦٩٥ هـ ولى قضاء قضاة الشافعية ، فى الديار المصرية .

واستمر فى منصب القضاء حتى مات يوم الجمعة ، حادى عشر من صفر سنة ٧٠٢ هـ ، ودفن يوم السبت بسفح المقطم .

ورثاه جماعة من الفضلاء والأدباء بالقاهرة وقوص ، منهم شعيب ابن أبى شعيب ، والأمير مجيد الدين اللمطى ، وشرف الدين النصيبينى.

وأخذ عنه عدد ضخم، نبغ من بينهم جم غفير، صار منهم المحدثون والنحويون ، وقضاة القضاة .

وألف كثيرا من الكتب ، منها : كتاب الالمام الجامع أحاديث الأحكام (١) ؛ ومنها : كتاب الالمام فى الأحكام وهو فى عشرين مجلدا، وشرح كتاب التبريزى فى الفقه ، ومقدمة المطرزى فى أصوله ، كما شرح بعض مختصر ابن الحاجب فى الفقه ، ووضع فى علوم الحديث

(١) من الكتاب نسخة خطية بمكتبة الأزهر رقم ٢٨٧ (٢١٢٨) حديث ، وأخرى بمكتبة بلدية الاسكندرية رقم ١١٩٤ ب ، وثالثة بالظاهرية بدمشق رقم ٢٩٥ - ٢٩٦ حديث .

كتاب الاقتراح فى معرفة الاصطلاح ، وله مصنف فى أصول الدين .

وكان ابن دقيق العيد الى جانب امتيازه فى التدريس والتأليف، خطيبا بارعا ، وكان يقول الشعر .

وله نثر لا يخرج عن طريقة أهل عصره ، الذين أغرموا بالسجع والمحسنات البديعية .

ابن الشهاب الاسنائى *

على بن هبة الله بن أحمد ، أخذ العلم عن رجالات عصره ، فسمع الحديث على أبى الفتح القشيرى ، والحافظ عبد المؤمن الدمياطى ، وقاضى القضاة ابن جماعة الكنانى ، وحفظ فى الحديث مختصر مسلم للحافظ المنذرى ، وأخذ الفقه على بهاء الدين القفطى ، وجلال الدين الدشناوى ، وبرع فيه حتى وصل الى درجة الافتاء ، ولما حج كتب الروضة ، فى فقه الشافعى ، للنووى بمكة ، وهو أول من أدخلها قوص، وكان يستحضرها أو غالبها ، كما حفظ فى أصول الفقه كتاب المنتخب. وكان سريع البديهة فى الفقه : حكى أن بعض أولاد الشيخ تقى الدين القشيرى نقل عنه لجده الشيخ تقى الدين كلاما من جملته أنى قلت : أنا أفقه منه . قال وصرت أحضر عند الشيخ الدرس ، وأرى فى نفسه منى شيئا ، فقال الشيخ يوما فى الدرس ، وقد ذكر موانع الميراث : ثم مانع آخر ، وأمهلتكم فيه شهرا . قال : فأخذت فى استحضار القرآن الكريم ، ثم الحديث النبوى ، فجرى على ذهنى قوله صلى الله عليه وسلم: نحن معاشر الأنبياء لا نورث، فقلت : ياسيدى، ولو كان مفقودا فى زماننا ، فشعر أنى عرفته ، فقال : قل ، فقلت : النبوة .

---

* مراجعه :

١ - حسن المحاضرة جـ١ ص ١٩٧ .

٢ - الطالع السعيد ص ٢٢٧ .

٣ - الدرر الكامنة جـ ٣ ص ١٣٦ .

تونى ابن الشهاب الحكم بأدفو وقنا ، وأقام بقوص ، يدرس فى مدارسها المختلفة ، فدرس بالمدرسة العزية ، والمجدية ، ودار الحديث، ورباط ابن الفقيه نصر . وأصبح مدار الفتوى عليه فى قوص ، وكان متشددا فى فتاويه ، مهيبا مع تواضعه ، قائما بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . ظل بقوص يدرس ويفتى ، الى أن مات بها سنة ٧٠٧ هـ .

ومن رجال المالكية :

سند بن عنان الأزدى *

من زهاد العلماء ، وكبار الصالحين ، أخذ الفقه عن أبى بكر الطرطوشى (١) ، وجلس لالقاء الدرس بعده فى الاسكندرية ، وانتفع به الناس ، ومن أهم آثاره كتاب حسن فى الفقه ، شرح به كتاب المدونة فى مذهب مالك ، أنهى منه ثلاثين سفرا ، ومات قبل أن يتممه ، وألف فى الجدل أيضا . وتوفى بالاسكندرية سنة ٥٤١ هـ .

شيث بن ابراهيم القفطى **

فى مدينة قفط ، احدى مدن الصعيد ، وفى سنة ٥١١ هـ ، ولد شيث بن ابراهيم ، ثم انتقل الى قنا ، ولعل درس بها الفقه والنحو واللغة والعروض ، ومضى الى الاسكندرية ، فسمع الحديث من

---

* مراجعه :

١ - الديباج المذهب ص ١٣٠ .
٢ - حسن المحاضرة ج ١ ص ٢١٣ .
(١) ستأتى ترجمته

** مراجعة :

١ - الديباج المذهب ص ١٣١ .
٢ - حسن المحاضرة ج ١ ص ٢١٤ .
٣ - بغية الوعاة ص ٢٦٧ .
٤ - نكت الهميان ص ١٦٨ .
٥ - الطالع السعيد ص ١٣٨ .
٦ - كشف الظنون ج ١ نهر ٩٢٤ و ج ٢ نهر ١٧٩٣ .

السلفى ، واختير لتعليم أولاد شاور ، فرحل اليه واشتغل بتعليمهم ، ويذكر مؤرخوه له أنه كان صارما فى أخلاقه ، لم يره أحد ضاحكا ولا هازلا ، يسير سيرة السلف الصالح فى التقوى والزهد ، ومن أجل ذلك كان موطن تعظيم ملوك مصر واجلالهم ، على كثرة نقده لهم ، واعتراضه عليهم ، وألف لصلاح الدين كتابا فى السياسة ، هو : تهذيب ذهن الواعى ، فى اصلاح الرعية والراعى . وكان القاضى الفاضل يجله ، ويقبل شفاعته ، ويعرف حقه ، وله اليه رسائل ومكاتبات ، وعاش شيث حتى علت سنه ، ونحل جسمه ، وكف بصره ، ومات وله من العمر ثمانية وثمانون عاما ، سنة ٥٩٢ هـ ، وله مؤلفات فى المواد التى درسها ، فله فى الفقه تعاليق ومسائل ، وله فى النحو كتاب المختصر ، والمعتصر من المختصر ، وغيرهما ، وألف أيضا كتاب الاشارة، فى تسهيل العبارة ، وكتابا آخر فى السياسة غير الذى ألفه لصلاح الدين ، اسمه : لطائف السياسة ، فى أحكام الرياسة ، وكتابين لم أدر موضوعهما ، هما : جز الغلاصم وافحام المخاصم ، ولعله فى الخلاف ، وكتاب المقتصر فى مختصر الروضة ، ولعلها روضة الموفق بن قدامة فى أصول الفقه ، ووضع قصيدة لغوية ، سماها : اللؤلؤة المكنونة . جمع فيها كثيرا من الألفاظ اللغوية الغريبة ، كما كان له كلام فى الرقائق ، وشعر وعظى ، منه قوله يعظ شاور :

هى الدنيا اذا اكتملت
وطاب نعيمها قتلت

فلا تفرح بلذتها
فباللذات قد شغلت

وكن منها على حذر
وخف منها اذا اعتدلت

ولا يغررك زخرفها
فكم من نعمة سلبت

جلال الدين بن شاس *

عبد الله بن نجم ، امام بارع فى مذهب مالك ، أخذ عنه الفقه فى مصر جمع كبير ، قدروه عظيم التقدير ، وأصبح فى عصره شيخ المالكية ومرجعهم ، درس بالمدرسة القمحية ، وصنف فى مذهب مالك كتابا نفيســا ، سماه : الجواهر الثمينة ، فى مذهب عالم المدينة . وضعه على ترتيب الوجيز لأبى حامد الغزالى ، ولقفته طائفة المالكية بمصر ، وعكفت عليه ؛ لحسنه وكثرة فوائده . وألف غير الجواهر . واشتغل بالحديث. ولمــا حج فى آخر عمره وعاد ، امتنع من الفتيــا تورعا ، ورأى أن يساهم بنفسه فى الجهاد فى سبيل الله ، فمضى الى دمياط ، والعدو محاصرها ، فتوفى هناك سنة ٦١٦ هـ ، وهو من بيت امارة ، كان جده : شاس ، أمير مائة ، مقدم ألف .

ابن سيد الناس **

عبد السلام بن على بن عمر الزواوى ، شيخ المالكية ، ومفتيهم ، وقاضيهم ، وشيخ قراء دمشق فى زمانه ، ولد بالأندلس سنة ٥٨٩ هـ ، وقدم مصر ، وهو شاب ، وقرأ فيها بالروايات ، ثم ذهب الى دمشق ، فقرأ على أبى الحسن السخاوى ، وأخذ العربية عن ابن الحاجب ، وبرع فى الفقه ، وعلوم القرآن ، وجلس للتدريس والفتوى والاقراء بجامع دمشق ، كما درس بالمدرسة الصلاحية التى أنشأها صلاح الدين بدمشق للمالكية .

---

* مراجعه :

١ ـ الديباج المذهب ص ١٤٦ . ٢ ـ حسن المحاضرة جـ ١ ص ٢١٤

٣ ـ وفيات الأعيان جـ ١ ص ٢٥٧ . ٤ ـ شذرات الذهب جـ ٥ ص ٦٩

٥ ـ كشف الظنون جـ١ نهر ٦١٣ . ٦ ـ دول الاسلام جـ ٢ ص ٩٠ .

** مراجعه :

١ ـ طبقات القراء للذهبى جـ٢ ص ٢١١ .

٢ ـ السلوك للمقريزى جـ١ ص ٥٤٢ .

٣ ـ النجوم الزاهرة جـ٧ ص ٣٥٦ . ٤ ـ غاية النهاية جـ ١ ص ٣٨٦

٥ ـ تنبيه الطالب جـ ٢ ص ١١٦ ـ ١١٧ .

٦ ـ البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٣٠٠ .

وفى عهد الظاهر بيبرس سنة ٦٦٤ هـ ، كان أول قاضي قضاة المالكية في دمشق ، وعندما عهد اليه بذلك لم يقبل ، فألزم ، والا أخذ ما بيده من المناصب ، فظل تسعة أعوام ، ثم عزل نفسه ، فألزم مرة أخرى ، فأجاب ، على ألا يتناول مرتبا على القضاء ، ولا يباشر أوقافا .

وألف فى التجويد مصنفا فى الوقف والابتداء ، ووضع كتابا فى عدد الآى . واستمر على التدريس والاقراء ، الى أن مات فى رجب سنة ٦٨١ هـ ، ومشى فى جنازته نائب السلطنة بدمشق ، وازدحم الناس على نعشه .

شهاب الدين القرافى *

أحمد بن ادريس بن عبد الرحمن ، برع فى الفقه ، والأصول ، والعلوم العقلية ، ودرس التفسير ، وانتهت اليه رياسة المالكية فى عصره ، وتخرج على يديه جمع من الفضلاء ، أخذوا عنه فى المدرسة القمحية ، التى كان يلقى دروسه فيها ، وقد درس هو كثيرا من علومه على عز الدين بن عبد السلام .

ألف القرافى كتبا كثيرة ، رحب بها أهل مذهبه ، وأجلوها ، ونالت من الشهرة حظا وافرا ، فمن مؤلفاته فى الفقه : كتاب الذخيرة(١) ، وهو من أجل كتب المالكية ، وكتاب القواعد ، فى مجلد كبير ، جمع خمسمائة وأربعين قاعدة من القواعد الفكرية ، مما لم يسبق الى مثله . وشرح تهذيب المدونة . وله كتب فقهية تبحث بعض الجزئيات ، مثل كتاب الأمنية (٢) فى ادراك النية ، وكتاب الاستقصاء فى أحكام

* مراجعه :

١ - الديباج المذهب ص ٤٧ .

٢ - حسن المحاضرة جـ ١ ص ١٤٢ .

٣ - معجم المطبوعات لسركيس جـ ٢ نهر ١٥٠١ .

٤ - كشف الظنون جـ ١ نهر ٨٢٥ و ١٠٨٦ .

٥ - تاريخ الأدب العربى بمصر والشام ، على عهدى المماليك والعثمانيين ، للأستاذ السباعى بيومى ص ٢١ .

(١) بدار الكتب رقم ٣٤ و ٣٥ فقه مالك .

(٢) مخطوط بدار الكتب رقم ٣٦٩ فقه مالك .

الاستثناء ، وكتاب الأحكام (١) ، فى الفرق بين الفتاوى والأحكام ، وكتاب الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، فى الرد على أهل الكتاب وكتاب البيان فى تعليق الأيمان ، وكتاب العموم ورفعه ، وكتاب المنجيات والموبقات ، فى الأدعية ، وما يجوز منها ، وما يكره ، وما يحرم . وفى أصول الفقه : شرح كتاب المحصول للفخر الرازى (٢)، ووضع هو كتاب التنقيح (٣) فى الأصول ، وجعله مقدمة لكتابه : الذخيرة ، وشرحه شرحا مفيدا . وفى أصول الدين : شرح الأربعين للرازى ، وهى أحاديث تتعلق بالعقائد ، ووضع كتاب الانقاذ فى الاعتقاد ، وله أيضا : الأجوبة عن الأسئلة الواردة على خطب ابن نباتة. ولعلها أسئلة دينية .

وتوفى ، رحمه الله ، بدير الطين (دار السلام) بالقرب من مصر القديمة ، سنة ٦٨٤ هـ .

ومن رجال المذهب الحنبلى :

موفق الدين بن قدامة

عبد الله بن أحمد بن محمد ، أحد أعلام المذهب ورجالاته ، ولد فى شعبان سنة ٥٤١ هـ . بجماعيل ، احدى قرى مدينة نابلس ، فى

---

١ ـ بدار الكتب رقم ١ فقه مالكى .

٢ ـ اسم الكتاب : نفائس الأصول فى شرح المحصول ، بدار الكتب رقم ٧٥٢ أصول فقه .

٣ ـ بدار الكتب رقم ب ١٩٦٥ .

* مراجعه :

١ ـ النجوم الزاهرة جـ٦ ص ٢٥٦ وجـ ٧ ص ٣٥٨ .
٢ ـ ذيل الروضتين ص ١٣٩ .
٣ ـ معجم المطبوعات لسركيس جـ ١ نهر ٢١٣ .
٤ ـ شذرات الذهب جـ ٥ ص ٨٨ .
٥ ـ المنهج الأحمد جـ٢ ص ٣٤٢ و ٣٥٠ .
٦ ـ طبقات الحنابلة لابن رجب جـ ٢ ص ١٧٠ .
٧ ـ البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٩٩ .
٨ ـ المقصد الأرشد ص ١٢٤ .
٩ ـ دول الاسلام جـ ٢ ص ٩٣ .

أسرة عرفت بالعلم والتقوى والصلاح ، ثم انتقل الى دمشق مع أهله ، وله من العمر عشر سنين ، فقرأ بها القرآن ، وحفظ مختصر الخرقى فى الفقه ، وسمع الحديث من والده وغيره ، ثم رحـل الى بغـداد سنة٥٦١ هـ ، وعمره عشرون عاما ، فدرس على الشيخ عبدالقادر الجيلى ، وقرأ عليه بعض الخرقى ، وأقام عنده بمدرسته مدة يسيرة ، مات بعدها أستاذه ، وأقام ببغداد زهاء أربع سنين ، ثم رجع الى دمشق ، ولكنه جاء بغداد مرتين أخريين : احداهما سنة ٥٦٧ هـ ، والأخرى بعد عودته من الحج سنة ٥٧٤ هـ ، حيث بقى بها سـنة ، كما رحل الموفق الى الموصل ، وأخذ العلم عن أساتذة هذه المدن الأربعة .

جد الموفق فى الدراسة على أساتذته ، حتى أصبح اماما فى الفقه والفتيا ، عارفا بالحديث ، عالمـا بالخلاف ، والفرائض ، والحسـاب ، وأصول الفقه ، والكلام ، آخذا من كل ذلك بالنصيب الأوفى .

وساهم الموفق مساهمة كبرى فى الانتاج الفكرى ، فألف كتبا فى كثير من نواحى النشاط العلمى ، التى أتقن دراستها . وكان أكثر كتبه على طريقة المحدثين ، مشحونة بالأحاديث ، والآثار بأسانيدها .

فمما ألفه فى الفقه كتاب المغنى (١) ، شرح به مختصر الخـرقى ، وضعه فى عشر مجلدات ، وتعب فى تأليفه .

ووضـع فى الفقه أيضا : كتاب الكافى ، فى أربع مجـلدات ، والعمدة ، فى مجلد صغير ، واختصر كتاب الهداية ، وألف كتابا فى مناسك الحج ، وآخر فى ذم الوسواس ، وصنف كتاب المقنع الذى شرحه ابن أخيه : عبد الرحمن بن محمد ، وله فتاوى ، ومسـائل منثورة ، ورسائل فى الفقه شتى كثيرة .

وله فى أصول الفقه : كتاب روضة الناظر ، وجنة المناظر ، وفى

---

(١) منه أجزاء مخطوطة بدار الكتب بأرقام ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٣٩ ، ٤٠ فقه أحمد بن حنبل .

أصول الدين : كتاب الاعتقاد ، وكتاب البرهان ، فى مسألة القرآن ، وذم التأويل ، وكتاب القدر ، وفضائل الصحابة ، وجواب مسألة وردت من صرخد فى القرآن ، ورسالة الى فخر الدين بن تيمية ، فى موضوع تخليد أهل البدع فى النار . وما كان يحب الخوض مع المتكلمين فى دقائق الكلام ، ولو كان بالرد عليهم ، وله فى ذلك رسالة ، دعاها : مسألة فى تحريم النظر فى كتب أهل الكلام ، وكان يأمر بالاقرار لما جاء فى الكتاب والسنة من الصفات ، من غير تغيير ، ولا تكييف ، ولا تمثيل ، ولا تأويل ، ولا تعطيل .

وللموفق فى الحديث : اختصار كتاب علل الحديث للخلال ، فى مجلد ضخم .

وفى التاريخ ، ألف : معجم شيوخه ، وكتابا دعاه : التبيين ، فى نسب القرشيين ، وآخر دعاه : الاستبصار ، فى نسب الأنصار .

وفى اللغة ، وضع : قنعة الأريب ، فى الغريب ، فى مجلد مختصر .

واشتغل الموفق بالرقائق ، ووضع فيها كتبا : ككتاب التوابين ، والمتحابين فى الله ، والرقة والبكاء . كل كتاب منها فى جزءين .

عاش الموفق للتدريس ، والتأليف ، والفتوى ، حتى مات ، فى أول أيام عيد الفطر ، سنة ٦٢٠ هـ ، وشيعته دمشق فى جنازة حافلة .

وقد بهرت سيرته بعض المؤرخين ، فأفردوا لتاريخه كتابا خاصا به ، ومن هؤلاء : الحافظ ضياء الدين المقدسى ، وضع سيرته فى جزءين ، والحافظ الذهبى ، وذكره يحيى بن يوسف الحنبلى ، وسجل بعض جهوده العلمية ، فى القصيدة التى أنشأها ، يثنى بها على الله عز وجل ، ويمدح النبى والصحابة ، وجماعة من التابعين ، ويذكر فيها أحمد بن حنبل ، وجماعة من أصحابه ، وفيها يقول عن الموفق :

وفى عصرنا كان المـوفق حجـة
على فقهه الثبت الأصول معولى
كفى الخلق (بالكافى)، وأقنع طالبا
(بمقنع) فقه عن كتـاب مطول
(وأغنى بمغنى) الفقه من كان باحثا
(وعمدته) من يعتمدها يحصل
(وروضته) ذات الأصول كروضة
أماست بها الأزهار أنفاس شمأل
تـدل على المنطوق أقوى دلالة
وتحمل فى المفهوم أحسـن محمل

ومن علماء مذهب أبى حنيفة :

عبد الغفار بن لقمان *

لا نكاد نعرف من حياته ، الا أنه تفقه على أبى الفضل الكرمانى، وتولى قضاء حلب، لنور الدين محمود بن زنكى، ومات بها سنة٥٦٢هـ، وأنه كان على غاية من الزهـد . ولكنـه خلف آثارا جمـة ، فى الفقه وأصوله : ففى الفقه : شرح الجامع الصغير ، ونحا فيه منحى شرحه للجامع الكبير ، يذكر لكل باب أصلا ، ثم يخرج عليه المسائل . ووضع كتابا فى بيان ألفاظ تجرى على ألسنة العوام ، فيكفرون بها ، وجمع المسائل التى يتحير فى حلها العلماء ، فى كتاب ، سماه : حيرة الفقهاء . وفى أصول الفقه : شرح كتاب أستاذه ، الموسوم : بالتجريد، فى كتاب ، سماه : المفيد والمزيد .

---

* مراجعة :

١ - تاج التراجم ص ٢٧ .

٢ - الفوائد البهية ص ٩٨ .

٣ - كشف الظنون جـ ١ نهر ٥٦٢ .

الغزنوى *

أحمد بن محمد بن محمود ، ولعل أصله من غزنة احدى بلاد الهند ، درس الفقه على مشهورى أساتذة المذهب ومؤلفيه ، حتى بلغ فيه شأوا بعيدا ، وأخذ عنه المذهب جماعة . وألف عدة كتب ، منها فى الفقه : المقدمة الغزنوية المشهورة ، قال عنها صاحب كشف الظنون : « هى تأليف مختصر نافع فى العبادات ، حجمه صغير ، وعلمه كثير » ذكر فيه الفرائض والواجبات والسنن والآداب ، ورتبه على ثمـانية أبواب : الأول فى طلب العلم ، وفيه أربعة فصول ، منها فصل فى مناقب الامام أبى حنيفة ، وبقية الأبواب فى الاستنجاء ، والسواك ، والوضوء ، والصلاة ، والزكاة ، والسابع فى فضل شهر رمضان ، والثامن فى العمل بالعلم . وله كتاب الروضة فى اختلاف العلمـاء . وكتاب فى أصول الفقه ، وكتاب فى أصول الدين ، سماه : روضة المتكلمين ، واختصره فى كتاب ، سماه : المنتقى من روضة المتكلمين ؛ ومات الغزنوى بحلب سنة ٥٩٣ هـ .

جمال الدين الحصيرى **

محمود بن أحمد بن عبد السـيد ، ولد سنة ٥٤٦ هـ ، بمدينة

---

* مراجعه :
١ ـ تاج التراجم ص ٧ .
٢ ـ الفوائد البهية ص ٤٠ .
٣ ـ كشف الظنون جـ ٢ نهر ١٨٠٢ .
٤ ـ اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء جـ٤ ص ٣١١ .
٥ ـ طبقات الفقهاء لمحمد أمين بن حبيب ص ٨ .

** مراجعه :
١ ـ تاج التراجم .
٢ ـ الفوائد البهية ص ٤٢ و ٢٠٥ .
٣ ـ النجوم الزاهرة جـ ٦ ص ٢١٣ و جـ ٧ ص ٢٥٠ .
٤ ـ ذيل الروضتين ص ٨٦ و ١٦٧ .
٥ ـ شذرات الذهب جـ ٥ ص ١٨٢ .
٦ ـ المختصر جـ ٣ ص ١٣٨ .
٧ ـ كشف الظنون جـ ١ نهر ٥٦٨ و ٧٢٧ وجـ ٢ نهر ١٠١٣ .
٨ ـ كتاب أعلام الأخيار ص ٢٩٢ .
٩ ـ تنبيه الطالب فى مدارس دمشق جـ ١ ص ٤١٧ .
١٠ـ البداية والنهاية جـ ١٣ ص ١٥٢ .
١١ ـ دول الاسلام جـ ٢ ص ١٠٨ .

بخارى ، فى محلة يعمل فيها الحصير ، فنسب اليها ، وبدأ دراسته فى بلده ، أخذ بها الفقه عن قاضى خان ، وكان من تلامذته المختصين به ، ثم مضى الى نيسابور ، فسمع صحيح مسلم من المؤيد الطوسى ، وجاء الى حلب ، فدرس بها الحديث أيضا ، ثم دخل دمشق سنة ٦١١ هـ ، وقد انتهت اليه رياسة المذهب فى زمانه ، فرحب به المعظم عيسى ، وقرأ عليه كتاب الجامع الكبير وغيره ، وفوض اليه تدريس المدرسة النورية ، وحضر المعظم مع الفقهاء ، فى أول درس ألقاه بها ، فى ثالث ربيع الأول .

وشرح الحصيرى الجامع الكبير شرحين : أحدهما مختصر ، زاد فيه على ما فى الجامع زهاء ألف وستمائة وثلاثين من المسائل ، وكثيرا من القواعد الحسابية ، وبالغ فى الايضاح بالنظائر والشواهد ، وايراد الفروق بأوجز العبارات ، وهو فى مجلدين ، وثانيهما المطول الذى بلغ فى الجمع والتحقيق الغاية ، وهو المسمى بالتحرير (١) ، فى شرح الجامع الكبير ، وهو فى ثمانية مجلدات ، ألفه حين قرأه عليه الملك المعظم عيسى ، كما ألف للملك الناصر : داود بن المعظم ، وكان تلميذه أيضا ، كتاب المطلوب ، فى العلم المرغوب ، وهو كتاب فى الفتاوى ، وشرح كتاب خير السير الكبير فى الفقه ، للامام محمد بن الحسن الشيبانى صاحب أبى حنيفة . وله الطريقة الحصيرية ، فى علم الخلاف ، بين الشافعية والحنفية (٢) .

وظل الجمال مدرسا بالنورية خمسا وعشرين سنة ، حتى مات فى الثامن من صفر سنة ٦٣٦ هـ ، وله من العمر تسعون سنة ، وكانت له جنازة حفلة ، ذكر فيها مشيعوه أنه كان من العلماء العاملين ، رقيق القلب ، كثير الصدقة ، نزيها ، عفيفا ، كبير العقل ، عظيم الدين ، تبدو عليه الهيبة والوقار . ومن أشهر تلاميذه سبط ابن الجوزى .

---

(١) مخطوط بدار الكتب رقم ٩٩ فقه حنفى .

(٢) مخطوطة بدار الكتب رقم ٣٦٦ — أصول الفقه .

مجد الدين بن العديم *

فى بيت من بيوت العلم العريقة ، ولد مجد الدين عبد الرحمن عمر بن أحمد ، سنة ٦١٣ هـ ، ودرس الفقه ، وسمع الحديث ، وأخذ الأدب ، وبلغ فى علمه بمذهب أبى حنيفة شأوا بعيدا ، فعين قاضيا بدمشق ، ومدرسا فيها ، ثم ولاه الظاهر بيبرس الخطابة بجامع الحاكم سنة ٦٦٣ هـ ، فكان أول حنفى خطب بهذا الجامع ، كما كان أول حنفى درس بالظاهرية ، عندما أنشأها الظاهر بيبرس ، ثم عاد الى دمشق ، وولى قضاء قضاتها ، حتى مات سنة ٦٧٧ هـ ، عن أربع وستين سنة ، وكان مجد الدين لا يرى العلم والدين مانعين من عرفان المرء قدر نفسه، واستمتاعه بما طاب من نعيم الحياة .

---

* مراجعه :

١ - النجوم الزاهرة جـ ٧ ص ١٢٠ و ٢٨١ .
٢ - السلوك جـ ١ ص ٥٤٠ و ٦٤٩ و ٦٥١ .
٣ - حسن المحاضرة جـ ١ ص ٢٢٠ .
٤ - نهاية الأرب جـ ٢٧ ص ١٢٤ .
٥ - شذرات الذهب جـ٥ ص ٣٥٨ .
٦ - البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٨٢ .
٧ - اعلام النبلاء جـ ٤ ص ٥١٧ .

أصول الفقه

هو العلم بالقواعد ، التى يتوصل بها ، الى استنباط المسائل الفقهية ، من أدلتها التفصيلية .

وقد درست مصر والشام بعض الكتب التى وفدت عليهما من الخارج ، كما قدمتا بدورهما جهودهما المذكورة فى هذه الناحية .

ومما لا شك فيه أن مصر قد عرفت أصولا لفقه الشيعة ، عندما كان هذا المذهب سائدا فيها ، ولكنى لم أعثر على جهود علماء الشيعة فى هذه السبيل .

وكان يدرس فى هذا المادة كتب ، منها : كتاب التحصيل ، للامام أبى منصور عبد القاهر البغدادى الشافعى المتوفى سنة ٤٢٩ هـ (١) ، وكتاب اللمع ، لأبى اسحق الشيرازى المتوفى سنة ٤٧٦ هـ (٢) ، فلما جاء الى البلاد كتاب المحصول ، لفخر الدين الرازى المتوفى سنة ٦٠٦هـ، أقبلت عليه ، حتى أصبح أشهر ما يدرس فى هذه المادة ، فاختصره العلماء أحيانا ، وشرحوه أحيانا أخرى ، وجمعوا ما فيه من المعلومات ، وزادوا عليها ما نقصه منها ، ووفد للمؤلف نفسه كتاب آخر فى الأصول أيضا ، هو كتاب المعالم ولكنه لم يظفر بتقدير الكتاب الأول .

الى جانب هذه الكتب الوافدة ، قدمت البلاد فى هذه المادة كتبا ، عدت من أصول كتبها ، ومن أهم مراجعها ، من ذلك كتاب الأحكام (٣) للآمدى ، المتوفى سنة ٦٣١ هـ ، وقد اختصر هذا الكتاب (كما قيل) ابن الحاجب المالكى ، فى كتاب سماه : منتهى السول والأمل ، فى علمى الأصول والجدل ، ثم عاد فاختصر المنتهى فى كتاب شهر عند الأصوليين ، بمختصر المنتهى ، ومختصر ابن الحاجب (٤) ،

---

(١) كشف الظنون نهر ٣٦٠ ، وبغية الوعاة ص ١٢٠ .

(٢) المرجع السابق ج ١ نهر ٢٤٥ ، وطبقات الشافعية جـ٥ ص ١٤٣ .

(٣) بدار الكتب رقم ٤ و ٩ و ١٠ و ٣٤٣ — أصول فقه .

(٤) الكتابان مطبوعان — معجم المطبوعات لسركيس ج ١ نهر ٧٢ .

وظفر مختصر ابن الحاجب من عناية العلماء (١) ، بما فاق به على كتاب المحصول ، ووضع العلماء فى تلك الحقبة كتبا أخرى تربو على العشرين ، منها ما هو مختصر للمبتدئين ، ومنها ما هو مطول للعلماء المتعمقين .

ومن أشهر رجال هذه المـادة :

شمس الدين الأصفهانى *

محمد بن محمود بن محمد ، ولد بأصفهان سنة ٦١٦ هـ ، ودرس أصول الفقه ، وأصول الدين ، وعلم المنطق ، والفلسفة ، ولما دخل الشـام ظفر بين علمائها بمكانة سامية ، ثم دخل القاهرة ، وولى قضاء مصر ، والتدريس فى بعض مدارسها ، وتولى الحكم بقوص حينا من الزمن .

اشـتغل الأصفهانى بالفلسـفة والمنطق ، الا أن دينه ، وورعه ، وعقيدته السنية ، لم تدع سبيلا لأن يشنع عليه أحد ، أو يتهمه بسبب هذه الدراسة خصم ، وما كان يسمح لطالب أن يشتغل عليه بالفلسفة ، الا اذا درس علوم الدين ، وامتزج بها امتزاجا حقيقيا ، وتعمق فيها تعمقا يحول بينه وبين الزيغ والانحراف .

وألف شمس الدين كتبا فى المواد التى نبغ فيها ، ففى أصـول الفقه : شرح المحصول (٢) للرازى ، شرحا كبيرا حافلا ، وكان أحسن تصانيفه كتاب القواعد ، وهو مشتمل على أصول الدين ، وأصـول الفقه ، والمنطق ، والخلاف .

وظل شمس الدين مصدر علم غزير لمصر ، حتى مات بالقـاهرة سنة ٦٨٨ هـ .

---

(١) بعض شروحه بفهرس دار الكتب جـ١ ص ٣٨٨ .

* مراجعه :

١ – فوات الوفيات جـ ٢ ص ٩٦٥ . ٢ – حسن المحاضرة جـ ١ ص ٢٦٠ .
٣ – بغية الوعاة ص ١٠٣ . ٤ – طبقات الشافعية جـ٥ ص ٤١ .
٥ – الطالع السعيد ص ٣٨ و ١١٥ .
٦ – كشف الظنون جـ ٢ نهر ١٦١٥ .
٧ – شذرات الذهب جـ٥ ص ٤٠٦ .

(٢) بدار الكتب رقم ٤٧٣ – أصول فقه .

الخلاف والجـدل

قال ابن خلدون فى مقدمته (١) : « اعلم أن هذا الفقه المستنبط من الأدلة الشرعية ، كثر فيه الخلاف بين المجتهدين ، باختلاف مداركهم وأنظارهم ... ثم لمـا انتهى ذلك الى الأئمة الأربعة من علماء الأمصار، وكانوا بمكان من حسن الظن بهم ، اقتصر الناس على تقليدهم ، ومنعوا من تقليد سواهم ... فأقيمت هذه المذاهب الأربعة أصول الملة ، وأجرى الخلاف بين المتمسكين بها ، والآخذين بأحكامها ، مجرى الخلاف فى النصوص الشرعية ، والأصول الفقهية ، وجرت بينهم المناظرات فى تصحيح كل منهم مذهب امامه ، تجرى على أصول صحيحة ، وطرائق قويمة ، يحتج بها كل على مذهبه الذى قلده ، وتمسك به ، وأجريت فى مسائل الشريعة كلها . وفى كل باب من أبواب الفقه ... وكان فى هذه المناظرات بيان مأخذ هؤلاء الأئمة ، ومثارات اختلافهم ، ومواقع اجتهـادهم . كان هذا الصنف من العلم يسـمى بالخلافيات ، ولابد لصاحبه من معرفة القواعد ، التى يتوصل بها الى استنباط الأحكام ، كما يحتاج اليها المجتهد ، الا أن المجتهد يحتاج اليها للاسـتنباط ، وصاحب الخلافيات يحتاج اليها ، لحفظ تلك المسائل المستنبطة ، من أن يهدمها المخالف بأدلته ، وهو لعمرى علم جليل الفائدة ، فى معرفة مأخذ الأئمة وأدلتهم ، ومران المطالعين له على الاستدلال ، فيما يرومون الاستدلال عليه » .

ثم قال (٢) : « وأما الجدل ، وهو معرفة آداب المناظرة التى تجرى بين أهل المذاهب الفقهية وغيرهم ، فانه لمـا كان ... كل واحد من المتناظرين فى الاستدلال والجواب ، يرسل عنانه فى الاحتجاج ، ومنه ما يكون صوابا ، ومنه ما يكون خطأ ، فاحتاج الأئمة الى أن يضعوا

---

(١) ص ٣٩٨ .

(٢) ٣٩٩ .

آدابا وأحكاما ، يقف المتناظران عند حدودها ، فى الرد والقبول ، وكيف يكون حال المستدل والمجيب ، وحيث يسوغ له أن يكون مستدلا ، وكيف يكون مخصوما منقطعا ... وأين يجب عليه السكوت، ولخصمه الكلام والاستدلال » ا هـ .

وقد عنى بدراسة هاتين المادتين فى ذلك العصر ، حتى كان من شروط الواقف على المدرسة المسرورية بدمشق ، أن يكون المدرس بها عالما بالخلاف (١) .

ولا بد أن تكون مصر والشام قد عرفتا ما وضعه الغزالى من كتب فيهما : ككتابى المنتخل والمنخول فى الجدل (٢) ، وكتاب المأخذ فى الخلاف (٣) ، كما عرفت كتاب المقترح فى المصطلح ، وهو مؤلف فى الجدل ، وضعه أبو منصور البروى (٤) الشافعى المتوفى سنة ٥٦٧ هـ ، وقد شرح هذا الكتاب العالم المصرى المظفر بن عبد الله ، وكان اماما مناظرا فى الفقه والأصول ، ودرس بالسلفية بالاسكندرية ، وألف فى علومه التى كان يدرسها ، وكان يحفظ المقترح ، حتى كان يسمى به ، وتوفى سنة ٦١٢ هـ (٥) . كما أرجح أن المقدمة التى وضعها برهان الدين النسفى ، المتوفى سنة ٦٨٤ هـ فى الجدل والخلاف ، والتى شرحها شمس الدين السمرقندى بماردين ، سنة ٦٩٠ هـ (٦) ، مما عرفته البلاد ، فى هذه المادة يومئذ .

ولكن جهدها لم يقف عند هذا الحد ، بل ساهمت فى التأليف ، وكان أغزر علمائها انتاجا فى تلك المادة ، هو سيف الدين الآمدى الذى سنترجم له ، وقد وضع كتبا عدة ، وشرح بعض كتب سواه ،

---

(١) بغية الوعاة ص ٧ .

(٢) وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٦٤ .

(٣) مقدمة ابن خلدون ص ٣٩٩ .

(٤) كشف الظنون ج ٢ نهر ١٨٩٣ .

(٥) راجع طبقات الشافعية للسبكى ج ٥ ص ١٥٦ ، وحسن المحاضرة ج ١ ص ١٩٠ ، وكشف الظنون ج٢ نهر ١٧٩٣ .

(٦) كشف الظنون ج٢ نهر ١٨٠٣ .

ومن ذلك كتابه الذى سماه : غاية الأمل فى علم الجدل (١) ، والمؤاخذات فى الخلاف (٢) ، والترجيحات فى الخلاف أيضا (٣) ، وشرح كتابا لشهاب الدين المعروف بالشريف المراغى (٤) ، كما كتب فخر الدين ابن الدهان كتابا فى الخلاف (٥) ، ومحمد بن يونس بن منعة كتابا فى الجدل ، سماه : التحصيل (٦) ، واشتهر من علماء هاتين المادتين غير من ذكرنا ، شمس الدين الأصفهانى الذى ترجمنا له فيما مضى (٧) ، وقد درس عليه هذه المادة وغيرها أسماعيل بن هبة الله الاسنائى (٨) ، وأحمد بن محمد القدسى ، المتوفى سنة ٦٣٨ هـ (٩) ، ومنهم :

شمس الدين الخويى *

بضم الخاء المعجمة ، وفتح الواو ، وتشديد الياء الأولى ، نسبة الى خوى ، وهى مدينة بأذربيجان من اقليم تبريز ، واسمه أحمد ابن الخليل ، ولد فى شوال سنة ٥٨٣ هـ . ودخل خراسان ، فدرس بها الأصول ، والفقه ، والجدل ، وسمع الحديث ، كما درس أصول الطب،

(١) عيون الأنباء جـ٢ ص ١٧٥ .
(٢) المرجع السابق .
(٣) المرجع السابق .
(٤) عيون الأنباء جـ٢ ص ١٧٥ .
(٥) المرجع السابق جـ٢ ص ١٨٢ .
(٦) طبقات الشافعية جـ٥ ص ٤٥ .
(٧) راجع ص ١٨٣ .
(٨) الطالع السعيد ص ٨٨ .
(٩) ذيل الروضتين ص ١٧١ .

* مراجعه :
١ - طبقات الشافعية جـ٥ ص ٨ .
٢ - عيون الأنباء جـ٢ ص ١٧١ .
٣ - النجوم الزاهرة جـ ٦ ص ٣١٦ .
٤ - ذيل الروضتين ص ١٤٨ و ١٦٩ .
٥ - خطط الشام جـ ٤ ص ٤٥ .
٦ - شذرات الذهب جـ ٥ ص ١٨٣ .
٧ - معجم الأطباء ص ١٠٦ .
٨ - البداية والنهاية جـ ١٣ ص ١٥٥ .
٩ - طبقات الشافعية لابن قاضى شهبة ص ٤٥ .

ولمـا ورد الى الشـام فى أيام المعظم عيسى ، حضر عنده ، وأعجب به المعظم ، وقرر له مرتبا ، وكان شـمس الدين فصيح اللسـان ، جيد التعبير ، فولاه المعظم قضاء قضاة لشام ، والمدرسة العادلية ، فسكنها ، وألقى بها الدروس للفقهاء ، وكان متواضعا ، دينا ، كثير الصـيام والصلاة ، وله من الكتب تتمة تفسير القرآن لابن خطيب الرى ، وكتاب فى النحو وآخر فى الأصول ، وغيرها فى العروض ، قال فيه أبو شامة :

أحمد بن الخليـل أرشـده الله
كما أرشـد الخليل بن أحمـد
ذاك مستخرج العروض ، وهـذا
مظهر السر منه ، والعود أحمد

أما فى علم الخلاف والجدل ، فقد شرح كتاب الارشاد للعميدى، المتوفى سنة ٥١٥ هـ (١) وتوفى شمس الدين بدمشق ، فى سابع شعبان سنة ٦٣٧ هـ .

(١) كشف الظنون جـ٢ نهر ١١١٣ .

أصول الدين

مما عنى به فى ذلك العصر علم الكلام ، لتصحيح العقيدة الدينية، والدفاع عنها ، فى عصر كان من أشد العصور اصطداما بالعقيدة المسيحية ، فكان من الطبيعى أن يتصدى لدراسة هذه المادة رجال ، يأخذون على عاتقهم توضيح العقيدة والدفاع عنها ، وكثيرا ما كانت المناظرات تجرى بين رجال من الصليبيين ، ورجال من المسلمين ، كل يحبذ دينه ويقيم البرهان على صحته ، فمن ذلك مثلا أن صاحب حصن أرنون كان يعرف العربية ، وعنده اطلاع على شىء من التواريخ ، وقد أقام يتردد على السلطان ، ويناظر المسلمين فى صحة دينه ، ويناظرونه فى بطلانه ويروى ابن شداد فى كتابه : النوادر السلطانية (ص ٨٠) بعض هذه المناظرات .

ويضاف الى هذا العامل ، ما كان بين الشيعة وأهل السنة من الخلاف فى بعض العقائد ، وما كان بين الأشاعرة والحنابلة من خلاف، دفع كل فريق من هؤلاء الى أن يناضل عن عقيدته وما يدين به .

وقد جد عماد الدين ، ونور الدين ، وصلاح الدين ، وخلفاؤهم ، حتى ساد البلاد مذهب أبى الحسن الأشعرى ، ولم يعد لغيره من المذاهب سيطرة ولا سيادة ، بل كان ينظر الى من يدين بسواه نظرة الريبة والحذر ، ويتصدى العلماء للرد عليه .

كان الانتاج فى هذه المادة ممثلا لهذه الحركة وصدى لها ، فرأينا كثيرا من العلماء قد تصدى للرد على النصارى ، والدفاع عن عقيدة الاسلام ، كالوزير القفطى ، (١) وعبد اللطيف البغدادى (٢)، وعبد العزيز الديرينى فى كتابه : ارشاد الحيارى ، فى ردع من مارى ، وهو مختصر فى أدلة التوحيد ، والرد على النصارى ، (٣) ونجم الدين

---

(١) معجم الأدباء جـ ١٥ ص ١٨٧ .

(٢) عيون الأنباء جـ٢ ص ٢١٢ .

(٣) طبع بمصر سنة ١٢٨٤ هـ . راجع معجم المطبوعات جـ١ نهر ٩٠١ .

سليمان الطوفى المتوفى سنة ٧١٠ هـ ، والذى وضـــع كتابا دعاه : الانتصارات الاسلامية ، فى دفع شبه النصرانية ، ذكر فيه أنه رأى كتابا لبعض النصارى ، طعن به فى دين الاسلام ، فصنف فى أنرد عليه هذا الكتاب (١) . ومن آثار احتكاك الاسلام بالنصرانية حينئذ ، كتاب القرافى ، الذى سماه : الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، كتبها ردا على اليهود والنصارى ، (٢) ورسالة عز الدين بن عبد السلام ، التى كتبها فى بيان تفضيل النبى صلى الله عليه وسلم على جميع الأنام (٣) .

وفى عصر سيادة السلطان الشيعى ، رأينا طلائع بن رزيك ، يؤلف كتاب الاعتماد فى الرد على أهل العناد ، وهو يتضمن امامة على بن أبى طالب ، والكلام على الأحاديث الواردة فى ذلك (٤) ، وعندما زالت دولة هذا المذهب ، ومنح العلماء حرية القول فيه ، رأينا العلماء يتصدون للرد عليه ، فرأينا مثلا بهاء الدين بن هبة الله القفطى ، يؤلف كتاب النصائح المفترضة ، فى فضائح الرفضة (٥) ، وأحمد بن عيسى القليوبى ، يؤلف الحجة الرابضة ، لفرق الرافضة ، (٦) وأبا عبد الله السعدى المتوفى سنة ٦٤٣ هـ ، يؤلف كتابا فى النهى عن سب الصحابة (٧) . على أن فقدان المذهب الشيعى لسلطانه ، لم يقض على علمائه ومعتقديه ، بل ظل كثير من النـــاس يؤمن به طول عصر الحروب الصليبية ، وكان بعض المؤلفين يكتب فى عقائدهم ، كالأشرف بن الأعز بن هاشم المتوفى سنة ٦١٠ هـ ، فقد كتب كتابا فى تحقيق غيبة المنتظر ، وما جاء فيها عن النبى وعن الأئمة ، ووجوب الايمان بها (٨) .

---

(١) كشف الظنون جـ ١ نهر ١٧٤ .

(٢) الكتاب مطبوع بهامش كتاب الفارق بين المخلوق والخالق راجع معجم المطبوعات جـ٢ نهر ١٥٠٢ .

(٣) مخطوط بدار الكتب رقم ٦١٤ مجاميع علم الكلام .

(٤) خطط المقريزى جـ٤ ص ٨٢ .

(٥) طبقات الشافعية للسبكى جـ٥ ص ١٦٤ .

(٦) المرجع السابق ص ١١ .

(٧) فوات الوفيات جـ٢ ص ٢٣٨ .

(٨) نكت الهميان فى نكت العميان ص ١٢٠ .

ساد المذهب الأشعرى فى البلاد ، وتصدى العلماء لنصرته والدفاع عنه ، والرد على منتقصيه ، وقد رأينا ابن عساكر يكتب رسالة، يرد فيها على من انتقص الأشعرى(١)، والقرطبي يكتب رسالة، يسميها: زجر المفترى على أبى الحسن الأشعرى (٢) فى الرد على بعض من هجا أبا الحسن ، وبعث بها الى ابن دقيق العيد ، امام أهل السنة يومئذ ، فقرظها . وأخذ الأشاعرة يردون على من خالفهم : من المعطلة والحنابلة، فوضع مثلا بدر الدين بن جماعة كتابه : ايضاح الدليل ، فى قطع حجج أهل التعطيل (٣) ، ووضع أبو شامة المقدسى كتابه : الواضح الجلى فى الرد على الحنبلى (٤) ، يريد به محمد اليونينى ، شيخ الحنابلة ببعلبك ، وألف بعض العلماء رسالة دعاها : رسالة الغفران من المكث بحران ، كتبها سنة ٦٢٧ هـ ردا على أحد حنابلة هذه المدينة (٥) . وحاول بعض العلماء التوفيق بين هذين المذهبين ، كما فعل ذلك عبد الغنى النابلسى ، فى كتابه : التوفيق الجلى بين الأشعرى والحنبلى (٦) .

وضع علماء ذلك العصر كتبا تتناول مسائل علم الكلام جميعها : من الهيات، ونبويات، وسمعيات، وعرفت من هذه الكتب زهاء عشرين، منها : ما وضعه ابن دقيق العيد (٧) ، والعز بن عبد السلام (٨) ، وأحمد ابن محمد الغزنوى (٩) ، والحسن بن صافى المتوفى سنة ٥٦٨ هـ (١٠)، وأبو بكر بن مسعود الكاشانى (١١) ، وأحمد بن محمد بن خلف المتوفى بالفيوم سنة ٦٤٠ هـ (١٢) ، وأبو طاهر بن عوف المتوفى

(١) راجع ص ١٢٩ . (٢) طبقات الشافعية جـ٢ ص ٢٨٨ .
(٣) مخطوط بدار الكتب رقم ٦٠٦ علم الكلام .
(٤) ذيل الروضتين ص ٢٠٧ . (٥) كشف الظنون جـ١ نهر ٨٧٩ .
(٦) بدار الكتب رقم ١٤٧ مجاميع علم الكلام .
(٧) حسن المحاضرة جـ١ ص ١٤٣ .
(٨) طبقات الشافعية جـ٥ ص ٥٩٨ واسم كتابه : ملحة الاقتصاد فى الاعتقاد . مخطوط بدار الكتب رقم ٦٥١ علم الكلام .
(٩) تاج التراجم ص ٧ .
(١٠) معجم الأدباء جـ٨ ص ١٢٣ .
(١١) الفوائد البهية ص ٥٣ .
(١٢) بغية الوعاة ص ١٥٦ .

بالاسكندرية سنة ٥٨١ هـ (١) ، وسيف الدين الآمدى وغيرهم . ووضع بعض العلماء هذه العقائد نظما ، كما فعل محمد بن هبة الله البرمكى الحموى ، فى أرجوزة العقائد التى وضعها لصلاح الدين (٢) ، وعلم الدين السخاوى ، فى منظومته المسماة : بالكوكب الوقاد ، فى الاعتقاد (٣) ، وشرحها السيوطى بعدئذ ، فى كتاب سماه : الاقتصاد (٤) .

وأكثر علماء هذا العصر من كتابة عقائدهم التى يدينون الله بها، ويرونها وسيلة النجاة عنده ، ووضع ذلك علماء الأشاعرة وغيرهم ، وتستطيع أن ترى نماذج لما كتب من هذه العقائد ، فى عقيدة العز بن عبد السلام ، وهى منقولة برمتها فى كتاب طبقات الشافعية للسبكى(٥)، وعقيدة موفق الدين بن قدامة (٦)، وقد جمع النيسابورى عقيدة لصلاح الدين ، تحتوى على جميع ما يحتاج اليه ، فمن شدة حرصه عليها ، كان يعلمها صغار أولاده (٧) . ومن هذه الكتب والعقائد ما كتبه بعض رجال الصوفية ، كابن عربى (٨) .

وعالج بعض العلماء كثيرا من المسائل الجزئية التى كانت موضع جدل فى ذلك العصر : مثل مسألة القضاء والقدر ، وقد نالت من عناية رجال هذا العهد حظا موفورا ، ومسألة الثواب والعقاب ، وهى ترتبط بالمسألة السالفة ارتباطا وثيقا ، كما أثار الحنابلة موضوع صفات الله ، ومعنى ثبوتها له ، والقرآن وقدمه وحدوثه ، فرأينا كتبا تتناول هذه المسائل بالبحث والتفصيل ، كما تتناول جزئيات أخرى : كالبحث فى

---

(١) كشف الظنون جـ١ نهر ٣٩٣ .
(٢) طبقات الشافعية جـ٤ ص ١٩٥ .
(٣) بغية الوعاة ص ٣٤٩ .
(٤) مخطوط بدار الكتب رقم ١١٨١ علم الكلام .
(٥) جـ٥ ص ٨٥ .
(٦) بدار الكتب رقم ٥٣٦ و ٥٣٧ و ٥٩٤ مجاميع علم الكلام .
(٧) السلوك للمقريزى جـ١ ص ٤٢ .
(٨) له بدار الكتب عدة كتب فى العقائد ، منها كتاب عقيدة أهل الاسلام رقم ١١٤١ علم الكلام . وله بمكتبة بلدية الاسكندرية رسالة فى تحقيق الواجب لذاته رقم ٣٠٢٤ ج .

حقيقة الايمان ، والفرق بينه وبين الاسلام (١) ، كما شرح كثير منهم أسماء الله الحسنى المتضمنة لصفاته .

وأرخ بعض العلماء فى هذا العصر للفرق الاسلامية : كابراهيم ابن عبد الله بن أبى الدم ، المتوفى سنة ٦٤٢ هـ (٢) .

كان أكثر رجال الكلام من أئمة الفقه فى ذلك العصر ، ودرس الكثير منهم المنطق والخلاف والجدل ؛ لحاجته اليها فى الاستدلال والتدليل ، كما تفوق الكثير منهم فى علم أصول الفقه ، ولذلك نرى المؤرخين يصفون هؤلاء بعلمهم بالأصوليين ، يعنون أصول الدين وأصول الفقه ، وقد تتسع ثقافة بعض علمائه ، فتراه فقيها ، أصوليا ، مفسرا ، محدثا ، نحويا ، أديبا . عالما بالخلاف ، كمحمد بن عبد الله المرسى (٣) ، واسماعيل بن عثمان بن عبد الكريم (٤) . وقد جنت دراسة الفلسفة على بعض الناس فاتهم فى دينه ، كما سنرى ذلك فى ترجمة السيف الآمدى . وجنى اظهار مذهب يخالف مذهب الأشعرى على بعض العلماء ، كالحافظ عبد الغنى المقدسى . وقد تورع كثير من العلماء عن الخوض فى علم الكلام ، ورأى أن الحديث فيه غير مأمون العاقبة .

أما أشهر رجال الكلام فى ذلك العصر فهم :

شهاب الدين الطوسى *

محمد بن محمود بن محمد ، ولد سنة ٥٢٢ هـ ، وأخذ الفقه عن

(١) لعز الدين بن عبد السلام رسالة فى ذلك بدار الكتب ، مخطوطة رقم ٣٥م علم الكلام ، ورسالة فى الايمان ، مخطوطة رقم ٧٩٩ علم الكلام .

(٢) كشف الظنون جـ٢ نهر ١٢٥٥ .

(٣) بغية الوعاة ص ٦١ .

(٤) الفوائد البهية ص ٥٧ .

* مراجعة :

١ — طبقات الشافعية للسبكى جـ٤ ص ١٨٥ .

٢ — وفيات الأعيان جـ١ ص ٤٦٦ .

٣ — حسن المحاضرة جـ١ ص ١٩٠ .

٤ — الروضتين جـ٢ ص ٢٤٠ .

٥ — بغية الوعاة ص ٢١٩ .

٦ — شذرات الذهب جـ ٤ ص ٣٢٧ .

٧ — ذيل الروضتين ص ١٨ و ٢٥ .

٨ — البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٤ .

جماعة من أصحاب الغزالى ، وقدم بغداد عالمـا ممتازا ، فأراد أن يشعر مدينة السلام بعظمته العلمية وجلاله ، بطريقة شاذة ، فركب بالرايات ، والسيوف حوله مسلولة ، والطوق فى عنق بغلته . ولا أظن عالما سبقه الى الظهور بذلك المظهر ، فمنع من ذلك ، فجاء الى مصر ، وأخذ يعظ بجامعها العتيق ، واتصـل بتقى الدين عمر ، وله أنشأ مدرسة منازل العز ، وولاه أمرها ، ووكل اليه أمر التدريس فيها ، وجد الشهاب فى الوعظ والتدريس ، حتى ظفر بمنزلة سـامية عند العامة والخاصة ، لنبوغه فى الفقه ، وعلم الكلام ، وصار مرجع الفتيا اليه فى مصر .

كان شهاب الدين الطوسى أشعرى العقيدة ، حمل لواء نشرها فى مصر والدفاع عنها ، وكثيرا ما دارت بينه وبين الحنابلة ، وبخاصـة الزين بن نجية ـ مناظرات ومناقشات ، مصحوبة بالعنف حينا والسباب والتكفير ، وعاش الشهاب ناصرا مذهب الأشعرى ، وناشرا له ، حتى مات فى الحادى والعشرين من ذى القعدة سنة ٥٩٦ هـ ، وكان يومه مشهودا ، مشى لتشييعه فيه السـلطان الملك العادل ، وكبراء رجال الدولة ، وخرج أهل مصر والقاهرة مشيعين نعشه .

سيف الدين الآمدى *

على بن أبى على بن محمد بن سالم ، ولد سنة ٥٥١ هـ ، بمدينة

---

* مراجعه :

١ ـ حسن المحاضرة جـ١ ص ٢٥٩ .
٢ ـ تاريخ الحكماء ص ٢٤٠ .
٣ ـ النجوم الزاهرة جـ ٦ ص ٢٨٥ .
٤ ـ طبقات الشافعية للسبكى جـ ٥ ص ٢١٩ ١٢٩ .
٥ ـ عيون الأنباء جـ ٢ ص ١٧٤ و ٢٤٣ و ٢٤٤ .
٦ ـ المختصر فى اخبار البشر جـ ٣ ص ١٥٥ .
٧ ـ ذيل الروضتين ص ١٦١ .
٨ ـ دائرة المعارف الاسلامية ، المجلد الثانى ، جـ ٩ ص ٦١٨ .
٩ ـ وفيات الأعيان جـ ١ ص ٣٢٩ .
١٠ـ معجم المطبوعات لسركيس جـ ١ نهر ١٠ . =

آمد ، احدى مدن ديار بكر الكبرى ، حيث درس القرآن ، وحفظ كتابا فى مذهب أحمد بن حنبل ، ثم انحدر الى بغداد ، وقرأ بها مذهب ابن حنبل حينا ، ثم انتقل الى مذهب الشافعى ، ودرس هذا المذهب ببغــداد ، كما درس الخـلاف ، والفلســفة ، والمنطـق ، ثم انتقل الى الشام مستمرا فى دراسته لعلوم الفلسفة ، حتى تفرد بها ، بين علمـاء عصره ، ولمـا كان أقرب العلوم الاسلامية الى المنطق والفلسفة هما علم الأصول وعلم الكلام ، نبغ السيف الآمدى فى هاتين المـادتين ، فعلم الأصول قواعد كبرى لا ينظر فيها الى الجزئيات الا بمقدار ، فهو قريب الصلة بالفلسفة ، وصلة علم الكلام بفلسفة ما وراء الطبيعة أوضح من أن تحتاج الى بيان .

وجاء السيف الى الديار المصرية سنة ٥٩٢ هـ ، وقد أحكم دراسة الأصولين ، وبرع فى الخلاف ، والجدل ، والمنطق ، والفلسفة . وساعده على النبوغ فى ذلك ذكاء يفرط بعض الناس فى تقديره ، حتى قالوا : انه أذكى أهل زمانه . وتولى التدريس فى بعض مدارس مصر ، كما قرئت كتبه فى أصول الدين ، وأصول الفقه . واشتهر فى مصر فضله وسار بها ذكره ، وأقبل عليه الناس وانتفعوا به ، فأثار هذا النجاح طائفة من الفقهاء ، تعصبوا عليه ، ونسبوه الى فساد العقيدة ، ومذهب الفلاسفة ، وكتبوا محضرا يتضمن ذلك ، وكتبوا فيه ما يستباح به الدم ، وكانوا فى ذلك متحاملين غير منصفين ، ويدل على تحاملهم شهادة أحد علماء عصره الأفذاذ فيه ، بسلامة العقيدة والقدرة على الدفاع عنها ، وهو عز الدين بن عبد السلام الذى قال : « لو ورد على الاســلام متزندق ، يشكك ، ماتعين لمناظرته غير الآمدى ، لاجتماع أهلية ذلك

= ١١ ـ خطط الشام جـ ٤ ص ٤٥ .
١٢ ـ مفرج الكروب جـ٢ ص ٢٨٤ .
١٣ ـ تنبيه الطالب وارشاد الدارس جـ ١ ص ٣٠٨ .
١٤ ـ كشف الظنون جـ١ نهر ٤ و ١٧ و ٧٥٨ وجـ٢ نهر ٧٨٥٧ و١٥٤٠.
١٥ ـ شذرات الذهب جـ٥ ص ١٤٤ .
١٦ ـ البداية والنهاية جـ ١٣ ص ١٤٠ .
١٧ ـ دول الاسلام جـ ٢ ص ١٠٣ .

فيه » . قال ابن خلكان : وبلغنى عن رجل منهم فيه عقل ومعرفة ، أنه لما رأى تحاملهم عليه وافراط التعصب ، كتب فى المحضر ، وقد حمل اليه ، ليكتب فيه مثل ما كتبوا ، فكتب :

حسدوا الفتى ، اذ لم ينالوا سعيه فالقوم أعداء له ، وخصوم

ووقع على ذلك .

ولم تطب الحياة فى مصر لسيف الدين ، بعد تألب خصومه عليه، وخرج من مصر الى الشام خائفا يترقب ، ونزل بحماة ، وهناك صفت له الحياة ، فلقد أحبه صاحبها حبا جما ، وبنى له مدرسة بها ، ومنحه مرتبا كبيرا ، وعاش لسيف بحماة يدرس ويصنف ، ثم استدعاه المعظم الى دمشق ، فجاء اليه ، وتولى التدريس بالعزيزية ، وأغدق عليه الملك العالم نعمه ، وقربه منه تقريبا وثيقا ، كما أعجب به ولده الناصر داود أيما اعجاب ، وكان ملكا يحب الحديث فى الفلسفة ، ولكن الأمور عندما عادت الى الأشرف موسى ، عزله عن المدرسة ، ونادى فى المدارس : من ذكر غير التفسير ، والحديث ، والفقه ، أو تعرض لكلام الفلاسفة نفيته، فلزم السيف بيته، وكان قاعة عندالمدرسة العادلية، ويظهر أنه كف عن تدريس علوم الحكمة الا لأخصائه ، قال ابن أبى أصيبعة : « وكان نادرا أن يقرىء أحدا شيئا من العلوم الحكمية ، وكنت اجتمعت به ، واشتغلت عليه فى كتاب رموز الكنوز من تصنيفه ، وذلك لمودة أكيدة كانت بينه وبين أبى ، وربما طلب منه بعضهم الاشتغال عليه ، فلا يستطيع الا أن يأتى له بشفيع » .

وظل سيف الدين منزويا فى بيته ، حتى مات يوم الثلاثاء ثالث صفر سنة ٦٣١ هـ .

وكان الآمدى مؤثرا فى تدريسه ، ببلاغته وجمال صوته ، قال عز الدين بن عبد السلام : « ما سمعت أحدا يلقى الدرس أحسن منه ، كان كأنه يخطب » . وقال صاحب عيون الأنباء : « كان اذا نزل، وجلس فى المدرسة ، وألقى الدرس ، والفقهاء عنده ، يتعجب الناس من حسن كلامه ، فى المناظرة والبحث » .

وألف الآمدى كتبا تربو على العشرين ، فى أصـول الدين ، وأصول الفقه ، والمنطق ، والحكمة ، والخلاف . ففى أصول الدين ، وضع : كتاب أبكار الأفكار ، فى خمسة مجلدات ، ورتبه على ثمانى قواعد : ١ - فى العلم ، ٢ - فى النظر ، ٣ - فى الموصل الى المطلوب، ٤ - فى أقسام المعلوم ، ٥ - فى النبوات ، ٦ - فى المعاد ، ٧ - فى الأسماء ، ٨ - فى الامامة . واختصره فى مجلد ، سماه : رموز الكنوز، وكتاب غاية المرام فى علم الكلام ، وغير ذلك .

وفى أصول الفقه ، وضع : كتاب منتهى السول ، وكتاب الأحكام، الذى تحدثنا عنه ، وتقول دائرة المعارف الاسلامية : « ان المؤلف أهدى كتابه الى الملك المعظم » .

وفى الخلاف والجدل ، ألف : غاية الأمل ، فى علم الجدل ، وشرح كتاب شهاب الدين المراغى فيه ، وكتابى الترجيحات والمؤاخذات فى الخلاف .

وفى الفلسفة ، وضع : دقائق الحكمة ، فى عدة مجلدات ، كما وضع المبين فى معانى ألفاظ الحكماء والمتكلمين . وألف للملك العزيز ابن صلاح الدين عقيدة دعاها : خلاصة الابريز ، تذكرة الملك العزيز .

علاء الدين الباجى *

على بن محمد بن عبد الرحمن قضى حياته العاملة ، والجزء الأكبر من عمره، فى عصر الحروب الصليبية، وانمات بعد انتهائها سنة ٧١٤هـ،

* مراجعه :

١ - حسن المحاضرة جـ١ ص ٢٦١ .

٢ - طبقات الشافعية للسبكى جـ٦ ص ٢٢٧ .

٣ - فوات الوفيات جـ٢ ص ٧٥ .

٤ - الدرر الكامنة جـ٣ ص ١٠١ .

٥ - شذرات الذهب جـ٦ ص ٣٤ .

٦ - العقد المذهب ص ١٩٥ .

فقد ولد سنة ٦٣١ هـ ، ودرس بالشام الفقه على عز الدين بن عبد السلام ، وجد فى دراسة المنطق ، وعلم الكلام ، وأصول الفقه . حتى امتاز فيها ونبغ ، وأصبح فى المناظرة بارعا لا يكاد ينهزم .

ولى قضاء الكرك ، ثم قدم الى القاهرة واستقر بها ، حيث أخذ يعمل على نشر مذهب الأشعرى ، ونصرة مبادئه . ويقول السبكى عنه : انه كان أعلم أهل الأرض بمذهب الأشعرى فى علم الكلام ، وكان هو بالقاهرة ، والهندى بالشام ، القائمين بنصرة مذهب الأشعرى . والباجى أذكى قريحة على المناظرة .

وكان كذلك فقيها متقنا . لا يفتى بمسألة حتى يقوم عنده الدليل عليها ، فان لم ينهض عنده قال : مذهب الشافعى كذا ، والأصح عند الأصحاب كذا . ولا يجزم .

قال السبكى : ومع اتساع باعه فى المباحث ، لم يوجد له كتاب أطال فيه النفس ، غير كتاب الرد على اليهود والنصارى . بل له مختصرات ليست على مقداره ، منها : كتاب التحرير ، مختصر المحرر فى الفقه . ومختصر فى الأصول . ومختصر فى المنطق . وقيل : ما من علم الا وله فيه مختصر .

وان شخصا يظفر بتقدير ابن دقيق العيد له ، لعالم جدير بالتقدير الحق ، قالوا : كان ابن دقيق العيد لا يخاطب أحدا : السلطان أو غيره، الا بقوله يا انسان ، غير اثنين : الباجى ، وابن الرفعة ، يقول للباجى : يا امام ، ولابن الرفعة : يا فقيه . وكان بين الباجى والنووى صلة وثيقة ، ومودة أكيدة . واشتهر من تلاميذه نابغتان ، هما : قاضى القضاة تقى الدين السبكى ، وأثير الدين أبو حيان . وكان تلاميذه يعجبون به ، لدينه ووقاره .

النحو

كان مادة أساسية من مواد الثقافة فى هذا العصر ، يكاد يشترك المثقفون كلهم فى أن يأخذوا منها بنصيب ، وندر من لم يشارك فيها . وكانوا يعدونها وسيلة لدراسة العلوم الشرعية .

وعرفت البلاد فى ذلك الحين الكتب الأساسية المعروفة فيها يومئذ، وكان أهم كتاب يدرس بمصر والشام فى ذلك الحين هو كتاب المفصل للزمخشرى ، الذى تم تأليفه فى أوائل عصر الحروب الصليبية ، فى أول شهر رمضان سنة ٥١٣ هـ .

نال المفصل من عناية العلماء فى ذلك العصر ما لم ينله كتاب آخر، فظفر بشروح كثيرة تناهز خمسة عشر شرحا ، منها شرح لابن الحاجب، وآخر لابن يعيش . ومن العلماء من شرح شواهده ونسبها الى قائليها، أو بين معانى ما فيه من الأمثال ، أو أملى عليه أمالى تشرحه حينا ، وتنقده حينا . ومن علماء ذلك العصر من نظمه ، أو شرح نظمه ، أو اختصره . وبلغ حب المعظم له أن جعل جائزة كبرى لمن يحفظه .

واذا كان المفصل قد استأثر بأكبر عناية فى البلاد يومئذ ، فقد درست مؤلفات أخرى عرفت من بينها عشرة كتب ، كانت مجال جهود العلماء وموضع عنايتهم ، درسوها ، ووضعوا عليها الشروح التى توضح ما خفى من معانيها ، فمن ذلك : الكتاب لسيبويه المتوفى سنة ١٨٠ هـ (١)، وكتاب المقرب لأبى العباس المبرد المتوفى سنة ٢٨٥ هـ (٢)، وكتاب الجمل لأبى اسحق الزجاجي المتوفى سنة ٣٣٩ هـ (٣) ، وكتاب الايضاح (٤) له أيضا ، وكتاب اللمع لأبى الفتح عثمان بن جنى المتوفى سنة ٣٨٢ هـ (٥) ومقدمة ابن باشاذ طاهر بن أحمد المتوفى سنة ٤٦٩ هـ (٦)، والجمل لعبدالقاهر الجرجانى المتوفى سنة ٤٧٤ هـ (٧)،

---

(١) كشف الظنون نهر ٤٢٦ .
(٢) المرجع السابق نهر ١٨٠٥ .
(٣) المرجع السابق جـ١ نهر ٦٠٣
(٤) المرجع السابق نهر ٢١٠ .
(٥) المرجع السابق جـ٢ نهر ١٥٦٢
(٦) المرجع السابق نهر ١٧٩٤ .
(٧) المرجع السابق نهر ٦٠٢ .

والملحة للحريرى المتوفى سنة ٥١٦ هـ (١) ، ومقدمة الجزولى المتوفى سنة ٦٠٧ هـ (٢) .

أما كتب الصرف الوافدة على البلاد ، فأهمها : تصريف المازنى المتوفى سنة ٢٨٤ هـ ، وقد شرحه ابن جنى ، ووضع ابن يعيش الحلبى المتوفى سنة ٦٤٣ هـ ، على الشرح حاشية (٣) . وكتاب التصريف الملوكى لابن جنى ، وهو مختصر شرحه ابن يعيش (٤) .

تلك هى الكتب الوافدة فى مادتى النحو والصرف ، ولم تقف جهود البلاد يومئذ عند حد الأخذ عن غيرها ، وفهم ما تأخذه ودراسته ، بل ساهمت مساهمة فعالة فى الانتاج ، وغزت كتبها العالم العربى بدورها ، حتى صارت تلك الكتب من أهم ما يدرس فى هاتين المادتين ، وحسبى أن أشير هنا الى كتب ابن مالك ، ومؤلفات ابن الحاجب ، وغيرهما ، مما سنتحدث عنه بسعة ، عند كتابة ترجمتهما ، وترجمة رجال النحو فى ذلك العصر . وقد عرفت من بين ما أنتجته هذه البلاد أكثر من أربعين كتابا ، منها المطول ، ومنها الموجز . وعرفت من الرجال الذين ساهموا مساهمة كبيرة فى دراسة هذه المادة زهاء مائتى عالم ، كان أكثر تخصصهم فيها ، كما أخرج بعضهم رسائل فى مسائل جزئية فيها .

وأشهر نحاة هذا العصر :

ملك النحاة *

واسمه الحسن بن صافى ، ولكنا نؤثر أن نلقبه بما لقب به نفسه ،

---

(١) المرجع السابق نهر ١٨١٧ .
(٢) المرجع السابق نهر ١٨٠٠ .
(٣) المرجع السابق جـ ١ نهر ٤١٢ .
(٤) المرجع السابق .

* مراجعه :
١ - وفيات الأعيان جـ١ ص ١٣٤ .
٢ - معجم الأدباء جـ٨ ص ١٣٩ .

حتى لكان يغضب ممن يناديه بغيره . ولد سنة ٤٨٩ هـ ، بالجانب الغربى من بغداد . وفيها درس العلم ، فسمع الحديث ، وقرأ الفقه على مذهب الشافعى ، وأصول الفقه ، وأصول الدين، والخلاف ، ودرس النحو على أبى الحسن الأسترابادى الفصيحى ، وبرع فيه حتى صار من أئمته ، وقام بتدريسه فى جامع بغداد ، ثم غادرها بعد سنة ٥٢٠ هـ ، وسكن واسط مدة ، وأخذ عنه جماعة من أهلها أدبا كثيرا ، واعترفوا بفضله وعلمه ، ثم ولى وجهه شطر الشام فنزل دمشق ، وفيها قام بتدريس ما تثقف فيه ، ولا سيما النحو . ولا أدرى متى دخلها ، ولا كم من الزمن قضاه فيها ، ولكنه مات بها يوم الثلاثاء ثامن شوال سنة ٥٦٨ هـ ، وقد ناهز الثمانين .

وترك مصنفات كثيرة فى النحو ، والفقه ، والأصولين ، والعروض، والقراءات ، والأدب ، ففى النحو ، صنف : الحاوى فى مجلدين ، وكتاب العمدة والمنتخب . كما جمع مسائل مشكلة فى النحو ، دعاها : المسائل العشر ، المشكلة الى الحشر . ووضع المقتصد فى التصريف . وفى فقه الشافعى ، وضع : الحاكم فى مجلدين . كما كتب مختصرا فى أصول الفقه ، وأصول الدين ، والعروض . وله كتاب أسلوب الحق فى تعليل القراءات العشر وشىء من الشواذ فى مجلدين . وفى الأدب ، وضع : مقامات حذا فيها حذو الحريرى . وله ديوان شعر .

ويصفه مؤرخوه بالذكاء ، والفصاحة ، والجود ، والاحسان الى خلانه ، الا أنه كان معجبا بنفسه مؤمنا بمواهبه .

=٣ ـ طبقات الشافعية جـ ٤ ص ٢١٠ .
٤ ـ الشيعة وفنون الاسلام ص ١٣٧ .
٥ ـ بغية الوعاة ص ٢٢٠ .
٦ ـ النجوم الزاهرة جـ٦ ص ٦٨ .
٧ ـ كشف الظنون جـ٢ نهر ١١٧٠ .

تاج الدين الكندى *

فى مدينة بغداد . وفى الخامس والعشرين من شعبان سنة ٥٢٠هـ، ولد زيد بن الحسن بن زيد الكندى . وتلقى بها ثقافته ، فحفظ القرآن وهو ابن سبع سنين ، وأكمل القراءات العشر وله عشرة أعوام . اعتنى به أستاذه سبط أبى منصـور الخياط ، فأقرأه وحرص عليه ، وتولى تربيته ، وجهزه الى أساتذة القراءات فأقرءوه ، وأخذ النحو عنه وعن ابن الشجرى وابن الخشـاب ، فدرس عليهم كتبا كثيرة ، منها كتاب سيبويه ، والمقتضب للمبرد ، والحجة لأبى على الفارسى ، ودرس اللغة على أبى منصور الجواليقى ، وسمع الحديث الكثير ، من ابن ناصر ، وابن السمرقندى ، وأبى منصور القزاز الذى روى عنه تاريخ بغداد للخطيب ، وغيرهم . وتفقه على مذهب أحمـد بن حنبـل . ودرس العروض ، والأدب . ودخل حلب واستوطنها مدة ، ثم تركها الى دمشق، حيث اتصل بالأمير عز الدين فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب ، وهو ابن أخى صلاح الدين ، وتقدم عنده ، وسافر فى صحبته الى الديار المصرية ، ولكننى أرجح أن اتصاله بالأمير كان بالقاهرة ، كما روى ذلك أبو شامة ، نقلا عن الشيخ تاج الدين ، ونظم الشيخ فى الأمير شعرا يمدحه به ، وارتفعت منزلته عنده ، حتى استوزره عندما كان نائب

---

* مراجعه :

١ — بغية الوعاة ص ٢٤٩ . ٢ — معجم الأدباء جـ ١١ ص ١٧١ .
٣ — طبقات القراء للذهبى جـ٢ ص ١٨٢ .
٤ — الكامل لابن الأثير جـ١٢ ص ١٤٥ .
٥ — ذيل الروضتين ص ٩ و ٦٥ و ٩٥ . ٦ — خطط الشام جـ٢ ص ٤٧ .
٧ — عيون الأنباء جـ ٢ ص ٢٤٨ . ٨ — شذرات الذهب جـ٥ ص ٥٤ .
٩ — ديوان ابن الساعاتى جـ١ ص ٢٢١ و٢٢٢ و٢٢٤ و جـ٢ ص ٧٤ و ١٨٤ و ٢٠٣ و ٢٣٥ . و ٢٣٩ . ١٠ — خريدة القصر المخطوطة جـ١ ص ١٠٠ .
١١ — غاية النهاية فى طبقات القراء جـ١ ص ٢٩٧ .
١٢ — كشف الظنون جـ٢ نهر ٨١٢ .
١٣ — المختصر جـ٣ ص ١٣٨ .
١٤ — البداية والنهاية جـ١٣ ص ٧١ .

دمشق ، كما اتصل بولده الملك الأمجد صاحب بعلبك ، وبأخيه تقى الدين صاحب حماه حتى أصبح من أخصائه .

وكان تاج الدين كـريم الخلق ، لين العريكة ، يكرم الغرباء ، متواضعا ، يحب طلبته ، ويحترم زائريه .

وشغل تاج الدين بالتعليم والافادة أكثر مما شغل بالتأليف ، فلم يضع كتبا تناسب ما حازه من شهرة وبعد صيت . فله حواش على شرح الوأواء لديوان المتنبى (١) . ولعل هـذه الحواشى هى الشرح الذى أشار اليه أبو شامة . وقال : ان علم الدين السخاوى كتب قصيدة يمدح بها الكندى بعد أن انتهى سماعه عليه .

وله تعليقات على خطب ابن نباته أيضا . وكتاب اسـمه : نتف اللحية من ابن دحية ، رد فيه على ابن دحية الكلبى ، فى كتابه الذى سماه : الصارم الهندى فى الرد على الكندى : ذلك أنه فى عشـية الثالث عشر من رجب سنة ٦٠٥ هـ ، حدث بين التاج وابن دحية شجار ومشاتمة عند الوزير صفى الدين بن شكر ، وزير العادل : فان عمر ابن دحية لمـا عاد من رحلته الخراسانية ، قصد مجلس الوزير ، وكان الشـيخ الكندى جالسا الى جانبه ، فأجلس ابن دحية الى الجانب الآخر ، فشرع ابن دحية يورد حديثا نبويا حتى اذا وصل الى عبارة فيه وهى : من وراء وراء ، لفظ بهما مفتوحتى الهمزة ، فقال الكندى : من وراء وراء بالضم ، فعز ذلك على ابن دحية ، وكان جريئا ، ذا أنفة من أن يرد عليه أحد ، فقال للوزير : من ذا الشيخ ؟ فقال له : هذا تاج الدين الكندى ، فتكلم ابن دحية كلمات أغضبت تاج الدين ، الذى لم يزد على أن قال : هو من كلب فنبح ، يورى بذلك عن أن ابن دحية يدعى انتسابه الى قبيلة دحية الكلبى ، وشاع خبر ذلك فى المجامع ، وانحاز الناس الى جانب الكندى ، حتى قال بعضهم فى ابن دحية :

---

(١) كشف الظنون جـ ٣ نهر ٨١٢ .

دحية لم يعقب ، فلا تنتسب ... اليه بالبهتـــان ، والافك
ما صح عند الناس شيء سوى ... أنك من كلب ، بلا شـــك

وصنف ابن دحية كتابا رد به على الكندى ، فلما بلغه ذلك رد عليه بكتاب نتف اللحية . قال أبو شامة : أما اللفظتان المتنازع فيهما ، فرأيت فى أمالى ثعلب ، جواز الأمرين فيهما والجر أيضا .

وبعد أن بلغ التاج تسعين سنة ، وشهرا ، وتسعة عشر يوما ، توفى يوم الاثنين سادس شوال سنة ٦١٣ هـ ، وصلى عليه بجامع دمشق ، وحمل الى قاسيون . فدفن به . ولم يتخلف عن جنازته أحد من الأعيان ، ورثاه ابن الساعاتى ، بقصيدة بدأها بقوله :

هوى قمر العلياء ، ياسارى الجنح ... فهيهات أن تمحو الدجى آية الصبح
كأن نجـوم الأفق حيرى لفقده ... وقد عكفت حزنا من الليل فى مسح
وغاضت أهاضيب السماحة والندى ... وأخلافها ما ان تدر على المسح
مضى الحسب الكندى حال سبيله ... فـلا أحـد يرجى لمنع ولا منح

وترك تاج الدين مكتبة وقفها على فتاه ياقوت ، ثم على ولده ، ثم على العلماء ، قرأ أبو شامة فهرس كتبها فوجدها سبعمائة وواحدا وستين مجلدا : فى علوم القرآن مائة وأربعون ، والحديث تسعة عشر ، والفقه تسعة وثلاثون ، واللغة مائة وثلاثة وأربعون ، والشعر مائة واثنان وعشرون ، والنحو والتصريف مائة وخمسة وسبعون ، وعلوم الأوائل من طب وغيره مائة وثلاثة وعشرون . ويظهر من هذا الوقف أن تاج الدين لم يكن له نسل يرثه . وقد نقل بعض هذه المكتبة الى جامع دمشق ، ثم كان نصيبها التبديد بعد ذلك .

زين الدين الزواوي *

يحيى بن عبد المعطى بن عبد النور ، من قبيلة زواوة ، احدى قبائل المغرب التى تقطن بجاية ، من أعمال الجزائر بافريقية ، ولد ـ على ما يظهر ـ بمقر قبيلته فى المغرب سنة ٥٦٤ هـ (١١٦٨ ـ ١١٦٩م)، ودرس الفقه والنحو هناك على أبى موسى الجزولى ، صاحب المقدمة المشهورة فى النحو ، ثم رحل بعد ذلك الى المشرق ، ومكث مدة طويلة فى دمشق ، حيث حضر دروس المحدث ابن عساكر . قال فى دائرة المعارف : وكان مالكيا بالمغرب ، شافعيا بدمشق ، حنفيا بالقاهرة، ولم أر غير دائرة المعارف كتابا ، ذكر انتقاله بين هذه المذاهب الثلاثة ، بل يذكرون أنه كان حنفيا ، وذكر السيوطى فى بغية الوعاة : أنه كان يحفظ الصحاح للجوهرى .

سكن الزواوى دمشق مدة ، وقد هيأته دراسته لأن يصبح أحد أئمة عصره ، فى النحو واللغة ، فكان يدرس النحو بها ، ولما زار الملك الكامل دمشق ، رغبه فى الانتقال الى مصر ، فسافر اليها ، وتصدر بجامع عمرو ، لاقراء النحو ، والأدب به ، وقرر له على ذلك مرتبا ، وربما كان قد قرأ بجامع عمرو مصنفاته التى وضعها ، ومن تلك المصنفات : الذرة (١) الألفية ، فى علم العربية ، أو بالاختصار

---

* مراجعه :

١ ـ وفيات الأعيان ج ٢ ص ٢٣٥ .
٢ ـ معجم الأدباء ج ٢٠ ص ٣٥ .
٣ ـ حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٥٥ .
٤ ـ المختصر فى أخبار البشر ج ٣ ص ١٥١ .
٥ ـ ذيل الروضتين ص ١٦٠ .
٦ ـ معجم المطبوعات لسركيس ج ١ نهر ٢٤٥ .
٧ ـ دائرة المعارف الاسلامية ، المجلد الأول ، الجزء الخامس ، ص ٢٨٠ .
٨ ـ تاج التراجم ص ٦١ . ٩ ـ بغية الوعاة ص ٤١٦ .
١٠ـ كشف الظنون ج ١ نهر ١٥٥ . ١١ـ شذرات الذهب ج ٥ ص ١٢٩
١٢ـ البداية والنهاية ج ١٣ ص ١٢٩ و ١٣٤ .
١٣ـ مفتاح السعادة ص ٤٧ ب .
١٤ـ طبقات الفقهاء و ... والنحاة لمحمد أمين بن حبيب ص ٣٦ ب .

(١) بدار الكتب رقم ١٠٣١ علم النحو .

ألفية ابن معطى ، وهى منظومة نحوية فى ١٠٢١ بيتا ، انتهى منها عام ٥٩٥ هـ (١١٩٨ ــ ١١٩٩م) بدمشق ، كما يقول حاجى خليفة ، وبالقاهرة ، كما يقول آخرون ، ويظهر أنه كان أول من ألف منظومة فى ألف بيت فى النحو ، ولهذه الألفية شروح وحواش ، تجدها فى كشف الظنون ، وبعضها فى دار الكتب ، وله كتاب الفصول الخمسين، وهو موجز فى النحو شرحه قاضى القضاة محمد (١) بن الخويى المتوفى سنة ٦٩٣ هـ ، وشرح كتاب الجمل ، ووضع حواشى على أصول ابن السراج ، وكلها فى النحو أيضا ، وشرح أبيات سيبويه ، ونظم قصيدة فى القراءات السبع ، ونظم كتاب الصحاح للجوهرى ، فى اللغة ولم يكمل ، وكتاب الجمهرة لابن دريد فى اللغة أيضا ، ونظم كتابا فى العروض . وله كذلك كتاب المثلث فى اللغة ، وديوان خطب .

وظل الزواوى بمصر حتى توفى بها يوم الاثنين ٣٠ ذى القعدة سنة ٦٢٨ هـ . (٢٩ من سبتمبر سنة ١٢٣١ م) ، وحضر السلطان الكامل ابن العادل الصلاة عليه ، وكتب عنه أبو شامة بعد أن شيع جنازته : « كان آية فى حفظ كلام النحويين » .

ابن الحاجب *

عثمان بن عمر بن أبى بكر ، كان والده جنديا حاجبا للأمير عز الدين موسك ، الصلاحى ، ومن هنا جاءت كنيته ، وهو كردى

---

(١) هو محمد بن أحمد بن الخليل ، والشرح بدار الكتب رقم ١٢٥٣ نحو ، والفصول بمكتبة الأزهر رقم ١٠٥٣ (٨٥٢٨) نحو .

* مراجعه :

١ ـ حسن المحاضرة جـ ١ ص ٢١٥ .
٢ ـ طبقات القراء للذهبى جـ ٢ ص ٢٠١ .
٣ ـ بغية الوعاة ص ٥٥ و ٣٣٣   ٤ ـ ذيل الروضتين ص ١٦٠ و ١٨٢ .
٥ ـ وفيات الأعيان جـ ١ ص ٣١٤ .
٦ ـ النجوم الزاهرة جـ ٦ ص ٣٦٠ و ٣٨٨ .
٧ ـ المختصر فى أخبار البشر جـ ٣ ص ١٧٨ .
٨ ـ معجم المطبوعات لسركيس جـ ١ نهر ٧١ .
٩ ـ دائرة المعارف الاسلامية ، المجلد الأول ، الجزء الثانى ، ص ١٢٦ .
١٠ـ الطالع السعيد ص ١٨٨ .   ١١ـ الديباج المذهب ص ١٩٢ .
١٢ـ غاية النهاية فى طبقات القراء جـ ١ ص ٥٠٨ .
=

الجنس كصلاح الدين ، بل لعل أصوله كانوا من دوين ، قرية صلاح الدين نفسه ، ولد باسنا من صعيد مصر ، فى الأيام الأخيرة من عام ٥٧٠ هـ (١١٧٥ م) ودخل به أبوه القاهرة ، وبها حفظ القرآن ، ودرس العلوم المتصلة به ، فقرأ القراءات على الغزنوى والشاطبى ، وسمع الحديث من البوصيرى وغيره ، وأخذ الفقه عن أبى منصور الأبيارى وسواه ، وتأدب على الشاطبى ، وابن البنا ، ودخل دمشق ، فسمع من القاسم بن عساكر ، ولازم الاشتغال حتى ضرب به المثل ، وكان ذا ذكاء ممتاز ، عميق الفهم ، حاد القريحة ، فبرع فيما درسه وأتقنه غاية الاتقان ، ولا سيما الأصول والعربية ، وكان الأغلب عليه علم العربية ، فانه برز فى النحو ، حتى صار من كبار أعلام رجاله ، قال السيوطى ، وابن خلكان عنه : « وقد خالف النحاة فى مواضع ، وأورد عليهم اشكالات ، والزامات مفحمة ، يعسر الجواب عنها » .

وتكرر دخول ابن الحاجب دمشق ، للاستفادة حينا ، وللتدريس بها أحيانا ، وآخر ما دخلها سنة ٦١٧ هـ ، اذ أقام بها مدرسا بالجامع الأموى فى زاوية المالكية ، حيث أقبل عليه الطلبة ، ولازموا الأخذ عنه ، فى المواد التى أجاد دراستها ، وطال مقامه فى دمشق ، يدرس ويؤلف ، حتى اذا كان حادث العز بن عبد السلام ، مع الملك الأشرف ، مضى ابن الحاجب الى العلماء ، يعاتبهم على عدم دفاعهم عن عز الدين ، مع أن معتقده هو الحق . ولما نقم عز الدين على الصالح اسماعيل صلحه مع الفرنج ، انضم ابن الحاجب اليه ، وشاركه نقمته ، فأخرج

= ١٣ ـ كشف الظنون جـ ١ نهر ١٦٢ و ٢١٢ و ٢١٤ و جـ ٢ نهر ١٠٢٠ و ١٣٧٠ و ١٣٧٤ و ١٤٢٧ و ١٧٧٤ .

١٤ ـ طبقات الشافعية جـ ٥ ، فى ترجمة العز بن عبد السلام ص ٨٠ .

١٥ ـ كتبه .

١٦ ـ فهارس دار الكتب .

١٧ ـ شذرات الذهب جـ ٥ ص ٢٣٤ .

١٨ ـ تنبيه الطالب جـ ٢ ص ١١١ .

١٩ ـ البداية والنهاية جـ ١٣ ص ١٧٦ .

٢٠ ـ مفتاح السعادة ص ٥ ٣ ب و ص ٤٤ .

٢١ ـ طبقات محمد أمين بن حبيب ص ٢٣٥ .

معه من دمشق سنة ٦٣٨ هـ، وعادا معا الى مصر ، حيث تصدر بالفاضلية، وجلس فى موضع الشاطبى ، وقصده الطلبة ، وأكبوا على الأخذ عنه ، ثم آثر الانتقال الى الاسكندرية ، ولست أدرى سبب هذا الايثار ، ولا تاريخ الانتقال ، الأن مدته بالاسكندرية لم تطل ، ومات بها فى ضحى نهار الخميس ، السادس والعشرين من شوال سنة ٦٤٦ هـ ، ورثاه أحمد بن المنير بأبيات كتبها على قبره ، ومنها :

ألا أيهـا المختـال فى مطرف العمر
هـلم الى قبر الامام أبى عمـرو
ترى العلم، والآداب، والفضل، والتقى
ونيل المنى ، والعز ، غيبن فى قبر
فندعو له الرحمن ، دعـوة رحمـة
يكافا بهـا فى مثـل منـزاله القفر

وروى عنه كبار العلماء ، منهم : الحافظ المنذرى ، ومنصـور الاسكندرانى ، وعبد المؤمن الدمياطى .

وترك ابن الحـاجب مؤلفات فى النحو ، والصرف ، والفقه ، وأصول الفقه ، والعروض .

أما فى النحو فقد وضع الكافية ، وهى متن موجز يحتاج الى شرح يفصل مجمله ، وقام ابن الحاجب بشرحها ، عندما ترك دمشق ، وقدم الى الكرك ، وقرأ عليه النحو أميرها الملك الناصر داود بن المعظم، كما قام بنظمها له فى أرجوزة ، سماها : الوافية ، وشرحها ، كما شرح مفصل الزمخشرى فى كتاب سماه : الايضـاح (١) ، وشرح كتاب سيبويه . وفى الصرف وضع الشافية ، وهى كذلك متن موجز ، قام هو على شرحه . وقد عنى العلماء بكتابى الكافية والشافية ، فشرحوهما شروحا كثيرة .

---

(١) منه نسخة بمكتبة بلدية الاسكندرية رقم ٥٤٥ ب ، وأخرى بمكتبة الشيخ ابراهيم باشا رقم ١٨ ، وثالثة بمكتبة سوهاج رقم ٥ نحو .

ولابن الحاجب أيضا أمال (١) فى مجلد ضخم ، بعضهـا على آيات يوجه اعرابها ، فيما يشكل فيه الاعراب . وبعضها على مواضع من المفصل ، يعترض عليه حينا ، ويوجه ما فيه من أبيات شعرية حينا ، وحينا يشرح عباراته ، ويرد ما قد يعترض به عليها ، أو يوجهها ، أو يبين مواضع استشهاده ، بما يورد من أبيات الشعر ، وقد يشرح هذه الأبيات ، ويعـربها . وبعضها على أبيات مشـكلة للمتنبى يوجه اعرابها ، وأحيانا يلم بنواح معنوية ، كشرح أو بيان جمـال تعبير ، أو تخطئة للمتنبى . وبعضها على مواضع من كافيته . وقد أملى هذه الأمالى فى أوقات متفرقة ، وأماكن متعددة .

وله القصيدة (٢) الموشحة ، بالأسماء المؤنثة ، ورسالة فى (العشر)، وهو بحث صغير فى استعمال كلمة عشر ، مع الصفتين : أول وآخر .

وفى الفقه، صنف : جامع الأمهات ، وهو موجز فى الفقه المالكى، بالغ ابن دقيق العيد فى مدحه ، فى أول شرحه له ، كما بالغ غيره من العلماء فى الثناء عليه ، وعنى بشرحه كثير منهم .

وفى أصـول الفقه ، ألف : منتهى السـول والأمل ، فى علمى الأصول والجدل ، ثم اختصره فى كتاب ، عرف بالمختصر الأصولى ، الذى عنى به الأصوليون ، وجعلوه من أسس كتب الأصول .

وفى العروض ، نظم : المقصد الجليل ، فى علم الخليل (٣) ، وهو منظومة من بحر البسيط ، فى العروض . وتمتاز مؤلفاته كلها بصغر الحجم ، وتحرير اللفظ ، وكثرة التحقيق ، والتدقيق .

ولابن الحاجب شعر ليس له نصيب من الجودة ، كقوله :

ان غبتم صـورة ، عن ناظـرى ، فمـا
زلتم حضورا ، على التحقيق ، فى خلدى
مثـل الحقـائق فى الأذهـان حـاضرة ،
وان ترد صـورة ، فى خـارج ، تجـد

(١) بدار الكتب رقم ١٠٠٧ و ١٠٣٤ نحو .
(٢) بدار الكتب رقم ٦٣٧ علم اللغة العربية .
(٣) مخطوطة بدار الكتب رقم ١٩ و ٢٠ و ٦٨ عروض .

وقد رآه ابن خلكان ، وشاهد من علمه الغزير ما جعله يثنى عليه ، ويقر له بالفضل . ويصفه مؤرخوه بالورع ، والتقوى ، والتواضع ، ويذكرون أنه كان ركنا من أركان الدين ، فى العلم والعمل .

ابن مالك *

محمد بن عبد الله بن مالك ، ولد بالأندلس فى مدينة جيان ، عام ٦٠٠ هـ (١٢٠٣ - ١٢٠٤ م) ويقول البعض : انه ولد قبل ذلك بعامين ، والبعض الآخر : انه ولد بعد ذلك بعام أو عامين .

وفى مسقط رأسه ، درس القراءات ، والنحو ، ومذهب مالك . ثم رحل الى المشرق ، فدخل دمشق ، ودرس بها هاتين المادتين ، والحديث ، على السخاوى ، وابن الحاجب ، وغيرهما ، ومضى الى

---

* مراجعه :

١ - فوات الوفيات ج ٢ ص ٢٢٧ .
٢ - بغية الوعاة ص ٥٣ .
٣ - النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٢٤٣ .
٤ - طبقات الشافعية للسبكى ج ٥ ص ٢٨ .
٥ - معجم المطبوعات ج ١ نهر ٢٣٢ .
٦ - السلوك ج ١ ص ٦١٣ .
٧ - الدرر الكامنة ج ١ ص ١٧٠ .
٨ - المختصر فى أخبار البشر ج ٤ ص ٨ .
٩ - دائرة المعارف الاسلامية ، المجلد الأول ، الجزء الرابع ص ٢٧٢ . والجزء الخامس ص ٢٧٣ .
١٠ - غاية النهاية ج ٢ ص ١٨٠ .
١١ - شذرات الذهب ج ٥ ص ٣٣٩ .
١٢ - نفح الطيب ج ٧ ص ٢٥٧ ط فريد رفاعى .
١٣ - كشف الظنون ج ١ نهر ٨٢ و ١٥١ و ج ٢ نهر ١١٦٦ و ١٢١٩ و ١٣٠١ و ١٣٦٩ و ١٤٩٦ و ١٧٧٤ و ١٨٠٠ و ١٩٦٤ .
١٤ - الدرر الكامنة ج ٣ ص ١٩٥ .
١٥ - البداية والنهاية ج ١٢ ص ٢٦٧ .
١٦ - مفتاح السعادة ص ٣٥ .
١٧ - طبقات محمد أمين بن حبيب ص ٢٣٦ ب .
١٨ - كتبه .

حلب ، فدرس النحو على ابن يعيش ، شارح المفصــل وتلميذه ابن عمرون ، وانتقل ، لمــا جاء الى المشرق ، من مذهب مالك الى مذهب الشافعى .

وكان هم ابن مالك الأول ، أن ينبغ فى اللغة والنحو ، ووصل فى تحقيق آمله الى مدى بعيد ، حتى صار يضرب به المثل ، فى معرفته بدقائق النحو ، وغوامض الصرف ، وغريب اللغة ، وأشعار العرب ، مع التحرى فيما ينقله ، والتحرير له . أخبر الشهاب محمود : أن ابن مالك جلس يوما ، وذكر ما انفرد به صاحب المحكم عن الأزهرى فى اللغة . وقال : هذا أمر معجز ؛ لأنه يحتاج الى معـــرفة جميع ما فى الكتابين . وتعمق ابن مالك فى دراسة الحديث ، واستكثر من معرفته ، لأنه كان أكثر ما يستشهد بالقرآن ، فان لم يكن فيه شاهد عدل الى الحديث ، فان لم يكن فيه شاهد عدل الى أشعار العرب . وســاعد ابن مالك على نيل آماله العلمية ما منحه من ذكاء ممتاز ، وصبر على البحث ، وقدرة على العمل ، ومثابرة دائبة ، وما اتصف به من أمانة النقل ، وصدق التحرى ، ودوام المراجعة ، فما كان يكتب شيئا من محفوظه ، حتى يراجعه فى موضعه ، وهذا دأب العلماء الثقات . قالوا : وما كان يرى الا وهو يصلى ، أو يتلو ، أو يصنف ، أو يقرأ .

تصدر ابن مالك فى مدينة حلب ، بعد أن أتم دراسته اللغوية ، وكان امام المدرسة السلطانية بها ، فأخذ يلقى بحلب دروسه فى النحو ، ويؤلف ، ونظم هناك الكافية الشافية ، ثم انتقل الى حماة ، حيث تصدر بها مدة ، وتابع هناك دروسه فى النحو ، ونظم ألفيته المشهورة ، وهى خلاصة الكافية الشافية ، ثم مضى الى دمشق ، وألقى بها عصا التسيار ، وتصدر بالجامع الأموى ، وبالمدرسة العادلية الكبرى ، التى عين اماما لها . وكان أكثر ما يلقيه على تلامذته النحو ، كما كان يدرس القراءات أيضا ، ومما كان يدرسه فى النحو ألفية ابن معطى ، وممن درسها عليه أحمد بن عبد الرحيم بن شــعبان . وأقبل الطلبة عليه ، وتخرج منهم عدد ضخم ، صاروا أئمة ممتــازين ، نذكر منهم ابنه

بدر الدين ، الذى شرح الكثير من رسائل أبيه النحوية ، وسنترجم له بين رجال البلاغة ، وبدر الدين بن جماعة قاضى القضاة ، وبهاء الدين ابن النحاس ، والفقيه أبا زكريا النووى ، وأبا الحسين اليونينى وغيرهم، ولم يأخذ عنه أبو حيان ، مع أنهما تعاصرا زهاء ثلاثين عاما ، فقد كان أبو حيان يتعصب ضد ابن مالك .

ومن المؤكد أن ابن مالك درس لطلبته مؤلفاته فى اللغة ، والنحو، والقراءات ، ولما كان النظم سهلا عليه ، رأينا كثيرا من مؤلفاته منظوما ، وكان وقته مباركا فيه ، فوضع كثيرا من المؤلفات التى تربو على الثلاثين ، نظمها بعضهم فى أبيات ، وذيلها السيوطى بما بقى من مؤلفاته . ومن تلك المؤلفات :

١ ـ الكافية الشافية (١) ، وهى أرجوزة نحوية ، فى ثلاثة آلاف بيت ، ألفها . كما قلنا ، فى مدينة حلب ، وأولها :

قال ابن مالك محمد ، وقد   نوى افادة بما فيه اجتهد :

الحمد لله الذى من رفده   توفيق من وفقه لحمده

ثم شرحها شرحا سماه الوافية (٢) ، وعلق عليه نكتا . وشرحها كذلك ولده بدر الدين محمد .

٢ ـ الخلاصة أو الألفية ، وهى أرجوزة فى ألف بيت ، تجمع النحو والصرف ، اختصر فيها الكتاب السابق ، قال بعض المؤرخين : انه صنفها لولده تقى الدين محمد المدعو بالأسد ، ولكن الراجح أن الذى ألفه لهذا الابن ، هو مقدمة فى النحو تدعى المقدمة الأسدية ، أما الألفية هذه فقد ألفت فى حلب ، برسم القاضى شرف الدين بن البارزى . ولما كانت الألفية مختصر الكافية ، كان كثير من أبيات هذه بنصه فى الألفية ، وقد تبع ابن مالك فى ذلك ابن معطى .

---

(١) مخطوط بدار الكتب رقم ٢٣٦ و ٢٦٤ نحو .

(٢) مخطوط بدار الكتب رقم ٢٣٦ نحو .

وقام ابن مالك بشرح ألفيته ، كما شرحها ولده (١) بدر الدين محمد ، شرحا منقحا اشتهر بشرح ابن المصنف ، خطأ فيه والده فى بعض المواضع ، وأورد الشواهد من الآيات القرآنية ، وفرغ من تأليفه فى محرم سنة ٦٧٦ هـ ، قال الصفدى : ولم تشرح الخلاصة بأحسن ولا أسد ولا أجزل منه ، على كثرة شروحها . وقد ظفرت الألفية بعناية كبرى من العلماء ، فوضعوا عليها الشروح والحواشى ، مما ندر أن يظفر بمثله كتاب ، كما اختصرها عمر بن الوردى ، بعد هذا العصر ، فى مائة وخمسين بيتا . ولا تزال الى اليوم أساس دراسة النحو والصرف .

٣ ـ كتاب الفوائد ، وهو الذى لخص منه كتابه : تسهيل الفوائد (٢) ، وتكميل المقاصد .

أما كتاب التسهيل ، فقد قال عنه صاحب كشف الظنون : هو كتاب جامع لمسائل النحو ، بحيث لا يفوته ذكر مسألة من مسائله وقواعده . ولذلك اعتنى العلماء بشأنه ، وصنفوا له شروحا ، منها : شرح المصنف (٣) ، وصل فيه الى باب المصادر ، ثم كمله ولده بدر الدين .

٤ ـ وألف كتاب عدة اللافظ ، وعمدة الحافظ ، وهو مقدمة فى النحو أيضا ، سار فيها على طريقته الموجزة ، ثم شرحه ثم أكمل المتن ، وشرح الاكمال .

٥ ـ وشرح مقدمة الجزولى فى النحو ، والمفصل للزمخشرى ، ونظمه فى كتاب دعاه : الموصل ، ثم حل هذا النظم فى آخر ، سماه : سبك المنظوم ، وفك المختوم .

٦ ـ وله كتاب دعاه : نظم الفوائد ، وهى ضوابط وفوائد

---

(١) مخطوط بدار الكتب رقم ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٩٦٥ ، ١٤٤١ نحو .

(٢) بدار الكتب رقم ٩٠١ و ٣ مجاميع ش مخطوط و ١٦٠٧ مخطوط و ١٠٩١ مطبوع .

(٣) بدار الكتب نحو رقم ١٠ ش .

منظومة ، ليست على روى واحد ، ولعلها فى اللغة والنحو ، ولعل منها نظمه فى خيل سباق الحلبة :

خيل السباق : المجلى، يقتفيه مصل، والمسلى ، وتال، قبل مرتاح
وعاطف، وحظى، والمؤمل، واللطيم، والفسكل السكيت، ياصاح

٧ ـ ووضع فى الصرف كتاب التعريف وشرحه ، ونظم لامية الأفعال ، وهى منظومة لامية ، من بحر البسيط فى ١٤ بيتا ، فى أبنية الأفعال ، شرحها ولده بدر الدين أيضا (١) ، وله منظومة فى المقصور والممدود ، وهى واوية فى ١٦٢ بيتا ، ضمنها معظم الكلمات التى تنتهى بألف مقصورة أو ممدودة ، ووضع عليها شرحا ، دعاه : تحفة (٢) ، المودود . وألف مختصرا فى البدل ، دعاه : الوفاق .

٨ ـ وجمع له بعض طلبته فتاوى فى العربية .

٩ ـ ووضع كتابا ، سماه : شواهد التوضيح والتصحيح ، لمشكلات الجامع الصحيح (٣) ، شرح فيه المشكل من اعراب ما ورد فى صحيح البخارى من الأحاديث ، وعلق على هذا الكتاب ناظم مؤلفاته بقوله :

ويكفيه ذا بين الخلائق رفعة   وعند النبى المصطفى متوسلا

١٠ ـ وله فى اللغة منظومات وأراجيز : ككتاب الأعلام (٤) ، فى مثلث الكلام ، وهو أرجوزة فى نحو ٣٠٠٠ بيت ، أهداها الى الناصر: حفيد صلاح الدين ، ذكر فيها الألفاظ التى لكل منها ثلاثة معان ، باختلاف حركاتها ، ورتب تلك الألفاظ على الأبجدية ، فهى كالمعجم للمثلثات . وله منظومة فى الضاد والظاء ، وأخرى فى الصاد والطاء .

---

(١) بدار الكتب . علم الصرف رقم ٣ و ١٤٩ و ١٨٤ .
(٢) بدار الكتب . لغة عربية رقم ٣٨٩ و ٣٩٠ و ١٩ ش .
(٣) طبع بالهند سنة ١٣١٩ هـ . معجم المطبوعات جـ ١ نهر ٢٣٤ .
(٤) بدار الكتب لغة عربية رقم ٣١٠ و ٣٨٩ و ٣٩٠ و ١٩ ش ، فى ١٤٥ صفحة .

١١ ـ ونسب اليه فى دائرة المعارف كتاب فى العروض .

١٢ ـ ونظم فى القراءات قصيدتين : احداهما دالية ، يقول فيهـا :

ولا بد من نظمى قوافى تحتـوى
لمـا قد حوى حرز الأمانى وأزيدا

والأخرى لامية أولها :

بذكر الهى حامـدا ومبسـملا
بدأت ، فأولى القـول يبدأ أولا

وآخرها :

وزادت على حرز الأمانى افادة
وقد نقصت فى الجرم ثلثـا مكملا

وحرز الأمانى هو القصيدة الشاطبية . قال فى غاية النهاية : وقد أخذ عنه العربية غير واحد من الأئمة ، غير أنى لا أعلم أحدا قرأ عليه القراءات .

صار ابن مالك يضرب المثل بنبوغه فى النحو ، قال عنه فى دائرة المعارف : انه كاد ينازع سيبويه شهرته ، وكان هو يؤمن بعبقريته فى هذا الفن، حتى ليستصغر الزمخشرى فيه، فكان يقول عن ابن الحاجب: انه أخذ نحوه من صاحب المفصل ، وصاحب المفصل نحوى صغير ، وقدم قصة لصاحب دمشـق ، يقول له : انه أعلم الناس بالعربية ، والحديث .

هذا ، ومؤلفات ابن مالك لم توضع للمبتدئين فى هذا الفن ، ولكن للمتوسطين ، يرقون بها الى مراقى النهاية .

ويضم مؤرخو ابن مالك الى نبوغه فى العلم وعبقريته ، وصفه بالدين ، والورع ، والتقوى ، وكثرة العبادة ، وصدق اللهجة ، وينسبون اليه شعرا غير نظمه التعليمى . ومن أحسن ما رووه له قوله ، وتتغلغل فيه روح الفقيه :

اذا رمـدت عينى تـداويت منكم
بنظرة حسـن ، أو بسـمع كـلام

فان لم أجد مـاء تيممت باسـمكم

وصـليت فرضى ، والـديار امامى

وكان ابن خلكان يعظمه ، ويضمر له أكبرَ الاجلال . فكان اذا صلى معه فى العادلية ، فى عهد امامة ابن مالك بها ، شيعه قاضى القضاة ابن خلكان الى بيته ، تعظيما له ، ولذلك انتقدوا المؤرخ على اغفال ابن مالك من تاريخه ، مع ما يحمله له من هذا التعظيم .

وبعد عمر حافل بالافادة والاسـتفادة ـ مات بدمشـق ، ليلة الأربعاء ، الثالث عشر من شـعبان سنة ٦٧٢ هـ ، ورثاه شرف الدين الحصنى بقصيدة ، ورى فيها باصطلاحات علم النحو ، واجتهد فى أن يملأها بهذه الاصطلاحات .

بهاء الدين بن النحاس *

محمد بن ابراهيم بن محمد ، أحد تلاميذ ابن مالك ، ولد بحلب، فى سلخ جمادى الآخرة ، سنة ٦٢٧ هـ ، ودرس العربية ، والقراءات ، وسمع الحديث فى مسقط رأسه ، ثم دخل مصر ، وأخذ عن شيوخها ، وقرأ كثيرا من كتب الأدب ، حتى ان أبا حيان وهو من تلامذته قال : انه لم يلق أحدا أكثر سـماعا منه لكتب الأدب ، ودرس صـحاح الجوهرى ، وكتاب سيبويه ، والايضاح ، والتكملة لأبى على الفارسى، والمفصل ، والحماسة ، وديوان أبى تمام ، والمتنبى ، وأبى العلاء ، وأصبح شيخ مصر فى النحو ، واللغة ، والتصريف ، والأدب ، كما كان له خبرة بالمنطق ، والهندسة . وساعده على تحصيل هذه المواد ، ما كان يمتاز به من الذكاء الممتاز ، حتى عده بعض مؤرخيه من أذكياء العـالم .

ولهذه المزايا والمواهب ، اختير لتدريس التفسير فى المدرسـة

* مراجعه :

١ ـ بغية الوعاة ص ٦ .

٢ ـ غاية النهاية جـ ٢ ص ٤٦ .

٣ ـ شذرات الذهب جـ ٥ ص ٤٤٢ .

٤ ـ نفح الطيب جـ ٧ ص ٢٧٧ (ط فريد رفاعى) .

المنصورية ، عندما تم بناؤها ، كما اختير بعدئذ لتدريس هذه المادة ، بجامع ابن طولون ، بعد اصلاحه . وكان ينهى عن الخوض فى العقائد .

ولكن يظهر لى أن بهاء الدين برغم ما حصله من العلم ، وما ظفر به من التقدير ، وما له من خلق كريم ، لم يظفر بشىء من متاع هذه الحياة الدنيا ، وكان مقترا عليه فى الرزق ، فلم يتخذ زوجا فى حياته ، ولم يكن له من صاحبة سوى مكتبته ، التى اختار لها كتبا نفيسة ، وله بيتان من الشعر تحس فيهما بلوعة الحرمان ، اذ يقول :

انى تركت لذا الورى دنياهم
وظللت أنتظر الممات ، وأرقب

وقطعت فى الدنيا العلائق : ليس لى
ولد يموت ، ولا عقار يخرب

وله نظم كثير ، كان مشهورا بين بنى عصره .

ومات يوم الثلاثاء ، سابع جمادى الآخرة ، سنة ٦٩٨ هـ ، ولم يصنف شيئا الا ما أملاه شرحا لكتاب المقرب فى النحو للمبرد .

العروض والقوافي

من مواد ثقافة الأديب فى ذلك العصر ، والشعراء بوجه خاص ، ومن أجل ذلك ترى أغلب دارسيه والمؤلفين فيه ، من هذه الطبقة التى تعنى بعلوم اللغة والأدب ، وان كنت لا تعدم فقيها يعنى به ، أو مقرئا يؤلف فيه ، وان كان ذلك قليلا . ولم يخل جيل من أجيال هذا العصر من عالم ممتاز فيه بل لقد أنتج علماؤه كتبا ظفرت بتقدير العلماء ، فتناولوها بالدراسة والشرح ، فمن ذلك : القصيدة الرامزة (١) ، وهى التى وضعها عبد الله بن محمد الخزرجى الاسكندرى ، المتوفى سنة ٦٢٦ هـ ، فقد وضع لها كثير من العلماء شروحا تجدها بدار الكتب (٢) ، وكتابه : العروض الأندلسى أيضا (٣) ، فله شروح عدة كذلك (٤) . ولابن الحاجب قصيدة لامية فى العروض ، ظفرت بعناية القوم أيضا ، سماها : المقصد الجليل فى علم الخليل (٥) . وشروحها بدار الكتب كذلك (٦) .

وبقى لنا من كتب هذا العصر بدار الكتب ، فضلا عما ذكرناه ، كتب ابن القطاع الصقلى ، الذى سنترجم له ، وكتابان لمحمد بن على الأنصارى المحلى المتوفى سنة ٦٧٣ هـ ، أحدهما اسمه : شفاء العليل فى علم الخليل (٧) ، والآخر اسمه : العنوان فى معرفة الأوزان (٨) ، وكتاب لعلى بن برى فى القوافى ، سماه : الكافى (٩) :

---

(١) بدار الكتب رقم ١٦ و ٦٠ و ٨٣ و ٩١ عروض وقواف .
(٢) جـ ٢ ص ٢٣٤ .
(٣) بدار الكتب رقم ١٣٠ و ٦١ و ١٠٠ و ٦٠٧ مجاميع عروض وقواف .
(٤) بدار الكتب بالفهرس جـ ٢ ص ٢٣٨ .
(٥) بدار الكتب مخطوطة رقم ١٩ و ٢٠ و ٦٨ عروض وقواف .
(٦) وبمكتبة معهد دمياط شرح الفيومى على كتاب المقصد الجليل (رقم ٩ عروض وقواف) .
(٧) رقم ٥٩ عروض وقواف بدار الكتب .
(٨) رقم ١٠ عروض وقواف بدار الكتب .
(٩) بدار الكتب رقم ٥٨ عروض وقواف .

وقد وقف علماء هذا العصر عند الحدود التى رسمها الخليل بن أحمد ، فى أوزان الشعر العربى ، وان لم يقف الشعراء عند هذه الحدود ، بل نظموا فى الدوبيت والموشحات . وان كانت الغالبية العظمى للشعراء سائرة على المنهج القديم .

ولعل مصر والشام فى عصر الحروب الصليبية قد اعتمدتا على أنفسهما فى هذه المادة ، وربما كانت كتب ابن القطاع ، وقد عاش فى أوائل هذا العصر ، مما اعتمدت عليه البلاد فى دراستها . وحفظ لنا التاريخ أسماء زهاء خمسة وعشرين عالما ، ألفوا أكثر من ثلاثين كتابا فيه ، منها منظومات تبلغ الست ، فقد شاع فى هذا العصر حب نظم العلوم ، حتى لا تكاد تعثر على علم لم يدخل النظم فيه .

ومن أشهر من ألف فى العروض والقوافى :

ابن القطاع الصقلى *

على بن جعفر بن على ، عربى الجنس ، أحد بنى سعد بن زيد مناة بن تميم ، اذا صح هذا النسب الذى ذكره ابن خلكان . ولد فى العاشر من صفر سنة ٤٣٣ هـ ، بجزيرة صقلية ، ودرس فى وطنه الأدب، واللغة ، على أفاضل علمائها ، وأجاد فى النحو غاية الاجادة ، وهيأه ذكاؤه لأن يصبح ممتازا بين علماء بلاده ، فيما درسه من المواد ، ونظم الشعر ، ويذكر له مؤرخوه نماذج مما قاله ، ويرى ياقوت أن أشعاره ليست على قدر علمه .

---

* مراجعه :

١ — وفيات الأعيان جـ ١ ص ٣٣٩ .
٢ — حسن المحاضرة جـ ١ ص ٢٥٥ .
٣ — النجوم الزاهرة جـ ٥ ص ٢٠٩ .
٤ — بغية الوعاة ص ٣٥٩ و ٣٣١ .
٥ — معجم الأدباء جـ ١٢ ص ٢٧٩ .
٦ — شذرات الذهب جـ ٤ ص ٤٥ .
٧ — البداية والنهاية جـ ١٢ ص ١٨٨ .
٨ — مفتاح السعادة ص ٥٣ .
٩ — طبقات محمد أمين بن حبيب ص ٢١٦ ب .

وقضى فى وطنه الجزء الأكبر من عمره ، فلما أشرف الفرنج على تملك الجزيرة ، رحل منها ، ووجد فى مصر الملجأ الأمين ، فقدم اليها فى حدود سنة خمسمائة ، واستقبلته مصر مرحبة به ، وبالغ المصريون فى اكرامه ، ومدح الأفضل بن أمير الجيوش بدر الجمالى ، وزير الآمر بالله ، والقابض على زمام السلطان يومئذ ، فوكل اليه الأفضل تعليم ولده ، وأقام بمصر يعلم ويؤلف ، وان نسبه نقدة المصريين — كما آمن بذلك بعض مؤرخيه — الى التساهل فى الرواية ، ويضربون لذلك مثلا: أنه عندما دخل مصر ، سئل عن كتاب الصحاح فى اللغة للجوهرى ، فذكر أنه لم يصل اليهم ، فلما رأى اشتغال الطلبة به ، ورغبة الناس فيه ، ركب فيه طريقا فى روايته ، وأخذ الناس عنه مقلدين له ، الا الأقل من محققى النقل فى ذلك الوقت ، فى حين أن «ياقوت» يرى أنه هو الذى روى كتاب الصحاح ، ومن طريقه اشتهرت رواية هذا الكتاب فى جميع الآفاق .

وظل ابن القطاع فى مصر يذيع علمه ، وينشر آثاره ، زهاء خمسة عشر عاما ، حتى مات فى صفر ، سنة خمس عشرة وقيل أربع عشرة وخمسمائة ، ودفن بقرب ضريح الامام الشافعى .

ولابن القطاع مؤلفات فى تاريخ الأدب ، واللغــة ، والعروض ، والتاريخ . ففى تاريخ الأدب ، وضع : كتاب الجوهرة الخطيرة فى شعراء الجزيرة (١) ، يقصد جزيرة صقلية ، اشتملت على مائة وسبعين شاعرا ، وعشرين ألف بيت شعر . وكتاب لمح الملح ، جمع فيه خلقا من شعراء الأندلس . وكتاب فرائد الشذور ، وقلائد النحور ، فى الأشعار . وفى اللغة وضع : حواشى على كتاب الصحاح . قال عنه ياقوت : ان ابن برى اعتمد عليه فيما تكلم عليه من حواشى الصحاح . وكتاب أبنية الأسماء ، الذى قال فيه ابن خلكان : جمع فأوعى ، وفيه دلالة على كثرة اطلاعه وكتاب الأفعال . ووضع كتاب القصار وأسمائهم وصفاتهم ، وكتاب المشى والسير ، وألف تاريخا لصقلية .

---

(١) يسميه ابن خلكان الدرة الخطيرة ، فى المختار من شعر شعراء الجزيرة .

وفى العروض والقوافى ، وضع : كتاب العروض البارع (١) ، وهو مختصر فى أبحر الشعر العربى : أوزانها ، وما يدخلها من العلل والزحافات . وله أيضا : مختصر فى مهملات الدوائر (٢) ، التى كان يمكن أن يقال الشعر على وزن بحورها ، ولكن العرب أهملوا النظم عليها . وله مختصر فى الزحافات (٣) ، وأبيات المعاياة (٤) ، وهى جملة أبيات تشتمل على ألغاز ، فى فنى العروض والقوافى . وكتاب الشافى فى علم القوافى (٥) .

سليمان بن بنين *

لازم ابن برى (١) ، وتخرج عليه فى النحو ، وربما درس عليه العروض والقافية ، فلابن برى كتاب فى القوافى ، سماه : الكافى ، ذكرناه (٢) ، وألف سليمان فى النحو ، والعروض ، والتاريخ ، والرقائق ، واللغة ، كتبا تبلغ خمسة وثلاثين ، ففى النحو شرح كتاب سيبويه فى كتاب ، سماه : لباب الألباب ، وشرح أبيات الايضاح وأبيات الجمل ، ووضع كتابا فى قواعد الاعراب ، وغير ذلك ، وفى التاريخ ألف : كتاب الديم الوبلية ، فى الشيم العادلية ، والشامل فى فضائل الكامل ، وفى الرقائق ، وضع : انجاز المحامد فى انجاز المواعد ، وفضائل البذل على العسر ، ورذائل البخل مع اليسر ، وسلوان الجلد عند فقدان الولد ،

---

(١) بدار الكتب رقم ٩ و ٥٨ و ٤ ش عروض وقواف .
(٢) بدار الكتب مع العروض البارع .
(٣) بدار الكتب رقم ٤ ش عروض وقواف .
(٤) بدار الكتب رقم ١٠١ عروض وقواف .
(٥) بدار الكتب رقم ٩ و ١٠١ و ١١٣ عروض وقواف .

* مراجعه :

١ — بغية الوعاة ص ٢٦١ .
٢ — معجم الأدباء جـ ١١ ص ٢٤٤ .
٣ — الوافى بالوفيات للصفدى .

(١) ستأتى ترجمته .
(٢) راجع ص ٢١٧ .

وغيرها . وفى اللغة وضع : كتاب اتفاق (١) المبانى وافتراق المعانى ، وأهداه الى بهاء الدين بن القاضى الفاضل .

وفى العروض ، كتب : الروض الأريض ، فى أوزان القريض . وعنى بدراسة القوافى ، فألف فيها : الأحكام الشوافى ، فى أحكام القوافى ، والكتاب الوافى فى علم القوافى ، والحل الكافى ، فى خلل القوافى ، ومات ابن بنين ، وقد أجاز ياقوت رواية جميع كتبه .

---

(١) مخطوط بدار الكتب رقم ٩٨ و ٢٢٦ لغة عربية .

اللغــة

درست البلاد فى ذلك العصر أمهات كتب اللغة المعروفة ؛ ككتاب الجمهرة لابن دريد المتوفى سنة ٣٢١ هـ ، وقد اختصرها شرف الدين بن عنين الشاعر الدمشقى المتوفى سنة ٦٣٠ هـ (١) ، وكتاب صحاح اللغة للجوهرى المتوفى سنة ٣٩٣ هـ ، وقد قال فى خطبة كتابه : وقد أودعت فى هذا الكتاب ما صح عندى من هذه اللغة ، التى شرف الله تعالى مراتبها ، وجعل علم الدين والدنيا منوطا بمعرفتها ، على ترتيب لم أسبق اليه ، وتهذيب لم أغلب عليه ، بعد تحصيلها بالعراق رواية ، واتقانها دراية ، ومشافهتى بها العرب فى ديارهم بالبادية ، قال التبريزى: وكتاب الصحاح هذا كتاب حسن الترتيب ، سهل المطلب ، لما يراد منه ، وقد أتى بأشياء حسنة ، وتفاسير مشكلات من اللغة ، الا أنه مع ذلك فيه تصحيف لا يشك فى أنه من المصنف ، ولا تخلو هذه الكتب الكبار من سهو يقع فيها أو غلط (٢) .

وقد ظفر كتاب الصحاح بعناية كبرى من البلاد فى ذلك الحين ، فوضعت عليه الحواشى التى تتعقب ما وقع فيه من الوهم ، وتصلح ما حدث فيه من الخلل ، وقد اختصره محمد بن الحسن بن سباع المصرى (٣) ، ونظمه يحيى بن عبد المعطى الزواوى (٤) .

ومن تلك الكتب كتاب الفصيح لثعلب المتوفى سنة ٢٩١ هـ ، وهو كتاب صغير الحجم ، كبير الفائدة (٥) ، نظمه فى ذلك العصر قاضى القضاة محمد بن سعادة المتوفى سنة ٦٩٣ هـ (٦) . وكتاب درة الغواص، فى أوهام الخواص ، للحريرى المتوفى سنة ٥١٦ هـ ، وهو كتاب يتعقب ما يظنه خواص المثقفين صحيحا ، وهو فى الواقع خطأ . وقد أثار هذا

---

(١) كشف الظنون جـ ١ نهر ٦٠٥ .
(٢) المرجع السابق جـ ٢ نهر ١٠٧١ .
(٣) بغية الوعاة ص ٣٤ .
(٤) معجم الأدباء جـ ٢٠ ص ٣٥ .
(٥) كشف الظنون جـ ٢ نهر ١٢٧٢ .
(٦) بغية الوعاة ص ١٠ .

الكتاب حركة بحث واسعة فى البلاد ، فوضعت عليه حواش تنتقصه ، وأخرى تتعصب له . ومن أشهر العلماء الذين تصدوا لدراسة هذا الكتاب ابن ظفر ، وابن بزى ، كما نظمه سراج الدين الوراق المتوفى سنة ٦٩٥ هـ (١) .

وساهمت البلاد فى الانتاج اللغوى ، وكان أكبر ما تمخض عنه جهادها ، هو الكتاب العظيم : لسان العرب ، لابن مكرم المصرى المتوفى سنة ٧١٠ هـ . وقد تم وضعه سنة ٦٨٩ هـ (٢) ، وجمع فيه بين التهذيب ، والمحكم ، والصحاح ، وحواشيه ، والجمهرة ، والنهاية ، ورتبه ترتيب الصحاح ، قال مؤلفه فى مقدمته (٣) : ورأيت علماء اللغة بين رجلين : أما من أحسن جمعه فانه لم يحسن وضعه ، وأما من أجاد وضعه فانه لم يجد جمعه ، فلم يفد حسن الجمع مع اساءة الوضع ، ولم أجد فى كتب اللغة أجمل من تهذيب اللغة لأبى منصور ، ولا أكمل من المحكم ، وهما من أمهات كتب اللغة على التحقيق ، غير أن كلا منهما مطلب عسر المهلك ، ومنهل وعر المسلك ، وكأن واضعه شرع للناس موردا عذبا ، ومنعهم منه ، قد أخر وقدم ، وقصد أن يعرب فأعجم ، فأهمل الناس أمرهما ، وانصرفوا عنهما ، وليس لذلك سبب الا سوء الترتيب ، وتخليط التفصيل والتبويب ، ورأيت الجوهرى قد أحسن ترتيب مختصره ، فخف على الناس أمره ، فتداولوه ، غير أنه فى جو اللغة كالذرة ، وفى بحرها كالقطرة ، وهو مع ذلك قد صحف وحرف ، فأتيح له الشيخ ابن برى فتتبع ما فيه ، فاستخرت الله تعالى فى جمع هذا الكتاب على ترتيب الصحاح ، مضيفا الى ما فيه من آيات القرآن ، والأخبار ، والأمثال ، والآثار ، والأشعار ، ما حل عقده . ورأيت ابن الأثير قد جاء فى ذلك بالنهاية ، غير أنه لم يضع الكلمات فى محلها ، ولا راعى فى ذلك زوائد حروفها ، من أصلها ، فوضعت كلا منها فى مكانه ، وجمعت فيه ما تفرق من كتبهم ، وأنا مع ذلك لا أدعى فيه :

(١) مخطوط بخزانة المجمع العلمى بدمشق . خطط الشام ج ٦ ص ٢٠٩ .
(٢) معجم المطبوعات لسركيس ج ١ نهر ٢٥٥ .
(٣) لسان العرب ج ١ ص ٢ .

شافهت ، أو سمعت ، أو فعلت ، أو صنعت ، أو رحلت ، أو نقلت . فكل هذه الدعاوى لم يترك فيها الأزهرى ، وابن سيدة لقائل مقالا ، ونعمرى انهما قد جمعا فأوعيا ، وليس لى فى هذا الكتاب فضيلة ، سوى أننى جمعت فيه ما تفرق . وليست مزية جمع المتفرق فى هذا البحر الخضم بالأمر اليسير » وقد أصبح اللسان منذ تأليفه من أهم كتب اللغة .

هذا أكبر مجهود لغوى قدمته البلاد حينئذ . وألف العلماء فى ذلك الحين كتبا لا تصل الى مستوى هذا الكتاب ، فوضع القاضى شهاب الدين الخويى المتوفى سنة ٦٩٣ هـ ، كفاية المتحفظ فى اللغة (١)، وأخرج بعضهم كتبا تبحث نواحى جزئية: كالمنحوت من كلام العرب(٢)، أو غريب اللغة (٣) ، وكانت البلاد قد عرفت فى ذلك الموضوع كتاب الدارقطنى ، ودرسته وعلقت عليه . أو خلق (٤) الانسان بذكر أعضائه وصفاته ، أو ما اتفق (٥) مبناه ، وافترق معناه ، أو الألفاظ (٦) المعربة التى درست البلاد فيها معجم الجواليقى ، ووضعت عليه الحواشى ، الى غير ذلك من جزئيات يصعب حصرها .

وجمع بعض العلماء ما ورد فى بعض الكتب من الغريب وشرحه ، كما فعل ابن البرزى ، الفقيه الشافعى ، فى شرح ما فى كتاب المهذب للشيرازى من غريب الألفاظ ، وكما فعل النووى ، فى كتابه : تهذيب(٧) الأسماء واللغات ، جمع فيه الألفاظ التى فى مختصر المزنى ، والمهذب، والوسيط ، والتنبيه ، والوجيز ، والروضة . واسماعيل بن هبة الله

---

(١) بغية الوعاة ص ١٠ .

(٢) للحسن بن الخطير كتاب تنبيه البارعين ، على المنحوت من كلام العرب . معجم الأدباء جـ ٨ ص ١٠٣ .

(٣) لابن المرجى كتاب حلية الأديب ، فى الغريب . بغية الوعاة ص ٧٥ .

(٤) ألف فى ذلك شرف الدين على بن يوسف بن حيدره الطبيب المتوفى فى دمشق سنة ٦٦٧ هـ . عيون الأنباء جـ ٢ ص ٢٠١ .

(٥) لابن بنين كتاب فى ذلك مخطوط بدار الكتب رقم ٩٨ و ٢٢٦ لغة عربية .

(٦) لأبى شامة المقدسى كتاب فى ذلك . ذيل الروضتين ص ٣٩ .

(٧) مخطوط بدار الكتب رقم ٦٣٥ لغة عربية .

ابن سعيد ، فى كتابه : المغنى فى شرح غريب المهذب (١) .

ووضع بعضهم ما تلحن فيه لعامة فى زمانه (٢) فى كتـاب ، كما تناولوا فى ذلك العصر بعض نواحى الدراسة اللغوية : فكتبوا فى الاشتقاق (٣) ، والاشتراك (٤) ، والتصحيف (٥) ، وغيرها ، واشتهر من علماء اللغة فى ذلك العصر طائفة كبيرة ، منهم : تاج الدين الكندى، ويحيى بن عبد المعطى الزواوى ، وعلى بن جعفر بن القطاع ، ومحمد ابن ابراهيم بن النحاس .

ابن ظفر الصقلى *

محمد بن محمد ، لا يتأكد مؤرخوه أين ولد ، فبعضهم يقـول: فى صقلية ، والبعض يقول : انه ولد بمكة سـنة ٤٩٧ ه ، وسبب نسبته الى صقلية أنه عاش بها زمنا ، وقد تنقل فى البلاد ، حتى مضى الى حماة ، ولم يزل بها الى أن توفى سنة ٥٦٥ ه (١١٦٩ م) .

وترك ابن ظفر مؤلفات فى اللغة ، والنحو ، والأدب ، والتفسير ، والتاريخ ، والكلام ، والفقه .

ففى اللغة وضع حاشية (٦) على درة الغواص ، بين فيها أخطـاء

(١) طبقات الشافعية جـ ٥ ص ٥١ .

(٢) لسلامة بن عياض . معجم الأدباء جـ ١١ ص ٢٣٤ .

(٣) كتب فى ذلك الشريشى المتوفى بدمشق سنة ٦٨٥ هـ. بغية الوعاة ص ١٨ .

(٤) كتب فى ذلك ابن ظفر .

(٥) لعثمان البلطى المتوفى سنة ٦٠٠ هـ مؤلف فيه . فوات الوفيات جـ ٢ ص ٣١.

* مراجعه :

١ - وفيات الأعيان جـ ١ ص ٥٢٢ .

٢ - دائرة المعارف الاسلامية ، المجلد الأول ، الجزء الرابع ، ص ٢١٨ .

٣ - معجم الأدباء جـ ١٩ ص ٤٨ .

٤ - معجم المطبوعات لسركيس جـ ١ نهر ١٤٩ .

٥ - بغية الوعاة ص ٥٩ .

٦ - كتبه المطبوعة .

٧ - كشف الظنون جـ ١ نهر ١٠١ .

٨ - طبقات المفسرين للداودى ص ٢٥٥ ب .

(٦) بدار الكتب لغة عربية رقم ١٩٨ مجاميع م .

الحريرى ، ووضع شرحا مطولا على مقاماته ، ذكر فى أوله أنه سمع المقامات من السلفى ، الذى رواها عن الحريرى . وابن خلكان يشك فى أخذ السلفى للمقامات عن مؤلفها .

ووضع ابن ظفر كتابا آخر ، سماه . التنقيب (١) ، على ما فى المقامات من الغريب . وألف كتابا على حروف المعجم ، فيما اتفق لفظه واختلف معناه ، سماه : ملح اللغة ، وآخر فى الاشتراك اللغوى . وألف فى النحو كتاب القواعد والبيان . وفى الأدب ألف كتاب سلوان المطاع (٢) ، أحد الكتب الأربعة المهداة الى حاكم صقلية ، قسمه خمس سلوانات : الأولى فى التفويض ، والثانية فى التأسى ، والثالثة فى الصبر ، والرابعة فى الرضا ، والخامسة فى الزهد ، وهو يصدر كل باب منها بآى من التنزيل الحكيم ، وأحاديث عن الرسول الكريم ، ثم يتبع ذلك بمختلف الحكم والأمثال التاريخية والجارية على ألسنة الحيوانات ، وما يناسب هذه الأبواب من الشعر .

وله ثلاثة تفاسير للقرآن الكريم : أحدها يدعى : ينبوع الحياة(٣)، والثانى : أكسير كيمياء التفسير ، والثالث يسمى : التفسير الكبير ، ووضع رسالة دعاها : أساليب الغاية ، فى أحكام آية .

وفى التاريخ ألف كتاب خير البشر ، بخير البشر ، وكتاب أنباء نجباء الأبناء (٤) .

وفى علم الكلام وضع معاتبة الجرىء ، على معاقبة البرىء ، رد به على الجبرية ، على ما أظن . وكتاب زاد الملوك الظفرى ، فى المعتقدات والعبادات (٥) .

وله فى الفقه أرجوزة فى الفرائض والولاء .

---

(١) مخطوط بدار الكتب رقم ٧٤٤١ أدب .

(٢) مطبوع بمطبعة الدولة التونسية سنة ١٢٧٩ هـ.

(٣) مخطوط بدار الكتب رقم ٣١٠ تفسير .

(٤) الكتابان مطبوعان (راجع مراجع البحث) .

(٥) مخطوط بمكتبة الأزهر (٧٧٥) ٢١٢٥ فقه عام .

ولكنه لم يزل يكابد الفقر الى أن مات ، حتى قيل : انه زوج ابنته فى حماة بغير كفء ، من الحاجة والضرورة ، وان الزوج رحل بها عن حماة ، وباعها فى بعض البلاد .

عبد الله بن برى *

من رجال اللغة والنحو فى مصر ، التى ولد (١) بها فى الخامس من رجب سنة ٤٩٩ هـ (١٣ من مارس سنة ١١٠٦م)، ودرس على أساتذة عصره من المصريين والقادمين على مصر ، وكان تخصصه فى اللغة والنحو والشواهد ، حتى قال ابن خلكان : انه اطلع على أكثر كلام العرب ، وفى النحو ، درس كتاب سيبويه دراسة استيعاب ، حتى أصبح عالما به وبعلله . واستطاع بهذه الثقافة ، أن يكون فى ديوان الانشاء المتصفح لكل ما يصدر عن الدولة من رسائل الى الآفاق ، وكان ذلك انما يوكل الى امام من أئمة اللسان، كابن بابشاذ ، والقاضى الفاضل ، الذى كان يتصفح الكتب التى يكتبها العماد الكاتب ، ومن كان دونه ، وكانوا

* مراجعه :

١ - وفيات الأعيان جـ ١ ص ٢٦٩ .
٢ - معجم الأدباء جـ ١٢ ص ٥٦ .
٣ - النجوم الزاهرة جـ ٦ ص ١٠٣ و ١٠٤ و ١٢٧ و ٢٢٨ .
٤ - السلوك جـ ١ ص ٩٢ و ١١٣ و ١٣٩ و ١٤٤ و ٢١٦ و ٢٥٨ .
٥ - طبقات الشافعية للسبكى جـ ٤ ص ٢٣٣ .
٦ - بغية الوعاة ص ٢٧٨ و ٢٦٩ .
٧ - تاريخ الأزهر لعنان ص ٨٦ .
٨ - بدائع البدائه ص ٨٩ .
٩ - الروضتين جـ ٢ ص ٧٣ .
١٠ - حسن المحاضرة جـ ١ ص ٢٥٥ .
١١- الكامل لابن الأثير جـ ١١ ص ٢٣٩ .
١٢ - معجم المطبوعات لسركيس جـ ١ نهر ٤٥ ، ٤٦ .
١٣ - دائرة المعارف الاسلامية ، المجلد الأول . جـ ٢ ص ٩٦ .
١٤ - شذرات الذهب جـ ٤ ص ٢٧٣ .
١٥ - البداية والنهاية جـ ١٢ ص ٣١٩ .
١٦ - مفتاح السعادة ص ٣١ .
١٧ - طبقات الشافعية لابن قاضى شهبة ص ٣٩ .
١٨ - دول الاسلام جـ ٢ ص ٦٨ .
١٩ - طبقات محمد أمين بن حبيب ص ٢١٦ ب .

(١) فى دائرة المعارف أنه ولد بدمشق ، وفى طبقات الشافعية للسبكى أنه نزيل مصر .

يستعظمون صدور كتاب عن السلطان غير معروض على أئمة اللســـان وآئمة الفتـــوى .

قالوا : وكان مع ذلك ، لا يتكلف فى كلامه ، ولا يتقيد بالاعراب، وكان فيه غفلة فى آمور الدنيا ، قال صاحب انباه الرواة : كان ينسب الى الغفلة حتى ما يقوم بمصالح نفسه . وقال السبكى : فيه تغفل عجيب يستبعد آن يجتمع فى رجل متقن للعلم .

تصدر ابن برى للتدريس فى جامع عمرو ، وربما قام بالتدريس فى الأزهر أيضا ، وقصده الطلبة من الآفاق، ورحلوا اليه ، وانتفعوا به، ومن أنبغ من أخذوا عنه أبو موسى الجزولى ، صاحب المقدمة المشهورة فى النحو . وقد سمع منه صلاح الدين ، كما أخذ عنه ولداه : العزيز، والأفضل ، والكامل بن العادل .

وفى مصر التى ربته توفى يوم الأحد ، التاسع عشر من شـــوال سنة ٥٨٢ هـ ، ويظهر أنه لم يكن له نسل ، فانه لمـــا مات بيعت كتبه ، وحضر بيعها الجم الغفير من أجلاء مصر .

ولكنه ترك مؤلفات أغلبها فى اللغة ، منها : كتاب التنبيه والايضاح، عما وقع من الوهم فى كتاب الصحاح ، فى ســـــتة مجلدات . وهو تصحيحات وزيادات على قاموس الجوهرى ، وصفه ابن خلكان بأنه حواش فائقة ، أتى فيها بالغرائب ، واستدرك عليه فيها مواضع كثيرة، وهى دالة على سعة علمه ، وغزارة مادته ، وعظم اطلاعه . ويقال : ان الوفاة أدركته عند كلمة (وقش) ، وان أبا عبــــد الله بن محمد بن عبد الرحمن هو الذى أتمه . وله حواش أيضا على معجم الجواليقى فى الكلمات الأعجمية ، وهى نقد وزيادات . وكتاب غلط الضعفاء من الفقهاء ، وهو مجموعة من أخطاء الفقهاء فى استعمال الألفاظ ، وكتاب اللباب ، فى الرد على ابن الخشاب ، الذى بين فيه غلط الحـــريرى فى المقامات ، وانتصر ابن برى للحريرى . وله حواش على درة الغـــواص فى أوهام الخواص (١) للحريرى . ويبدو أنه كان معجبا به . وكثيرا ما استقى صاحب لسان العرب من ابن برى (٢) .

---

(١) بدار الكتب رقم ١٩٨ مجاميع م.   (٢) راجع مقدمة لسان العرب ص ٢ .

ووضع في النحو : جواب المسائل العشر ، التى سأل عنها ملك النحاة فى رسالة سماها : المسائل العشر ، المتعبات الى الحشر . وشرح شواهد الايضاح ، لأبى على الفارسى (١) . وله فى علم القوافى : كتاب الكافى (٢) .

ابن مكرم *

ولد فى المحرم سنة ٦٣٠ هـ (١٢٣٢ م) ولا أدرى ان كان ولد بمصر أو بافريقية . ويذكر بعض مؤرخيه ، أنه من ولد رويفع بن ثابت الأنصارى . درس النحو ، واللغة ، والتاريخ ، والأدب ، وسمع الحديث ومرّن على الكتابة الفنية ، واختير للعمل فى ديوان الانشاء ، وأمضى فى هذا العمل معظم حياته ، ثم ولى قضاء طرابلس . قال السيوطى عنه: كان صدرا ، رئيسا ، فاضلا فى الأدب ، مليح الانشـــاء .

وقد ساعده عمله الذى تولاه على أن يكرس للأدب معظم جهوده، ولعله أراد أن يقربه من جمهور الراغبين فيه ، فاختصر كثيرا من كتبــه المطولة : كالأغانى ، وزهر الآداب ، ويتيمة الدهر ، والعقد الفــريد ، والذخيرة لابن بسام . كما ضاق ذرعا بطول تاريخ دمشق لابن عساكر، وتاريخ بغداد للخطيب ، فاختصرهما .

---

(١) بدار الكتب رقم ٣٠ نحو .

(٢) بدار الكتب رقم ٥٨ عروض وقواف .

* مراجعه :

١ - فوات الوفيات جـ ٢ ص ٢٦٥ .
٢ - دائرة المعارف الاسلامية ، المجلد الأول ، الجزء الخامس ص ٢٨٥ .
٣ - بغية الوعاة ص ١٠٦ .
٤ - نكت الهميان ص ٢٧٥ .
٥ - حسن المحاضرة جـ ١ ص ١٨٢ و ٢٥٥ .
٦ - الدرر الكامنة جـ ٤ ص ٢٦٢ .
٧ - معجم المطبوعات لسركيس جـ ١ نهر ٢٥٥ .
٨ - فهرس دار الكتب .
٩ - كتبه .
١٠ - شذرات الذهب جـ ٦ ص ٢٦ .
١١ - مفتاح السعادة ص ٣٢ ب .
١٢ - طبقات محمد أمين بن حبيب ص ٢١٧ .

ويظهر أن ابن مكرم كان من عشاق الطبيعة ومن محبى أدبها ، فقد وضع فى ذلك كتابا ، سماه : انتشار الأزهار ، فى الليل والنهار ، وطيب أوقات الأصائل والأسحار ، وسائر ما يشتمل عليه من كواكبه الفلك الدوار . وهو كتاب فى الأدب ، فيه نخبة من الأشعار والأقوال، فى عشرة أبواب ، تصف الليل ، والنهار ، والهلال ، على اختلاف مظاهره ، وربما يكون قد ألف هذا الكتاب بعد أن هذب كتاب شرف الدين التيفاشي ، الذى ألف فى هذه الناحية كتابا ، كان والد ابن مكرم يعجب به ، فلما توفى أبوه سنة ٦٤٥ هـ ، طلب الكتاب ، حتى وقف على نسخة منه بعد الجهد ، فرآها فاسدة مختلة، فهذبها ، وسماها: سرور النفس ، بمدارك الحواس الخمس . وهو جزءان ، كل منهما عشرة أبواب : الجزء الأول فى الليل والنهار ، وأوصافهما ، وفى الاصطباح ومدحه ، والهلال وظهوره وكماله ، واشتقاق الفجر ورقة النسيم فى السحر ، وتغريد الطيور فى الشجر ، وصفات الشمس عند طلوعها ، والضحى، والارتفاع الى المغيب، والكسوف، وفى الكواكب، وآراء المنجمين فيها ، والفلك وما يشتمل عليه . والجزء الثانى فى الفصول الأربعة ، ودلائل المطر ، والصحو ، والبرق ، وحنين العرب الى أوطانهم ، وهالة القمر ، وقوس قزح ، وفى السحاب ، والأنوار ، والرياح ، والاعصار ، والزوبعة ... الخ . ولعله رأى تقصيرا من التيفاشي ، فأكمله فى كتاب انتشار الأزهار .

وأهم عمل قام به ابن منظور ، هو تأليفه كتاب لسان العرب، وقد طبع بمصر فى عشرين مجلدا .

ويذكر من ترجم له أنه كان متشيعاً لعلى وآله من غير مغالاة ولا رفض .

ومات ابن مكرم بالقاهرة ، فى شعبان سنة ٧١١ هـ . وله اثنان وثمانون عاما ، وقد أضر فى آخر عمره ، وترك بعده ابناً صالحا ، عمل مثله فى كتابة الانشاء ، والقضاء ، هو القاضى قطب الدين بن المكرم .

البلاغة والنقد الأدبى

كانت البلاغة من أهم ما درس فى ذلك العصر ، فقد كانت المقدرة البلاغية أحيانا سبيلا ممهدة للوصول الى مرتبة الوزارة . وكان المنهج الذى يتبع فى تعليمها يومئذ منهجا عمليا ، قوامه التمرين والاقتداء . ومن أجل هذا كثرت فى هذا العصر كتب المختارات الأدبية شعرا ونثرا، ولا يزال كثير من هذه الكتب باقياً الى اليوم ، فمن ذلك كتاب الآداب النافعة (١) ، لجعفر بن شمس الخلافة الأفضلى ، وتذكرة ابن العديم (٢)، والحماسة البصرية (٣) التى جمعها صدر الدين على بن أبى الفــــرج البصرى برسم الملك الناصر يوسف بن الملك العزيز ، ولباب الآداب لأسامة بن منقذ، (٤) ومؤنس الوحدة (٥) لابن الأثير، ونثار الأزهار (٦) فى الليل والنهار لابن مكرم ، والمطرب من أشعار أهل المغرب (٧) ، الى غير ذلك من مجموعات كثيرة .

أما علوم البلاغة التى عرفت باسم المعانى والبيان والبديع ، وعلم الشعر والنثر ، فقد كانت بمصر وبلاد الشام فى ذلك العصر تدرس فيما عرفته اللغة العربية ، من الكتب التى ألفت فيها من قبل ، ســواء فى ذلك ما وضع فى تلك العلوم بخاصة ، أو ما تناولها وان لم يخصص لها ، فدرست البلاد المجاز لأبى عبيدة ، ونقد قدامة بن جعفر ، وبديع ابن المعتز والصناعتين لأبى هلال العسكرى ، والموازنة بين الطائيين ،

---

(١) الكتاب مطبوع .

(٢) مخطوطة بدار الكتب رقم ٢٠٤٢ ـ أدب . بخط يد مؤلفها .

(٣) مخطوط بدار الكتب رقم ٢٥٠ ـ أدب .

(٤) مطبوع بمصر .

(٥) مصور بدار الكتب رقم ٥٠٧٠ ـ أدب .

(٦) مطبوع بمطبعة الجوائب بالآستانة سنة ١٢٩٨ .

(٧) مصور بدار الكتب رقم ز ١٠٣١٠ هـ.

والوساطة بين المتنبي وخصومه ، وسر الفصاحة للخفاجي ، والأقصى القريب للتنوخي ، وحلية المحاضرة للحاتمي ، والعمدة لابن رشيق ، وتزييف نقد ابن قدامة له أيضاً . ورسالة الآمدي في الرد على قدامة ، والبديع للتبريزي ، والنكت في الاعجاز للرماني ، واعجاز ابن الخطيب ، واعجاز القرآن للباقلاني ، والكشاف للزمخشري ، وكتب تفسير القرآن ، ورسالة الحاتمي على شعر المتنبي ،وبديع أبي اسحاق ، ورسالة ابن عباد في نقده للمتنبي . وتنقيح البلاغة للعبيدي ، والفصل والوصل لابن أبي الرجال . ورسالتي الصولي على شعر أبي نواس ، وأخبار أبي تمام ، وغير ذلك من كتب الأدب ، التي تتناول تلك النواحي البلاغية النقدية. وتستطيع أن ترجع الى كتاب بدائع القرآن (١) لابن أبي الاصبع ، لترى ما عرف يومئذ من كتب البلاغة ، حتى ليخيل اليك أن أكثر ما عرفته اللغة العربية في هذه المادة ، كان معروفا مدروساً بمصر والشام . ولم يقف علماؤهاعند حد الدراسة ، بل زادوا ما وصلوا اليه باجتهادهم الشخصي وأذواقهم الخاصة ، كما فعل ذلك ابن أبي الاصبع في كتاب التحرير . وكانت غايتهم من تأليف كتبهم البلاغية ، تربية الذوق الناقد الخالق . ومن أجل هذا أكثروا أيما اكثار من الشواهد الأدبية والنماذج ، وأقلوا من مناقشة التعريفات والجدل فيها .

نشأت مدرسة البلاغة بمصر والشام متأثرة بما سبقها من الدراسات ، وبمدرسة المشارقة التي رفع لواءها عبد القاهر الجرجاني المتوفى سنة ٤٧١ هـ ، وفي آخر العصر عرفت يوسف السكاكي صاحب المفتاح المتوفى سنة ٦٢٦ هـ ، فقد رأينا صاحب المثل السائر ينقل من عبد القاهر ، وان لم يشر اليه ، وفي نحو منتصف القرن السابع الهجري رأينا ابن أبي الاصبع يذكر كتابي عبد القاهر : أسرار البلاغة ، ودلائل الاعجاز ، بين ما رجع اليه من الكتب عند ما وضع كتابه : بدائع القرآن (٢) ، وابن الزملكاني المتوفى سنة ٦٥١ هـ ، يثني عليه ، ويختصر

---

(١) ص ٢ .

(٢) مخطوطة بدار الكتب رقم ٢٥٠ بلاغة .

كتاب دلائل الاعجاز فى كتاب سماه : التبيان فى علم البيان (١) . قال فى مقدمته : ولم أجد فيه . أى فى علم البيان ، الا القليل ، ومن أجمعها كتاب دلائل الاعجاز .. وقد سهل الله جمع مقاصده وقواعده ، مع فوائد سمح بها الخاطر ، وزوائد نقلت من الكتب والدفاتر . أما مفتاح العلوم للسكاكى ، فقد عرفته البلاد ، ودرسته ، واختصره بدر الدين ابن مالك فى كتابه : المصباح ، الذى اتخذ سمة المتون ، فى ايجازه ، وقلة ما يقدمه من الأمثلة .

وقد وضع العلماء فى ذلك العصر كتبا كثيرة فى البلاغة والنقد ، ضاع معظمها ، ولم أعثر الا على ما لايكاد يزيد على أصابع اليدين ، مما بقى منها . وهذا الباقى يدل على أن تقسيم البلاغة الى علومها الثلاثة : المعانى والبيان والبديع ، لم يكن معروفا بالبلاد فى ذلك الحين . بل كانت مسائلها يختلط بعضها ببعض . وكانت كلمة البيان تطلق أحيانا على المسائل المعروفة عندنا بعلم المعانى وعلم البيان . وكانت الموضوعات التى نعدها الآن من علم البيان ، مندرجة غالبا بين أبواب البديع ، ولم أعثر على استخدام كلمة المعانى للدلالة على أية طائفة من مسائل البلاغة يومئذ ، ولم تحدد مسائل كل علم هذا التحديد الذى انتهى الينا ، الا بعد أن عرف كتاب المفتاح ، الذى ألفه السكاكى .

كما أن هذه الاصطلاحات الفنية ، والتقسيمات الخاضعة للمنطق، لم تكن معرفتها قد تمت يومئذ ، كما سنرى عند حديثنا على كتب البلاغة الباقية عندنا من ذلك العصر .

واذا صح لنا أن نستنبط بعض ما يسوغ استنباطه ، من عنوانات الكتب المفقودة ، وما وصف به العلماء هذه الكتب ، رأينا جهودهم تتجه حينا الى دراسة مسائل البلاغة بعامة ، كما فى كتاب قوانين البلاغة لعبد اللطيف البغدادى ، الذى أتم تأليفه فى حلب سنة ٦١٥ هـ، وكما فى رسالة البلاغة للقاضى الفاضل ، والطريق الى الفصاحة للرئيس ابن النفيس ، وكتاب فى البديع والبلاغة ، للمرسى السلمى . وتتجه

---

(١) مخطوط بدار الكتب رقم ٣٩٥ بلاغة .

حينا آخر الى دراسة لون واحد من ألوان هذه البلاغة ، كما فى كتاب شميم الحلى ، الذى دعاه : أنواع الرقاع فى الأسجاع . وكتاب جمال الدين الأسدى : غرائب التنبيهات ، على عجائب التشبيهات . وطوراً تتجه الى دراسة البلاغة القرآنية ، لبيان وجه الاعجاز فيها ، كما صنع ابن أبى الاصبع .

ووضع الأسعد بن مماتى المتوفى سنة ٦٠٦ هـ، كتابا فى علم النثر، وآخر فى النقد، دعاه: ميسور النقد، وكتب على بن اسماعيل السخاوى المتوفى بالقاهرة سنة ٦٣٢ هـ ، فى نقد الشعر كتابا ، سماه : نظم الدر، فى نقد الشعر ، وقصره على مؤاخذات ابن سناء الملك . قال صاحب كشف الظنون (١) : وأجاد فى بعضها ، وتعنت تعنتاً زائداً فى بعضها . وكتب فى نقد الشعر أيضا أبو عبد الله محمد بن يوسف الكفرطابى (٢) المتوفى سنة ٥٠٣ هـ . وقام بعض العلماء باختصار بعض ما كتب فى تلك المادة ، كما اختصر عثمان بن على الخزرجى كتاب العمدة لابن رشيق.

وقد اختلفت ثقافة دارسى البلاغة فى ذلك العصر ، فكان منهم الأدباء ، كابن الأثير صاحب المثل السائر ، وعبد الواحد بن عبد الكريم الزملكانى ، صاحب كتاب التبيان فى علم البيان . ومنهم من غلب عليه دراسة النحو ، كبدر الدين بن مالك مختصر المفتاح ، وعمر بن اسماعيل الفارحى المتوفى سنة ٦٨٩ هـ . ومنهم من اشتغل بالمنطق وعلم الكلام ، كمحمد بن يوسف الجزرى . ومنهم الفقيه المتبحر فى علوم الشريعة، كعز الدين بن عبد السلام . ومما لاشك فيه أن ذوق كل واحد من هؤلاء الدارسين كان يؤثر فى منهجه ، وطريقة تناوله لمسائل البلاغة، والتطبيق عليها ، فمثلا عندما تناول ابن عبد السلام المجاز فى كتابه : الاشارة الى الايجاز ، فى بعض أنواع المجاز ، يقف عند حد الأمثلة ويعنى بحصر ما ورد منها فى الكتاب العزيز ، من غير أن يعنى ببيان

---

(١) جـ ٢ نهر ١٩٦١ .

(٢) كشف الظنون جـ ٢ نهر ١٩٧٣ .

الجمال الفنى فيها . ومن تطبيقه الفقهى على البلاغة عندما تحدث عن علاقات المجاز قوله (١) : مثال العلاقة القوية قول الرجل لامرأته : اعتدى واستبرئى رحمك ، يريد بذلك الطلاق ، فهذا مجاز قوى ، من جهة أن الاستبراء والاعتداد ، سببان عن الطلاق ، والتعبير بلفظ المسبب عن السبب كثير فى كلام العرب ، ومثال العلاقة الضعيفة قول الزوج لامرأته : بارك الله فيك ، أو أطعمينى ، أو اسقينى ، أو تنعمى ، ينوى بذلك الطلاق ، فهذا لا يقع به طلاق ، لضعف العلاقة المصححة للتجوز ، اذ لم تستعمل العرب مثله . وفى قوله : اقعدى نظر ، أخذا من قوله : « والقواعد من النساء » ، أى اللاتى قعدن عن النكاح . ومثال المختلف فيه قوله : أغناك الله ، يريد بذلك الطلاق ، أخذا من قوله : « وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته » . ولو نوى ببارك الله فيك ، أغناك الله ، فلا عبرة بنيته ، لفرط تعقيده والغازه . وان قال : اشربى ، فلا عبرة به على الظاهر ، وأبعد من اعتبره ، لقول القائل : سقيناهم كأسا ، سقونا بمثلها.

وان قال ذوقى ، وتجرعى . فقد تستعمل العرب الذوق والتجرع ، فى وجدان كل ما يشق على النفوس ، ومنه قوله تعالى : « فذوقوا العذاب » ، وقوله : « ذق انك أنت العزيز الكريم » ، وقوله : «فذاقت وبال أمرها». فهذا من مجاز التشبيه: شبه وجدانها مشقة الفراق والطلاق بتجرع ما يشق تجرعه ، وذوق ما يشق ذوقه . ومن التطبيق الكلامى على البلاغة ، نظرته الى وصف الله بصفات العباد المختصة بهم ، قال (٢) : فاذا وصف البارى بشىء من ذلك لم يجز أن يكون موصوفا بحقيقته ، لأنه نقص ، وانما يتصف بما جاوزه ، ولمجاوزه أسباب . أحدها : أن يعبر بذلك عن ارادته ، فيكون من مجاز الملازمة ، وهذا مذهب الشيخ أبى الحسن الأشعرى ، رحمه الله ، وأكثر أصحابه .

---

(١) الاشارة الى الايجاز ص ١٨ .

(٢) ص ١٠٤ .

فعلى هذا يعود الى صفة الذات ، وهى الارادة . الثانى يعود الى مجاز التسبيب ، فيكون مجازا عما يصدر عن هذه الصفات من الآثار : وعلى هذا يكون من صفات الفعل . الثالث أن يعود الى مجاز التشبيه ، من جهة أن معاملته لعباده بآثار هذه الصفات مشبهة بمعاملة من قامت به هذه الصفات . ثم مضى يذكر أمثلة لذلك من نسبة المحبة اليه ، والرحمة، والود . والرضا ، والشكر ، وما ورد فى ذلك من الآيات والأحاديث ثم يوجهها على القانون السابق .

ويتغلب الذوق الأدبى عند أدباء البلاغيين ، كابن الأثير ، حتى لا يرى حاجة بالأديب الى دراسة آثار اليونان ، وما خلفوه من أبحاث فى الخطابة . ومن حسن الحظ أن كان أغلب المشتغلين بها من أهل الأدب .

وكان دارسو البلاغة فى ذلك الحين ، يرمون الى هدفين : أولهما دراسة بلاغة القرآن ، ومعرفة مظاهر فصاحته . وثانيهما القدرة على تذوق القول الجميل ، والقدرة على انتاجه . وما بقى لدينا من كتب هذا العصر يدل فى وضوح على هذين الهدفين ، وقد يتغلب أحدهما على الآخر فى بعض الكتب ؛ فترى كتاب الاشارة الى الايجاز فى بعض أنواع المجاز ، وكتاب بدائع القرآن ، وكتاب التبيان فى علم البيان . لابن الزملكانى ، ترمى الى بيان ما أودعه القرآن من ألوان البلاغة . بينما نجد الغالب على كتاب المثل السائر ، وكتاب معالم الكتابة ومغانم الاصابة ، وكتاب قانون ديوان الرسائل ، وكتاب تحرير التحبير . وكتاب البديع لأسامة ، ضرب المثل البلاغية للتذوق والاقتداء .

وبعد ، فانه اذا كان من العسير وضع صورة صحيحة للحركة البلاغية فى ذلك العهد ، لأن أغلب كتبها لم أعثر عليه ، فمن الخير أن نتتبع هذه الحركة فيما بقى لدينا من هذه الكتب ، لنرسم بقدر المستطاع صورة لسير هذه الحركة .

أما أقدم كتاب بقى لنـا من ذلك العصر ، فهو قانون ديوان الرسائل (١) ، الذى وضعه أبو القاسم على بن منجب المعروف بابن الصيرفى المتوفى سنة ٥٤٢ هـ ، وهذا الكتاب قد وضع لبيان ما يجب أن يكون عليه من يعمل عملا فى ديوان الرسائل ، وتعرض فيه مؤلفه للبلاغة عرضا عندما تحدث عن العلوم، التى يجب أن يدرسها رئيس ديوان الانشاء، وأن من الوسائل الموصلة اليها حفظ القرآن ، والحديث، والشعر . ودراسة اللغة ، وقد قدم المؤلف كتابه الى الأفضل شاهنشاه ابن بدر الجمالى مما يدل على أن الكتاب قد تم قبل سنة ٥١٥ هـ ، التى مات فيها الأفضل ، فاذا تقدم بنا الزمن رأينا أسـامة بن منقذ المتوفى سنة ٥٨٤ هـ ، يؤلف كتاب البديع (٢) فى خمسة وتسعين بابا ، ذكر فيه جملة من أبواب البلاغة ، ليست مرتبة كالترتيب الذى انتهت اليه علوم البلاغة فى عصرنا الحاضر ، كما أنه لم يستغرق جميع هذه الأبواب ، وبخاصة أبواب علم المعانى ، فترى فيه باب الاستعارة ، والتتميم ، والاحتراس ، والكناية ، والاشارة ، والتذييل ، أو الاسهاب والاطناب ، والمسـاواة . ولم تكن الاسـتعارة عنده كالاسـتعارة الاصطلاحية اليوم ، ولا مقسمة أقساما عدة ، بل هى عنده أن يستعار الشىء المحسوس للشىء المعقول ، كما قال سبحانه : « لايظلمون فتيلا، ولا يظلمون نقيرا » ، ومنهجه منهج أدبى محض : يذكر عنوان الباب ، ويضع له تعريفا سهلا ، ثم يكثر من الأمثلة أيما اكثار ، يأتى من ذلك بما ورد فى القرآن ان كان ، ثم بما قد يكون من حديث رسول الله ، ثم يتبع ذلك بأمثلة من شعر البلغاء ، ونثر الفصحاء ، وكان أسـامة شاعرا ذا ذوق مرهف ، فكانت أمثلته مختارة رائعة ، من أجود ما قيل ، وجمع أسامة فى كتابه ما أورده ابن المعتز من ألوان البديع ، وبدت شخصية أسامة فى أمثلته الأدبية ، كما ذكرنا ، وقد اعترض عليه ابن أبى الاصبع ، فذكر أن فى كتابه تداخلا ، وأنه يقسم الباب الواحد

---

(١) الكتاب مطبوع .

(٢) مخطوط بدار الكتب رقم ٥ م بلاغة .

أبوابا ، وأن شواهده تخالف عنوانات أبوابه ، وتحقيق ذلك يحتاج الى دراسة خاصة وانعام نظر .

وكتب عبد الرحيم بن شيث كتابه : معالم الكتابة ومغانم الاصابة، الذي وضعه في آداب الكاتب الديواني ، وما يجب أن يتصف به من الصفات الخلقية والعلمية ، وفي منهج كتابة الرسائل ، وعقد فيه فصلا البلاغة وما يتصل بها ، فذكر أن المعول في الكتابة عليها ، وبها تتفاوت أقدار الكتاب ، ثم تحدث عن منهجي الكتابة عند القدماء ، وأنهم كانوا يتبعون طريق الايجاز ، أو طريق المساواة ، ولذلك لم يتكلفوا من السجع ، ولا من رعاية الألفاظ المصنوعة ما يخرجهم عن ذلك ، ولكن البلغاء قد اخترعوا قسما ثالثا ، يجعلون فيه الألفاظ زائدة على المعنى، ويشفع لهذه الزيادة ما تكسبه الكلام ، من الرونق والحسن ، وقد شغف الكتاب بهذا المذهب ، فأحبوا السجع ومالوا اليه ، وصار هذا المذهب بينهم هو المسلوك . والمطلع على تاريخ الأدب يرى ذلك حقيقة واقعة ، فقد أغرم أدباء هذا العصر أيما غرام بالسجع ، حتى كتب بعضهم به كتابا في التاريخ . وسوف نتحدث عن ذلك عندما نعرض كتاب ابن الأثير . وتحدث عبد الرحيم عن اختيار الألفاظ ، فذكر أن العمل على أن تكون الألفاظ أهلية أنسية ، لا وحشية ولا منسية ، وأن على الكاتب أن يتوخى جذل الألفاظ ورقيقها ، ويتحاشى غليظها وفظها .

ويعرض بعدئذ للشعر والنثر ، فيرى أن صفات الكلام الجيد ، لا تختلف، في الشعر عنها في النثر ، الا في الوزن ، وأن الشاعر البليغ يستطيع أن يكون كاتبا بليغا ، ولكن الكاتب لا يستطيع أن يكون شاعرا ، لأن الشعر ما لم يكن في الطبع لا يكتسب بالممارسة ، ونحن نحمد فيه تلك اللمحة التي ترى النثر الأدبي لا يفرق بينه وبين الشعر سوى الوزن والقافية ، أما التصوير في الفنين فغير مختلف ، ولكنا لا نوافقه على أن الشاعر البليغ يستطيع أن يكون كاتبا بليغا ، الا اذا كانت هبة الكتابة طبيعية فيه وتاريخ الأدب شاهد بذلك ، فقل بين

الأدباء من جمع بين الهبتين . كما أنا لا نوافقه على أن الكتابة هى حل المنظوم من الشعر ، فذلك أدب تقليدى ، يعتمد على الصناعة ، ولا ينبع من نفس الأديب ، لأننا نريد أن يكون التعبير تصويرا لاحساس الأديب نفسه ، لا تقليدا لغيره ، ولا سرقة منه .

أما ألوان البلاغة التى ذكرها فيندرج معظمها فيما نسميه الآن بالبديع . وان كان لا يعطيه هذا الاسم ، كما أن بعض ما أورده يسميه بأسماء لا نسميه بها اليوم ، مما يدل على أن الاصطلاحات لم يكن قد تم الاتفاق عليها يومئذ ، كما أن الأقسام التى ذكرها لم تكن مستوفاة كعهدنا بها اليوم . ولا تعاريفها قد اتفق عليها بعد ، فهو مثلا يقسم السجع قسمين : حاليا وعاطلا ، فالسجع الحالى كل كلمتين جاءتا فى الكلام المنثور على زنة واحدة ، تصلح أن تكون احداهما قافية أمام صاحبتها . كقولك : فلان لا تدرك فى المجد غايته ، ولا تنسخ من الفضل آيته . أما العاطل فهو أن تقابل اللفظة أختها ، ولا تجمع بينهما القافية ، كقوله : قل أهل الدين والأمانة ، فالى من يسكن ، وعلى من يعول ؟ فاصطلاح الحالى والعاطل ليس مألوفا عندنا اليوم ، كما أنه يسمى ألوانا بأسماء تدخل فى غيرها ، بعد أن تم وضع مصطلحات هذه الفنون ، فسمى نوعا بالرجع ، وآخر بالترصيع ، وبالالمام ، وبالتتميم ، وهى تدخل عندنا اليوم فى باب الجناس ، وسمى الالتفات بالانصراف . ويذكر أبوابا فيها تكلف ، وأخرى مقبولة ، فمن الأولى التكرير ، ومن أمثلته : ماضى الأمر ، ماضى العزم ، ماضى الحسام ، ومن الثانية الهدم وهو أن تذكر انسانا بصفته فى كلامه ، ثم تنقضها بكلمة من جنسها ، كقوله : فلان مرفوع الحجاب ، الا أنه محجوب النائل . ولم يزد فى باب الاستعارة على أن عرفها ، كتعريف أسامة لها ، وقال : ان موقعها آثر فى النفوس من الحقيقة ، ولم يفرق بينها وبين التشبيه ، فقد عد منها قول الشاعر :

والشيب ينهض فى الشباب ، كأنه
ليل ، يصيح بجانبيه نهار

وتحدث عبد الرحيم عن الجزالة والسهولة فى الأساليب ، مكتفيا فى ذلك بايراد المثال .

ورايى فى عبد الرحيم انه لم ينتفع كثيرا بما كتبه السابقون فى هذا الباب ، كما ان دوقه لم يكن بالدوق الأدبى الممتاز ، فلم يقدر قيمة هده المحسنات ، ولم يختر الجيد من النماذج .

أما المؤلف الذى انتفع أكبر انتفاع بكتب سابقيه ، واحتفظ فيما كتبه بشخصيةواضحة ، فابن الأثير المتوفى سنة ٦٣٧ هـ ، فى كتاب المثل السائر ، وهو الذى أعده مضافا اليه جهود ابن أبى الاصبع ، خلاصة جهود مصر والشام ، فى دراسة البلاغة قبل أن يتصلا بمدرسة السكاكى .

قرأ ابن الأثير ما كتبه السابقون فى علم البيان — كما كان يدعوه فى كتابه — قال فى مقدمة كتابه : « وقد ألف الناس فيه كتبا ، وجلبوا ذهبا وحطبا ، وما من تأليف الا وقد تصفحت فيه شينه وسينه ، وعلمت غثه وسمينه ، فلم أجد ما ينتفع به فى ذلك الا كتاب الموازنة ، لأبى القاسم الحسن بن بشر الآمدى . وكتاب سر الفصاحة ، وان نبه فيه على نكت كثيرة ، فانه قد أكثر مما قل به مقدار كتابه ، من ذكر الأصوات ، والحروف ، والكلام عليها . ومن الكلام على اللفظة المفردة وصفاتها ، مما لا حاجة الى أكثره » . فنحن هنا أمام رجل قرأ ما كتب من قبله ، ووقف أمامه موقف الممتحن الناقد ، يصوب ويرد ، ولا يقف عند هذا الحد ، بل يبحث منقبا عن قوانين للجمال ، لم تكشف من قبله ، يضيفها الى ما عرف منها . قال فى المقدمة أيضا : « وكنت عثرت على ضروب كثيرة منه فى غضون القرآن الكريم ، ولم أجد أحدا ممن تقدمنى تعرض لذكر شىء منها ، وهى اذا عدت كانت فى هذا العلم بمقدار شطره ، واذا نظر الى فوائدها ، وجدت محتوية عليه بأسره ، وقد أوردتها هاهنا ، وشفعتها بضروب أخر مدونة فى الكتب المتقدمة ، بعد أن حذفت منها ما حذفته ، وأضفت اليها ما أضفته ، وهدانى الله

لابتداع أشياء لم تكن من قبلى مبتدعة ، ومنحنى بركة الاجتهاد التى لا تكون أقوالها تابعة وانما هى متبعة » . واذا أخذنا على المؤلف شدة تقديره لنفسه ، فاننا نغفر له ذلك عندما نرى حماسته فى تقدير هذا العلم ، واجتهاده فى تنظيم أبوابه واستكمال أقسامه ، وفرحه كلما عثر بفكرة جديدة ، واهتدى الى رأى سديد .

يرى ابن الأثير أن معرفة أسرار البلاغة تعتمد على الذوق السليم ، الذى هو أنفع من ذوق التعليم ، وعنده أن الدربة والادمان ، أجدى نفعا من دراسة القواعد . وهو ما نقره عليه . وتطبيقا لهذا المبدأ أكثر ابن الأثير أيما اكثار من ايراد المثل والنماذج ، وان كان اعجابه بآثاره الأدبية قد دفعه الى أن يغمرنا بكثير من تلك الآثار ، كما أنه كان يرمى بكتابه هذا الى تخريج الأديب الصالح فى نظره ، فحدثنا عما يحتاج اليه من العلوم والفنون ، وعقد فصلا رسم فيه الطريق الى تعلم الكتابة ، فوجد الطريق ينقسم فيها الى ثلاث شعب ، « الأولى أن يتصفح الكاتب كتابة المتقدمين ، ويطلع على أوضاعهم فى استعمال الألفاظ والمعانى ، ثم يحذو حذوهم ، وهذه عنده أدنى الطبقات ، والثانية أن يمزج كتابة المتقدمين بما يستجده لنفسه من زيادة حسنة ، اما فى تحسين ألفاظ أو فى تحسين معان ، وهذه هى الطبقة الوسطى ، وهى أعلى من التى قبلها ، الثالثة ألا يتصفح كتابة المتقدمين ، ولا يطلع على شىء منها ، بل يصرف همه الى حفظ القرآن الكريم ، وكثير من الأخبار النبوية ، وعدة من دواوين فحول الشعراء ، ممن غلب على شعره الاجادة فى المعانى والألفاظ ، ثم يأخذ فى الاقتباس من هذه الثلاثة ، أعنى القرآن والاخبار النبوية والأشعار ، فيقوم ، ويقع ، ويخطىء ، ويصيب ، ويضل ، ويهتدى ، حتى يستقيم على طريقة يفتتحها لنفسه ، وأخلق بتلك الطريق أن تكون مبتدعة غريبة ، لا شركة لأحد من المتقدمين فيها » . ويرسم الطريق العملى — فى نظره ، بناء على تجربته — لمن أراد أن يبلغ فى الكتابة منزلة محمودة فيقول : « من أحب أن يكون كاتبا ، وكان عنده طبع مجيب ، فعليه بحفظ الدواوين ذوات العدد ، ولا يقنع بالقليل من ذلك ، ثم يأخذ فى نثر الشعر من

محفوظاته . وطريقه أن يبتدىء فيأخذ قصيدا من القصائد ، فينثره بيتا بيتا على التوالى ، ولا يستنكف فى الابتداء أن ينثر الشعر بألفاظه أو بأكثرها ، فانه لا يستطيع الا ذلك ، واذا مرنت نفسه وتدرب خاطره، ارتفع عن هذه الدرجة ، وصار يأخذ المعنى ، ويكسوه عبارة من عنده، ثم يرتفع عن ذلك ، حتى يكسوه ضروبا من العبارات المختلفة ، وحينئذ يحصل لخاطره بمباشرة المعانى لقاح ، ويستنتج منها معانى غير تلك المعانى ، وسبيله أن يكثر الادمان ليلا ونهارا ، ولا يزال على ذلك مدة طويلة ، حتى يصير له ملكة ، فاذا كتب كتابا ، أو خطب خطبة ، تدفقت المعانى فى أثناء كلامه ، وجاءت ألفاظه معسولة لا مغسولة ، وكان عليها جدة ، حتى تكاد ترقص رقصا ، وهذا شىء خبرته بالتجربة » ؛ فأنت تراه يبدأ بالكاتب مقلدا ، ثم ينتهى به مبتكرا ذا طريقة خاصة به . وقد وضع للتطبيق على نظريته هذه كتابا ، دعاه الوشى المرقوم ، فى حل المنظوم .

بنى ابن الأثير كتابه على مقدمة ومقالتين : فالمقدمة تشتمل على مبادىء فى علم البيان ، فتحدث عن موضوعه ، وما يحتاج اليه عالم البيان من علوم ، وطريقة الحكم على المعانى ، وكيف نرجح معنى على آخر ، كما تحدث عن الحقيقة والمجاز ، وعرف الفصاحة والبلاغة .

وفى المقالة الأولى تحدث عن الصناعة اللفظية، وعن مفسدات جمال العبارة ، من المعاظلة اللفظية ، والمنافرة بين الألفاظ فى السبك ، وبذلك ينتهى حديثه عن الصناعة اللفظية . ويندرج ما ذكره من المحسنات تحت ما نسميه اليوم بعلم البديع .

ثم تحدث ابن الأثير عن الصناعة المعنوية . ويختم كتابه بالسرقات الشعرية ، التى عنى بها عناية خاصة .

ليس فى كتاب ابن الأثير تأثر بمدرسة السكاكى ، لا من ناحية تقسيم علوم البلاغة الى أقسامها الثلاثة المعروفة اليوم ، ولا من ناحية منهجه فى التأليف ، وخطته فى التعريف ، والتقسيم ، ولكنه تأثر

بعبد القاهر فى فكرته البلاغية التى أتى بها فى كتابه : دلائل الاعجاز ، وهى عودة البـلاغة الى سر فى نظم الكلام ، وعندى أنه لم يتأثر به تأثرا ما فى كتابه : أسرار البلاغة ، كما أنه لم يورد فى كتـابه هذه الألوان البديعية الكثيرة التى أوردها أسامة . وكانت شخصية ابن الأثير شخصية قوية واضحة فيما كتب .

أما ابن الزملكانى الأديب البلاغى المتوفى سنة ٦٥١ هـ ، فقد اختصر كتاب دلائل الاعجاز فى كتاب سماه : التبيان فى علم البيان ، وقال فى مقدمة مختصره : « انه زاد عليه فرائد سمح بها الخاطر ، وزوائد نقلت من الكتب والدفاتر » .

وعالج علم البـلاغة فى هـذا العصر شاعر مصرى مجد ، هو عبد العظيم بن عبد الواحد بن أبى الاصبع ، المتوفى سنة ٦٥٤ هـ ، فقد وضع كتابا ، دعاه : تحرير التحبير فى علم البديع ، ثم تتبع ما ورد فى القرآن من هذه الألوان ، فى كتاب ، سماه : بدائع القرآن ، وقد قال فى مقدمته : « وما أبرىء نفسى ، ولا أدعى سلامة وضعى ، دون أبنـاء جنسى ، غير أنى توخيت طاقتى ووسعى ، فتجنبت التداخل ، وصححت ما قدرت على تصحيحه ، ووضعت كل شاهد فى موضعه ، وربما أبقيت اسم الباب وغيرت مسماه ، اذا رأيت اسـمه لا يطابق معناه ، الى أن جمعت من ذلك خمسة وتسعين بابا أصولا وفروعا ، ورأيت أن أضيف الى ذلك الأصل والمضاف فذلكة ، لم أسبق فى غلبة ظنى الى شىء منها .

والبديع عنده يشمل الأبواب التى تعرف عندنا اليوم بعلم البديع ، وعلم البيان ، وبعض أبواب المعـانى ، وكان ينتقـد بعض ما وضعه سابقوه من اصطلاحات ، ويضع بدلها أسـماء جديدة ، كما فعل فى باب التوشيح ، فانه رده ، لأن معناه مطلق التطويل ، واختار له اسم تشابه الأطراف ، مثل قول الشاعر ، يمدح الحجاج :

اذا نزل الحجاج أرضا مريضة
تتبع أقصى دائها ، فشفاها
شفاها من الداء العضال الذى بها
غلام اذا هز القناة سقاها

وادعى ابن أبى الاصبع أنه اهتدى الى لون من ألوان الجمال ، دعاه : القول بالموجب ، فيعمد المخاطب الى كلمة مفردة من كلام المتكلم، فيبنى عليها .

والواقع أنى لم أعثر على من تحدث عن القول بالموجب قبله .

كما اهتدى الى لون سماه النزاهة ، وتكون فى الهجاء الذى تستطيع المحصنة فى خدرها أن تصغى اليه ، من غير أن يبعث اليها خجلا .

وكان منهجه كمنهج ابن الأثير وأسامة أديبا ، يعرض تعريفا أدبيا لما أورده من ألوان الجمال ، ثم يعنى بعرض نماذج كثيرة جيدة .

وكتب عز الدين بن عبد السلام كتابا ، دعاه : الاشارة الى الايجاز فى بعض أنواع المجاز ، كان هدفه الأساسى فيه أن يبين ما ورد فى القرآن الكريم من ألوان المجاز ، وهو يعنى بالمجاز كل ما ليس بحقيقة، وقد تتبع ما ورد فى القرآن منها ، وربما كان هذا الكتاب أوفى مرجع فى هذا الباب ، ويقف ابن عبد السلام غالبا ، عند حد بيان ما فى الآيات من الايجاز ، من غير بيان ما فيها من الجمال البلاغى ، ولكنه بهذا الجمع الذى يكاد يكون مستقصيا ، يمهد الطريق لدراسة أدق وأعمق .

وعرفت البلاد فى ذلك العهد كتاب المفتاح للسكاكى المتوفى سنة ٦٢٦ هـ ، ولا أدرى متى جاء الكتاب الى هذه البلاد ، ولكننى لم أعثر على كتاب تأثر به ، قبل كتاب المصباح ، الذى ألفه بدر الدين بن مالك، واختصر فيه كتاب المفتاح .

بعد أن عرضنا عرضا تقريبيا ، تلك الحركة البلاغية فى هذا العصر ، نرى أن نكملها بدراسة أشهر رجالها يومئذ ، وهم :

ابن الأثير *

اخوة ثلاثة ، بلغوا حظا كبيرا من المجد العلمى ، والمنزلة الرفيعة فى الحياة ، وخلود الذكر بعد الموت . أما أكبرهم فمجد الدين المبارك (٥٤٤ - ٦٠٦ هـ) ، الذى كرس حياته لدراسة القرآن والحديث والنحو ، وله فيها مؤلفات ، لا يزال بعضها باقيا الى اليوم . وأوسطهم عز الدين على (٥٥٥ - ٦٢٠ هـ) المبرز فى التاريخ ، والمصنف فيه عدة مصنفات ، أهمها الكامل الذى يعد مرجعا من أشهر المراجع . وأصغرهم ضياء الدين نصر الله ، الأديب الوزير الذى نريد الحديث عنه . ومع اختلاف مناحيهم فى الثقافة ، شغفوا جميعا بالأدب ، وألفوا فيه ، وتحتفظ دار الكتب برسائل المبارك الأدبية (١) ، وبكتاب الجامع (٢) الكبير فى صناعة المنظوم والمنثور لعز الدين ، أما أصغرهم فكان أوفاهم

---

* مراجعه :

١ - وفيات الأعيان ج ٢ ص ١٥٨ و ٤٠٨ .
٢ - بغية الوعاة ص ٤٠٤ .
٣ - شذرات الذهب ج ٥ ص ١٨٧ .
٤ - كتبه .
٥ - صبح الأعشى ج ٢ ص٤٤٦ .
٦ - الروضتين ج ١ ص ١٩٢ و ج ٢ ص ٢٢٨ .
٧ - السلوك ج ١ ص ١١٥ و ١٤٦ و ١٢٣ و ١١٨ و ١٢٩ و ١٣٥ و ١٥١ .
٨ - نثر الجمان - القطعة الثانية ص ١١٦ .
٩ - النجوم الزاهرة جـ٦ ص ١٢٥ و ١٢٠ و ٣١٨ و ١٢٢ و ١٢٣ و ١٦٢ .
١٠- دائرة المعارف الاسلامية - المجلد الأول ، الجزء الثانى ، ص ٨٢ .
١١- اكتفاء القنوع بما هو مطبوع ص ٧٣ و ٣٤٤ و ٣٤٥ .
١٢- معجم البلدان ج ٣ ص١٠٢ .
١٣- معجم المطبوعات العربية لسركيس ج ١ نهر ٣٥ .
١٤- شرح السبكى على التلخيص ص ٨٢ ج ١ شروح التلخيص .
١٥- كشف الظنون ج ٢ نهر ١٥٨٦ و ١٩٤٨ .
١٦- عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ج ٢ ص١٨٩ .
١٧- مفتاح السعادة ص ٥٣ ب .
١٨- العقد المذهب ص ١٦٦ ب .
١٩- تاريخ آداب العرب للرافعى بهامش صفحة ٢٧٠ ج ٢ .

(١) مخطوطة رقم ٢٠٤٠ . ٢٠٨٤ - أدب .
(٢) مخطوطة رقم ٢٧٠ بلاغة .

حظا من الأدب ، وبلوغ أسمى المناصب ، وان قصرت به سياسته عن أن يحتفظ بما ناله من سلطان وجاه .

ولد نصر الله في يوم الخميس ، العشرين من شعبان سنة ٥٥٨ هـ (١١٦٣م) بجزيرة ابن عمر ، وهي بلدة على دجلة في شمال الموصل ، وبالقرب منها . واذا كان التاريخ لم يتحدث عن والده محمد بن محمد ابن عبد الكريم ، فأغلب الظن أنه كان ميسور الحال ، يسرا هيأ لأولاده أن يغترفوا من الثقافة ، وأن يتفرغوا لها .

وانتقل نصر الدين مع والده الى الموصل ، حيث تثقف بها ، وحفظ كتاب الله وكثيرا من الأحاديث النبوية ، وأخذ حظا صالحا من النحو واللغة ، أما علم البيان فقد خصص له أكثر وقته ، ووقف عليه معظم جهوده ، قرأ فيه الكتب النظرية ، وأقبل على دواوين الشعراء ، يحفظ منها ما شاء ، فدرس ما ألف في البلاغة ، وعرف ما انتهى اليه العلماء فيها . وأهم ما قرأه منها : كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري ، والتذكرة لابن حمدون البغدادي ، وكتاب أبي العلاء محمد بن غانم ، والأقصى القريب للتنوخي ، وكان معجبا بكتاب الموازنة بين الطائيين للآمدي ، وكتاب سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي ، « غير أن كتاب الموازنة أجمع أصولا ، وأجدى محصولا » .

وأخذ ابن الأثير كذلك بحظ من الحساب ، والجبر ، والمقابلة ، والهندسة ، ولست أدري ان كان قد عرف لغة غير العربية ، مما هيأ له أن يحكم على الالتفات بأنه خاص باللغة العربية دون غيرها من اللغات (١) ، وأرجح أنه كان يعرف الفارسية ، والتركية ، كما يدل على ذلك حديثه عنهما في كتابه (٢) .

وكان ابن الأثير متعصبا للغة العربية ، مؤمنا بأنها سيدة اللغات ، لما أوتيت من خصائص في ترتيب كلماتها ، وما منحته من سعة ودقة

(١) المثل السائر ص ١٦٤ .
(٢) ص ٢٥١ و ٢٥٥ .

وجمال . أما موقفه من الفلسفة فموقف المبغض المزدرى ، يرى فى رجالها من أمثال ابن سينا ، والفارابى ، رجالا مغرورين ، أضلهم أرسطو وأفلاطون (١) .

كان أظهر صفات ابن الأثير اعجابه بنفسه ، وايمانه بمواهبه ، تلمس ذلك فى كل خطوة تخطوها فى كتبه ، فتراه حينا يعرض عليك نماذج من رسائله ، معجبا بها ، منوها بقدرها ، مبينا ما استطاع أن يصل اليه فيها من معان جديدة ، وأفكار مبتكرة ، وحينا يوازن بين كلامه وكلام غيره ، ليقنعك بجودة ما خطته براعته ، وفى نظريات البلاغة كثيرا ما تراه يعدها من مبتكراته ، أو يأخذ بيدك لتلمس ما زاده هو على آراء من سبقه . وانا نقر لابن الأثير أنه كان من مجتهدى هذا الفن ، وأن أكثر كتابه كان ناشئا عن تجارب لصاحبه ، ومن تقليبه النظر فى ألوان الكلام ، ليستخلص منه وجوه حسنه ، وان كنا نعرف أنه يغالى أحيانا فى ادعاء الاختراع لمعانى رسائله .

وبلغت ثقته بنفسه فى انشاء الرسائل والعلم بقوانين البلاغة حدا كبيرا ، فكان يعارض شيخ الانشاء فى عصره : القاضى الفاضل ، يكتب فى أغراض كتبه ، وحينا يعرض له من المعانى مايراه قد نقص عبدالرحيم . وكان يوازن بين رسائله ورسائل الصابىء الكاتب ، ليرى مقدار تفوقه عليه .

أما موقفه من علمـاء البلاغة فموقف الناقد المحاسـب ، يورد أفكارهم ، فيقبل منها ويرفض ، مناقشا ، مدعما رأيه بالحجة ، وان جانبه الصواب فى بعض الأحيان ، وما كان يرى أن يدخل علماء النحو فى الأمور البلاغية ، حتى لا يصدروا أحكاما لم تؤهلهم لها دراستهم ، وهو لذلك ينتقد أبا الفتح بن جنى ، عنـدما شرح قول أبى الطيب :

كل جـريح ترجى سـلامته   الا جريحا ، دهتـه عيناها
تبل خدى كلما ابتسـت   من مطر ، برقة ثنـاياها

---

(١) ص ٢٥١ و ٢٥٥ .

فظن ابن جنى أن أبا الطيب أراد أنها كانت تبتسم ، فيخرج الريق من فمها ، ويقع على وجهه ، فشبهه بالمطر ، قال ابن الأثير (١) : وما كنت أظن أن أحدا من الناس ، يذهب وهمه وخاطره ، حيث ذهب وهم هذا الرجل وخاطره ، واذا كان هذا قول امام من أئمة العربية تشد اليه الرحال ، فما يقال فى غيره ؟

وألف ابن الأثير كتبا ، بعضها لم أعثر عليه ، ككتابه فى السرقات الشعرية الذى حدثنا عنه المثل السائر (٢) ، وكتاب كنز البلاغة ، الذى أشار اليه السبكى ، فى شرحه على التلخيص (٣) ، وكتاب مختارات اختار فيه من شعر أبى تمام ، والبحترى ، وديك الجن ، والمتنبى (٤) ، وكتاب المعانى المخترعة فى صناعة الانشاء (٥) ، وكتاب المرصع فى الأدبيات ، وقد طبع فى القسطنطينية سنة ١٣٠٤ هـ . أما أهم كتاب له فهو المثل السائر ، الذى حاول أن يضبط فيه قواعد البلاغة ، وقد انتهج فى تأليفه نهجا أدبيا ، لا نظريا جافا ، وملأه بالأمثلة ، وبيان مواضع الجمال ، ونقد مواطن القبح ، وعقد الموازنات ، وهو يعد بذلك من أسس كتب البلاغة ، وكان لهذا الكتاب ، وقع كبير فى الدوائر البلاغية ، فعندما وصل هذا الكتاب الى بغداد ، انتقده المدائنى ، بكتاب سماه الفلك الدائر على المثل السائر ، وانتصر أبو القاسم السنجارى المتوفى سنة ٦٥٠ هـ للمثل السائر ، فألف كتابا ، سماه : نشر المثل السائر ، وطى الفلك الدائر ، وتستطيع أن ترجع الى كشف الظنون ، لترى ما أثاره هذا الكتاب من دراسات .

وكتابه : الوشى المرقوم (٦) فى حل المنظوم ، منهج تطبيقى ، لفكرته التى يدعو اليها ، ذلك أنه يرى الكاتب محتاجا لحفظ القرآن

(١) المثل السائر ص ١٤٨ .
(٢) ص ٣٠١ .
(٣) شروح التلخيص جـ ١ ص ٨٢ .
(٤) وفيات الأعيان جـ ٢ ص ١٥٨ .
(٥) بغية الوعاة ص ٤٠٤ .
(٦) بدار الكتب رقم ٩٧٣ و ١٣٩٠ و ١٣٩١ و ١٨٠٥ وهو مطبوع .

الكريم ، والأخبار النبوية ، والأشعار الكثيرة ، بقدر المستطاع ، وهو في هذا الكتاب يبين بطريقة عملية ، كيف نستفيد مما نقرأ ، ونحفظ ، في ترقية أسلوبنا ، والثروة في معانينا ، ولو أن اللفتات التي نبه عليها ابن الأثير في المعاني والعناية بها ، وكيف نستنبطها ونبتكرها — سارت في طريقها ، ولم تعقها الدراسات النظرية المحضة ، لكان لبلاغتنا اليوم شأن جد رفيع .

وله بدار الكتب كتاب مؤنس الوحدة (١) . جمع فيه أشعارا وأخبارا في المدائح والأوصاف ، والتشبيهات وكتاب المفتاح المنشا ، لحديقة الانشا (٢) . بدأه مبينا فضل صناعة الانشاء وأنها أشرف صناعات الممالك ، وقد رتب الكتاب على بابين ، أولهما في مراتب الكتب والمخاطبات ، والثاني في الأدعية والانتهاءات ، فذكر ما تبدأ به الرسائل ، والألقاب التي يخاطب بها المرسل اليهم ، والدعاء لهم ، وذكر فصلا في الأدعية لأرباب الملل غير الاسلامية ، وأورد الصيغ التي يقدمها الكاتب بين يدي مراده ، كما شرح فيه كثيرا من ألوان المحسنات البديعية .

وتوفي ابن الأثير سنة ٦٧٧ هـ .

عبد العظيم بن أبي الاصبع *

فقيه شافعي ، نحوي ، أديب ، ولد بمصر سنة خمس أو تسع وثمانين وخمسمائة ، ونكاد نجهل تاريخ حياته ولا ندري عنه الا أنه كان شاعرا ومؤلفا ، وضع من الكتب غير ما ذكرناه ، كتاب الخواطر السوانح ، في كشف سرائر الفواتح ، بين فيه ما امتاز به القرآن من حسن ابتداءات ، وكتاب الشافية في علم القافية ، وقد برهن فيه على

---

(١) مصور بدار الكتب رقم ١٧٥٠ — أدب .

(٢) مصور بدار الكتب رقم ٤٩٣٤ — أدب .

* مراجعه :

١ — شذرات الذهب جـ ٥ ص ٢٦٥ .
٢ — فوات الوفيات جـ ١ ص ٢٩٤ .
٣ — السلوك جـ ١ ص ٤٠١ .
٤ — النجوم الزاهرة جـ ٧ ص ٣٧ .
٥ — حسن المحاضرة جـ ١ ص ٢٧١ .

أن القرآن الكريم لم يقع فيه من الشعر ، الا ما هو على مثال البيت المفرد فقط ، والبيت المفرد لا يسمى شعرا ، قصد أو لم يقصد . وبرهن على ذلك بأدلة مستقصاة فى هذا الكتاب . وله كتاب آخر ، سماه : الميزان فى الترجيح بين كلام قدامة وكلام خصومه ، وقد عمل منه قطعة ولم يتمه . أما شعره الذى بين يدى فجله متكلف كثير التورية ، وكأنه يضعه تطبيقا على مسائل البديع .

وتوفى بمصر ، فى الثالث والعشرين من شوال سنة ٦٥٤ هـ .

بدر الدين بن مالك *

عالم ، فهم ، ذكى ، جاد الخاطر ، امام فى النحو ، والمعانى ، والبيان ، والعروض ، والمنطق ، مشارك فى الفقه ، والأصول ، آخذ بنصيب من علم الكلام ، درس على والده النحو ، واللغة ، والمنطق ، ثم سكن بعلبك فدمشق ، وصار بعد وفاة أبيه ، منفردا بعلم العربية ، ولا سيما كلام والده ، وساعده على ذلك صحة ذهنه ، وقوة ذكائه .

شرح بدر الدين بعض كتب والده : كالألفية (١) ، والكافية ، والتسهيل ، واللامية فى التصريف ، كما شرح ملحة الاعراب للحريرى ، وشافية ابن الحاجب فى الصرف ، ووضع مقدمة فى العروض ، وأخرى فى المنطق ، واختصر المفتاح ، كما ذكرنا فى كتابه : المصباح .

وتوفى بدمشق ، فى محرم سنة ٦٨٦ هـ ، وقد أناف على الأربعين .

---

* مراجعه :

١ – بغية الوعاة ص ٩٦ ·
٢ – طبقات الشافعية جـ ٥ ص ٤١
٣ – السلوك جـ ١ ص ٧٣٨ ·
٤ – شذرات الذهب جـ ٥ ص ٣١٨ ·
٥ – معجم المطبوعات لسركيس جـ ١ نهر ١٣٤ ·
٦ – روضات الجنات ص ٣٧١ ·
٧ – نثر الجمان · القطعة الثانية ص ٢٩٧ ·
٨ – كشف الظنون جـ ٢ نهر ٩١٦ ·
٩ – طبقات محمد أمين حبيب ص ٢٣٨ ب ·

(١) الشرح مخطوط بمكتبة سوهاج رقم ٧٤ نحو ·

التاريخ

ظفرت المكتبة العربية فى ذلك العصر بانتاج ضخم فى التاريخ ، وألوان متنوعة فيه ، وشخصيات ذوات أقدار ممتازة ، من الناحية العلمية والاجتماعية ، وقد بقى لنا من هذا الانتاج قدر يسير ، ولكنه يعد مرجعا هاما لدراسة ذلك العصر . ومن الممكن أن نتبين أكثر من عشرين اتجاها فى كتابة التاريخ .

ذلك أن بعض مؤرخى العصر ، قد أعجب بأسرته من ناحية مجدها السياسى حينا ، أو العلمى حينا آخر ، فمضى يؤرخ لها ، ومن هؤلاء أسامة بن منقذ ، وقد كانت أسرته تحكم حصن شيزر ، فألف كتابا فى تاريخها رآه ياقوت (١) ، والكمال بن العديم الذى ألف كتابا سماه : الأخبار المستفادة ، فى ذكر بنى جرادة (٢) ، أى أبناء العديم ، وكانوا من بيت علم بحلب (٣) . ومنهم من اكتفى بكتابة مذكرات شخصية ، سجل فيها مارآه وهى من أجل هذا ذات قيمة كبرى ، من ناحية تصويرها لهذا العصر ، وقد بقى لنا من هذه المذكرات : كتاب الاعتبار (٤) ، لأسامة بن منقذ ، وقد وصف فيه مؤلفه كثيرا من تاريخ حياته فى مصر والشام وما شاهده فيهما ، وما رآه من معارك بين المسلمين والفرنج ، اشترك فى بعضها ، وكان أسامة بارعا فى تصوير هذه المعارك ، وما مر أمامه من أحداث سياسية ، وما كان له فيها من دور ، وسجل كثيرا من عادات المسلمين والفرنج فى تلك العصور ، وروى بعض تاريخ أبيه وأسرته ، وذكر بعض أشعاره فى مناسبتها ، والكتاب بذلك يعد من أعظم مراجع ذلك العصر . ويغلب على الظن أن ما وضعه القاضى الفاضل فى التاريخ ، من كتاب عرف بالمتجددات ،

---

(١) معجم الأدباء جـ ٥ ص ٢٠٨ .

(٢) فوات الوفيات جـ ٢ ص ١٠١ .

(٣) كشف الظنون جـ ١ نهر ٣٠ .

(٤) مطبوع . وبدار الكتب رقم ٤٠٦٧ و ٤٠٦٨ و ٤٠٦٩ تاريخ .

ونقل منه المقريزى كثيرا فى خططه ، كان من قبيل هذه المذكرات الشخصية ، التى سجل فيها كثيرا من الأحداث السياسية ، ولم يصلنا منها الا ما نقله المقريزى . وربما عد من هذه المذكرات ما كتبه العماد، وسماه نحلة الرحلة ، وذكر فيه اختلال الأحوال بعد موت صلاح الدين واختلاف أولاده (١) . كذلك يذكر صاحب الروضتين فى ذيله (٢) . وصاحب فوات الوفيات (٣) ، وصاحب المختصر (٤) ، أن الملك المنصور محمد بن عبد الملك المظفر تقى الدين عمر صاحب حماة ، المتوفى سنة ٦١٠ هـ ، ألف كتابا فى التاريخ ، سماه : مضمار سر الحقائق ، وسير الخلائق ، جمع فيه جملة من التواريخ ، وسيرة من ورد عليه ، وأقام عنده . ورتبه على السنين ، وبلغ به عشرة مجلدات ، فلعل فى هذا الكتاب أيضا جزءا كبيرا من مذكراته . أما صاحب كشف الظنون (٥) ، فيرى أن مؤلف هذا الكتاب عالم من رجال عصر الملك المنصور ألفه له ، وقال عنه : انه كتاب نفيس .

وانتهج بعض علماء هذا العصر نهجا صالحا قويما ، ذلك أنهم ألفوا معاجم ، ترجموا فيها لأساتذتهم ، الذين كانوا يبلغون فى بعض الأحيان عدة آلاف ، ولكن لسوء الحظ فقد معظم هذه المعاجم ، وبقى لنا بعض أسمائها : فهذا فخر الدين المقدسى المتوفى سنة ٦٩٠ هـ ، يؤلف كتابه أسنى المقاصد وأعذب الموارد ، يجمع فيه شيوخه من الرجال والنساء ، وكن خمسا وعشرين (٦) ، وسبق أن ذكرنا أن السلفى ترجم لمشايخه : كل قبيل فى معجم خاص به ، وبقى لنا من هذه المعاجم واحد بدار الكتب (٧) ، وكذلك فعل ابن عساكر ، الذى قالت دائرة المعارف (٨) عن معجمه : انه خلاصة مشاهير الرجال، وخاصة الشافعية. وزيد بن الحسن الكندى (٩) ، وشرف الدين الدمياطى (١٠) ، ويشمل

---

(١) معجم الأدباء جـ ١٩ ص ١٩ .
(٢) ص ١٢٤ .
(٣) جـ ٢ ص ٢٥٢ .
(٤) جـ ٣ ص ١٢٥ .
(٥) جـ ٢ نهر ١٧١٢ .
(٦) كشف الظنون جـ ١ نهر ٩٠ .
(٧) مصور رقم ٣٩٢٢ تاريخ .
(٨) المجلد الأول جـ ٤ ص ٢٣٨ .
(٩) كشف الظنون جـ ٢ نهر ١٦٩٧ .
(١٠) الدرر الكامنة جـ ٢ ص ٤١٧ .

معجمة ألف شيخ ، ومحمد بن أحمــد الرازى (١) ، وشــهاب الدين السهروردى (٢) ، والشهاب القوصى (٣) ، ومعجمه فى أربع مجلدات ، وابن العمــاد (٤) ، وعلى بن يحيى بن مفــرج (٥) ، وعز الــدين بن الحاجب (٦) وقد جمع فى معجمه ألفا وثمانين شيخا ، وعبــد العظيم المنذرى ، الذى قال السبكى (٧) عن معجمه : انه كبير مفيد ، ومحمود ابن أبى بكر الكلاباذى (٨) . وان هذه المعاجم لخليقة بأن تعطينا فكرة حقيقية عن الحركة الفكرية ، والجهد العلمى فى تلك الأيام ، وترسـم لنا صورا للتعليم ومناهجه فى تلك العصور ، لو أنها بقيت .

ومن مؤرخى ذلك العصر من أعجب بشــخصية ، فمضى يجمع أخبارها ، ويؤرخ لها ، وكان صلاح الدين أوفر هذه الشخصيات حظا ؛ أرخ له العماد الكاتب فى كتابه : الفيح القسى فى الفتح القدسى ، وهو مطبوع باق الى اليوم ، كما قدم له عبد المنعم بن عمر الجيانى كتابه : روضة المآثر والمفاخر ، فى خصائص الملك الناصر ، تحدث فيه عن فتح القدس (٩) ، وألف ابن شداد كذلك ، كتــاب النوادر السلطانية ، التى لا تزال بين أيدينا الى اليوم ، وفيها يؤرخ لصلاح الدين . أما السيرة التى كتبها يحيى بن أبى على ، وسماها : كنز الموحدين ، فى سيرة صلاح الدين ، فأغلب الظن أنها مفقودة ، ولم يبق منها الا ما نقله شهاب الدين المقدسى عنها ، فى كتابه : الروضتين ، وقد نظم هــذه السيرة الأسعد بن الخطير بن مماتى (١٠) . ووضع أبو شامة كتابه : الروضتين ، ويؤرخ به لصلاح الدين ، وسابقه نور الدين محمــود . وكان الظاهر بيبرس ،والمنصور قلاوون ، ممن ظفر بعناية المؤرخين فى

---

(١) حسن المحاضرة جـ ١ ص ١٧٦ .
(٢) كشف الظنون جـ ٢ نهر ١٦٩٧ .
(٣) حسن المحاضرة جـ ١ ص ١٩٣ .
(٤) حسن المحاضرة جـ ١ ص ١٦٦ .
(٥) طبقات الحفاظ للسيوطى جـ ٢ ص ٦٠ .
(٦) المرجع السابق ص ٦٢ .
(٧) طبقات الشافعية جـ ٥ ص ١٠٩ .
(٨) تاج التراجم ص ٥٢ .
(٩) كشف الظنون جـ ٢ نهر ١٨٢٣ .
(١٠) حسن المحاضرة جـ ١ ص ٢٧٠ .

ذلك العصر ، فكتب عز الدين الحلبى المتوفى سنة ٦٨٤ هـ (١) ، تاريخا للظاهر بيبرس ، كما أرخ له عبد الله بن عبد الظاهر ، المتوفى سنة ٦٩٢ هـ ، فى كتاب ، سماه : الروض الزاهر ، فى سيرة الملك الظاهر (٢)، وقد وضع كذلك تاريخا للمنصور قلاوون (٣) ، ولابنه الأشرف خليل . وأرخ للمنصور قلاوون أيضا ، محمد بن موسى المقدسى (٤) . وعرفت ترجمة كتبت لكل من العادل ، وابنه الكامل ، كتب ترجمة العادل بن بنين المصرى ، وسماها : الوابلية ، فى الشيم العادلية (٥) ، وكتب تاريخا للكامل أيضا سماه : الشامل ، فى فضائل الكامل (٦) . وألف الأسعد ابن مماتى ، ناظر الدواوين المصرية ، المتوفى بحلب سنة ٦٠٦ هـ ، كتابا دعاه : الناشوش ، فى حكم قراقوش ، ويوجد مختار مما نقل منه ، بدار الكتب (٧) .

ومن بين رجال المذاهب الأربعة ، ترجم النووى للامام الشافعى ، فى كتابه : شرح المهذب . وأخذت الترجمة مستقلة ، بعنوان : مناقب الامام الشافعى ، ومن على أثره من العلماء والمصنفين (٨) . كما وضع تاريخ مستقل لبعض العلماء والمتصوفة ، مثل ما كتب على بن عساكر أخبار الأوزاعى وفضائله (٩) ، ومثل ما كتب المنذرى تاريخا لشيخ البخارى : ابن سلام (١٠) .

ومن تاريخ الشخصيات تاريخ سيرة الرسول ، الذى أرخ له كثير فى هذا العصر ، وليس ذلك بعجيب فى عهد شن فيه الأوروبيون الحرب على الشرق ، يريدون القضاء على دينه ، فلا غرو أن يقف كثير

(١) كشف الظنون جـ ٣ ص ١٠١٦ .
(٢) المرجع السابق جـ ١ نهر ٩١٩ .
(٣) كشف الظنون جـ ٣ نهر ١٠١٦ .
(٤) النجوم الزاهرة جـ ٧ ص ٣٢٢ .
(٥) معجم الأدباء جـ ١١ ص ٢٤٥ .
(٦) المرجع السابق .
(٧) مخطوط بدار الكتب رقم ٥٩ مجاميع تاريخ .
(٨) مخطوطة بدار الكتب رقم ٣١٢ تاريخ .
(٩) معجم الأدباء جـ ١٣ ص ٧٩ .
(١٠) كشف الظنون جـ ١ نهر ١٢٨ .

من المؤرخين أنفسهم لدراسة سيرته ونشرها : فرأينا ابن ظفر الصقلى ، يؤلف كتابه : خير البشر (١) ، وابن أبى على ، والشرف الدمياطى ، يضع كل واحد منهما سيرة نبوية (٢) ، كما وضع سبط بن الجوزى كتابه : منتهى السول ، فى سيرة لرسول (٣) ، ونظم عبد العزيز الديرينى هذه السيرة الكريمة(٤) . كما نظم الفتح بن موسى الخضراوى، سيرة ابن هشام (٥) .

وخص اسماعيل بن هبة الله أبا بكر بكتاب ، ذكر فيه فضائله ، وقد دفعه الى تأليف هذا الكتاب أنه لما سافر الى حلب ظن الناس أنه شيعى ، فألف هذا الكتاب ينفى به عن نفسه تلك التهمة (٦) .

ولم يقف كثير من رجال التاريخ يومئذ عند حد الترجمة المفردة، بل مضى يؤرخ لطائفة معينة من الناس ، كما وضع عبد الله بن أحمد المقدسى ، تاريخا للخلفاء الراشدين ، سماه : منهاج القاصدين ، فى فضائل الخلفاء الراشدين (٧) ، وكما جمع على بن ظافر الأزدى أخبار الشجعان (٨) ، ومحمد بن الحسن بن عبد الله ، المتوفى بدمشق سنة ٦٧٦ هـ ، تراجم الرجال الزاهدين ، فى كتابه : مجمع الأخبار فى مناقب الأخيار (٩) ، وكذلك فعل الموفق بن قدامة ، اذ جمع فى كتابه : الرقة (١٠) ، مناقب الصالحين وأخبارهم ، وذكر الصقلى أنباء نجباء الأبناء فى كتاب ، دعاه بهذا الاسم (١١) ، وقال فى مقدمته . افتتحته بذكر سيدنا المصطفى صلى الله عليه وسلم ، للتيمن بذكره ، ثم صنفت ما عمدت لذكره أربعة أصناف : الأول فى ذكر عشرة ، ممن كرمهم الله بصحبة رسول الله ، الثانى فى ذكر رجال ، من ذريات الصحابة رضى

---

(١) مخطوط بدار الكتب رقم ١٥ مجاميع تاريخ .
(٢) كشف الظنون ج ٣ نهر ١٠١٣ .
(٣) تاج التراجم ص ٦١ .
(٤) حسن المحاضرة ج ١ ص ١٩٧ .
(٥) بغية الوعاة ص ٣٧٢ .
(٦) الطالع السعيد ص ٨٨ .
(٧) مخطوط بدار الكتب رقم ١٢١٨ تاريخ .
(٨) معجم الأدباء ج ١٣ ص ٢٦٦ .
(٩) مخطوط بدار الكتب رقم ١٢٤٥ تاريخ .
(١٠) مخطوط بدار الكتب رقم ٥٨٢ تاريخ .
(١١) بدار الكتب رقم ١٩٣٦ و ٩٣٧ تاريخ .

الله عنهم والصف الثالث فى ذكر رجال ممن اتسم بالعبادة ، واشتهر بالزهادة ، والصنف الرابع فى ذكر رجال ، سادوا فى عصر الجاهلية من العرب ، ورجال من ملوك فارس .

أما ابن العـديم فلم يقتصر فى كتابه : الدرارى (١) ، فى ذكر الذرارى ، على أنباء النجباء من الأبناء ، بل ذكر أخبار الحمقى كذلك، وهو كتاب أدب أكثر منه كتاب تاريخ . ووضع الشرف الدمياطى كتابا سماه : العقد المثمن (٢) ، أرخ فيه لمن اسمه عبد المؤمن ، وقد كان هو يسمى بهذا الاسم ، وربما دفعه الى جمعه ارضاء نزعة الطموح فى نفسه . كما أن على بن ظافر الأزدى ، وربما ألمت به كارثة فى حياته ، ترجم لمن أصيب وكان يسمى عليا ، وابتدأ كتـابه يذكر على بن أبى طالب (٣) ، وربما كان ذلك أيضا سببا ، دفع الوزير القفطى الى أن يؤلف كتابا فى هذا المعنى ، سماه : كتاب من ألوت لأيام اليه فرفعته ، ثم التوت عليه فوضعته (٤) .

ومن تراجم الرجال فى ذلك العصر ما وضعه ابن قدامة المقدسى، من كتابه : الاستبصار ، فى أنساب الأنصار (٥) ، اذا صح أنه له ، والتبيين (٦) فى أنساب القرشيين ، ذكر فيه نسب رسول الله ، وأقاربه من أصحابه ، وشيئا من أخبارهم ، وبعض من اشتهر من أولادهم ، وأولاد أولادهم (٧) ، وكتاب الكمال (٨) فى معرفة رجال الصحيحين، وأبى داود ، والترمذى ، والنسـائى ، وابن ماجة لمؤلفه عبد الغنى المقدسى ، ومنها سير المقادسة (٩) ، لأبى عبد الله السعدى ، المتوفى سنة ٦٤٣ هـ .

---

(١) بدار الكتب رقم ٢٢٦ و ٢٢٧ و ١٥٨٩ و ٣٠٢٠ تاريخ .
(٢) فوات الوفيات جـ ٢ ص ١٨ .
(٣) معجم الأدباء جـ ١٣ ص ٢٦٦ .
(٤) معجم الأدباء جـ ١٥ ص ١٨٧ .
(٥) مخطوط بدار الكتب رقم ٣٤٩ و ٤٤٨٩ تاريخ .
(٦) مخطوط بدار الكتب رقم ٤٥١٩ و ٣٤٩ و ١٠٩٥ تاريخ .
(٧) كشف الظنون جـ ١ نهر ٣٤٣ .
(٨) مخطوط بدار الكتب رقم ٥٥ مصطلح الحديث .
(٩) فوات الوفيات جـ ٢ ص ٢٣٨ .

ومن أهم كتب التراجم النافعة الباقية لنا من ذلك العصر ، كتاب وفيات الأعيان ، الذى لا يكاد يستغنى عنه باحث فى عصرنا هذا ، وقد قال ابن خلكان فى مقدمته ، يبين منهج كتابه ومادته : «هذا مختصر فى علم التاريخ ، دعانى الى جمعه أنى كنت مولعا بالاطلاع على أخبار المتقدمين من اولى النباهة ، وتواريخ وفياتهم ومواليدهم ومن جمع منهم كل عصر ، فوقع لى منه شىء حملنى على الاستزادة وكثرة التتبع . فعمدت الى مطالعة الكتب الموسومة فى هذا الفن ، وأخذت من أفواه الأئمة المتقنين له ما لم أجده فى كتاب ، ولم أزل على ذلك حتى حصل عندى منه مسودات كثيرة ... فاضطررت الى ترتيبه ، فرأيته على حروف المعجم ، أيسر منه على السنين ... ولم أذكر فى المختصر أحدا من الصحابة رضوان الله عليهم ، ولا من التابعين رضى الله عنهم ، الا جماعة يسيرة تدعو حاجة كثير من الناس الى معرفة أحوالهم ، وكذلك الخلفاء لم أذكر أحدا منهم اكتفاء بالمصنفات الكثيرة فى هذا الباب ... ولم أقصر هذا المختصر على طائفة مخصوصة : مثل العلماء ، أو الملوك ، أو الوزراء ، أو الشعراء ، بل كل من له شهرة بين الناس ، ويقع السؤال عنه ذكرته ، وأتيت من أحواله بما وقفت عليه مع الايجاز ، كى لا يطول الكتاب ، وأثبت وفاته ، ومولده ، ان قدرت عليه ، ورفعت نسبه على ما ظفرت به ، وقيدت من الألفاظ ما لا يؤمن تصحيفه ، وذكرت من محاسن كل شخص ما يليق به ، من مكرمة ، أو نادرة ، أو شعر ، أو رسالة ، ليتفكه به متأمله ، ولا يراه مقصورا على أسلوب واحد فيمله » . ا هـ

ووقف بعض المؤرخين عند ذكر مناقب الرجال فحسب ، فرأينا ابن عساكر ، يؤلف فى مناقب الأشعرية (١) ، وأبا عبد الله السعدى ، يضع مناقب أصحاب الحديث (٢) ، ومحيى الدين بن العربى ، يكتب مناقب أهل البيت (٣) ، وسبط ابن الجوزى ، يضع كتابا ، يسميه :

(١) كشف الظنون جـ ٢ نهر ١٨٣٦ .

(٢) فوات الوفيات جـ ٢ ص ٢٣٨ .

(٣) مخطوط بدار الكتب رقم ٤٠ م تاريخ .

تذكرة خواص الأمة ، بذكر خصائص الأئمة (١) ، وهو فى مناقب الأئمة الاثنى عشر .

ومضى كثير من المؤرخين يؤرخ المكتبة العربية الى ذلك العصر ، ولا يزال بعض هذه الكتب باقيا الى اليوم ، ولو أن هذه الكتب كلها بقيت لاستطعنا أن نرسم الى مدى بعيد ، صورة واضحة لسير الحركة فى ذلك العصر ، وما سبقه من عصور . بل لكانت المادة الوافية للتاريخ الصحيح ، وقد ساهم الوزير القفطى بنصيب كبير فى هذه الحركة ، فكتب كتابا فى أخبار المصنفين وما صنفوه (٢) ، ولست أدرى إن كان قد جمع فى هذا الكتاب صنفا أو جماعة منهم . ووضع كتابا آخر فى أخبار النحاة (٣) ، وثالثا فى طبقات الحكماء ، بعنوان : اخبار العلماء (٤) ، بأخبار الحكماء . ووضع ابن الصلاح المتوفى سنة ٦٤٣ هـ ، طبقات للشافعية ، اختصرها ، وزاد عليها ، يحيى بن شرف النووى ، كما سبق أن ذكرنا (٥) . وجمع اسماعيل بن أبى البركات طبقات للفقهاء (٦) ، وابن أبى على طبقات للعلماء (٧) ، وابن قدامة المقدسى تراجم الحفاظ (٨) ، وتحدث اسماعيل بن حامد الأنصارى فى كتابه : تالج المعاجم (٩) ، الذى يشتمل على أربع مجلدات — عمن لقيه من المحدثين وتكلم عليه ، ويظهر أنه كان معجما يحتاج الى تحقيق وتصحيح ، قال عنه الدمياطى : انه مشحون بكثرة الوهم والغلط . وأرخ ابن ميسر للقضاة (١٠) ، وأحمد بن خليل بن سعادة ، لقضاة

---

(١) الكتاب مطبوع بطهران . راجع معجم المطبوعات لسركيس ج ١ نهر ٦٩ .
(٢) معجم الأدباء ج ١٥ ص ١٨٧ .
(٣) مخطوط بدار الكتب رقم ٢٥٧٩ ، ٢٨٠١ تاريخ .
(٤) طبع بمطبعة السعادة سنة ١٣٢٦ .
(٥) طبقات الشافعية للسبكى ج ٥ ص ٥١ .
(٦) كشف الظنون ج ٢ نهر ١١٠٤ .
(٧) بغية الوعاة ص ١٢ .
(٨) الطالع السعيد ص ٨١ .
(٩) معجم المطبوعات لسركيس ج ١ نهر ٢٦٠ .
(١٠) كشف الظنون ج ٢ نهر ٦١٨ .

الشام ، فى كتابه : الروض البسام (١) ، فيمن ولى قضاء الشام . وبقى عندنا الى اليوم من الكتب التى تؤرخ بعض نواحى المكتبة العربية كتاب ابن أبى أصيبعة ، الذى دعاه عيون الأنباء ، فى طبقات الأطباء . وقد قال فى مقدمته : « رأيت أن أذكر فى هذا الكتاب نكتا وعيونا ، فى مراتب المتميزين من الأطباء ، القدماء والمحدثين ، ومعرفة طبقاتهم ، على توالى أزمنتهم وأوقاتهم ، وأن أودعه أيضا نبذا من أوقاتهم وحكاياتهم ، ونوادرهم ومحاوراتهم ، وذكر شىء من أسماء كتبهم » .

وهكذا ساهم علماء هذا العصر مساهمة جدية ، فى تاريخ الحركة الفكرية لعصرهم ، وما سبقه .

وكتب بعض العلماء تاريخا لقبيل من الناس ، كما فعل أبو صالح الأرمنى ، فى كتابه الذى أرخ فيه للأرمن (٢) ، بالقاهرة وغيرها من المملكة المصرية ، منذ استولى الأيوبيون على مصر سنة ٥٦٤ هـ ، وتاريخ كنائسهم وقساوستهم ، ومن وفد على كنائسهم ، وأقام بها ، أو رحل عنها . واذا علمنا أن الأرمن كان منهم جالية كبيرة فى مصر يومئذ ، وأن بعضهم استطاع أن يصل الى مرتبة الوزارة ، أدركنا سر تأليف هذا الكتاب الذى أرخ لهم بعد خضد شوكتهم . وكتب أمية ابن عبد العزيز كتابا سماه الديباجة (٣) ، فى مفاخر صنهاجة . وألف الشرف الدمياطى كتابين (٤) : أحدهما فى قبائل الأوس ، والثانى فى قبائل الخزرج .

ومن أهم ما عنى به المؤرخون فى ذلك العصر تاريخ المدن ، يذكرون فيه من دخل المدينة ، أو سكنها من عظماء الرجال ، وقد عثرت فى هذا الموضوع على أسماء أكثر من عشرين كتابا ، بقى قليل منها .

---

(١) كشف الظنون جـ ٢ نهر ٦١٨ .

(٢) تاريخ أبى صالح الأرمنى بدار الكتب رقم ١٧١ و ٤٤١ تاريخ .

(٣) معجم الأدباء جـ ٧ ص ٦٤ .

(٤) الدرر الكامنة جـ ٢ ص ٤١٧ .

وربما كان أضخم كتاب وضع فى تاريخ مدينة فى ذلك العصر ، هو تاريخ دمشق لابن عساكر ، وقد تحدثنا عنه فى ترجمة مؤلفه . وقد وضع أبو يعلى حمزة بن القلانسى ذيلا لتاريخ دمشق (١) ، رتبه على السنين من غير استقصاء لجميعها ، وبدأه بسنة ٣٦٢ ، وانتهى بسنة ٥٥٥ ، ولم يقتصر على تاريخ دمشق ، بل كان يذكر ما يحدث فى غيرها ، ويروى أن ذلك قد ورد به الخبر الى دمشق ، فكأنه مؤرخ مقيم بدمشق يروى أخبارها ، وما يرد اليه من أخبار غيرها . وكتب شرف الدين التنوخى كتابا كبيرا فى ثلاثة مجلدات ، بين فيه فضل دمشق على سائر البلدان (٢) .

وعنى كذلك بتاريخ حلب ، فوضع فيه ابن العديم كتابا ضخما ، جمع فيه أعيانها على ترتيب الحروف ، وسماه : بغية الطلب فى تاريخ حلب (٣) ، ثم انتزع من هذا التاريخ كتابا ، دعاه : زبدة الطلب (٤) . وألف ابن أبى طى كتابا فى تاريخ حلب ، سماه : معدن الذهب (٥) ، وذيله أيضا (٦) .

وكتب كثير فى تاريخ القدس وفضله ، وكان لآل عساكر يد فى هذا الميدان أيضا ؛ فهذا القاسم بن على يضع كتابا مهما ، رجع اليه من جاء بعده من المؤلفين ، سماه : الجامع المستقصى ، فى فضائل المسجد الأقصى (٧) ، وقد اعتمد عليه ابن عمه تاج الأمناء ، عندما وضع كتابه : الأنس فى فضل القدس (٨) ، كما ألف أبو سعد عبد الله بن عساكر كتاب فضل بيت المقدس (٩) ، ولخص برهان الدين الفزارى كتاب الجامع المستقصى وغيره فى كتابه : باعث النفوس (١٠) الى

---

(١) طبع ببيروت سنة ١٩٠٨ م
(٢) كشف الظنون ج ١ نهر ٢١٥ .
(٣) بدار الكتب رقم ٥٤٢٣ و ١٥٦٦ تاريخ .
(٤) كشف الظنون ج ١ نهر ٢٩١ .
(٥) المرجع السابق نهر ٢٩٥ .
(٦) المرجع السابق ج ٢ نهر ١٧٢٣ .
(٧) طبقات الشافعية للسبكى ج ٥ ص ١٤٨ .
(٨) كشف الظنون ج ١ نهر ١٧٨ .
(٩) المرجع السابق ج ٢ نهر ١٢٧٨ .
(١٠) بدار الكتب مخطوط رقم ٤٢٣ و ٢٣٣٣ و ٥١٤ مجاميع و ٩٠ مجاميع تاريخ .

زيارة القدس الشريف المحروس . أما أبو شامة المقدسى فقد كتب كتابا جامعا لأخبار مكة ، والمدينة ، وبيت المقدس (١) .

ووضع حماد بن هبة الله تاريخا لحران ، قيل : انه لم يكمله (٢) .

وقد نالت القاهرة ومصر حظا كبيرا من عناية المؤرخين ، فأرخوا لهما ولخططهما ، ومن هؤلاء جعفر بن محمــد الادريسى الذى كتب تاريخا لها (٣) ، وكان أديبا توفى سنة ٦٧٦ هـ ، ولكن لسوء الحظ لم نعثر على هذا الكتاب ، برغم ما له من أهمية كبرى ، لأنه ألف قبل انتهاء الحروب الصليبية بأقل من عشرين عاما .

وأول من ألف فى خطط مصر فى هذا العصر ، أبو عبد الله محمد ابن بركات النحوى ، أحد أساتذة الأزهر المتوفى سنة ٥٢٠ هـ ، والذى تحدثنا عنه فيما مضى (٤) ، ولست أدرى اتجاهه ، ولكنه كان خليقا أن يصور لنا مصر ، قبل أن يصيبها التدمير والاحراق فى عهد شاور ، وقال المقريزى عنه فى خططه (٥) : انه نبه فيه الأفضل بن بدر الجمالى على مواضع قد اغتصبت وتملكت ، بعد ما كانت أحباســا . وكتب الشريف محمد بن أسعد الجوانى (٥٢٥ ــ ٥٨٨ هـ) (١١٣١ ــ ١١٩٢م) كتابا ، دعاه : النقط بعجم ما أشكل من الخطط (٦) ، وقد اقتبس منه المقريزى في عدة مواضع (٧) ، ويقول عنه : انه قد نبه فيه على معالم قد دثرت ، ولعل للحريق أثرا فيما درس . ووضع أبو صالح الأرمنى الذى تحدثنا عنه ، مؤلفا ألم فيه بتاريخ الكنائس والأديرة المصرية ، وأحياء الأقباط والنصارى ، وتاريخ القديســين والبطارقة ، وبعض

---

(١) ذيل الروضتين ص ٤٠ .

(٢) المنهج الأحمد ، الجزء الثانى ، القسم الأول ، ص ٣٢٢ .

(٣) حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٦٥ .

(٤) راجع ص ١٢ .

(٥) ص ٦ ج ١ .

(٦) خطط المقريزى ج ١ ص ٥ ، وكشف الظنون ج ٢ نهر ١٩٧٥ .

(٧) راجع مصر الاسلامية لعنان ص ٢٩ .

أعمال الدولة واقطاعها وخراجها (١) . وآخر ما كتب من الخطط فى ذلك العصر ، هو ما كتبه الكاتب المؤرخ القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر ، المولود بالقاهرة سنة ٦٢٠ هـ ، والمتوفى بها سنة ٦٩٢ هـ ، وتولى القضاء ، وديوان الرسائل ، للملك الظاهر ، وسمى كتابه : الروضة البهية الزاهرة (٢) ، والخطط المعزية القاهرة ، لم يصل الينا هذا الكتاب ، ولكن عنوانه يدل على أنه تناول خطط القاهرة المعزية ، ومن أجل هذا لا يكاد المقريزى يتناول شيئا مما يتعلق بالقاهرة المعزية: أسوارها ، وشوارعها ، ودروبها ، وأحكارها ، ومساجدها ، وقصورها، وما فى القصور الفاطمية : من عجائب وبذخ — الا أخذ عن ابن عبد الظاهر (٣) .

وأرخ المؤرخون فى ذلك العصر لغير القاهرة : فكتب ابن الزبير تاريخ أسوان (٤) . ولست أدرى أى أبناء الزبير هو ؟ فقد كانوا جميعا من أسوان . وكتب فخر الدين النابلسى كتابا فى تاريخ الفيوم (٥) ، ألفه برسم الملك الصالح نجم الدين أيوب ، وفرغ من تأليفه سنة ٦٤١ هـ، أما ابن العماد الاسكندرانى المولود فى صفر سنة ٦٠٧ هـ ، والذى انتهت اليه رياسة علماء الاسكندرية ، والمتوفى سنة ٦٧٣ هـ — فقد وضع تاريخا للاسكندرية (٦) .

وقد تنوعت الاتجاهات فى كتابة التاريخ السياسى فى ذلك العصر : فمن المؤرخين من عنى بدراسة قطر من الأقطار الاسلامية ، وقد ظفرت مصر من ذلك بنصيب وافر ، والذى بقى لنا من كتب التاريخ السياسى فى آخر العصر الفاطمى ، هو تاريخ وزراء الدولة الفاطمية وذلك طبيعى فى عصر كان للوزراء فيه سلطة أقوى من سلطة الخلفاء ،

---

(١) راجع مصر الاسلامية لعنان ، والفاطميين فى مصر ص ٣٢٣ .
(٢) كشف الظنون جـ ٢ نهر ٧١٦ و ٩٢٥ .
(٣) راجع مصر الاسلامية لعنان ص ٤١ .
(٤) كشف الظنون جـ ١ نهر ٢٨٢ .
(٥) بدار الكتب رقم ١٨١٧ و ٢٨٩١ و ١٦٨٥ و ١٦٨٦ تاريخ .
(٦) حسن المحاضرة جـ ١ ص ١٦٦ .

ورأينا من هذه الكتب كتاب الاشارة الى من نال الوزارة (١) ، لأبى القاسم على بن منجب بن الصيرفى ، المتوفى سنة ٥٥٠ هـ ، وقد ألفه للوزير المأمون البطائحى ، وأورد فيه أخبار سلفه من وزراء الدولة الفاطمية ، وكتاب النكت العصرية (٢) ، لعمارة اليمنى ، الذى قال فى مقدمة كتابه (٣) : « وأشرت فيه الى ما شهدته من العجائب العصرية ، فى أخبار الوزراء المصرية ، من غير افراط فى أوصافهم ، ولا تفريط فى انصافهم ، وان تخلل ذلك شىء ليس منه فبالعرض ، لا بالغرض . والحديث كما قيل شجون ، والجد قد يخلط بالمجون » .

وألف ابراهيم بن وصيف شاه المتوفى سنة ٥٩٩ هـ كتابه : جواهر البحور (٤) ، ووقائع الدهور ، فى أخبار الديار المصرية ، ولا أدرى عن هذا الكتاب غير اسمه . ووضع عبد اللطيف البغدادى المولود ببغداد سنة ٥٧٧ هو الذى عاش بالقاهرة حينا طويلا من الزمن ــ كتاب أخبار مصر (٥) ، ألفه فى ثلاثة عشر فصلا ، ثم أخذ من الكتاب مقالتين زاد فيهما ونقص ، مبينا فيهما وصف مصر فى عصره ، ليطلع عليهما الخليفة فى سهولة ويسر ، وهاتان المقالتان تعرفان باسم : الافادة والاعتبار ، فى الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر (٦) ، والكتاب مرجع وثيق لشاهد عيان يصف ما يراه فى مصر من سنة ٥٩٥ هـ الى سنة ٥٩٨ هـ ، وفيه وصف شامل للمجاعة التى حدثت بمصر يومئذ . ولا أدرى شيئا عن تاريخ مصر ، ليحيى بن حميدة المتوفى سنة ٦٤٠ هـ ، والذى رتبه على السنين (٧) ، وهو المنهج الذى سار عليه الوزير جمال الدين القفطى ، المتوفى سنة ٦٤٦ هـ ، فى كتابه تاريخ مصر من

---

(١) الكتاب مطبوع ، وبدار الكتب .
(٢) الكتاب مطبوع ، وبدار الكتب .
(٣) ص ٦ .
(٤) كشف الظنون جـ ٢ نهر ٦١٣ .
(٥) بدار الكتب رقم ١٠٤٩ و ١٢٦١ و ١٨٣٤ و ٣٣٧٤ تاريخ .
(٦) الكتاب مطبوع ، وبدار الكتب رقم ٥٨٧٧ تاريخ .
(٧) كشف الظنون جـ ٢ نهر ٢٧٧ و ٣٠٤ .

إبتدائها الى ملك صلاح الدين اياها (١) ، قال عنه صاحب كشف الظنون (٢) : انه تاريخ كبير ، وقال فى فوات الوفيات (٣) : انه ستة مجلدات . كما لم أر كتاب سجع الهديل (٤) فى أخبار النيل ، الذى وضعه أحمد بن يوسف التيفاشي المتوفى سنة ٦٥١ هـ . أما كتاب أبى عبد الله محمد المعروف بابن ميسر المتوفى سنة ٦٧٧ هـ فى تاريخ مصر (٥) ، فقد قصره على تاريخ الفاطميين ، ورتبه على السنين ، وجعله ذيلا لتاريخ المسبحى المتوفى سنة ٤٢٠ هـ . وآخر مؤرخ كتب فى عصر الحروب الصليبية ، هو ابن واصل الحموى الشافعى ، المتوفى سنة ٦٩٧ هـ ، فانه كتب كتابه : (٦) مفرج الكروب فى دولة بنى أيوب ، وهو كتاب مرتب على السنين ، وقد شاهد مؤلفه سقوط الدولة الأيوبية وقيام دولة المماليك . وكتب الأمير موسى بن المأمون البطائحى كتابا يظهر أنه فى تاريخ الفاطميين ، وأنه كان مرتبا على السنين ، ولا أدرى عن هذا التاريخ شيئا ، سوى ما نقله عنه المقريزى (٧) ، كذلك ينقل فى كتابه : الخطط ، عن عبد السلام بن محمد الفهرى الكاتب المصرى ، فيما وضعه من كتاب ، سماه : نزهة المقلتين فى أخبار الدولتين : الفاطمية والصلاحية (٨) ، ولا أعلم من أمر هذا الكتاب أيضا أكثر مما ينقله المقريزى .

وأرخ بعض المؤرخين لأهم واقعتين حدثتا فى مصر ، وهما معركة المنصورة ، التى أرخ لها مسعود بن عبد الله بن حمويه (٩) ، ومعركة الاسكندرية التى وصفها محمد بن قاسم الاسكندرانى ، وسجل فيها تلك الحادثة العظمى ، عندما نزل الفرنج بها سنة ٦١٧ هـ (١٠) .

وعنى بتاريخ الشام فى ذلك العصر أيضا ، وان كان تاريخه متصلا

(١) معجم الأدباء جـ ١٥ ص ١٨٧ .
(٢) جـ ١ نهر ٣٠١ .
(٣) جـ ٢ ص ٩٧ .
(٤) كشف الظنون جـ ٣ نهر ٩٧٩ .
(٥) بدار الكتب رقم ٤٨٨ تاريخ .
(٦) مصور بدار الكتب رقم ٥٣١٩ تاريخ .
(٧) راجع الخطط جـ ٢ ص ٢٢٤ .
(٨) المرجع السابق ص ٢١٨ .
(٩) النجوم الزاهرة جـ ٦ ص ٣٦٥ .
١٠ - الدرر الكامنة جـ ٤ ص ١٤٢ .

بتاريخ مصر فى تلك الحقبة من الزمن ، وقد عالجه من عالج مصر يومئذ . وبرغم ذلك ألف للشام تاريخ خاص به ، وان كانت العناية بذلك أقل من العناية بتاريخ مصر ، فرأينا عبد الكريم بن محمد بن منصور ، المتوفى سنة ٥٦٢ هـ ، يضع كتابا فى فضائل الشام (١) . وألف العماد الكاتب كتاب البرق الشامى ، ذكر فيه شيئا من الفتوحات الشامية ، وبسط فيه الحوادث من سنة ٥٥٢ هـ ، ولا سيما أخبار صلاح الدين، وفتوحاته، وحوادث الشام فيأيامه ، الىأن مات سنة ٥٨٩هـ (٢). قال صاحب كشف الظنون : (٣) وهو كتاب كبير فى سبع مجلدات . وألف ابن أبى طى كتابا فى أربعة مجلدات أرخ فيه للشام ، وسماه : سلك النظام (٤) ، كما وضع ابن شداد (٥) ، الحلبى المتوفى سنة ٦٣٢ هـ كتابه : الأعلاق الخطيرة (٦) ، فى تاريخ الشام والجزيرة ، وأبو عبد الله السعدى المتوفى سنة ٦٤٣ هـ كتابا فى فضائل الشام فى ثلاثة مجلدات . كما ذكر ذلك صاحب الفوات (٧) .

ومن ذلك نرى أن مؤرخى ذلك العصر ، لم يألوا جهدا فى تاريخ حوادث عصرهم ، ووقائعه ، والترجمة لرجاله .

ولم يقف جهد علماء البلاد على التاريخ لمصر والشام ، بل أرخوا لغير بلادهم : فالقفطى يضع كتابا فى تاريخ بنى بويه (٨) ، وأخبار السلاجقة (٩) ، الذين كتب فى أخبارهم أيضا على بن ظافر الأزدى (١٠)، والعماد الكاتب (١١) ، ولا يخفى أن صلة البلاد ببغداد تهيىء لهذه الدراسة ، كما أن السيطرة التى كانت فى أيدى البويهيين والسلاجقة ،

---

(١) مخطوط بدار الكتب رقم ٥١٩ مجاميع تاريخ .
(٢) الروضتين جـ ١ ص ٤ .　　(٣) جـ ١ نهر ٢٣٩ .
(٤) كشف الظنون جـ ٣ نهر ٩٩٧ .
(٥) راجع ص ١٣٦ .
(٦) كشف الظنون جـ ١ نهر ١٢٥ .
(٧) جـ ٢ ص ٢٣٨ .
(٨) حسن المحاضرة جـ ١ ص ٢٦٥ .
(٩) معجم الأدباء جـ ١٥ ص ١٨٧ .
(١٠) المرجع السابق جـ ١٣ ص ٢٦٧ .
(١١) الكتاب مطبوع .

كانت باعثا على دراسة تاريخهم ، لأنهم هم المصرفون لشئون البلاد .

وعنى المؤرخون كذلك فى هذا العصر بباقى أجزاء العالم العربى، فوضع القفطى تاريخا للمغرب (١) ، وتاريخا لليمن (٢) . كما وضع الشاعر عمارة اليمنى ، بدعوة من القاضى الفاضل (٣) تاريخا له ، والاهتمام بشئون اليمن يرجع الى أن هذا القطر كان جزءا من امبراطورية الأيوبيين فى تلك العصور (٤) . وعنى بكتابة تاريخ المغرب أيضا ابن أبى طى فى كتاب ، دعاه : مختار تاريخ المغرب (٥) ، واليسع ابن حزم الغافقى المتوفى سنة ٥٧٥ هـ . فى كتاب ، دعاه المغرب (٦) . كما أن أحد أبناء صقلية وهو جعفر بن القطاع الذى وفد على مصر ، وأقام بها ، ألف تاريخا لوطنه صقلية (٧) .

أما تاريخ الفرنج فلم أعثر على كتاب ألف فيه فى ذلك العصر ، وربما كان الجهل بلغتهم ، هو الذى حال بين معرفة تاريخهم .

وكما ألف فى التاريخ الخاص بقطر معين ، عنى بالتأليف فى التاريخ العام ، وكانت العناية به أكبر من العناية بالتاريخ الجزئى ، وقد بقى لنا زهاء ستة كتب ، منها : كتاب الدول المنقطعة (٨) ، للوزير جمال الدين الأزدى المصرى المتوفى سنة ٦١٣ هـ . وقد تضمن أخبار الدول الاسلامية وحوادثها وغزواتها ، وهو مرتب على السنين . وكتاب مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان (٩) ، ألفه سبط بن الجوزى ، ورتبه على السنين أيضا ، وانتهى به الى سنة ٦٥٤ هـ ، يذكر فى كل سنة من توفى بها من الأعيان ويؤرخ له ، ويظهر أن لسبط بن الجوزى تاريخا

(١) فوات الوفيات جـ ٢ ص ٩٧ ومعجم الأدباء جـ ١٥ ص ١٨٧ .
(٢) المرجعان السابقان .
(٣) الكتاب بدار الكتب رقم ١٥١٧ تاريخ .
(٤) راجع كتاب السمط الغالى الثمن ، فى أخبار الملوك من الغز باليمن — مخطوط بدار الكتب رقم ٢٤١١ تاريخ .
(٥) كشف الظنون جـ ١ نهر ٣٠٦ .
(٦) المرجع السابق جـ ٢ نهر ١٧٤٧ .
(٧) المرجع السابق جـ ٢ نهر ١٩٤٧ .
(٨) مصور بدار الكتب رقم ٩٨٠ تاريخ .
(٩) بدار الكتب رقم ٦٢٩٥ و ٥٥١ تاريخ .

آخر ، تحدث عنه صاحب كشف الظنون (١) ، وسماه معادن الابريز ، أو معادن الذهب ، وقال : انه فى تسعة عشر مجلدا . ولمحيى الدين النووى كتاب بهذا الاسم أيضا ، لم يصل الينا ، ووصفه صاحب كشف الظنون (٢) بأنه مختصر يؤرخ من أول الخليقة ، ومرتب على فصول وأبواب . ومن كتب التاريخ العام الباقية كتاب أبى شاكر بطرس (٣) ، المعروف بابن الراهب ، وهو تاريخ مختصر جمع فيه التاريخ من آدم الى عصره . وللشيخ ابن العميد كتابان فى التاريخ : أحدهما يدعى : تاريخ ابن العميد (٤) ، وهو يبحث فى تاريخ ما قبل الاسلام وينتهى الكتاب بظهور الاسلام ، ودخول ابن العاص مصر . والكتاب الثانى لابن العميد يدعى تاريخ المسلمين (٥) . وقد انتهى هذا الكتاب الى سنة ٦٥٨ هـ ، وذيل عليه بعدئذ ، وانتهى الى سنة ٦٩٦ هـ ، مفضل ابن أبى الفضائل ، وسمى كتابه : المنهج السديد ، والدر المفيد ، فيما بعد تاريخ ابن العميد (٦) وربما كان لابن أبى طى كتاب آخر فى التاريخ العام ، دعاه : حوادث الزمان ، قال عنه فى كشف الظنون (٧) : انه فى خمسة مجلدات ، وهو على ترتيب الحروف ، ولست أدرى منهج هذا الكتاب . كما أن المظفرى فى التاريخ ، الذى وضعه ابن أبى الدم المتوفى سنة ٦٤٢ هـ ، لم يصل الينا ، ولا أعرف عنه الا ما كتبه صاحب كشف الظنون (٨) أيضا من أنه كتاب جامع ، يختص بالملة الاسلامية فى ستة مجلدات . وأرجح أن كتاب المنصور محمد ، الذى رتبه على السنين ، كان يعالج التاريخ العام ، فضلا عما به من مذكرات شخصية . أما الفقيه أبو الحسن على بن أبى عبد الله محمد ، فقد كتب بلغة الظرفاء فى ذكرى الخلفاء (٩) ، وانتهى فيه الى أيام الملك

(١) جـ ٢ نهر ١٧٢٢ .
(٢) جـ ٢ نهر ١٦٤٨ .
(٣) بدار الكتب رقم ٣٤٣٧ - ٢٦٣٠ تاريخ .
(٤) مصور بدار الكتب رقم ٣٧٤٠ و ٥٠١ تاريخ .
(٥) بدار الكتب رقم ١٢٤٣ تاريخ .
(٦) بدار الكتب رقم ١٣٥ تاريخ .
(٧) جـ ٢ نهر ١٧٢٢ .
(٨) جـ ٢ نهر ١٧٢٢ .
(٩) بدار الكتب رقم ٢٣٧٤ و ٢٣٧٥ تاريخ .

الصالح نجم الدين أيوب سنة ٧٣٨ هـ . ولا أدرى عن كتاب العماد اسماعيل المعروف بابن الأثير الحلبى المتوفى سنة ٦٩٩ هـ ، والمسمى : عبرة أولى الأبصار ، فى ملوك لأمصار ، سوى ما كتبه صاحب كشف الظنون (١) ، من أنه اقتصر فيه على الملوك والخلفاء فى البلاد كلها ، من غير تعرض لشىء من الوفيات ، وهو فى مجلدين . وكتب ابن واصل كتابه : التاريخ الصالحى ، فى التاريخ العام ، بدأه من أول الخليقة . والجزء الأول منه فى المتحف البريطانى (٢) .

واختصر بعض العلماء مؤلفات غيرهم فى التاريخ ، وبقى لنا بعض هذه المختصرات : فأسامة بن مرشد يختصر كتابين (٣) ، ألفهما ابن الجوزى : أحدهما فى مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، والثانى فى مناقب أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز . واختصر ياقوت كتاب جمهرة النسب لابن هشام الكلبى ، المضمن أنساب العرب فى كتاب ، سماه بالمقتضب (٤) كما هذب (٥) ابن أبى طى كتاب الاستيعاب فى معرفة الأصحاب ، الذى ألفه الحافظ ابن عبد البر النمرى القرطبى ، وقد رتب الأصحاب على ترتيب الحروف ، وقال عنه ابن حجر فى الاصابة : سماه بالاستيعاب ، لظنه أنه استوعب الأصحاب ، مع أنه فاته شىء كثير ، وجميع من فيه باسمه وكنيته ثلاثة آلاف وخمسمائة ترجمة ، واختصر أبو شامة المقدسى تاريخ بغداد (٦) للخطيب ، كما اختصر (٧) تاريخ دمشق لابن عساكر فى مختصرين : أحدهما كبير فى خمسة عشر مجلدا ، والثانى صغير فى خمسة مجلدات ، وقد اختصر هذين

---

(١) جـ ٢ نهر ١١٢٣ .

(٢) دائرة المعارف الاسلامية ، المجلد الاول ، الجزء الخامس .

(٣) مختصر مناقب عمر لأسامة . مخطوط بدار الكتب رقم ٢٣٣٤ و ٧٢٨ مجاميع تاريخ ، ومختصر مناقب عمر بن عبد العزيز مخطوط كذلك بدار الكتب رقم ٢٣٣٤ تاريخ .

(٤) مخطوط بدار الكتب رقم ٢٧٨٥ و ١٠٥ م تاريخ .

(٥) كشف الظنون جـ ١ نهر ٨١ .

(٦) ذيل الروضتين ص ٤٠ .

(٧) فوات الوفيات جـ ١ ص ٢٥٣ ، ومعجم المطبوعات لسركيس جـ ١ نهر ٣١٧ .

الكتابين أيضا محمد بن مكرم المعروف بابن منظور (١) . واختصر كتاب وفيات الأعيان عبد الرحمن بن جوهر ، تلميذ ابن خلكان وأحد علماء ذلك العصر (٢) .

وكما استعمل النظم في العلوم المختلفة ، كما سبق أن رأينا — استعمل النظم كذلك في التاريخ ، وقد ذكرنا أمثلة لذلك من نظم سيرة ابن هشام للخضراوى ، ونظم السيرة الصلاحية لابن مماتى ، ونظم السيرة النبوية للديرينى ، الذى نظم أرجوزة أخرى ، دعاها : الشجرة ، فى ذكر النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه العشرة (٣) ، ونظم الأديب جمال الدين الجزار أرجوزة ضمنها أمراء مصر ، من عمرو بن العاص الى الملك الظاهر بيبرس ، فى أكثر من مائة بيت ، وتجد الأرجوزة برمتها فى كتاب حسن المحاضرة (٤) .

أما أشهر مؤرخى هذا العصر فهم :

ابن الصيرفى *

على بن منجب ، ولد من أب صيرفى ، وعشق هو الكتابة فمهر فيها ، كما شهر بالشعر ، وجمال الخط ، وعمل فى كتابة الجيش والخراج مدة، ثم استخدمه الأفضل بن أمير الجيوش فى ديوان المكاتبات سنة ٤٩٥هـ (١١٠١م) . ونال ابن الصيرفى حظوة عند الأفضل، وظل فى ديوان الرسائل الى سنة ٥٣٦هـ (١١٤١م)، ومات فى أيام الصالح بن رزيك

---

(١) نكت الهميان ص ٢٧٦ . ومختصر تاريخ دمشق لابن مكرم مصور بدار الكتب رقم ٢٠٦٦ تاريخ .

(٢) المختصر مصور بدار الكتب رقم ٥٢٨٨ تاريخ .

(٣) مخطوط بدار الكتب رقم ١٧٦٤ و ٤٧٨ مجاميع تاريخ .

(٤) جـ ٢ ص ٤١ .

* مراجعه :

(١) معجم الأدباء جـ ١٥ ص ٧٩ .

(٢) الفاطميون فى مصر .

(٣) معجم سركيس جـ ١ نهر ١٤٣ .

(٤) كتبه .

هذا وسوف أترجم له ترجمة واسعة في الحياة الأدبية .

سنة خمسين وخمسمائة . وله فى التاريخ : كتاب الاشارة ، الى من نال الوزارة ، الذى أمدنا بقدر صالح من تاريخ الفاطميين ، ولا يزال الكتاب باقيا الى اليوم . وله كتب أدبية من أهمها كتاب قانون ديوان الرسائل ، وله اختيارات من دواوين الشعراء .

أسامة بن منقذ *

ولد بقلعة شيزر ، فى يوم الأحد ٢٧ من جمادى الآخـرة سنة ٤٨٨ هـ . وكانت أسرته حكام هذه القلعة ، وهى حصن قريب من حماة ، وسكن دمشـق حينا من الزمن ، ثم جاء الى مصر ، وداخل أرباب السياسة فيها ، ويقال : انه اشترك فى المؤامرات التى انتهت بقتل بعض الوزراء والخلفاء ، ثم عاد الى الشام ، وسكن دمشق ، واشترك مع نور الدين محمود ، فى القيام بعدة حملات على الفرنج ، ثم مضى الى الحج ، وقضى بعد ذلك عشرة أعوام فى حصـن كيفا ، منهمكا فى التأليف ، ولما ملك صلاح الدين دمشق استدعاه ، وهو شيخ قد

* مراجعه :
١ — الروضتين فى مواضع كثيرة .
٢ — وفيات الأعيان جـ ١ ص ٦٣ و ٣٧٠ و ٣٩٤ و ٤٢٧ .
٣ — ديوان سبط ابن التعاويذى ص ١٤٢ و ٣٩٨ .
٤ — كتبه ولاسيما كتاب الاعتبار .
٥ — الكامل لابن الأثير جـ ١١ ص ٩٨ و ١٢٧ و ١٢٨ .
٦ — النجوم الزاهرة جـ ٥ و جـ ٦ فى عدة مواضع .
٧ — معجم الأدباء جـ ٥ ص ١٨٨ و ٢١٤ .
٨ — السلوك للمقريزى جـ ١ ص ١٢٥ .
٩ — الفاطميون فى مصر ص ٢٩٤ .
١٠— خطط الشام جـ ٥ ص ٢٢٧ .
١١— دائرة المعارف الاسلامية جـ ٢ ص ٧٩ .
١٢— فهارس دار الكتب .
١٣— تاريخ الاسلام للذهبى .
١٤— شذرات الذهب جـ ٤ ص ٢٧٩ .
١٥ — البداية والنهاية جـ ١٢ ص ٣٣١ .
١٦— اعلام النبلاء جـ ٤ ص ٢٧٩ .
١٧— مسالك الأبصار .
١٨— خريدة القصر .
١٩— أسامة بن منقذ للاستاذ محمد حسين .
وسوف أترجم له ترجمة واسعة فى الحياة الأدبية .

جاوز الثمانين ، وكان صلاح الدين مغرما بشعره ، فقد كان شاعرا أديبا فارســا ، آلف كثيرا من الكتب الأدبية والتاريخية ، ومن أهمها : كتاب الاعتبار ، وله أهمية كبرى بين المؤلفات العربية ، لأن مصنفه كتب فيه مذكرات ، صور فيها تصويرا حيا العصر الذى عاش فيه ، فى حالتى الحرب والسلم ، وله كتاب التاريخ البدرى ، الذى جمع فيه أسماء من شهد بدرا من الفريقين ، وكتاب تاريخ القلاع والحصون ، وكتاب أخبار النساء ، وذيل يتيمة الدهر، ووضع كتاب أخبار أسرته ، واختصر كتاب مناقب أمير المؤمنين عمربن الخطاب، لابن الجوزى، وكتاب مناقب أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ، لابن الجوزى أيضا ، ومن ذلك تتبين غرام أسامة بالتاريخ ، وعنايته بأمره ، ومات أسامة فى دمشق سنة ٥٨٤ هـ .

عماد الدين الكاتب *

ولد بأصبهان سنة ٥١٩ هـ ، ونشأ بها ، وقدم بغداد فى حداثته ، وتفقه بالمدرسة النظامية ، وسمع بها الحديث أيضا ، ودرس الخلاف والعربية ، وانتقل الى دمشق فى شعبان سنة ٥٦٢ هـ . وسلطانها الملك العادل نور الدين محمود ، وقد استطاع أن يظفر بحب نور الدين

* مراجعه :

١ - حسن المحاضرة جـ ١ ص ٢٧٠ .
٢ - الروضتين فى كثير من مواضعه .
٣ - معجم الأدباء جـ ١٩ ص ١١ .
٤ - النجوم الزاهرة جـ ٥ و جـ ٦ .
٥ - خطط المقريزى جـ ٣ ص ٢٩ .
٦ - ذيل الروضتين ص ٢٧ .
٧ - السلوك للمقريزى جـ ١ ص ٦٠ و ١١٣ و ١١٤ و ١١٧ .
٨ - طبقات الشافعية للسبكى جـ ٤ ص ٩٧ .
٩ - الفاطميون فى مصر ص ١٦٢ .
١٠- الكامل لابن الأثير جـ ١٢ ص ٨٠ .
١١- ديوان ابن الساعاتى ص ١١٦ و ٢٣٢ .
١٢- شذرات الذهب جـ٤ ص ٣٣٣ .
١٣- البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٣٠ .
١٤- مفتاح السعادة ص ٦٣ ب .
١٥- دول الاسلام جـ ٢ ص ٧٩ .
وسنترجم له ترجمة واسعة بين رجال الأدب .

وتقديره ، ولما مات نور الدين اتصل بصلاح الدين اتصالا قويا ، والسلطان يقربه ، ويرفع من شأنه ، ولم يزل كذلك الى أن توفى صلاح الدين فاختلت أحواله ولزم بيته. وأقبل على الاشتغال بالتصنيف. حتى توفى يوم الاثنين مستهل رمضان سنة ٥٩٧ هـ .

وله من الكتب التاريخية : كتاب البرق الشامى ، فى سبعة مجلدات ، بدأ فيه بذكر نفسه ، وصور انتقاله من العراق الى الشام ، وأخبار اتصاله بنور الدين محمود ، وكيف تعلق بخدمة صلاح الدين ، وذكر شيئا من الفتوحات بالشام ، وسماه : البرق الشامى ، لأنه شبه أوقاته فى تلك الأيام بالبرق الخاطف ، لطيبها وسرعة انقضائها ، وصنف كتاب الفتيح القسى فى الفتح القدسى ، يتضمن فتح بيت المقدس ، والتزم السجع فى تأليف هذا الكتاب ، ووضع كتابا فى أخبار الدولة السلجوقية ، سماه : نصرة الفطرة ، وألف كتاب خريدة القصر وجريدة العصر ، ذكر فيه الشعراء الذين كانوا بعد المائة الخامسة ، الى سنة ٥٧٢ هـ ، وجمع شعراء العراق ، والعجم ، والشام ، والجزيرة ، ومصر ، والمغرب ، ولم يترك أحدا الا النادر ، وصنف كتاب السيل على الذيل ، قال ابن خلكان : وجدته ذيلا على كتاب خريدة القصر ، وله كتاب سماه : نحلة الرحلة ، ذكر فيه اختلال الأحوال بعد موت صلاح الدين ، واختلاف أولاده ، وما وقع من الخلاف بين الأمراء والعمال .

وله ، فضلا عن ذلك ، ديوان رسائل ، وديوان شعر فى أربعة مجلدات ، وديوان صغير جميعه دوبيت ، وكان بينه وبين القاضى الفاضل مكاتبات ومحاورات وصله وثقى .

ابن أبى طى *

يحيى بن حميدة ، أصله من حلب ، وكان والده أحد أشراف بلدته ، طرده نور الدين لاعتناقه مبادىء الشيعة ، كما اعتنقها ابنه يحيى، الذى وضع رسالة فى فضل الأئمة الاثنى عشر ، ووضع معجما دون فيه أخبار الشيعة .

وألف ابن أبى طى — فضلا عما ذكرنا — كتبا كثيرة فى التاريخ، ولكن لم يصل الينا منها الا القليل ، مما نقله عنه المؤرخون . وذلك لانتشار المذهب السنى فى الشام .

فمما ألفه يحيى : السيرة النبوية ، والسيرة الصلاحية، التى اتخذها أبو شامة احدى مراجعه ، وسلك النظام ، فى تاريخ الشام . وله معادن الذهب ، فى تاريخ حلب ، وله ذيل على هذا الكتاب أيضا . ومختار تاريخ المغرب ، وله كتاب طبقات العلماء ، وكتاب حوادث الزمان ، رتبه على السنوات ، وهذب كتاب الاستيعاب ، فى معرفة الأصحاب ، الذى جمع فيه مؤلفه ثلاثة آلاف وخمسمائة ترجمة . أما فى الأدب فقد شرح لامية العرب للشنفرى . وتوفى ابن أبى طى سنة ٦٣٠ هـ .

الوزير القفطى **

من أب وأم عربيين ، على ما يذكر ياقوت ، ولد على بن يوسف ،

---

* مراجعه :

١ — الفاطميون فى مصر ص ٢٩٩ .
٢ — خطط الشام جـ ٤ ص ٤٩ .
٣ — الروضتين فى مواضع عدة .
٤ — كشف الظنون جـ ١ نهر ٨١ و ٢٢٧ و ٢٩٢ و ٣٠٦ و جـ ٢ نهر ١٦٢٢ و ١٧٢٣ و ١١٠٤ و ٦٩٣ و ٩٩٧ و ١٠١٣ .
٥ — اعلام النبلاء جـ ٤ ص ٣٧٨ .

** مراجعه :

١ — معجم الأدباء جـ ١٥ ص ١٧٥ .
٢ — حسن المحاضرة جـ ١ ص ٢٦٥ .
٣ — فوات الوفيات جـ ٢ ص ٩٦ .
٤ — بغية الوعاة ص ٣٥٨ .

الذى كان يلقب بالقاضى الأكرم ، بمدينة قفط ، احدى مدن صعيد مصر فى أحد ربيعى سنة ٥٦٨ ﻫ (١١٧٢ م) ، ومضى الى القاهرة فى حداثته ، حيث درس العلوم العربية الاسلامية ، على اختلاف فروعها ، ثم أتم دراسته فى بيت المقدس .

ونال القفطى ثقافة واسعة ، ساعده على بلوغها ثراء والده .

وظفر بمنصب الوزارة فى حلب سنة ٦٣٣ ﻫ (١٢٣٦ م) وظل فى هذا المنصب الرفيع الى أن توفى سنة ٦٤٦ ﻫ (١٩٤٨) .

وكان الوزير القفطى جماعة للكتب ، حريصا عليها . وساعدته هذه الكتب على ذلك الانتاج التاريخى ، والأدبى الضخم ، فله فى التاريخ : كتاب الدر الثمين ، فى أخبار المتيمين . وكتاب من ألوت الأيام اليه فرفعته ، ثم التوت عليه فوضعته . وكتاب أخبار المصنفين وما صنفوه ، وكتاب كبير فى أخبار النحويين ، وكتاب تاريخ مصر من ابتدائها الى ملك صلاح الدين اياها فى ستة مجلدات ، وكتاب تاريخ المغرب ومن تولاها من بنى تومرت ، وكتاب تاريخ اليمن منذ اختطت الى الآن ، وكتاب تاريخ محمود بن سبكتكين وبنيه ، الى حين انفصال الأمر عنهم. وكتاب أخبار السلجوقية ، منذ ابتداء أمرهم الى نهايته . وكتاب الايناس ، فى أخبار آل مرداس . وكتاب مشيخة زيد بن الحسن الكندى . وله فى اللغة ، كتاب الضاد والظاء ، وهو ما اشتبه فى اللفظ ، واختلف فى الخط ، وكتاب المجلى ، فى استيعاب وجوه كلا ، وكتاب الاصلاح ، لما وقع من الخلل فى كتاب الصحاح للجوهرى .

---

٥ - معجم المطبوعات جـ ٢ نهر ١٥١٨ .
٦ - الطالع السعيد ص ٢٣٧ .
٧ - خطط الشام جـ ٤ ص ٤٤ .
٨ - دائرة المعارف الاسلامية جـ ١ ص ٢٦٤ .
٩ - معجم البلدان لياقوت جـ ١ ص ١٢ .
١٠- وفيات الأعيان جـ ٢ ص ٢١١ .
١١- شذرات الذهب جـ ٥ ص ٢٣٦ .
١٢- اعلام النبلاء جـ ٤ ص ٤١٤ .
١٣- العقد المذهب ص ١٨٤ .

وله فى الحديث ، كتاب الكلام على الموطأ ، وكتاب الكلام على صحيح البخارى ، ولم يتما .

وفى علم الكلام له كتاب الرد على النصارى ، وذكر مجامعهم .

وله كتاب «مختارات» لعلها أدبية سماها : كتاب نهزة الخاطر ، ونزهة الناظر ، فى أحسن ما نقل من ظهـور الكتب . قال فى دائرة المعارف الاسـلامية : ولم يصل من مؤلفات ابن القفطى العـديدة ، وأغلبها فى التاريخ ، الا كتاب واحد ، وقد وصلنا مختصرا ، ويحتمل أن يكون عنوانه : كتاب اخبار العلماء بأخبار الحكماء . أما مختصر الزوزنى لهذا الكتاب فعنوانه : المنتخبات الملتقطات ، من كتاب تاريخ الحكماء (١) ويحتوى الكتاب على أربع عشرة وأربعمائة ترجمة للأطباء، والنجوميين ، والحكماء ، من أقدم العصور ، الى أيام المؤلف . وهو على جانب كبير من الأهمية ، لأنه معين لا ينضب من المعلومات الخاصة، بمعارف العرب من مؤلفات الأغريق ، وهو يعطينا كذلك الشىء الكثير عن آثار الاغريق التى لم تحفظها الكتب القـديمة . ولدينا من كتبه كذلك كتاب انباه الرواة على أنباء النحاة (٢) .

والقفطى كاتب من أبرع كتاب عصره ، وكان يقرض الشعر .

أبو شامة المقدسى *

عبد الرحمن بن اسماعيل ، وكنى بأبى شامة ، لشـامة كبيرة فوق

---

(١) طبع ليبسك سنة ١٣٢٠ هـ (١٩٠٣ م) .

(٢) مصور بدار الكتب رقم ٢٥٧٩ ـ ٢٨٠١ تاريخ . ويطبع الآن .

* مراجعه :

١ ـ فوات الوفيات جـ ١ ص ٢٥٢ .

٢ ـ خطط الشام جـ ٤ ص ٤٥ .

٣ ـ النجوم الزاهرة جـ ٥ و جـ ٨ فى مواضع مختلفة .

٤ ـ شذرات الذهب جـ ٥ ص ٣١٨ .

٥ ـ الفاطميون فى مصر ص ٢٩٢ .

٦ ـ طبقات الشافعية للسبكى جـ ٥ ص ٦١ .

٧ ـ طبقات القراء للذهبى جـ ٢ ص ٢١٠ .

٨ ـ طبقات الحفاظ للسيوطى جـ ٢ ص ٦٢ .

حاجبه الأيسر ولد ليلة الجمعة ، الثالث والعشرين من ربيع الآخر ، سنة ٥٩٩ هـ ، بدمشق .

حفظ القرآن الكريم صغيرا ، وأخذ فى معرفة القراءات السبع ، ودرس الفقه وبرع فيه ، والنحو ، والحديث ، وعنى بأيام الناس ومعرفة الرجال . وجاء الى مصر سنة ٦٢٨ هـ ، واجتمع بشيوخها فى ذلك الوقت، بمصر ، والقاهرة ، ودمياط ، والاسكندرية ، ثم لزم الاقامة بدمشق ، مشتغلا بالعلم وجمعه ، والقيام بالفتاوى .

وكان محبا للعزلة والانفراد ، غير مؤثر للتردد على أبواب أهل الدنيا ، متجنبا المزاحمة على المناصب ، لا يؤثر على العافية شيئا .

بل لقد آثر أن يشتغل بالزراعة على الاعتماد على مرتب التدريس، وله فى ذلك قصيدة طويلة ذكرنا بعضها فيما مضى (١) ، وتجدها كاملة فى كتاب ذيل الروضتين .

وقد تولى مشيخة القراءة بالتربة الأشرفية ، وعهد اليه بالتدريس فى دار الحديث الأشرفية ، سنة ٦٢٢ هـ ، وحضر عنده فى أول يوم ألقى فيه الدرس ، قاضى القضاة وجماعة من الفضلاء ، وأعيان المدينة . وألقى أبو شامة دروسه فى التاريخ بجامع دمشق ، حيث درس تاريخ دمشق لابن عساكر ، واختصره ، كما كان يقرأ كتاب الروضتين وغيرهما .

وله مؤلفات كثيرة تكاد تبلغ الخمسين ، توزعتها فنون عدة : بين تاريخ ، وقراءات ، وأصول ، وحديث ، وفقه ، ونحو ، ولغة وتفسير ،

= ٩ – بغية الوعاة ص ٢٩٧ .
١٠– الدارس جـ ١ ص ٢١ .
١١– غاية النهاية جـ ١ ص ٣٦٥ .
١٢– المختصر لأبى الفداء جـ ٣ ص ٢٠٤ .
١٣– تذكرة الحفاظ جـ ٤ ص ٢٥١ .
١٤– معجم المطبوعات لسركيس جـ ١ نهر ٣١٧ .
١٥– الروضتين وذيل الروضتين .
١٦– البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٥٠ .
١٧– طبقات محمد أمين بن حبيب ص ١٩٦ .
(١) راجع ص ٦٩ .

وعروض ،وقواف ، وأدب ، مما يدلنا على ثقافة واسعة تهيأت له . ومن مؤلفاته فى التاريخ : كتاب الروضتين ، الذى أرخ فيه لبطلين من أبطال الحروب الصليبية ، وهما : نور الدين ، وصلاح الدين ، وسار فيه على طريقة السنين .

وكتاب (١) ذيل الروضتين يسير على نظام السنوات أيضا ، ويؤرخ فيه الحوادث والأشخاص ، وبدأه بالسنة التى تلت وفاة صلاح الدين وهى سنه ٥٩٠ هـ ، وظل يقيد فيه الحوادث الى سنة وفاته وهى سنة ٥٦٦ هـ .

وقد اختصر تاريخ دمشق لابن عساكر مرتين : احداهما فى خمسة عشر مجلدا ، والثانية فى خمسة مجلدات فقط ، كما اختصر تاريخ بغداد وكتب كتابا جامعا لأخبار مكة والمدينة وبيت المقدس .

وألف كتابا سماه كشف حال بنى عبيد ، ندد فيه بالفاطميين وعقائدهم .

وصنف كتاب الباعث على انكار البدع والحوادث (٢) .

أما فى القراءات ، فقد شرح قصيدة الشاطبى شرحين : كبيرا وصغيرا . وألف كتاب مفردات القراء .

وألف فى النحو مقدمة فيه ، كما شرح المفصل ، ونظمه ، وشرح نظمه ، وله أرجوزة فى الفقه ، وأخرى فى العروض ، واختصر جملة دواوين ، الى غير ذلك ، من مؤلفات كثيرة ، تدل على أن أبا شامة كان يحافظ على وقته وينفقه فى العمل الصالح .

---

(١) كتاب الروضتين وكتاب ذيل الروضتين مطبوعان (راجع مراجع البحث) .

(٢) مخطوط بمكتبة بلدية الاسكندرية رقم ١٢٣٥ ب .

ابن العميد *

في أيام الخليفة الآمر بأحكام الله ، قدم من تكريت رجل نصرانى ، تاجر ، اسمه طيب بن يوسف ، ومعه بضاعة من الثياب وأبراد الحرير ، صنع الهند واليمن ، فقدم للخليفة من أجودها ما يصلح لمثله ، فخلع عليه الخليفة ، وأحسن اليه ، وأمره بالمقام فى مصر وأنعم عليه بقرية من أعمال الحوف ، وقام أولاده من بعده ، واشتغلوا بالكتابة فى الدواوين ، وظل والد ابن العميد ، وكان يسمى أبا الياس بن أبى المكارم ، فى ديوان الجيش خمسا وأربعين سنة ، ولما مات سنة ٦٣٨هـ (١٢٤١ م) خلفه ابنه جرجس فى منصبه ، وكان يسمى عبد الله أيضا ، وبقى سنين فى خدمة ملوك مصر ، ثم تغيروا عليه ، وحبسوه مدة ، ثم أطلق سراحه ، وعاش بعد خروجه من السجن معتزلا ، حتى مات سنة ٦٧٢ هـ ، وقد تحدثنا عن كتابيه فيما مضى .

ابن خلكان ** *

أحمد بن محمد بن ابراهيم ، ينحدر من البرامكة ، وينتهى نسبه الى يحيى بن خالد البرمكى ، ولد بمدينة اربل من أعمال الموصل ، يوم الخميس

---

* مراجعه :

١ – مجلة المشرق جـ ١٢ ص ٤٩٠ .
٢ – تاريخ آداب اللغة العربية لجورجى زيدان جـ ٣ ص ١٨٥ .
٣ – كتاباه .
٤ – معجم سركيس جـ ٣ نهر ١٩١ .

** مراجعة :

١ – فوات الوفيات جـ ١ ص ٥٥ .
٢ – وفيات الأعيان جـ ٢ ص ٤٢٠ وفى مواضع كثيرة من الكتاب كله .
٣ – النجوم الزاهرة جـ ٧ ص ٣٥٣ و ٣٥٦ و جـ ٧ ص ٢١٣ .
٤ – تاريخ القضاء فى الاسلام لابن عرنوس ص ١٨٩ .
٥ – حسن المحاضرة جـ ١ ص ٢٦٥ .
٦ – الفاطميون فى مصر ص ٢٩٢ .
٧ – طبقات الشافعية للسبكى جـ ٥ ص ١٤ .
٨ – ذيل الروضتين ص ٢١٥ .
٩ – السلوك جـ ١ ص ٥٩٦ و ٧١١ و ٤٦٥ و ٦٤٧ و ٦٦٨ و ٦٨٦ .
١٠ – الدرر الكامنة جـ ٤ ص ٣٧٢ .
١١ – خطط الشام جـ ٤ ص ٤٥ .

حادى عشر ربيع الآخر سنة ٦٠٨ هـ (٢٣ سبتمبر سنة ١٢١١ م) وأخذ يتنقل فى البلاد لطلب العلم ؛ حتى صار فقيها أديبا مؤرخا ، وفى سنة ٦٣٦ هـ (١٢٣٨ م) ، قدم الى القاهرة ، فعين بها نائبا لقاضى القضاة يوسف بن حسن السنجارى . ولما تولى بيبرس عرش مصر عينه قاضى قضاة الشام ، وظل فى هذا المنصب عشر سنين كاملة ، عزل بعدها سنة ٦٦٩ هـ (١٢٧١ م) فعاد ابن خلكان الى مصر ، حيث اشتغل بالتدريس سبع سنين ، عاد بعدها الى منصبه الأول ، فى دمشق فى ذى الحجة سنة ٦٧٦ هـ .

وتوفى بدمشق يوم السبت ١٦ رجب سنة ٦٨١ هـ (٢١ اكتوبر سنة ١٢٨١ م) . وكان مدرسا بالمدرسة الأمينية .

وكانت أسرة ابن خلكان أسرة معروفة بالفقه ، وولاية المناصب الدينية . وكان والده متولى التدريس بمدرسة الملك المعظم مظفر الدين بأربل .

ولابن خلكان كتاب وفيات الأعيان بدأه بالقاهرة سنة ٦٥٤ هـ (١٢٥٦ م) . وكان يعمل فيه ، مع اشتغاله بنيابة القضاء ، حتى اذا انتهى فيه من ترجمة يحيى بن برمك ، عين فى منصب قاضى قضاة الشام ، فعزم أن يقف بالكتاب عند هذا الحد ، مصمما على وضع كتاب آخر فى التراجم أشمل وأوفى ، فلما عزل من منصبه ، وعاد الى مصر ، رأى كتبا كان يؤثر الوقوف عليها ، وما كان يتفرغ لها ، فقرأ تلك

= ١٢- ابن اياس جـ ١ ص ١٢١ .

١٣ - المختصر فى تاريخ البشر جـ ٤ ص ١٦ .

١٤ - دائرة المعارف الاسلامية جـ ١ ص ١٥٧ .

١٥ - نهاية الأرب جـ ٢٨ ص ١٢ و جـ ٢٩ ص ١٧ .

١٦ - شذرات الذهب جـ ٥ ص ٣٧١ .

١٧ - البداية والنهاية لابن كثير فى حوادث سنة ٦٨١ .

١٨ - تاريخ الأدب العربى لنيكلسون نقلا عن كتاب (الظاهر بيبرس وحضارة مصر فى عهده) .

١٩ - تاريخ ابن الوردى جـ ٢ ص ٢٣٠ .

٢٠ - البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٣٠١ .

٢١ - مفتاح السعادة ص ٦٣ .

٢٢- طبقات الشافعية لابن قاضى شهبة ص ٥٩ ب .

الكتب وأخذ منها حاجته ، وأتم كتابه بالقاهرة ، في الثاني والعشرين من جمادى الآخرة سنة ٦٧٢ هـ (يناير سنة ١٢٧٤ م) .

ويعد كتاب وفيات الأعيان من أهم المصادر في التراجم ، ولا سيما أن كثيرا من الكتب التي ألفت قبله ، واستقى منها قد فقد .

ابن واصل *

محمد بن سالم بن نصر الله ، ولد بحماة ، ثاني شوال سنة ٦٠٤هـ (١٢٠٧ م) ، وبها تعلم وتأدب ، فدرس الفقه على مذهب الشافعي ، ودرس الأصول ، والحديث ، وعلم الكلام ، والنحو ، والعروض ، والقوافي ، والأدب ، والتاريخ ، والفلسفة ، والمنطق ، والهندسة ، والهيئة ، والطب ، وقيل : انه كان يشتغل في ثلاثين علما . وقد ساعده على أن يظفر من العلم بحظ كبير — جد لا يعرف الكلل ، وانصراف الى الدراسة شغله عن كل شيء ، حتى عن نفسه أحيانا وذكاء دفع بعض مؤرخيه الى أن يعده من أذكياء العالم .

عين مدرسا في حماة ، ثم قدم الى القاهرة ، في صحبة الملك الصالح نجم الدين أيوب ، وقد بعثه الظاهر بيبرس الى صقلية ، في مهمة لدى الملك منفرد Manfred ، فمكث هناك مدة طويلة ، حيث صنف موجزا في المنطق عنوانه (الأنبرورية) ، ويعرف في الشرق بعنوان : نخبة الفكر ، ويظهر أن الامبراطور أعجب بعمله .

---

* مراجعه :

١ — بغية الوعاة ص ٤٤ .
٢ — نكت الهميان ص ٢٥٠ .
٣ — معجم الأطباء ص ٣٨٢ .
٤ — كشف الظنون جـ ٢ نهر ١٧٧٢ .
٥ — النجوم الزاهرة جـ ٥ و جـ ٦ .
٦ — السلوك جـ ١ .
٧ — دائرة المعارف الاسلامية جـ ١ ص ٢٩٩ .
٨ — شذرات الذهب جـ ٥ ص ٤٣٨ .
٩ — خطط الشام جـ ٤ ص ٤٤ .
١٠ — كتاب مفرج الكروب .

ولما عاد عين قاضي قضاة حماة ، ومدرسا بها .

ولابن واصل مؤلفات ، منها في المنطق غير نخبة الفكر : شرح الموجز ، والجمل ، وكلاهما للخونجي ، وكتاب هداية الألباب ، وشرح قصيدة ابن الحاجب في العروض ، وله مختصر الأدوية لابن البيطار .

وألف في التاريخ كتابين : أحدهما في التاريخ العام ، دعاه التاريخ الصالحي ، ويظهر أنه عمله للصالح أيوب ، والمجلد الأول منه من بدء الخليقة ، بالمتحف البريطاني . والكتاب الثاني في تاريخ الأيوبيين دعاه : مفرج الكروب ، في أخبار بني أيوب ، كتبه في ثلاثة مجلدات ، وقف فيه عند سنة ٦٦١ هـ ، ولهذا الكتاب أهمية كبرى في دراسة العصر الأيوبي ، وعنه أخذ المؤرخون : كصاحب النجوم الزاهرة، والمقريزي .

أما علمه بالفلك فانه قد ساعد الشيخ علم الدين قيصر ، في عمل الكرة التي رسم فيها جميع الكواكب المرصودة ، وكان المظفر صاحب حماة يحضر رسم هذه الكرة .

وعمر ابن واصل ، وأضر في آخر عمره ، ومات بحماة يوم الجمعة ، الثاني والعشرين من شوال ، سنة ٦٩٧ هـ (١٢٩٨ م) .

الجغرافيا

يفتخر هذا العصر بأنه قد ألف فيه كتاب معجم البلدان ، الذى لم يؤلف له نظير الى وقتنا هذا ، ولا زلنا الى اليوم نعده من أهم المراجع فى بابه . وحسبى هنا أن أرصد ما ظفرت به الجغرافيا من العناية ، وأن أصف ما بقى لنا من كتب فيها ، وأن أوازن بين بعض آرائهم وآرائنا .

وقد تنوعت الكتب المؤلفة يومئذ فيها ، فمنها ما كان وصفا لبعض ما شاهده المؤلف فى رحلاته ، كما فى كتاب الاشارات (١) ، الى معرفة الزيارات ، وهو مختصر للشيخ أبى الحسن على السائح الهروى المتوفى بحلب سنة ٦١١ هـ . ابتدأ فيه من مدينة حلب ، وكتب ما رآه برا وبحرا من المزارات والمشاهد ، وقد ذكر (٢) فى كتابه أنه زار أماكن ، ودخل بلادا ، من سنين كثيرة ، فنسى أكثر ما رآه ، مع أنه ذكر فيه مزارات الشـــام ، وبلاد الفرنج ، والأرض المقدسة ، وديار مصر ، والصعيدين ، والمغرب ، وجزائر البحر ، وبلاد الروم ، والجزيرة ، والعراق ، وأطراف الهند ، وبلاد العجم .

ومنها ما اختص بدراسة طباع بعض البلاد ، وأحوال هوائهـــا ومياهها ، وكان مؤلفو هذا النوع من الأطبـــاء ، كهبـــة الله بن زين الطبيب المصرى ، فى رسالته فى طبع الاسكندرية (٣) . والأسعد المحلى فى كتابه عن مزاج دمشق (٤) ، ووصفها وتفاوتها من مصر ، وأيهما أصح وأعدل . وبدر الدين مظفر بن عبد الرحمن البعلبكى ، فى مقاله عن الرقة ، وأهويتها (٥) ، وأحوال طبائعها .

وأنشأ بعض العلماء مقالات تعالج موضوعا خاصا فى هذا الفن ، كهذه المقالة التى ألفها على بن خليفة الطبيب ، للملك الأمجد صاحب بعلبك ، عن السبب الذى له خلقت الجبـــال (٦) ، ومقـــالة ســـلامة

---

(١) الكتاب مخطوط بدار الكتب رقم ٣ م جغرافيا .

(٢) ص ٢ .

(٣) عيون الأنباء جـ ٢ ص ١١٥ .

(٤) المرجع السابق ص ١١٨ .

(٥) المرجع السابق ص ٢٥٩ .

(٦) المرجع السابق ص ٢٥٩ .

ابن رحمون ، عن السبب الموجب لقلة المطر بمصر (١) . ولم يبق لدينا شيء من هذه الكتب .

أما كتاب معجم البلدان ، فيكاد يكون الكاتب الوحيد ، الباقى لنا من ذلك العصر فى الجغرافيا ، وضعه مؤلفه فى أسماء البلدان ، والجبال ، والأودية ، والقيعان والقرى ، والمحال ، والأوطان ، والبحار ، والأنهار ، والغدران ، والأصنام ، والأوثان (٢) . وبعد أن ذكر ياقوت أسباب تأليفه هذا الكتاب ، وأورد ما ألف قبله فى هذا الشأن ، وما رجع اليه منها قال (٣) : رتبته على حروف المعجم ، ثم أذكر اشتقاقه (أى الاسم) ن كان عربيا ، ومعناه ان أحطت به علما ان كان عجميا ، وفى أى اقليم هو ، وأى شيء طالعه ، ومن المستولى عليه من الكواكب ، ومن بناه ، وأى المدن من المشهورات يجاوره ، وكم المسافة بينه وبين ما يقاربه ، وبماذا اختص من الخصائص ، وما ذكر فيه من العجائب ، وبعض من دفن فيه من الأعيان ، والصالحين ، والصحابة والتابعين ، ونبذا مما قيل فيه من الأشعار ، فى الحنين الى الأوطان ، والشاهد على صحة ضبطه والاشتقاق ، وفى أى زمان فتحه المسلمون ، وكيفية ذلك ، ومن كان أميره ، وهل فتح صلحا أو عنوة ، ليعرف حكمه فى الفيء والجزية ، ومن ملكه فى أيامنا هذه ، على أنه ليس هذا الاشتراط بمطاوع لنا فى جميع ما نورده .. وانما يجيء على هذا البلدان المشهورة . فأنت ترى من ذلك أنه يجمع الى الجغرافيا التاريخ والأدب . ومن هذا الكتاب نرى أن كرية الأرض كانت معروفة عندهم مقررة (٤) ، وأن البحر المحيط ، وهو ما نسميه بالمحيط الأطلنطى ، تتصل بما نسميه اليوم بالمحيط الهندى ، جنوب خط الاستواء (٥) . أما معرفتهم بالقارات الخمس فكانوا يعرفون آسيا ، ويطلقون افريقية على جزء مما نسميه اليوم طرابلس وتونس (٦) . ولم أعثر فى المعجم على اسم أوربا ، فكانت معرفتهم بالقارات غير

(١) المرجع السابق ص ١٠٧ .
(٢) معجم البلدان جـ ١ ص ٢ .
(٣) ص ٩ .
(٤) راجع معجم البلدان ص ١٤ .
(٥) راجع معجم البلدان ص ١٩ .
(٦) راجع معجم البلدان ص ٥٨ ، ٣٠٠

محدودة . وكانوا يعرفون أن الأندلس تعرف عند الفرنج باسم اسبانيا . وكانت معرفتهم ببلاد الصين ، والهند ، والفرنج ، قليلة ، كما اعترف بذلك كتاب ربما يكون قد ألف بعد عصر الحروب الصليبية ، وهو كتاب تقويم البلدان ، للملك المؤيد صاحب حماة (١) .

وقد استخرج ياقوت كتابا من معجمه ، سماه (٢) : المشترك وضعا ، والمفترق صقعا ، فيما اتفق من أسماء البقاع لفظا وخطا ، ووافق شكلا ونقطا ، وافترق مكانا ومحلا ، واختلف صقعا ومحتلا ، ... مرتبا ذلك على حروف المعجم . وقد التمس الطلاب من ياقوت اختصار كتابه الكبير المعجم ، فأبى ، ورجا ألا يختصره أحد ، ولكن هذا الرجاء قد خولف . واختصر الكتاب ، بعنوان (٣) : مراصد الاطلاع فى أسماء الأمكنة والبقاع .

ومما درس فى هذا العصر كتاب المجسطى . وقد اختصره ابن واصل الحلبى الذى سبق أن أرخنا له .

وكانوا يعنون بصنع المصورات الجغرافية يومئذ (٤) ، بل ان الفاطميين كانوا يصنعون هذه المصورات من النسيج ، ويطرزونها بالحرير والذهب (٥) ، ويظهر أنهم كانوا يلونون هذه المصورات بألوان مختلفة . تفصح عن المواضع المختلفة . ففى كتاب نخبة الدهر (٦) ، وعجائب البر والبحر ، لشمس الدين الأنصارى الصوفى الدمشقى ، المتوفى سنة ٧٢٧ هـ ، مما يجيز أنه ألف بعد عصر الحروب الصليبية ، وان كنت أرجح أنه لم يخترع هذا التلوين — يقول : (٧) وختمته بصورة جغرافية ، دهانا بالأصباغ ، وتخطيطا محررا على مثل مواقع الأطوال ، والعروض ، والأصقاع ، فى المعمور ، لتكون مثالا حسيا

(١) كشف الظنون جـ ١ نهر ٤٦٨ .
(٢) بدار الكتب رقم ٤٠١ و ٤٠٢ جغرافيا .
(٣) بدار الكتب رقم ٤٠٥ جغرافيا .
(٤) راجع معجم البلدان جـ ١ ص ١٥ .
(٥) راجع الفاطميون فى مصر ص ٢٥٨ .
(٦) بدار الكتب رقم ٣٥١ و ٣٥٢ جغرافيا .
(٧) ص ٣ .

مشاهدا بالحس ... وكل ما هو من الدهان بها أزرق . فهو مثال بحر مالح ، صغر أو كبر ، دق أو عرض فى الزرقة . وكل ما هو من لون مخالف فهو مثال جبل أو جزيرة، وكل ما هو من لون أخضر فهو مثال بحيرة حلوة أو نهر جار . وكل ما هو من لون جلنارى ، أو خمرى ، أو اصفر ، أو حجرى أو أبيض ، أو غير مستطيل . مخطط خطوطا بالسواد . فهو مثال جبال وربوات مشهورة . وكل ما هو صورة خط أسود مستطيل ، من مشرق الجغرافيا ، الى مغربها ، فهو مثال فصل مابين اقليم واقليم من الأقاليم السبعة وما وراءها، وماخلف خط الأستواء منها . وكل ما هو صورة عمارة ، وتفصيل حجارة بالتخطيط . فهو مثال سور ، أو برج ، أو مدينة ، أو هيكل مشهور فى الأرض . ومن كل ما ذكرناه يبدوالمدى العظيم الذى وصلوا اليه فى الجغرافيا .

والآن نترجم لأشهر جغرافى فى ذلك العصر ، وهو :

ياقوت الحموى *

عصامى فى العلم ، ولد ببلاد الروم ، سنة أربع أو خمس وسبعين وخمسمائة ، وأخذ من بلاده صغيرا ، فاشتراه أحد تجار بغداد ، وعلمه الكتابة العربية ، لينتفع به فى ضبط تجارته ، لأن التجارة شغلته عن تعلم الخط . ولما كبر ياقوت درس شيئا من النحو ، واللغة . ثم شغله مولاه بالسفر فى متاجره ، وكان يتردد الى عمان والشام .

ترجع ثقافة ياقوت الى مصدرين : القراءة ، والأسفار .

وكان تأليفه نابعا منهما ، فاتجه الى التاريخ ، الذى يعتمد على النقل من الكتب والى الجغرافيا التى تعتمد على النقل والسفر معا :

---

* مراجعه :

١ ــ وفيات الأعيان جـ ٢ ص ٢١٠ ، و جـ ١ ص ١٧١ .
٢ ــ النجوم الزاهرة جـ ٥ ص ٢٨٣ .
٣ ــ شذرات الذهب جـ ٥ ص ١٢١ .
٤ ــ اعلام النبلاء جـ ٤ ص ٣٦٩ .
٥ ــ كتبه الباقية .

فكتب فى التاريخ كتابا ، دعاه : ارشاد الألباء ، الى معرفة الأدباء ، وهو الكتاب المعروف عندنا بمعجم الأدباء ، ولكن يظهر أن لياقوت كتابا آخر بهذا الاسم ، كما يدل على ذلك أن وفيات الأعيان عدهما كتابين ، وله كذلك فى التاريخ : كتاب معجم الشعراء ، وكتاب المبدأ والمآل ، وكتاب الدول ، والمقتضب فى النسب ، ذكر فيه أنساب العرب ، وكتاب أخبار المتنبى . وألف فى الجغرافيا معجم البلدان ، والمشترك وضعا المختلف صقعا ، وقد تحدثنا عنهما .

وتوفى ياقوت يوم الأحد العشرين من شهر رمضان سنة ٦٢٦ هـ ، فى خان بظاهر حلب . ويظهر أنه برغم كثرة أسفاره ، لم ينس عهده الأول ببغداد ، ولذلك آثر بها كتبه قبل وفاته ، فوقفها على مسجد الزيدى ، أحد مساجد مدينة الرشيد ، وسلمها الى عز الدين بن الأثير ، فحملها الى هناك .

الفلسفة

نقصد بها هنا ذلك العلم الذى يبحث فيما وراء الطبيعة . وكانت الفلسفة بهذا المعنى موضع عناية الفاطميين ، فقد كان الدعاة يلقنون تلاميذهم فى المرحلة الخامسة (١) من مراحل الدعوة الشيعية حب الفلسفة ، ويحضونهم على النظر فى كلام أفلاطون ، وأرسطو ، وفيثاغورس ، ومن على شاكلتهم ، وينهونهم عن قبول الأخبار ، والاحتجاج بالسمعيات . ويزينون لهم الاقتداء بالأدلة العقلية ، والتعويل عليها ، وفى المرحلة التاسعة يحيلونهم الى ما تقرر فى كتب الفلاسفة، من العلم الطبيعى ، والعلم الالهى ، فكانت دراسة الفلسفة ضرورية للدعوة الشيعية ، واحدى دعائمها .

وبرغم ما كان للفلسفة من هذه المكانة القوية ، لم أعثر على فيلسوف نبغ فى هذه الفترة من عصر الدولة الفاطمية ، التى شهدت الحروب الصليبية ، ويرجع ذلك الى ما لاقته آثار الفاطميين الفكرية من تشريد ، على يد صلاح الدين الذى كان سنيا ، يكره الفلسفة ورجالها، ويراها مضللة للعقول، ويحفظ لهالتاريخ موقفه من الشهاب السهروردى، الذى أمر بقتله . ولا ريب فى أن هذا الاضطهاد كان له أثره فى دراسة الفلسفة يومئذ . على أنه مما يستحق أن ينبه عليه هو أن دارسا آخر للفلسفة عاش فى تلك الأيام ، مقربا من البلاط الأيوبى ، وتحت رعاية القاضى الفاضل ، وهو موسى بن ميمون ، ولعل السبب الذى أعفاه من الاضطهاد ، هو دينه الذى يؤمن معه أن يستمع المسلمون الى آرائه ، أو أن يتأثروا بها .

واقتدى الكامل بعمه صلاح الدين ، فما كان يحب الفلسفة ولا يشجع عليها ، أما المعظم عيسى ، وابنه داود ، فقد أحبا الفلسفة ، وشجعا دراستها ، فاشتهر الاشتغال بعلوم الأوائل بدمشق ، فى أواخر

(١) خطط المقريزى ج ٢ ص ٢٢٢ و ٢٣٣ .

دولة المعظم . ودولة ابنه داود ، وكثر ذلك ، وأمن المشتغلون بها على أرواحهم . ولكن هذه الحركة قد خمدت ، عندما جاءت دولة الأشرف موسى . الذى كان كأخيه الكامل ، لا يميل إلى الفلسفة . ومن أجل هذا رأينا فى تاريخ سيف الدين الآمدى ، أن المقام لم يطب له فى مصر تحت سلطان الكامل ، فلما قدم دمشق ولاه المعظم العزيزية ، وأعجب به ولده الناصر ، وأغدق عليه ، ولكن لم يلبث أن ولى الأشرف دمشق حتى عزله . ونادي في المدارس : من ذكر غير الحديث ، والتفسير ، والفقه ، أو تعرض لكلام الفلاسفة ، فلا يلومن الا نفسه (١) .

وساهم بعض العلماء ذوى النفوذ فى اضطهاد الفلسفة يومئذ ، فرأينا ابن أبى عصرون المتوفى سنة ٥٩٨ هـ . والذى تولى قضاء القضاة فى عهد صلاح الدين ، ينهى عن الاشتغال بالمنطق والجدل ، ويأمر (٢) من كان فى حوذته شىء منها أن يحضره ، ويمزق هذه الكتب . ورأينا ابن الصلاح لا يمكن أحدا فى دمشق من قراءة المنطق والفلسفة ، والملوك تطيعه فى ذلك (٣) . ولكننا برغم هذا الاضطهاد ، نرى بعض العلماء يدرسها ، فيتحمل المشـاق فى سبيل التثقف بها . ومن هؤلاء نجم الدين القمراوى ، وشرف الدين المتانى ، اللذان ذهبا خفية الى الموصل ، يدرسان على أحد نوابغ الفلسفة فى ذلك العصر ، وهو الكمال موسى بن يونس بن منعة (٤) . وفى كتاب المثل السائر ، ما يدل على انه كان يوجد يومئذ طائفة تدرس الفلسـفة ، وتتعصب لآراء علمائها ، وقد ندد بهم ابن الأثير فى كتابه (٥) .

والظاهر أن اضطهاد الفلسفة قد خفت وطأته بعد موت الكامل

---

(١) الدارس جـ ١ ص ٣٠٨ .

(٢) الروضتين ص ٣٢ .

(٣) الدارس جـ ١ ص ٢٠ .

(٤) ترجمته فى طبقات الشافعية للسبكى جـ ٥ ص ١٦٢ . ووفيات الأعيان جـ ٢ ص ١٣٢ . والنجوم الزاهرة جـ ٦ ص ٣٤٢ ، والمختصر جـ ٣ ص ١٧٠ .

(٥) المثل السائر ص ٦٢ و ١٢٠ .

والأشرف ،وان كانت نظرة الناس الى دارس هذا الصنف من المعارف نظرة شك وارتياب .

ويبدو أن بعض المشتغلين بالفلسفة قد استغل هذه الحرية التى ظفر بها استغلالا سيئا ، كهذا الفخر بن البديع البندهى ، الذى قال عنه صاحب ذيل الروضتين : « وتوفى أيضا (سنة ٦٥٧ هـ) شخص زنديق ، يتعاطى الفلسفة والنظر فى علوم الأوائل ، ويسكن مدارس فقهاء المسلمين ، وقد أفسد عقائد جماعة من الشبان ... وكان يتظاهر باستنقاص الأنبياء عليهم السلام (١) » . كما أن بعضهم الآخر مثل شمس الدين الأصفهانى (٢) ، كان حريصا على أن تسلم عقيدة تلميذه ، ويتمكن الايمان من قلبه ، قبل أن يشتغل بالفلسفة ، فكان الطالب اذا أراد أن يقرأ عليه الفلسفة ينهاه ، ويقول له : « لا ، حتى تمتزج بالشرعيات امتزاجا حقيقيا جيدا (٣) » . وتولى بعض دارسى هذه العلوم مناصب كبيرة فى الدولة ، كالقضاء ، أو مناصب دينية كبرى ، كمحمد ابن أبى بكر المعروف بالأيكى، وكان اماما فى المنطق وعلوم الأوائل (٤). فانه استقر فى مشيخة الشيوخ ، بخانقاه سعيد السعداء ، سنة ٦٨٤ هـ (٥) . وفى هذه الفترة التى استعاد فيها دارسو الفلسفة والمنطق حريتهم ، حفظ لنا التاريخ اسم علمين ممتازين فيها ، نرى من الخير أن نترجم لهما ، وللفيلسوف القتيل :

شهاب الدين السهروردى *

شخصية أضفى عليها مصيرها المحزن كثيرا من الخيالات ، فمن

(١) ذيل الروضتين ص ٢٠٢ .
(٢) مرت ترجمته .
(٣) طبقات الشافعية للسبكى جـ ٥ ص ٤١ .
(٤) حسن المحاضرة جـ ١ ص ٢٦٠ .
(٥) السلوك جـ ١ ص ٧٣٠ .

* مراجعه :
١ - عيون الأنباء جـ ١ ص ٢٠٤ ، ١٦٧ .
٢ - النجوم الزاهرة جـ ٦ ص ٩ ، ١١٤ .
٣ - وفيات الأعيان جـ ٢ ص ٢٦١ .

معجب يدافع عنها ويضيف الى محاسنها ، ومن ناقم يحقرها ، ويزيد في مثالبها ، وقد اختلف مؤرخوه حتى في اسمه ، فقال بعضهم : هو أحمد ، وقيل : كنيته اسمه وهو أبو الفتوح ، وذكر ابن أبى أصيبعة أن اسمه عمر ، وارتضى ابن خلكان أن اسمه يحيى بن حبش ، الملقب بالمؤيد بالملكوت .

ولد في سهرورد ، وهي بليدة في العراق العجمى ، حوالى سنة ٥٤٩ هـ ، ودرس الفلسفة ، وأصول الفقه ، على الشيخ مجد الدين الجيلى ، بمدينة المراغة من أعمال أذربيجان ، حتى برع فيهما . ومجد الدين الجيلى هذا ، هو شيخ فخر الدين الرازى ، عليه تخرج ، وبعلمه انتفع ، وكان بارعا في فنونه، وقد دارت بين تلميذيه : الفخر ، والشهاب، مباحثات كثيرة ، ولا أدرى ان كانا قد اجتمعا معا . ودرس السهروردى الى جانب الفلسفة ، علم الكلام ، والمنطق ، ويقال : انه كان يعانى السيمياء وأبواب النيرنجيات ، وهي أشياء تشبه السحر ، لا حقيقة لها ، وأوردوا له في ذلك قصصا .

والظاهر أنه كان على درجة عالية من الذكاء ، وفصاحة العبارة ، والمقدرة الجدلية . كان الشيخ فخر الدين الماردينى يقول عنه : ما أذكى هذا الشاب وأفصحه ، لم أجد أحدا مثله في زمانى ، الا أنى أخشى عليه ، لكثرة تهوره ، واستهتاره ، وقلة تحفظه ، أن يكون ذلك سببا لتلفه ، ويبدو أن نظرة الماردينى اليه كانت صادقة ، فان اندفاعه في اعلان آرائه كان سبب رداه ، فقد مضى الى حلب ، وأعلن آراءه بها ، وكان ذلك سنة ٥٧٥ هـ ، واستمال خلقا كثيرا تبعوه . ولست أدرى ان كان اتباعهم اياه اتباعا لآرائه الفلسفية ، أو اتباعا لسيميائه ونرنجياته ، اذا صح علمه بهما . واتصل بالظاهر غازى بن صلاح الدين ،

= ٤ _ النوادر السلطانية لابن شداد ص ٨ .
٥ _ المختصر في اخبار البشر ج ٣ ص ٨١ .
٦ _ خطط الشام ج ٤ ص ٤٢ .
٧ _ كتبه .
٨ _ شذرات الذهب ج ٤ ص ٤٩٠ .
٩ _ اعلام النبلاء ج ٤ ص ٢٩٢ .
١٠ _ العقد المذهب ص ١٦١ .

وهنا يختلف المؤرخون ، فمن قائل : انه عندما اتصل بالظاهر أعجبه كلامه ، ومال اليه ، وأحضر أكابر المدرسين والفقهاء والمتكلمين ، ليسمع ما يجرى بينهم وبينه من المباحث ، فناظره العلماء ، فظهر عليهم بعبارته ، فحسن موقعه عند الظاهر ، وقربه ، فازداد تشنيع العلماء عليه ، وكتبوا محاضر بكفره ، وأرسلوها الى دمشق ، الى صلاح الدين ، وقالوا : ان بقى هذا فانه يفسد اعتقاد الملك الظاهر ، وكذلك ان أطلق فانه يفسد أى ناحية كان بها من البلاد ، وزادوا عليه أشياء كثيرة من ذلك ، فبعث صلاح الدين الى ولده كتابا بخط القاضى الفاضل يقول فيه : « ان هذا الشهاب السهروردى لابد من قتله ، ولا سبيل الى أن يطلق ، أو يبقى بوجه من الوجوه » . ومن قائل : انه عندما حضر الى حلب أفتى علماؤها باباحة قتله ، بسبب اعتقاده ، وما ظهر لهم من سوء مذهبه ، وكان أشد الجماعة عليه الشيخان : زيد الدين ، ومجد الدين ابنا حميدة ، فحبسه الظاهر ، ثم قتله باشارة والده . ويختلفون فى طريقة قتله ، فقال بعضهم : قتل خنقا ، وقال آخرون : انه اختار أن يترك فى مكان منفرد ، ويمنع من الطعام والشراب ، حتى يلقى الله تعالى ، ففعل به ذلك ، وقال بعضهم : انه قتل ، وصلب أياما ، والذى أرجحه من ذلك رواية ابن شداد : من أن الظاهر قبض عليه ، لما بلغه من خبره ، ثم عرف السلطان به ، فأمره بقتله فقتله ، وكان ذلك سنة ٥٨٧ هـ . وسنه نحو ستة وثلاثين عاما .

لم أقرأ كتب الشهاب كلها ، حتى أستطيع تحديد آرائه المخالفة لآراء الجمهور ، ويبدو أن اندفاعه فى ابداء أفكاره من غير تقييد لها ، كان سبب هذا القتل ، فقد قال له العلماء : انك قلت فى بعض تصانيفك: ان الله قادر على أن يخلق نبيا ، وهذا مستحيل، فقال : ماوجه استحالته؟ فان الله القادر ، هو الذى لا يمتنع عليه شىء ، فلم يفرق لسائليه بين الممكن فى حد ذاته ، والممكن الذى أخبر القرآن بأنه لن يقع .

واتهموه بانحلال العقدة والتعطيل ، واعتقاد مذهب الحكماء والمتقدمين ، ولكن ما أثر عنه ينفى ذلك ، فقد رووا من دعائه قوله :

« الله ، ياقيام الوجود ، وفائض الجود ، ومنزل البركات ، ومنتهى الرغبات ، منور النور ، ومدير الأمور ، واهب حياة العالمين ، أمددنا بنورك ، ووفقنا لمرضاتك ، وألهمنا رشدك ، وطهرنا من رجس الظلمات، وخلصنا من غسق الطبيعة الى مشاهدة أنوارك ، ومعاينة أضوائك ، ومجاورة مقربيك ، وموافقة سكان ملكوتك ، واحشرنا مع الذين انعمت عليهم : من الملائكة ، والصديقين ، والأنبياء ، والمرسلين . » وأثر عنه مناجاة (١) جاء فيها : « الهى واله جميع الموجودات ، من المعقولات والمحسوسات ، يا واهب النفوس والعقول ، ومخترع ماهيات الأركان والأصول ، يا واجب الوجود ، ويا فائض الجود ، ويا جاعل القلوب والأرواح ، ويا فاعل الصور والأشباح ، يانور الأنوار ، ومدبر كل الدوار ، أنت الأول الذى لا أول قبلك ، وأنت الآخر الذى لا آخر بعدك ، الملائكة عاجزون عن ادراك جلالك ، والناس قاصرون عن معرفة كمال ذاتك . اللهم خلصنا عن العلائق الدنية الجسمانية ، ونجنا من العوائق الردية الظلمانية ، أرسل على أرواحنا شوارق أنوارك ، وأفض على نفوسنا بوارق آثارك ، العقل قطرة من قطرات بحار ملكوتك ، والنفس شعلة من شعلات نار جبروتك . ذاتك ذات فياضة ، تفيض منها جواهر روحانية ، لا متمكنة ولا متحيرة ، ولا متصلة ولا منفصلة ، مبرأة عن الأحيـــاز والأين ، معراة عن الوصل والبين ، وسبحان الذى لا تدركه الأبصار ، ولا تمثله الأفكار ، لك الحمد والثناء ، ومنك المنع والعطاء ، وبك الجود والبقاء ، فسبحان الذى بيده ملكوت كل شىء واليه ترجعون » .

والشهاب يرى رأى المعتزلة ، الذين لا يرون الصفات شيئا خارجا عن الذات ، وهو يقول عن ذلك فى كتاب هياكل النور (٢) : « والصفة لا تجب بذاتها ، والا ما احتاجت الى محلها ، فواجب الوجود ليس محلا للصفات ، ولا يجوز أن يوجد هو فى ذاته صفات ، فان الشىء

---

(١) هذه المناجاة مخطوطة بدار الكتب رقم ١٤٢ م مجاميع ، وعليها شرح لمحمد الاسفراايينى .

(٢) مخطوط بدار الكتب وهو الذى رجعت اليه رقم ٤٤٨ فلسفة . ومطبوع رقم ٢٠٥ ، ٢٠٦ فلسفة .

الواحد لا يتأثر عن ذاته ، ونحن اذا تصرفنا فى عضو لنا ، يكون الفاعل شيئا، والقابل شيئا آخر، فواجب الوجود واحد من جميع الوجوه » (١) ولكن ليس معنى هذا نفى الصفات عن واجب الوجود ، وقد أثبت لله هذه الصفات ، اذ قال فى هياكل النور : « وله من كل متقابلين أشرفهما، وكيف يعطى الكمال من هو قاصر ، وكل ما يوجب تكثيرا من تجسيم، أو تركيب ممتنع عليه تعالى ، والحق لا ضـد ولا ند له ، ولا ينتسب الى أين ، وله الجـلال الأعلى ، والكمـال الأتم ، والشرف الأعظم ، والنور الأشد ، ليس بعرض ، فيحتاج الى حامل يقوم به وجود ، ولا بجوهر فيشارك الجواهر فى حقيقة الجوهرية ، ويفتقر الى مخصص، دلت عليه الأجسام ، باختلاف هيئاتها ، فلولا مخصصها لما اختلفت أشكالها ومقاديرها وصورها وأعراضها وحركاتها » . وما أوردناه من مناجاته ، ودعائه ، وما قدم به كتاب هياكل النور ، يدل على أنه يثبت لله صفات الكمال الأسمى .

والشهاب يسير فى اثبات وجود واجب الوجود ، وما هو عليه من كمال ، على طريق الفلاسفة الذين يعتمدون على الدليل العقلى ، كما ترى ذلك فى كتابه : المشارع والمطارحات (٢) (ص ١٢٧) ، وكتاب هياكل النور .

لست أدرى كيف نسبوه الى الالحاد ، وما أوردناه من كلامه لا يدل على الحاد ولا زندقة ، وكيف نحكم بالالحاد على رجل يقول : « فوحد الله ، وأنت بتعظيمه ملآن ، واذكره ، وأنت من ملابس الأكوان عريان ، ولو كان فى الوجود شمسان ، لانطمست الأركان » . ويثبت وحدانية واجب الوجود بقوله فى هياكل النور (ص ٥) : « لا يصح أن يكون شيئان هما واجبا الوجود ، لأنهما لو اشتركا فى وجـوب الوجود ، فلابد من فارق بينهما ، فيتوقف وجود أحدهما أو كليهما على الفارق ، ولا يمكن أن يكون شيئا لا فارق بينهما ، فانهما يكونان

---

(١) هياكل النور ص ٥ .

(٢) مخطوط بدار الكتب رقم ١٠ م فلسفة .

واحدا » . ويقول (ص ١٢) : « ويجب على المستبصر أن يعتقد صحة النبوات » . ويرى أرواحنا نورا حادثا خلقه الله ، اذ يقول فى هياكل النور (٦ ص) : « ونفوسنا الناطقة أنوار حادثة ، ولها مرجح ، ولا توجدها الأجسام ، اذ لا يوجد الشىء ما هو أشرف منه ، فمرجحه أيضا نور مجرد ، فان كان واجب الوجود ، فهو المراد ، وان أمكن، فينتهى الى واجب الوجود ، والحى القيوم » . وكان يدعو واجب الوجود نور الأنوار ، ولست أرى فى ذلك أكثر مما أجده فى قوله تعالى : « الله نور السموات والأرض » .

أما مذهبه فى التصوف فمذهب الاشراقيين ، الذين يرون المعرفة انما تنال باشراق منه تعالى ، على قلوب مريديه ، وله فى ذلك كتاب حكمة الاشراق (١) .

وكان الشهاب يؤمن بكرامات الأولياء ، التى قد يكون منها أن تخضع العناصر لارادة الصوفى .

وقد اختلف معاصروه فى تقديره ، فى حياته وبعد مماته ، فهذا عبد اللطيف البغدادى يقول عندما دخل الموصل : وسمعت الناس يهرجون فى حديث الشهاب السهروردى المتفلسف ، ويعتقدون أنه قد فاق الأولين والآخرين ، وأن تصانيفه فوق تصانيف القدماء ، فهممت لقصده ، ثم أدركنى التوفيق ، فطلبت من ابن يونس شيئا من تصانيفه ، وكان أيضا معتقدا فيها ، فوقعت على التلويحات ، واللمحة ، والمعارج، فصادفت فيها ما يدل على جهل أهل الزمان ، ووجدت لى تعاليق كثيرة لا أرتضيها ، هى خير من كلام هذا الأنوك .

وكان سيف الدين الآمدى يراه كثير العلم ، قليل العقل .

أما بعد موته فقد كتب كاتب على قبره بعد دفنه بظاهر حلب :

---

(١) لحكمة الاشراق شرح لقطب الدين الشيرازى ، مخطوط بدار الكتب رقم ١٧ م فلسفة و ١٢٩ و ١٣٠ .

قد كان صـــاحب هذا القبر جوهرة
مكنـــونة ، قد براها الله من شرف

فـــلم تكن تعـــرف الأيام قيمته
فردها غيرة منـــه الى الصـــدف

قال ابن خلكان : وأقمت بحلب سنين ، للاشتغال بالعلم الشريف ، ورأيت أهلها مختلفين فى أمره ، وكل واحد يتكلم على قدر هـواه ، فمنهم من ينسبه الى الزندقة ، والالحاد ، ومنهم من يعتقد فيه الصلاح، وأنه من أهل الكرامات ، وأكثر الناس على أنه كان ملحدا ، لا يعتقد شــيئا .

وللشهاب من المؤلفات : كتاب التنقيحات فى أصول الفقه . وكتاب الألواح العمادية ، وهو عجالة فى المبدأ والمعاد ، على رأى الالهيين ، وكتاب التلويحات ، فى ثلاثة علوم : المنطق ، والطبيعى ، والالهى . وكتاب المقاومات ، وهو لواحق على كتاب التلويحات . وكتاب هياكل النور ، وقد شرحه جلال الدين محمد بن أسعد الدوانى (١) . وكتاب علم الهدى ، وأسرار الاهتدا . وكتـــاب اللمحات . وكتـــاب المعـــارج. وكتاب حكمة الاشراق ، وهومتن مشهور ، شرحه الأكابر ـــ كما قال فى كشف الظنون ـــ ومنهم قطب الدين الشيرازى (٢) . وكتاب المشـــارع والمطارحات ، وهى كتب فى المنطق ، والفلسفة ، والتصـــوف . وله رسالة الغربة الغربية ، على مثال رسالة الطير لابن سينا ، ورسالة حى ابن يقظان له كذلك ، وقد أشار فيها الى حديث النفس ، وما يتعـــلق بها ، على اصطلاح الحكماء .

وبعد فأرجو أن أوفق الى دراسة كتب هذا الرجل ، فعســـاى أدرك سر قتله .

---

(١) الشرح بدار الكتب رقم ٤٥ و ٢٧٥ حكمة وفلسفة .

(٢) الشرح مخطوط بدار الكتب رقم ٢٩ و ١٣٠ حكمة وفلسفة .

أفضل الدين الخونجي *

محمد بن ناماور ، ولد في جمادى الأولى سنة ٥٩٠ هـ بمدينة خونج – على ما يظهر – وهي مدينة من أعمال أذربيجان ، ودرس في بلاد العجم ، وطلب العلم مجدا ، وجعل همه متجها أكثر اتجاه الى دراسة الفلسفة ، ولا سيما المنطق . حتى قالوا : انه تفرد برياسة ذلك في زمانه ، وصار أوحد وقته فيه ، مع دراسته للعلوم الشرعية ، والطب . ودرس عليه ابن أبي أصيبعة بعض الكليات من كتاب قانون ابن سينا ، ورووا أنه كان يعرض له في بعض الأحيان ذهول ، لكثرة اشتغال ذهنه بالعلم ، وانصراف فكره اليه ، وولاه الصالح نجم الدين قضاء مصر سنة ٦٣٨ هـ ، بعد أن عزل عز الدين بن عبد السلام نفسه بوقت قصير ، كما أنه درس في المدرسة الصلاحية وغيرها ، وذلك يدل على ما أسلفنا من تغير نظرة الحكام الى الفلسفة ، بعد الاضطهاد الذي عانته ، الى أيام الكامل في مصر والأشرف في الشام . ومات أفضل الدين بالقاهرة ، يوم الأربعاء خامس شهر رمضان سنة ٦٤٦ هـ .

وكانت أكثر تآليف الخونجي في المنطق ، فله فيه : كشف الأسرار عن غوامض الأفكار . وكتاب الجمل ، الذي اختصره من كتاب أستاذه ابن مرزوق التلمساني ، المسمى : نهاية الأمل . وله كتاب الموجز (١) ،

* مراجعه :

١ – طبقات الشافعية جـ ٥ ص ٤٣ .
٢ – حسن المحاضرة جـ ١ ص ٢٥٩ .
٣ – عيون الأنباء جـ ٢ ص ١٢٠ .
٤ – النجوم الزاهرة جـ ٦ ص ٣٢٣ .
٥ – كشف الظنون جـ ٢ نهر ١٩٠١ و ٦٠٢ و ١٤٨٦ و ١٩٨٦ .
٦ – بغية الوعاة ص ٤٤ .
٧ – نكت الهميان ص ٢٥١ .
٨ – مفتاح السعادة ص ٧٢ ب .
٩ – العقد المذهب ص ١٧٧ ب .
١٠ – الدرر الكامنة جـ ٣ ص ٢٠٣ .
١١ – معجم البلدان جـ ٣ ص ٤٩٢ .
١٢ – رفع الاصر ص ٢٥٤ ب . ١٣ – البداية والنهاية جـ ١٣ ص ١٧٥ .

(١) بدار الكتب ضمن مجموعة مخطوطة رقم ١١٢ منطق وآداب بحث . وشرح الموجز مخطوط أيضا بدار الكتب رقم ٥٩ و ١١٢ منطق وآداب بحث .

وهو باق الى اليوم . ومقالته فى الحدود والرسوم . وقد ظفرت كتبه فى المنطق بعناية كثير من العلمـاء ، وشرحها بعضهم ، وعلق عليهـا آخرون .

وله فى الطب شرح ما قاله ابن سينا فى النبض ، وكتاب أدوار الحميـات .

عز الدين الاربلى *

حسين بن محمد بن أحمد ، ولد بنصيبين سنة ٥٨٦ هـ . ونشـأ بأربل ، ثم استوطن دمشق ، وكان ذكيا أجاد الأدب والعربية ، وأتقن علوم الفلسفة ، وتشبه بأبى العلاء ، فقد كان ضريرا مثله ، فانقطع فى منزله وأقبل عليه التلاميذ من جميع الملل والنحل ، يأخذون عنه ، فكان منهم المسلم ، والنصرانى ، واليهودى ، والسامرى ، والسنى ، والشيعى . كل يجد عنده بغيته ، وقد كان حسن المحاضرة ، فصيحا أديبا ، وربما كان حبه للفلسفة ودراستها ، ناشئا من اعتقاده مذهب الشيعة ، فانه كان يجاهر بتفضيل على على أبى بكر ، ومما يبرهن على ما ذكرناه من قبل ، من أن اضطهاد الفلسفة قد انتهى بعد موت الكامل ، والأشرف ، أن الملك الناصر صاحب دمشق ، كان يكرم عز الدين ، ولا يرد شـفاعته .

واننى أقف حذرا ازاء اتهامه بعدم الدين ، والزندقة ، وترك الصلاة ، والقذارة ، فتلك صفات اعتاد أن يصف بها المؤرخون هـذا

* مراجعه :

١ ـ فوات الوفيات جـ ١ ص ١٣٤ .
٢ ـ النجوم الزاهرة جـ ٧ ص ٢٠٧ .
٣ ـ نكت الهميان ص ١٤٢ .
٤ ـ بغية الوعاة ص ٢٢٦ .
٥ ـ ذيل الروضتين ص ٢١٦ .
٦ ـ خطط الشام جـ ٤ ص ٤٥ .
٧ ـ شذرات الذهب جـ ٥ ص ٣٠١ .
٨ ـ البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٣٥ .

الصنف من العلماء ، ولم يذكر المؤرخون كتبا له ألفها ، ولكنهم يوردون له نماذج من الشعر ، منها قوله :

توهم واشـينا بليـل مزاره
فهم ، ليسـعى بيننا بالتبـاعد

فعانقته حتى اتحـدنا تعـانقا
فلمـا أتانا مارأى غير واحـد

قال الشهاب محمود : لما أنشدت هذين البيتين بين يدى الملك الناصر صلاح الدين صاحب دمشق قال : لا تلمه ، فانه لزمه لزوم أعمى ، فلما بلغ العز قول الملك الناصر قال : والله ، هذا الكلام أحلى من شعرى . ومن شعره قوله :

وكاعب قـالت لأترابهـا :
ياقوم ، ما أعجب هـذا الضرير

هل تعشـق الأعين مالا تـرى
فقلت ، والـدمع بعينى غـزير :

ان كان طـرفى لا يرى شخصها
فانهـا قد صـورت فى الضمير

قالوا : والسر فى اهمال ابن خلكان له ، فلم يترجم له فى وفياته ، أن القاضى عندما ذهب الى دمشق ، مضى ليزور عز الدين ، فلم يحفل به العز ، فأهمله القاضى وتركه .

ومات عز الدين بدمشق ، فى ربيع الآخر سنة ٦٦٠ هـ .

علوم الرياضة والكيمياء

ونقصد بعلوم الرياضة : الحساب ، والجبر ، والهندسة ، وكانت من العلوم المعروفة فى ذلك العصر ، يدرسها بعض خواص المتعلمين يومئذ ، كما أن الفقهاء كانوا يدرسون الحساب ، والجبر ، لحاجتهم اليهما فى علم الفرائض . وهكذا رأينا هبة الله بن سيد الكل ، يؤلف كتابا فى الفرائض ، والجبر ، والمقابلة ، والحساب (١) . ولم أعثر على كتاب ألف فى ذلك العصر ، ولكن بقى لنا أسماء بعض هذه الكتب، ففى الحساب ألف على بن خليفة للملك الأمجد بهرام شاه بن فرخشاه صاحب بعلبك كتابا فى الحساب ، سماه : الموجز المفيد ، يحتوى على أربع مقالات ، وتم تأليفه فى شهر صفر سنة ٦٠٨ هـ (٢) . كما ألف كذلك كتابا فى المساحة . ووضع نجم الدين اللبودى المتوفى سنة ٦٢١ هـ ، كتابا فى الحساب ، سماه : كافية الحساب (٣) .

أما فى الجبر والمقابلة ، فقد ألف فيهما نجم الدين أيضا كتابا ، سماه : الرسالة الكاملة ، فى علم الجبر والمقابلة (٤) ، واختصر فى الهندسة كتاب اقليدس (٥) . وكان من العلماء بها شمس الدين (٦) الخويى المتوفى سنة ٦٩٣ هـ ، وأحمد بن على الأسوانى (٧) . وألف فيها أيضا أبو الصلت أمية بن عبد العزيز (٨) . ووجد فى هذا العصر مهندسون بارعون ، منهم ابراهيم بن غنائم المهندس المصرى ، بانى المدرسة الظاهرية بدمشق ، ولا يزال اسمه منقوشا على يسار الداخل اليها ، فى زاوية المدخل (٩) ، وهو بانى القصر الأبلق للظاهر بيبرس ،

---

(١) بغية الوعاة ص ٤٠٨ ، والطالع السعيد ص ٣٩٨ .
(٢) عيون الأنباء جـ ٢ ص ٢٤٨ و ٢٥٩ .
(٣) كشف الظنون جـ ٢ نهر ١٣٧٠ ، وعيون الأنباء جـ ٢ نهر ١٨٩ .
(٤) عيون الأنباء جـ ٢ ص ١٨٩ .
(٥) المرجع السابق .
(٦) بغية الوعاة ص ١٠ .
(٧) الطالع السعيد ص ٤٧ .
(٨) كشف الظنون جـ ٢ نهر ١٤٧٢ .
(٩) خطط الشام لكرد على جـ ٤ ص ٤٤ .

بدمشق سنة ٦٨٨ هـ ، زينت واجهته بأسود منحوتة ، وكان الأسد شعار بيبرس ، وقد بنى من أسفله الى أعلاه بالحجر الأسود والأصفر ، بتأليف غريب واحكام عجيب ، ولذلك سمى بالقصر الأبلق . وقد وصف بهاء الدين الموصلى القصر بعبارة بليغة منها : « يبهر الناظر حسن معناه ، ولا يقدر على وصف محاسنه من يراه (١) » .

أما الكيمياء فقد شـهد عصر الحـروب الصليبية رجالا كانوا يدرسونها ، ويقومون بتجاربها ، رجاء تحويل المعادن الخسيسة الى الذهب ، ولهذا رأينا بعض الكتب التى ترد على هؤلاء ، ومنهم من عنى بدراسة كتب الأولين فيها . وقد اهتدى بعض رجال هذا العصر الى اختراعات قوية فى المواد الحربية ، كهذا الشاب الذى أحرق أبراج الفرنج على أبواب عكا (٢) ، كما عرفوا سر النار الاغريقية التى لاقى منها الفرنج شدة وعنتا فى معركة المنصورة (٣) .

وأشـهر عالمين فى الرياضة والكيمياء كانا من طبقة الأطباء ، أما الأول فهـو :

نجم الدين بن اللبودى *

يحيى بن محمد ، ولد بحلب سنة ٦٠٧ هـ ، واشتغل فى دمشق بصناعة الطب ، ودراسة علوم الحكمة : من منطق ، وفلسفة ، وعـلوم رياضية ، كما درس علوم الأدب ، والفلك ، وله فى جميع ذلك مؤلفات ، أوردها ابن أبى أصيبعة ، بعيون الأنباء ، واتصـل نجم الدين بالملك المنصور ابراهيم بن أسد الدين شيركوه صاحب حمص ، وكان الملك

---

(١) المرجع السابق ص ١٢٢ ، و جـ ٥ ص ٢٨٥ ، ٢٨٦ .

(٢) راجع النوادر السلطانية ص ١٠٣ .

(٣) معارك حاسمة لعنان ص ١٠٤ .

* مراجعه :

١ — عيون الأنباء جـ ٢ ص ١٨٥ .

٢ — خطط الشام لكرد على جـ ٤ ص ٤٦ وجـ ٦ ص ١٠٣ .

يعتمد عليه في صناعة الطب ، ولم تزل الثقة به تقوى ، حتى استوزره، واعتمد عليه في تصريف أمور الدولة ، وكان يلازمه في السفر والحضر فلما مات المنصور توجه نجم الدين الى مصر ، واتصل بالملك الصالح نجم الدين أيوب ، فأكرمه ، ووصله بجزيل الانعام ، وجعله ناظرا على ديوان الاسكندرية ، وقرر له في كل شهر ثلاثة آلاف درهم ، وظل على ذلك مدة ، ثم توجه الى الشام ، ناظرا على ديوانها ، وهناك أنشأ مدرسة طبية ، ودارا للهندسة أيضا . وقد تحدثنا عن مؤلفاته في العلوم الرياضية وأورد له عيون الأنباء نماذج من النثر والشعر .

وأما العالم الثاني فهو :

بلمظفر نصر بن محمود *

ذكي ، مجتهد ، له نظر في صناعة الطب ، والأدب ، والشعر ، قرأ كثيرا من العلوم الحكمية وغيرها ، وكان مغـرما بقراءة الكتب . قال ابن أبي أصيبعة : « ومن أعجب شيء أنه قد كان ملك ألوفا كثيرة من الكتب ، في كل فن ، وأن جميع كتبه لا يوجد شيء منها ، الا وقد كتب على ظهره ملحا ونوادر ، مما يتعلق بالعلم الذي قد صنف ذلك الكتاب فيه ، وقد رأيت كتبا كثيرة من كتب الطب وغيرها من الكتب الحكمية ، كانت لأبي المظفر وعليها اسمه ، وما منها شيء الا وعليه تعاليق مستحسنة ، وفوائد متفرقة ، مما يجانس ذلك الكتاب » . وقال أيضا : « وكان مغرى بصناعة الكيمياء ، والنظر فيها ، والاجتماع بأهلها، وكتب بخطه من الكتب التي صنفت فيها شيئا كثيرا جدا » .

وله من الكتب : تعاليق في الكيمياء ، وكتاب في علم النجوم ، ومختارات في الطب . ولا أدري تاريخ ولادته ووفاته ، ولكنه كان موجودا سنة ٥٣٤ هـ .

* هذه الترجمة مقتبسة من كتاب عيون الأنباء .

الفلك

من العلوم التى عنى بها فى العصر الفاطمى ، أقام الحاكم مرصدا نه على جبل المقطم . وكان من المغرمين به من الخلفاء فى عصر الحروب الصليبية الحافظ (١) لدين الله ، كما عنى به المأمون البطائحى وزير الآمر ، ونقل المرصد من جبل المقطم الى سطح باب النصر ، وأمر بما تدعو الحاجة اليه من النحاس ، والذهب ، والفضة (٢) . ولازم العمل فى هذا المرصد ، طائفة من المهندسين ، والحساب ، والمنجمين (٣) . وكانت تقاويم الفلكيين تصدر فى بداية كل عام ، تتنبأ بما قد يكون فى العام القادم من ظواهر طبيعية . قال المقريزى (٤) : وحمل الى الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر ، من الشام تقاويم لما يستأنف من السنين ، لاستقبال سنة خمسمائة من سنى الهجرة ، قيل : مائة تقـويم أو نحوها . وكان منجمو الحضرة يومئذ ، يطلق لهم الجارى فى كل شهر ، والرسوم ، والكسوة ، على عمل التقويم فى كل سنة ، وكان كل منهم يجتهد فى حسـابه وما تصل قدرته اليه ، فاذا كان فى غرة السنة حمل كل منهم تقويمه ، فيقابل بينها وبين التقويمـات المحضرة من الشـام .

ويظهر أن العناية بالمراصد قد ضعفت بعد عصر الدولة الفاطمية .

وقد كان الفلك علما يدرس ، وكان ممن درسه فى مصر (٥) سلامة ابن رحمون الطبيب اليهودى . ومن أسـاتذته فى الشام علم الدين قيصر (٦) ، وكان مهندسا فاضلا فى العلوم الرياضية ، وقد اتصـل بالملك المظفر صاحب حماة ، فعمل له كرة من الخشب مدهونة ، رسم فيها جميع الكواكب المرصودة ، وكان الملك يحضر رسمها ، ويسـأل

---

(١) خطط المقريزى جـ ٢ ص ١٨٣ .
(٢) الانتصار جـ ٤ ص ٥٨ .
(٣) خطط المقريزى جـ ١ ص ٢٠٦ .
(٤) المرجع السابق ص ٢٠٢ .
(٥) عيون الأنباء جـ ٢ ص ١٠٦ .
(٦) المرجع السابق ص ١٨٩ .

عن مواضع دقيقة منها (١) ، كما كان نصير الدين الطوسى العالم الفلكى المشهور وصاحب التآليف الباقية الى اليوم فى علم الفلك ، قد أقام مرصدا فلكيا فى دمشـــق (٢) ، ويظهر أن ذلك كان قبل أن يتصـــل بهولاكو . ومن أهم ما سجله التاريخ من أخطائهم فى ذلك العصر ، أنهم حكموا بخراب العالم فى جمادى الآخرة سنة ٥٨٢ هـ . وقالوا (٣) : تقترن الكواكب السيارة : الشـــمس ، والقمر ، وزحل ، والمريخ ، والزهرة ، وعطارد ، والمشترى ، فى برج الميزان ، أو السرطان ، فتؤثر تأثيرا يضمحل به العالم ، وتهب سموم محرقة ، تحمل رملا أحمر ، فاستعد الناس ، وحفروا السراديب ، وجمعوا فيها الزاد ، وانقضت المدة المعينة ، وظهر كذب المنجمين ، فقال أبو الغنائم محمد بن المعلم ، فى أبى الفضل المنجم ، قصيدة طنانة ، أولها :

قل لأبى الفضل قول معترف :
مضى جمادى ، وجاءنا رجب
وما جرت زعزع ، كما حكموا
ولا بدا كوكـب له ذنب

ومنهـــا :

مدبر الأمر واحد ، ليس للســـبعة فى كل حادث ســـبب
لا المشترى سالم ، ولا زحل باق ، ولا زهرة ، ولا قطب

وأبو الفضل منجم ببغداد ، ومما يذكر أن شرف الدولة العسقلانى ، وهو فلكى ، شامى ، هو الذى حكم فى هــذه الظاهرة بأن اقتران الكواكب يدفع ضرر بعضها ببعض (٤) .

ومن فروع علم الفلك الأزياج ، وهى صناعة حسابية فيما يخص كل كوكب من طريق حركته ، من سرعة ، وبطء ، واستقامة ، ورجوع ،

---

(١) خطط الشام جـ ٤ ص ١٢٣ .
(٢) المرجع السابق ص ٤٦ .
(٣) النجوم الزاهرة جـ ٦ ص ١٠١ .
(٤) تاريخ الحكماء ص ٤٢٩ .

وغير ذلك ، يعرف به مواضع الكواكب فى أفلاكها لأى وقت فرض من قبل حسبان حركاتها ، على تلك القوانين المستخرجة من كتب الهيئة ، وقد ألف فى هذا الفرع من علم الفلك كتب بقى لنا أسماؤها ، فمن ذلك ما وضعه فخر الدين بن الدهان المنجم (١) ، ونجم الدين بن اللبودى ، الذى سمى كتابه : الزيج المقرب ، المبنى على الرصد المجرب (٢) .

ومن أشهر رجال الفلك والنجوم فى ذلك العصر غير من ذكرنا :

أبو الفضل الحارثى الدمشقى ، وهو مهندس ، رياضى ، عالم بالحساب ، والهيئة ، والطب ، وله عدة تآليف ، ومات سنة ٥٠٠ هـ (٣) .

وعلى بن النضر ، الذى شهد له ابن أبى الصلت بالبراعة ، والعلم الواسع ، حتى انه لم يرقه سواه فى مصر عندما زارها (٤) .

وأبو محمد بن الجعدى . الذى اتصل بخلفاء الفاطميين ، وأصبح من الخواص عندهم (٥) .

وعلى بن عبد الباقى بن أبى جرادة الحلبى ، أحد علماء الأدب ، واللغة ، والحساب ، والهيئة ، والفلسفة ، ومات سنة نيف وأربعين وخمسمائة (٦) .

وعدنان بن نصر بن منصور ، وقد أقام ببغداد مدة ، واشتغل بصناعة الطب ، وبالعلوم الحكمية ، ومهر فيها ، وخصوصا فى علم النجوم ، ثم انتقل من بغداد الى الديار المصرية ، وخدم الخلفاء الفاطميين ، وحظى فى أيامهم ، وتميز فى دولتهم ، وصار عيشه رغدا فى ظلهم ، وتوفى سنة ٥٤٨ هـ (٧) .

ومحمد بن عبيد الله بن المظفر الباهلى ، وكان من علماء الهندسة ، والفلك ، والطب ، فى عهد نور الدين (٨) .

(١) عيون الانباء جـ ٢ ص ١٨٢ .
(٢) المرجع السابق ص ١٨٩ .
(٣) خطط الشام لكرد على جـ ٤ ص ٣٦ .
(٤) تاريخ الحكماء ص ٢٣٧ .
(٥) عيون الأنباء جـ ٢ ص ٢٤٧ .
(٦) خطط الشام جـ ٤ ص ٤٠ .
(٧) عيون الأنباء جـ ٢ ص ١٠٧ .
(٨) عيون الأنباء جـ ٢ ص ١٥٥ .

ومحمد بن المجلى الصائغ ، وكان نحويا ، لغويا ، طبيبا ، شاعرا، منجما ، مات سنة ٥٧٠ هـ (١) .

وعلوى الديرى ، وهو من أهل قرية بصعيد مصر ، تعرف بدير البلاص ، شمالى قوص ، وكان يعمل التقاويم ، ويسيرها الى أجلاء أهل البلد (٢) .

والحسن بن الخطير ، العالم الواسع الثقافة ، وقد تحدثنا عنه فيما سبق (٣) .

وعلى بن خليفة بن يونس ، وهو عم ابن أبى أصـيبعة ، درس العربية ، والحكمة ، والمنطق ، والحساب ، والطب ، والهيئة ، التى درسـها على عـلم الدين قيصر بن أبى القاسم أسـتاذ عصره فى الرياضيات (٤) .

وعبد الله الجماعيلى ، العالم بالحسـاب ، والهيئة ، والفقه ، والأصول ، والفرائض ، والنحو ، والمتوفى سنة ٦٢٠ هـ (٥) .

ومحمد بن القيسرانى ، الدمشقى العالم بالأدب ، والهيئة والمتوفى سنة ٦٣٠ هـ (٦) .

وعلى بن يوسف القفطى الذى ترجمنا له بين رجال التاريخ (٧) .

وأحمد بن على الرشيد الأسوانى ، وقد ألف فى الفلك رسالة (٨) .

وأبو الحجاج يوسف الاسرائيلى ، وهو مغربى الأصل ، جاء الى الديار المصرية ، وكان عالمـا بصناعة الطب ، والهندسة ، والنجوم ، واشتغل فى مصر بالطب ، ثم سافر الى حلب حيث اتصل بالظاهر غازى، وتوفى بحلب . وله مؤلفات (٩) .

وممن كان له يد طولى فى الفلك ، على بن محمود البشكرى المتوفى بدمشق سنة ٦٨٠ هـ . وله شعر ترى فى بعضه تأثره بمعارفه فى علم الفلك (١٠) .

(١) بغية الوعاة ص ٩٣ .
(٢) تاريخ الحكماء ص ٢٥١ .
(٣) راجع ص ١٢ .
(٤) عيون الأنباء جـ ٢ ص ٢٥٠ .
(٥) خطط الشام جـ ٤ ص ٤٧ .
(٦) المرجع السابق .
(٧) راجع ص ٢٧٣ .
(٨) الطالع السعيد ص ٤٧ .
(٩) عيون الأنباء جـ ٢ ص ٣١٣ .
(١٠) فوات الوفيات جـ ٢ ص ٨٥ .

الموسيقى

كانت علما يدرس فى ذلك العصر ، وكان فيها كثير من تصانيف العرب والعجم (١) .

قرأ قيصر بن أبى القاسم الأصفونى ، على كمال الدين بن يونس فى هذه المادة أربعين كتابا ، درسها فى مقدار عام (٢) ، وكان قيصر* هذا أحد الأئمة فى العلوم الرياضية ، ولد بأصفون من صعيد مصر سنة ٥٧٤ هـ ، ودرس فقه أبى حنيفة والقراءات وذهب الى الموصل مدينة ابن يونس ، فقرأ عليه الموسيقى ، ثم أقام بحماة ، حيث درس بالنورية ، وعمل لصاحبها كرة من الخشب ، صور فيها الكواكب المرصودة . وقد تحدثنا عن ذلك فى فصل الفلك ، وكان مهندسا قديرا ، قالوا : انه أقام طاحونا على العاصى ، وبنى له أبراجا تحيل فيها بحيل هندسية ، وهو الذى أجاب على أسئلة الامبراطور التى وردت على الكامل ، وتوفى بدمشق سنة ٦٤٩ هـ .

وهو أستاذ على ** بن خليفة بن يونس، عم ابن أبى أصيبعة . ونبغ التلميذ فى الموسيقى نبوغا ممتازا ، حتى قيل : انه لم يكن فى زمانه من يعرف الموسيقى واللعب بالعود مثله ، ولا كان أطيب صوتا منه ، وقد أعجب به المعظم وأخواه ، وكان مثقفا ثقافة ممتازة ، ودرس الحساب ، والطب ، والعربية ، وكتب أرسطو ، والمنطق ، وعلم الهيئة ، وكان أديبا ، ينظم الشعر بالعربية والفارسية ، كما كان يتكلم التركية ، وله مقالة فى نسبة النبض ، وموازنته الى الحركات الموسيقارية ، كما أن له كتبا كثيرة فى الطب ، والحساب والهندسة .

---

(١) عيون الأنباء جـ ٢ ص ٢٤٧ .   (٢) الطالع السعيد ص ٢٥٩ .

* مراجعه :

١ ـ حسن المحاضرة جـ ١ ص ٢٦٠ .
٢ ـ السلوك للمقريزى جـ ١ ص ٣٨٢ .
٣ ـ المختصر جـ ٣ ص ١٨٦ .
٤ ـ خطط الشام جـ ٤ ص ٤٤ و ١٢٣ .
٥ ـ الطالع السعيد ص ٢٥٩ .   ٦ ـ عيون الأنباء جـ ٢ ص ٢٥٠ .

** مراجعه :

١ ـ له ترجمة مطولة بعيون الأنباء جـ ٢ ص ٢٤٦ .
٢ ـ خطط الشام جـ ٤ ص ٤٦ .

الطب

ارتفع شأن الطب فى ذلك العصر ، وتقدمت وسائل دراسته ، وذخرت المكتبة العربية يومئذ ، بما ألفه فيه كثير من الأطباء ، ولاعجب اذا نال الطب هذا التقدير ، فقد كان مهنة مربحة ، تدر على صاحبها الثروة ، وتكسبه محبة الناس واحترامهم ، وحسبك أن تعلم أن القاضى مهذب الدين عبد الرحيم بن على ، داوى الملك العادل من مرض ألم له ، فكان مبلغ ما ناله منه نحو اثنى عشر ألف دينار ذهبا ، غير الخلع، والهدايا الأخرى (١) ، وأن أسعد بن الياس ، كان يركب فى مماليكه كأنه وزير (٢) ، وأن ابراهيم بن أبى الوحش ترك ثروة تبلغ ثلاثمائة ألف دينار (٣) . وكان الخلفاء والسلاطين يغدقون الأموال على أطبائهم الخصوصيين ، فضلا عما يفرضونه لهم من المرتبات فى كل شهر ، كما أن بعض الأطباء وصل الى مرتبة الوزارة ، مثل مهذب الدين يوسف ابن أبى سعيد ، الطبيب ببعلبك الذى استوزره بهرام شاه (٤) ، فكان دارس الطب يرى ما ينتظره من مجد مادى وأدبى ، فيبذل فى اتقانه جهده ، قال ابن أبى أصيبعة عن جده ، عندما أراد تعليم ولديه : « وقصد الى تعليمهما صناعة الطب لمعرفته بشرفها ، وكثرة احتياج الناس اليها ، وأن صاحبها الملتزم لما يجب من حقوقها ، يكون مبجلا حظيا فى الدنيا ، وله الدرجة العلياء فى الآخرة » .

وكثر عدد الأطباء يومئذ ، وقد عرفت من أسماء من بقى اسمه ، زهاء مائة وخمسين طبيبا ، وتنوعوا متخصصين بين طبيب باطنى ، وخاص بأمراض العين، وكان يسمى كحالا ، وجراح ، ومختص فى علاج العظم، وكان يسمى كما يسمى اليوم مجبرا، وفصادا (٧) . وكان الطبيب من

(١) عيون الأنباء جـ ٢ ص ٢٤٢ .
(٢) معجم الأطباء ص ١٣٥ .
(٣) الدرر الكامنة جـ ١ ص ٧٥ .
(٤) عيون الأنباء جـ ٢ ص ٢٣٤ .
(٥) المرجع السابق ص ٢٤٦ .
(٦) المرجع السابق ص ٢٤٧ .
(٧) خطط الشام جـ ٥ ص ١٣٨ .

هؤلاء يحمد اذا استطاع أن يبرىء بالأدوية ما يشفيه غيره بالحديد والقطع (١) .

ولأهمية مهنة الطب فى المجتمع ، كان من واجب الدولة مراقبتها ، فلا تسمح لمن لا يليق لها أن ينهض بها ، ولذا كان من أعمال المحتسب، وهو المشرف على الشئون الاجتماعية فى المدينة ، أن يراقب الأطباء « وأن يأخذ عليهم عهد بقراط (٢) ، الذى أخذه على سائر الأطباء ، ويحلفهم ألا يعطوا أحدا دواء مضرا ، ولا يركبوا له سما ، ولا يضعوا التمائم عند أحد من العامة ، ولا يذكروا للنساء الدواء الذى يسقط الأجنة ، ولا للرجال الدواء الذى يقطع النسل ، وليغضوا أبصارهم عن المحارم ، عند دخولهم على المرضى ، ولا يفشوا الأسرار ، ولا يهتكوا الأستار » .

كما ينبغى أن يكون عند الطبيب جميع آلات الطب ، وقد أوردها صاحب كتاب نهاية الرتبة (٣) . وفيه (٤) ، يذكر أن المحتسب له « أن يمتحن الأطباء بما ذكره حنين (٥) ، بن اسحق ، فى كتابه المعروف : محنة الطبيب ، وأما الكحالون فيمتحنهم المحتسب بكتاب حنين بن اسحق أعنى عشر المقالات فى العين ، فمن وجده قيما عارفا بتشريح عدد طبقات العين السبع ، وعدد رطوباتها الثلاث ، وعدد أمراضها الثلاثة ، وما يتفرع عن ذلك من الأمراض ، وكان خبيرا بتركيب الأكحال ، وأمزجة العقاقير أذن له المحتسب بالتصدى لمداواة أعين الناس .

---

(١) عيون الأنباء جـ ٢ ص ٢٤٩ .

(٢) طبيب يونانى قديم يطلق عليه أبو الطب . وقد ولد حوالى سنة ٤٦٠ ق.م . وتعلم صناعة الطب من أبيه وجده ، ومارسها فى أثينا ، وغيرها من بلاد اليونان ، وعلم الطب ولديه ، وتلميذا له ، وبعض الغرباء ، ووضع لهم عهدا ووصية ، عن الشروط التى يجب أن تتوفر فيمن يتعلم صناعة الطب .

(٣) ص ٩٨ ، ٩٩ .   (٤) ص ٩٩ ومايليها .

(٥) ولد سنة ١٩٤ هـ بالحيرة ، ودرس الطب بمدرسة جنديسابور ، ثم مضى الى البصرة ، فبغداد . حيث دخل فى خدمة الخليفة المأمون ، وعين رئيسا لبيت الحكمة . ومنذ ذلك الحين عكف على الترجمة من اليونانية والسريانية الى العربية ، وظل حنين فى خدمة العباسيين حتى مات سنة ٢٦٤ هـ . وله عدة كتب منها هذان المذكوران هنا .

ولا ينبغي أن يفرط الكحال في شيء من آلات صناعته ، (وهنا يذكر بعض هـذه الآلات) ، وأما كحالو الطرقات فلا يوثق بأكثرهم … فلا ينبغي لأحد أن يركن اليهم في معالجة عينيه ؛ فانهم كثيرا ما يغشون أدويتهم . وأما المجبرون فلا يحل لأحد أن يتصدى للجبر الا بعد أن يحكم معرفة المقالة السادسة من كناش بولص (١) ، في الجبر ، وأن يعلم عدد عظام الآدمي ، وهو مائتا عظم وثمانية وأربعون عظما ، وصورة كل عظم منها ، وشكله ، وقدره ، حتى اذا انكسر منها شيء ، أو انخلع، رده الى موضعه ، على هيئته التي كان عليها ، فيمتحنهم المحتسب بجميع ذلك ، وأما الجرائحيون فيجب عليهم معرفة كتاب جاليوس (٢) ، في الجراحات والمراهم ، وأيضا كتاب الزهراوي في الجراح ، وأن يعرفوا التشريح ، وأعضاء الانسان ، وما فيه من العضل ، والعروق ، والشرايين والأعصاب ، ليتجنب الجراح ذلك في وقت فتح المواد وقطع البواسير .

والظاهر أن الغش الذي كان يحدث من بعض محترفي تلك المهنة ، من الكحالين وغيرهم ، دعا الى أن يجعل للأطباء رئيس ، يعين بمرسوم ملكي ، وكان ذلك على ما يظهر منذ عهد العادل (٣) ، وما كان يستطيع أحد أن يطب الا اذا ظفر بشهادة من هذا الرئيس ، الذي كان لا يمنح هذه الشهادة الا لمن يؤمن بجدارته واستحقاقه .

وكان الطب يومئذ يدرس في مصادر يونانية وعربية ، أما المصادر اليونانية فكتب بقراط ، وكان منها : كتاب الأجنة ، وهو ثلاث مقالات : الأولى في تكون المني ، والثانية في تكون الجنين ، والثالثة في تكون الأعضاء (٤) ، وكتاب الأخلاط (٥) ، وكتاب الأمراض الحادة ، وهـو

---

(١) طبيب عاش بالاسكندرية ومات حوالى سنة ٦٨٠ م. وله كتاب الكناش في الطب ، ومنه نقل حنين بن اسحق (القفطي : تاريخ الحكماء ص ٢٦١ ، والفهرست ص ٢٩٣) .

(٢) طبيب يوناني ولد سنة ٥٩ م ، وكان امام أطباء عصره . (عيون الأنباء جـ ١ ص ٧١ ، وتاريخ الحكماء ص ٣١٩) .

(٣) عيون الأنباء جـ ٢ ص ٢٤٢ .

(٤) كشف الظنون جـ ٢ نهر ١٣٨٥ .

(٥) المرجع السابق نهر ١٣٨٧ .

فى ثلاث مقالات أيضا : الأولى فى تدبير الغذاء ، والثانية فى المداواة بالتكميد والفصد والمسهل ، والثالثة فى التدبير بالخمر ، وماء العسل والاستحمام (١) . وكتاب الأمراض الوافدة وتدبيرها (٢) ، وكتاب الأهوية والمياه والبلدان ، وهو فى ثلاث مقالات كذلك : الأولى فى تعرف أمزجة البلدان ، وما يتولد من الأمراض البلدية ، والثانية فى تعرف أمزجة المياه ، وفصول السنة ، وما يتولد منها من الأمراض ، والثالثة فى كيفية الحذر مما يولد الأمراض البلدية (٣) ، وكتاب البثور وفيه خمس وعشرون قضية (٤) ، وكتاب البول (٥) ، وكتاب الفصول ، الذى ظفر بعدة شروح فى عصرنا هذا : شرحه أبو الفرج بن يعقوب الشامى (٦) ، وأبو الحجاج يوسف الاسرائيلى (٧) ، وعمر بن على ابن البدوخ الدمشقى (٨) ، وصدقة السامرى ولم يتمه (٩) ، وهذب رضى الدين الرحبى شرح ابن الطبيب لكتاب الفصول ، وسار على نهج هذه الفصول (١٠) موسى بن ميمون ، فألف فصول موسى ، نقل فيها عن الرازى وابن سينا ، وابن وافد ، وابن زهر ، وتبحث فى البواسير والربو وغيرهما ، وشرح موسى أيضا فصول بقراط (١١) ، ولبقراط أيضا كتاب سيلان الدم (١٢) ، وكتاب الكسر والجبر ، وهو ثلاث مقالات يتضمن كل ما يحتاج اليه الطبيب من هذا الفن (١٣) ، وكتاب اللحوم (١٤) وكتاب تقدمة المعرفة ، الذى شرحه عمر بن على بن البدوخ الدمشقى (١٥) .

---

(١) المرجع السابق نهر ١٣٩٨ .
(٢) المرجع السابق نفسه .
(٣) المرجع السابق نهر ١٤٩٠ .
(٤) المرجع السابق نهر ١٤٠١ .
(٥) المرجع السابق نهر ١٤٠٢ .
(٦) عيون الأنباء ج ٢ ص ٢٧٣ .
(٧) المرجع السابق ص ٢١٣ .
(٨) نكت الهميان ص ٢٢٠ .
(٩) عيون الأنباء ج ٢ ص ٢٣٣ .
(١٠) المرجع السابق ص ١٩٥ .
(١١) طبيب يونانى .
(١٢) كشف الظنون ج ٢ نهر ١٤٢٩ .
(١٣) المرجع السابق نهر ١٤٥٢ .
(١٤) المرجع السابق نهر ١٤٥٤ .
(١٥) نكت الهميان ص ٢٢٠ .

وكان لجالينوس ستة عشر (١) كتابا ، تدرس فى ذلك العصر ، منها كتاب العلل والاعراض ، الذى علق عليه السديد بن أبى البيان (٢)، وشرح بعضه المظفر بن على القرشى ، المتوفى بدمشق سنة ٦١٢ هـ (٣)، ومنها كتاب منافع الأعضاء (٤) ، وكتاب الصناعة الصغيرة ، الذى شرحه عدنان بن نصر (٥) ، وكتاب النبض (٦) ، وكتاب فى التأنى لشفاء الأمراض (٧) ، وكتاب المزاج (٨) .

وقد اختصر الستة عشر كتابا موسى بن ميمون (٩) . وكان لديسقوريدس كتاب يدعى الأدوية ، شرحه ابن البيطار (١٠) .

أما الكتب العربية التى كانت تدرس فى الطب يومئذ ، فكتاب المسائل لحنين بن اسحق . وقد اختصره حينا ، وشرحه حينا ، وعلق عليه حينا آخر ، كثير من أطباء ذلك العصر . ومن أهم ما عنى به يومئذ كتاب القانون لابن سينا المتوفى سنة ٤٢٨ هـ ، وقد نال هذا الكتاب من العناية يومئذ ما لم ينله كتاب سواه ، فاختصر ، وشرح ، ووضعت عليه الحواشى الكثيرة والتعاليق العدة .

كذلك حظى كتاب الحاوى للرازى المتوفى سنة ٣٢١ هـ — بكثير من العناية : فاختصر حينا ، وعلق عليه حينا آخر .

وكان الراغب فى دراسة الطب ، يحفظ أولا بعض كتبه : مثل مسائل حنين ، والفصول لبقراط ، وتقدمة المعرفة له ، ويعرف معناها ، ويدرس شروحها (١١) ، ثم يقرأ كتب العلاج : كبعض كتب الرازى . وبالغ شمس الدين الكلى محمد بن ابراهيم ، فحفظ الكتاب الأول من

(١) عيون الأنباء جـ ٢ ص ١٩١ .
(٢) المرجع السابق ص ١١٩ .
(٣) المرجع السابق ص ٢٠١ .
(٤) المرجع السابق ص ٢٦٦ .
(٥) المرجع السابق ص ١٠٨ .
(٦) عيون الأنباء جـ ٢ ص ١٠٣ .
(٧) المرجع السابق .
(٨) المرجع السابق .
(٩) تاريخ الحكماء ص ٣١٩ .
(١٠) عيون الأنباء جـ ٢ ص ١٩١ .
(١١) المرجع السابق ص ٢٧٣ .

القانون (١) ، ولعل هذه الصلة التى تربط الطب بكتب اليونان ، وكان الطب معدودا من علوم الحكمة ، ودرس كثير من الأطباء علوم الحكمة على اختلاف ألوانها — هى التى جعلت هذه الطائفة تسمى بالحكماء . ولا تزال هذه التسمية باقية الى اليوم . على أن كثيرا جدا من الأطباء لم يقف عند حد هذه الثقافة الطبية ، بل درس غيرها من الثقافات فرأينا من بين الأطباء الفقيه ، والأديب ، والنحوى ، والشاعر ، والمتكلم ، والأصولى، والمحدث، والمؤرخ، واللغوى، والعالم بالخلاف، والفلكى، والمفسر ، والمقرىء ، والمتكلم ، والمهندس ، والرياضى . ويطول بى الحديث اذا أنا ضربت أمثلة لذلك ، وربما كان فيمن سنترجم لهم نماذج لبعض هذه الألوان .

كان طالب الطب يدرس مادته نظريا وعمليا ، يدرس الكتب على أساتذته ، ويلازم مشاهدة المرضى فى البيمارستان ، ويعرف أمراضهم ، وما يصف الأطباء لهم ، وما يكتبونه للمرضى فى تذكرتهم ، التى كانت تسمى يومئذ: دستورا، وكان بعض الأطباء يلقى درسه بالبيمارستان(٢)، وقد ظفرت مصر فى ذلك العصر بعالم ممتاز فى الطب زارها ، وألقى دروسه فى أزهرها ، وله كتب كثيرة جدا فى الطب ، اذا أردتها فارجع اليها فى كتاب عيون الأنباء (٣) وهو عبد اللطيف البغدادى ، كما زار مصر سنة ٥١٠ هـ فى أوائل عصر الحروب الصليبية ، طبيب آخر هو أمية بن عبد العزيز بن أبى الصلت ، الذى تنقص أطباء مصر ، ولكنا نشك فى صحة كلامه ، لأنه كان موتورا من مصر ، فقد حبسه الأفضل ابن بدر الجمالى ، وان كنا لا نشك فى أن كثيرا من الأطباء كان يعتمد يومئذ على التنجيم .

---

(١) ترجمته فى كتاب عيون الأنباء جـ ٢ ص ٢٦٣ .

(٢) راجع بغية الوعاة ص ٩٧ .

(٣) جـ ٢ ص ٢٠٢ .

وجمع بعض الأطباء بين الطب والصيدلة ، كأبى الحكم المغربى ، نزيل دمشق الذى فتح دكان عطار يطب فيه (١) ، وكعمر بن على بن البدوخ . فقد كان خبيرا بمعرفة الأدوية المفردة والمركبة ، وله حسن نظر فى الاطلاع على الأمراض ومداواتها ، وأقام بدمشق سنين كثيرة ، وكان له دكان عطر باللبادين ، يجلس فيه ، ويعالج من يأتى أو يستوصف منه ، وكان يهيىء عنده أدوية كثيرة مركبة يصنعها ، من سائر المعاجين ، والأقراص ، والسفوفات ، وغير ذلك يبيع منها ، وينتفع الناس بها ، وكان معتنيا بالكتب الطبية والنظر فيها ، وتحقيق ما ذكره المتقدمون من صفة الأمراض ومداواتها (٢) .

ومما أحب أن أشير اليه أن هذا العصر قد شهد نوعا من الطب النفسى الذى يبنى على ادخال السرور على النفس ، فقد رأينا بدر الدين المظفر بن عبد الرحمن المتوفى بعد سنة ٦٤٠ هـ (٣) . يؤلف كتابا سماه مفرح النفس ، ذكر فيه الأدوية القلبية على اختلافها وتنوعها ، وجعله (٤) حاويا لأكثر المفرحات للنفس ، وجعل لكل حاسة بابا ، وذكر فيه ما يجعل لها من الأمور الموجبة للفرح والسرور ، قال عنه ابن أبى أصيبعة (٥) : هو مفيد جدا فى فنه ، وأرسل الى مؤلفه رسالة يثنى فيها على مجهوده .

أما الطب البيطرى ، أعنى به هنا مداواة الخيل ، فيبدو أنه مما عنى به يومئذ ، لأن الخيل فى ذلك العصر كانت موضع الاهتمام ، وان كنت لم أعثر على كتاب ألف فى ذلك العصر ، يعالج تلك المـادة ، ولكن كتاب ابن المنذر صاحب خيل الناصر بن قلاوون ، والمتوفى سنة ٧٤١هـ ، الذى سماه : كاشف الويل ، فى معرفة أمراض الخيل ــ من المرجح أن يكون مسبوقا بكتب فى هذه المـادة ، ألفت فى عصرنا هذا .

وقد ساهم علماء مصر والشام فى تأليف الكتب الطبية ، ولا يزال

---

(١) تاريخ الحكماء ص ٤٠٥ .

(٢) عيون الأنباء جـ ٢ ص ١٥٥ .

(٣) كشف الظنون جـ ٢ نهر ١٧٧٢ .

(٤) المرجع السابق . وعبارته توهم أن اثنين كتبا كتابين بهذا الاسم .

(٥) عيون الأنباء جـ ٢ ص ٢٦٠ .

بعضها باقيا الى اليوم ، وتحفظ كتب التـاريخ اسم زهاء مائة منها ؛ كتب بعضها فى الأمراض بعامة . ككتاب أبى الوحش فى الأمراض ، وأسـبابها ، وعلاماتها (١) ، وكتـاب أحمـد بن أسعد فى العـلل ، والأمراض (٢) . وعالج بعضها الآخر ناحية خاصة : ككتـاب أدوار الحميات ، للخونجى (٣) ، ومقالة المظفر بن على ، فى الاسـتسقاء ، وتعاليقه فى البول (٤) ، ومقالة ابن الطبيب فى الاستفراغ (٥) ، وكتاب الجنين (٦) ، للدخوار ، والرسالة الفاضلية ، فى علاج السموم ، لموسى ابن ميمون (٧) ، ومقالته فى البواسير (٨) ، وفى الربو (٩) ، ورسـالة ابن اللبودى ، فى وجع المفاصل (١٠) ، ومقالة فى الحدبة ، لهبة الله بن رزين (١١) ، ومقالته فى علاج القولنج (١٢) ، ومقالة فى الحصى وعلاجه لابن العين زربى (١٣) ، ومقـالة على بن خليفة ، فى نسـبة النبض وموازنته بالحركات الموسـيقارية (١٤) . وعالج بعض الكتب أمراض العين : ككتـاب أبى حليقه الذى ألفه للملك الصـالح نجم الدين أيوب (١٥) ، وكتاب ابن النفيس (١٦) ، فى الكحل أيضا . وكتب بعضها فى الجراحة : ككتاب عمدة الجراحين (١٧) ، لأبى الفرج بن يعقـوب المسيحى الكركى ، وهو علم وعمل ، يتضمن عشرين مقالة ، ويذكر فيه

(١) عيون الأنباء جـ ٢ ص ١٣٠ .
(٢) كشف الظنون جـ ٢ نهر ١٤٤٠ .
(٣) عيون الأنباء جـ ٢ ص ٢٧٤ .
(٤) المرجع السابق ص ٢٠١ .
(٥) فوات الوفيات جـ ١ ص ٢٧١ .
(٦) كشف الظنون جـ ٢ نهر ١٤١٠ .
(٧) معجم المطبوعات لسركيس جـ ١ نهر ٣٣٠ .
(٨) عيون الأنباء جـ ٢ ص ١١٧ .
(٩) معجم المطبوعات جـ ١ نهر ٣٣٠ .
(١٠) عيون الأنباء جـ ٢ ص ١٨٥ .
(١١) المرجع السابق ص ١١٥ .
(١٢) المرجع السابق نفسه .
(١٣) المرجع السابق ص ١٠٨ .
(١٤) المرجع السابق ص ٢٥٩ .
(١٥) المرجع السابق ص ١٣١ .
(١٦) النجوم الزاهرة جـ ٧ ص ٣٧٧ .
(١٧) عيون الأنباء جـ ٢ ص ٢٧٤ .

جميع ما يحتاج اليه الجراح . وبعضها فى الفصد ، كأرجوزة (١) ابن رقيقة فيه .

وألفت كتب كثيرة فى الأدوية ، المفردة منهـا والمركبة ، ومن أشهرها مفردات ابن البيطار الذى لا يزال باقيا الى اليوم ، وهو — كما قالت عنه دائرة المعارف الاسلامية (٢) : أهم مصنفات العرب فى هذا الموضوع ... فهو يحتوى على أكثر من ثلاثة آلاف اسم . وألف فى الأدوية المفردة أيضا الياس بن المطران ، وكان قد قصد أن يستوعب كل دواء ، ولكنه لم يكمله (٣) . وكتب رشيد الدين بن الصـورى كتابا فى الأدوية المفردة ، وبدأ بعمل هذا الكتاب فى أيام الملك المعظم عيسى ، وجعله باسمه ، قال ابن أبى أصيبعة (٤) : واستقصى فيه ذكر الأدوية المفردة ، وذكر أيضا أدوية اطلع على معرفتها ومنافعها لم يذكرها المتقدمون ، وكان (٥) ، يستصحب مصورا ، ومعه الأصباغ والليق ، على اختلافها وتنوعها ، فكان يتوجه الى المواضع التى بها النبات ، مثل جبل لبنان وغيره ، من المواضع التى قد اختص كل منها بشىء من النبات ، فيشاهد النبات ، ويحققه ، ويريه للمصور ، فيعتبر لونه ومقدار ورقه ، وأغصانه ، وأصوله ، ويصور بحسبها ، ويجتهد فى محاكاتها . وكذلك ألف فى الأدوية المفردة يومئذ أبو حليقة فى كتاب سماه : المختار فى الألف عقار (٦) ، ومحمد بن عبد الكريم ، وصـنفها على ترتيب الحروف الأبجدية (٧) .

وفى الأدوية المركبة ، ألف السـديد بن أبى البيان كتاب (٨) الأقراباذين (٩) . وألف أبو المنى كتابا فى الصيدلة ، سماه : منهـاج الدكان فى الطب (١٠) ، جمعه من الدسـتور المارسـتانى ، ومن عدة أقرباذينات مختارة .

(١) المرجع السابق جـ ٢ نهر ٢٣٠

(٢) جـ ١ ص ٥٦٠ .

(٣) عيون الأنباء جـ ٢ ص ١٨١ .

(٤) المرجع السابق ص ٢١٩ .

(٥) المرجع السابق ص ٢١٩ .

(٦) المرجع السابق ص ١٣٠ .

(٧) كشف الظنون جـ ١ نهر ٥١ .

(٨) عيون الأنباء جـ ٢ ص ١١٩ .

(٩) هو لفظ يونانى ، معناه التركيب ، أى تركيب الأدوية المفردة وقوانينها من كشف الظنون .

(١٠) كشف الظنون جـ ٢ نهر ١٨٧١ .

ووضعت عدة كتب فى الأغذية وترتيبها ، وكتب فى تدبير الصحة، وسجل كثير من الأطباء مجرباتهم فى كتب ، تنفع من يأتى بعدهم . كما فعل تمام بن هبة الله (١) ، وأحمد بن أسعد (٢) ، وأبو البيان بن المدور (٣) ، وأبو الفضائل بن الناقد (٤) ، وعدنان بن نصر (٥) ، الذى جمع تجاربه فى كراسة ، جمعها ، ورتبها بعد وفاته ، ظافر بن تميم .

واستخدم النظم فى الطب أيضا على قلة ، وأشهر من قام بذلك الطبيب الأديب (٦) محمود بن عمر بن رقيقة ، المتوفى سنة ٦٣٥ هـ ، فقد كانت له قدرة على نظم الكتب الطبية رجزا ، فى أسرع وقت ، ووضع أرجوزة فى الفصد ، ونظم كتابا سماه : لطف المسائل ، وتحف السائل، نظم فيه مسائل حنين ، وكليات القانون لابن سينا ، ومعانى آخر ضرورية يحتاج اليها فى صناعة الطب ، وقد شرح هذا الكتاب ، وله عليه حواش مفيدة ، ومن وصاياه الطبية قوله (٧) .

توق الامتلاء ، وعد عنه
وادخال الطعام على الطعام
واكثار الجماع ؛ فان فيه
لمن والاه داعية السقام
ولا تشرب عقيب الأكل ماء ؛
فتسلم من مضرات عظام
وهضمك فاصلحنه ، فهو أصل
وأسهل بالأيارج كل عام
وفصد العرق نكب عنه ، الا
لذى مرض ، رطيب الطبع ، حام
ولا تتحركن عقيب أكل ،
وصير ذاك بعد الانهضام

---

(١) عيون الأنباء جـ ٢ ص ١١٧ .
(٢) المرجع السابق ص ٢٦٦ .
(٣) المرجع السابق ص ١١٥ .
(٤) المرجع السابق ص ١١٦ .
(٥) المرجع السابق ص ١٠٨ .
(٦) ترجمته بعيون الأنباء جـ ٢ ص ٢١٩ .
(٧) المرجع السابق ص ٢٢٧ .

وقلل ما استطعت الماء بعد
الرياضة ، واجتنب شرب المدام
وخل السكر ، واهجره مليا
فان السكر من فعل الطغام

كما نظم عمر بن على بن البدوخ أرجوزة ، شرح بها كتاب الفصول لبقراط (١) .

وقد اشترك فى النهضة الطبية بهذا العصر أطباء من جميع الأديان، منهم المسلم والنصرانى ، واليهودى . أما أشهرهم فهم :

افرائيم بن الزفان *

اسرائيلى من أجل تلاميذ على بن رضوان (٢) ، الذى كان أستاذ الأطباء فى مصر ، وخدم افرائيم بفنه خلفاء الفاطميين ، ونال منهم من الأموال والنعم شيئا كثيرا جدا . ومن أهم ما كان يعنى به افرائيم الحصول على الكتب واستنساخها ، حتى كانت عنده خزائن كثيرة من الكتب الطبية وغيرها ، وكان عنده النساخ يكتبون ، ولهم ما يقوم بكفايتهم منه . ومما يدل على ضخامة مكتبته أن أحد العراقيين جاء الى مصر ، ليشترى كتبا فباعه افرائيم مما عنده عشرة آلاف مجلد ، فلما علم بذلك الأفضل ابن أمير الجيوش أراد أن تبقى تلك الكتب فى مصر ، فبعث الى افرائيم بثمنها ، ونقلها الأفضل الى خزانته ، ومع ذلك خلف افرائيم مكتبة ، تزيد على عشرين ألف مجلد ، وترك ثروة ضخمة .

وله من الكتب ، تعاليق ، ومجربات ، جعلها على شكل كناشة ، واستقصى فيها ذكر الأمراض ومداواتها . وكتاب التذكرة الطبية ، فى مصلحة الأحوال البدنية ، ومقال فى التقرير القياسى ، على أن البلغم يكثر تولده فى الصيف ، والدم والمرار الأصفر فى الشتاء . ومنهم :

(١) المرجع السابق ص ١٥٧ .

* هذه الترجمة مقتبسة من عيون الأنباء ج ٢ ص ١٠٥ .

(٢) له ترجمة مطولة بكتاب عيون الأنباء ج ٢ ص ٩٩ . وفيها ثبت بأسماء مؤلفاته الكثيرة المتنوعة .

السديد عبد الله بن على *

عالم بصناعة الطب ، خدم بفنه خمسة من الخلفاء الفاطميين ، هم: الآمر ، والحافظ ، والظافر ، والفائز ، والعاضد . ولم يزل الشيخ السديد رئيسا على سائر المتطببين الى حين وفاته بالقاهرة سنة ٥٩٢ هـ .

الموفق بن المطران *

أسعد بن الياس بن جرجس ، ولد بدمشق من أب طبيب ، وأخذ النحو ، واللغة ، والأدب ، امتاز فى ذلك ، كما درس العلوم الحكمية ، وأخذ الطب عن مهذب الدين بن النقاش . وكان الموفق حاد الذهن ، فصيح اللسان ، وكانت له همة عالية فى تحصيل الكتب ، حتى انه مات ، وفى خزانته من الكتب الطبية وغيرها ، ما يناهز عشرة آلاف مجلد ، وكان فى خدمته ثلاثة نساخ ، يكتبون له دائما بمرتب ثابت .

ويقص ابن أبى أصيبعة قصصا عنه ، تدل على مقدار نجاحه فى أنواع العلاج .

وله من الكتب كتاب بستان الأطباء ، وروضة الألباء ، قصد فيه أن يكون جامعا لكل ما يجده : من ملح ، ونوادر مستحسنة ، مما طالعه أو سمعه أو نسخه من الكتب الطبية ، ولم يتم من الكتاب سوى جزأين . وله المقالة الناصرية فى حفظ الامور الصحية ، جعلها باسم السلطان صلاح الدين . وله المقالة النجمية ، فى التدابير الصحية ،

---

* هذه الترجمة مقتبسة من عيون الأنباء ج ٢ ، وشذرات الذهب ج ٤ ص ٣٠٩ .

** مراجعه :

١ - عيون الأنباء ج ٢ ص ١٧٥ .

٢ - النجوم الزاهرة ج ٦ ص ١١٣ .

٣ - معجم الأطباء ص ١٣٥ .

٤ - كشف الظنون ج ٢ نهر ١٣٨٨ .

٥ - ديوان ابن عنين ص ١٣٣ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٦ .

٦ - شذرات الذهب ج ٤ ص ٢٨٨ .

وكتاب الأدوية المفردة ولم يتم ، وله غير ذلك . وتوفى سنة ٥٨٧ هـ.
ومنهم :

أحمد بن الحاجب *

ولد بدمشق ، ونشأ بها ، وعين فى البيمارستان ، الكبير الذى أنشأه الملك العادل نور الدين بن زنكى ، ثم خدم تقى الدين عمر فى حماه ، حتى اذامات ، جاء الى مصر وكان من أطباء صلاح الدين ، وظل فى خدمته حتى مات السلطان ، فعاد الى حماة ، طبيبا للملك المنصور بن تقى الدين ، وهناك ظل بقية عمره ، حتى مات بعد نحو سنتين . ومنهم :

مهذب الدين الدخوار **

عبد الرحيم بن على ، ولد فى دمشق ونشأ بها ، وكان أبوه وأخوه من أطباء العيون ، وكذلك كان هو فى أول أمره ، وعين طبيب عيون فى البيمارستان الكبير الذى أنشأه نور الدين محمود ، ثم اتصل بخدمة الملك العادل أخى صلاح الدين ، وسمت منزلته عنده ، حتى صار جليسه ، وأنيسه ، وصاحب مشورته ، وفى كل يوم تزيد قيمته عند العادل ، لما يراه من براعته فى العلاج ، وولاه رياسة الأطباء ،

* مقتبسة من عيون الأنباء جـ ٣ ص ٢٧٧ .

** مراجعه :
١ - عيون الأنباء جـ ٢ ص ٢٣٩ .
٢ - تنبيه الطالب جـ ٢ ص ٢١١ .
٣ - فوات الوفيات جـ ١ ص ٣٧١ .
٤ - النجوم الزاهرة جـ ٦ ص ٢٧٧ .
٥ - ذيل الروضتين ص ١٥٩ .
٦ - طبقات الشافعية للسبكى جـ ٥ ص ١٢٩ .
٧ - خطط الشام جـ ٤ ص ٤٦ .
٨ - شذرات الذهب جـ ٥ ص ١٢٧ .
٩ - مفتاح السعادة ص ٧٨ .

بمصر والشــام ، وبعد وفاة العادل ، عين بدمشق فى البيمارســتان الكبير .

وفى سنة ٦٢٢ هـ ، وقف داره بدمشق ، وجعلها مدرســة يدرس فيها من بعده صناعة الطب ، وهى المدرسة الدخوارية التى تحدثنا عنها فيما مضى ، ومات مهذب الدين بعد أن قاسى كثيرا من الأمراض ، فى ١٥ صفر سنة ٦٢٨ هـ . قال صاحب شذرات الذهب : وكان دخله فى الشهر مائة وخمسين دينارا ، وله أقطاع تعدل بستة آلاف وخمسمائة دينار . ومنهم :

ابن البيطار *

ضياء الدين عبد الله بن أحمد ، سافر الى بلاد الروم والاغريق ولقى جماعة يعانون هذا الفن ، وأخذ عنهم معرفة نبات كثير ، وعاينه فى مواضعه ، واجتمع فى المغرب وغيره بكثير من الفضلاء فى علم النبات . وعاين منابته ، ودرس دراسة متقنة كتــاب ديقوريدس فى الأعشاب ، لدرجة أنه يكاد يكون فى ذلك معدوم النظير . ولقد درس عليه ابن أبى أصيبعة ، وشاهد من ذكائه ، وفطنته ودرايته بالنبــات ، ودراسة ما ألف فيه من الكتب مادفعه الى الاعجاب به شديد الاعجاب، فضلا عما كان عليه من حسن المعاشرة ، وكمال المروءة ، وطيب الأعراق، وكرم النفس وجودة الأخلاق .

---

* مراجعه :

١ - عيون الأنباء جـ ٢ ص ١٣٣ .
٢ - دائرة المعارف الاسلامية ، المجلد الأول ، ص ١٠٤ .
٣ - اكتفاء القنوع ص ٢٢٣ .
٤ - فوات الوفيات جـ ١ ص ٢٠٤ .
٥ - حسن المحاضرة جـ ١ ص ٢٦٠ .
٦ - معجم المطبوعات لسركيس جـ ١ نهر ٤٩ .
٧ - شذرات الذهب جـ ٥ ص ٢٣٤ .

واتصل ضياء الدين بالملك الكامل ، وكان يعتمد عليه فى الأدوية المفردة والحشائش ، وجعله فى الديار المصرية رئيسا على سائر العشابين، ولما مات الكامل ، خدم الصالح نجم الدين أيوب ، وكان حظيا عنده متقدما فى أيامه ، وله ألف كتاب الأدوية المفردة المشـــهورة . ومات ضياء الدين بدمشق فجأة ، فى شعبان سنة ٦٤٦ هـ . وله من الكتب غير هذا الكتاب : شرح كتاب أدوية ديسقوريدس ، وكتاب المغنى فى الأدوية المفردة ، وهو مرتب بحسب مداواة الأمراض . ومنهم :

أبو حليقة *

رشيد الدين أبو الوحش بن أبى الخير ، أوحد زمانه فى صناعة الطب ، والعلوم الحكمية ، ولد بقلعة جعبر سنة ٥٩١ هـ ، وقد نجح رشيد الدين فى صنع ترياق ، يسرع بالمريض الى الشفاء وكان لهذا الترياق أثره فى علاج المفلوجين ، وتقويم الأيدى المتقوسة وتفتيت الحصى .

ولأبى حليقة كتب منها : مقالة فى حفظ الصحة ، ومقالة فى أن الملاذ الروحانية ألذ من الملاذ الجسمانية ، وكتاب فى الأدوية المفردة ، سماه : المختار ، فى الألف عقار ، وكتاب فى الأمراض ، وأسبابها ، وعلاماتها ، ومداواتها بالأدوية المفردة والمركبة ، التى قد أظهرت التجربة نجاحها . ومنهم :

ابن أبى أصيبعة **

أحمد بن قاسم بن خليفة الخزرجى ، ولد فى حدود عام ٥٩٥ هـ بالقـــاهرة ، وكان شابا موهوبا ، درس دراســـة علميـــة وعملية فى

* هذه الترجمة مقتبسة من كتاب عيون الأنباء جـ ٢ ص ١٢٣ .

** مراجعه :

١ ـ دائرة المعارف الاسلامية جـ ١ ص ٦٨ .
٢ ـ معجم الأطباء ص ١١٤ .
٣ ـ النجوم الزاهرة جـ ٧ ص ٢٢٩ .
٤ ـ خطط الشام جـ ٤ ص ٤٥
٥ ـ شذرات الذهب جـ ٥ ص ٣٢٧ .
٦ ـ كتاب عيون الأنباء .

البيمارستان ، وأخذ الطب عن كبار أطباء عصره ، وقام ابن أبى أصيبعة حينا من الزمن ، بالكحالة فى البيمارستان الناصرى بالقاهرة ، حيث استفاد من دروس ابن أبى البيان مؤلف كتاب الأقرباذين ؛ وبذلك استطاع ابن أبى أصيبعة أن يحذق الطب علما وعملا ، وكتب تاريخه المعروف بعيون الأنباء ، الذى انتهى بتراجمه الى سنة ٦٦٧ هـ ، أى قبل وفاته بعام واحد .

ونستدل من أقوال ابن ابى أصيبعة نفسه أنه ألف ثلاثة كتب أخرى، ولكنها لم تصل الى أيدينا ، وهى : كتاب حكايات الأطباء فى علاجات الأدواء ، وكتاب اصابات المنجمين ، وكتاب التجارب والفوائد ، ولابد أنها كانت سجلا طريفا لأقاصيص طبية ، ومشاهدات مهمة له ولأساتذته فى البيمارستان ، أما كتابه الثالث : كتاب التجارب والفوائد ، فانه لم يتم . ومنهم :

علاء الدين بن النفيس *

على بن أبى الحزم ، بلغ فى الطب شأوا بعيدا ، حتى قيل : انه لم يكن على وجه الأرض له نظير ، ولا جاء بعد ابن سيناء مثله ، قالوا : وكان فى العلاج أعظم من ابن سينا . ولد حول سنة ٦٠٩ هـ ؛ وكان مفرط الذكاء ، حاد الذهن . ولعلاء الدين من الكتب الطبية المطبوعة : شرح كليات القانون لابن سينا فى التشريح (١) ، وكان هو يحفظ هذه

* مراجعة :

١ - معجم الأطباء من ٢٩٢ . ٢ - طبقات الشافعية جـ ٥ ص ١٣٩ .
٣ - النجوم الزاهرة جـ ٧ ص ٣٧٧ .
٤ - حسن المحاضرة جـ ١ ص ٢٦٠ .
٥ - معجم المطبوعات لسركيس جـ ١ نهر ٢٦٨ .
٦ - شذرات الذهب جـ ٥ ص ٤٠١ .
٧ - السلوك للمقريزى جـ ١ ص ٧٤٦ .
٨ - اكتفاء القنوع بما هو مطبوع ص ٢١١ ، ٢٢٤ .
٩ - تاريخ ابن الوردى جـ ٢ ص ٢٣٤ - ١٠ - كشف الظنون جـ ٢ نهر ١١١٤
١١ - مفتاح السعادة ص ٧٨ . ١٢ - دول الاسلام جـ ٢ ص ١٤٥ .

(١) شرح ابن النفيس على الكتاب الثالث من قانون ابن سينا بدار الكتب رقم ١٨٥٠ طب .

ولابن النفيس أيضا كتابان بدار الكتب ، يسمى أحدهما : شرح تقدمة المعرفة رقم ٤٩٦ طب ، ويدعى الثانى : شرح فصول أبقراط رقم ٥٦٥ طب .

الكليات ، وله موجز قانون ابن سينا . وقال الذهبي : انه ألف فى الطب كتاب الشامل ، وهو كتاب عظيم ، يدل فهرسه على أن يكون ثلاثمائة مجلدة . بيض منها ثمانين ، وله كتـاب المهذب فى الكحـل ، ومقالة فى النبض ، وشرح كتب بقراط كلها ، ولبعضها شرحان : مطول، ومختصر ، وشرح الاشارات لابن سينا ، ووضع كتابا صغيرا عارض به رسالة حى بن يقظان لابن سينا ، ووسعه بكتاب الفاضل بن ناطق ، وانتصر فيه للاسلام ، وآرائه ، فى النبوات ، والشرائع ، والبعث الجسمانى ، وخراب العـالم ، وكان يحضر مجلسه فى داره جماعة من الأمراء ، والمهذب بن أبى حليقة رئيس الأطبـاء ، وشرف الدين بن صغير ، وأكابر الأطباء ، ويجلس الناس فى طبقاتهم ، ونبغ على يديه كثير من أعيان الأطباء ، ولم يقف فى ثقافته عند حد الطب ، بل درس المنطق ، وصنف فيه مختصرا ، وشرح الدراية لابن سينا فى المنطق ، ودرس أصول الفقه ، وصنف فيه كذلك ، كما درس الفقه ، ودرسه بالمدرسة المسرورية بالقاهرة ، وشرح أول التنبيه ، فى فقه الشافعى الى باب السهو ، ودرس النحو وألف فيه ، قال نجم الدين الصفدى : ان ابن النحاس كان يقول : لا أرضى بكلام أحد فى القاهرة فى النحو ، غير كلام ابن النفيس ، ودرس الحديث ، وعلم البيان ، وله فى الأخير كتاب ، دعاه : الطريق الى الفصاحة ، وتوفى علاء الدين سنة سبع أو تسع وثمانين وستمائة .

السياسة

ونعنى بالسياسة هنا ادارة البلاد بالطريقة المثلى ، وكان هذا المعنى هو الملحوظ عند المؤلفين الذين كتبوا فى السياسة يومئذ ، وقد شاهد هذا العصر منذ بدايته كتبا ، ألفت فى هذه المـادة ، ترمى الى ضرب المثل العليا أمام قادة الشعب وحكامه ، وقد ضاع أكثر هذه الكتب ، ولم يبق الا أقلها . وقد تناول الكتابة فى السياسة بعض السياسيين : كمحمد بن طلحة (١) ، وأسامة بن منقذ (٢) ، وبعض الفقهاء كالطرطوشى (٣) .

أما ما رأيته فكتاب سراج الملوك للطرطوشى ، الذى يعد أقدم كتاب فى السياسة باق من ذلك العصر .

استمد الطرطوشى كتابه من تاريخ الأمم المـاضية وملوكها .

وقسم المؤلف كتابه أربعة وستين بابا ، تحدث فيها عن السلطان ، ووزرائه ، وعماله ، ورعيته ، سلما وحربا ، وهو فى كل باب من أبواب كتابه ، يورد ما يتعلق به ، من قرآن ، وحديث ، ومثل ، وحكمة ، وقصة ، وتاريخ . فهو تأليف جمعى ، لا تحليل نقدى ، غير أنه من المستطاع أن نتبين وجهة نظره فيما يجمعه من ذلك ، ومن الممكن أن نستنبط ما يرمى اليه من الشروط والصفات .

وفى عهد صلاح الدين ألفت كتبه فى السياسة أهدى بعضها اليه ، وذلك ان دل فانه يدل على رغبة صلاح الدين ، فى أن يسوس بلاده طبقا للمثل العليا ، التى يراها السياسيون ، ولم تكن السياسة يومئذ مخالفة لقواعد الدين ، بل انها تقتبس أصولها منه . ومما أهدى اليه يومئذ كتاب قيم ، وضعه أبو الفضائل عبد الرحمن بن نصر وسماه :

---

(١) ترجمته ستأتى .

(٢) مضت ترجمته ص ٢٧٠ .

(٣) ستأتى ترجمته .

المنهج المسلوك ، فى سياسة الملوك (١) ، وهو يعد بحق من أعظم الكتب التى آلفت يومئذ فى السياسة .

ومؤلف كتاب المنهج المسلوك يشرح فكرة كل باب بقلمه ، ثم يؤيد هذه الفكرة بما قاله فيها السابقون ، وآرائهم فيها ، وهو يميل الى التقسيم والاستيعاب والايضاح ، مستشهدا بالشعر ان كان ، ثم يتحدث عن سيئات أضدادها . وما لها من آثار ضارة .

وباب معرفة أصول السياسة ، فصل قيم فى ادارة شئون المملكة، التى يديرها الملك ، كما يدير البستانى حديقته ، ويمضى فى تفصيل هذا التشبيه .

هذا الكتاب يفضل سراج الملوك ، بما اصاحبه : من نظرات ، وشخصية واضحة فيه .

وآلف أسامة بن منقذ كتابا ، سماه : لباب الآداب ، عقد فيه بابا للسياسة ، كان هدفه فيه أن يجمع ما ورد متعلقا بها ، من روائع النثر، والشعر ، بدون تبويب ولا ترتيب ، فحكمة فى معاملة العدو ، الى جانب وصية لأحد الملوك ، الى خطبة لبعض الولاة ؛ وقد بدأ هذا الباب موردا ما ورد فى القرآن مما يرتبط بالسياسة ، من مثل قوله تعالى : « فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظا غليظ القلب لا نفضوا من حولك ، فاعف عنهم ، واستغفر لهم ، وشاورهم فى الأمر ، فاذا عزمت فتوكل على الله ، ان الله يحب المتوكلين » . ثم ما ورد من الأحاديث مرتبطا بها كذلك ، مثل قوله صلى الله عليه وسلم : « يوم من امام عدل خير من عبادة ستين سنة ، وحد يقام فى الأرض بحقه أزكى من مطر أربعين صباحا » . ثم يورد ما ورد من ذلك على ألسنة الساسة ، مثل زياد ، ومعاوية ، والوليد بن عبد الملك ، الذى سأل أباه عن السياسة فقال : « هيبة الخاصة مع صدق محبتها ، واقتياد قلوب العامة بالانصاف لها ؟ » . وينقل آراء ملوك الفرس ، وحكماء الهند ، وفلاسفة اليونان، ويورد خطب بعض هؤلاء الساسة . ورسائلهم.

(١) مخطوط بدار الكتب رقم ٢٩٢٧ أدب ، وطبع سنة ١٨٤١ وسنة ١٣٠٦ وسنة ١٣٢٦ . راجع معجم المطبوعات لسركيس .

ووصاياهم . كما ينقل كلام الحكماء بعامة . ويورد من الشعر ما يناسب المقـام .

وآخر ما بقى لنا من كتب هذا العصر ، هو كتاب العقد الفريد الملك السعيد ، فقد عقد فيه فصولا تتعلق بالسياسة ، فمن فصـل لنصائح الملوك (١) ، وآخر للانصاف والعـدل فى الرعية (٢) ، وذم الظلم ، والاجحاف ، وفى هذا الفصل أورد قصصا ، من عدل عمر ابن الخطاب ، وابن طولون ، والمعتمد على الله ، والمعتصم بالله .

ودراسة هذه الكتب دراسة فاحصة ، جديرة بأن تطلعنا على كثير من نظريات السـياسة فى تلك العصـور ، ومدى ارتباطها بالدين ، ومدى أخذها عن الحضارات الأخرى ، ومدى تأثرها بفلسفة اليونان .

ومن أشهر المؤلفين فى السياسة يومئذ :

أبو بكر الطرطوشى *

محمد بن الوليد بن خلف القرشى ، ولد بالأندلس حوالى سـنة احدى وخمسين وأربعمائة ، ودرس الفقه ، والحسـاب ، والفرائض ، بمدينته ، ودرس الخـلاف بمدينة سرقسطة ، وقرأ الأدب بمدينـة اشبيلية ، ورحل الى المشرق ، وعمره زهاء خمسة وعشرين عاما سنة ٤٧٦ هـ ، فحج ودخل بغداد ، والبصرة ، حيث درس الفقه ، ثم مضى الى دمشق ، فسكنها مدة يدرس بها ، ويحيا حياة زهد وتقشف ، ثم آثر الحضور الى مصر ، فجاءها فى خلافة الآمر ، ووزيره الأفضـل

---

(١) العقد الفريد ص ١٧ .

(٢) ص ٥١ .

* مراجعه :

١ - وفيات الأعيان ج ١ ص ٤٧٩ .

٢ - الديباج المذهب ص ٢٥٠ .

٣ - شذرات الذهب ج ٤ ص ٦٢ .

٤ - حسن المحاضرة ج ١ ص ٢١٣ .

٥ - الفاطميون فى مصر ص ١٩٥ .

٦ - كتابه : سراج الملوك .

٧ - نفح الطيب ج ١ ص ٥١٧ طبعة أوربا .

شاهنشاه بن بدر الجمالى ، ولا تعرف بالتحديد سنة قدومه الى مصر ، ولكن يظهر أن ذلك كان فى آخر وزارة الأفضل قبل قتله سنة ٥١٥ هـ .

وظل أبو بكر فى الاسكندرية حتى توفى سنة ٥٢٠ هـ ، ويتشكك ابن خلكان فى صحة هذا التاريخ ، ويبنى شكه على أن ابن شداد المولود سنة ٥٣٩ هـ ، يعده من أساتذته الذين أجازوه ، وترك ابن خلكان الباب مفتوحا للتحقيق . والظاهر أن هناك خطأ وقع فيه ابن شداد ، عندما عد الطرطوشى من أساتذته ، أو أن هناك طرطوشيا آخر ، ذلك أن أبا بكر لم يفارق الاسكندرية الى الشام ، بعد أن نزلها ، ولم يزر ابن شداد مصر ، الا فى أخريات عمره ، فأين تتلمذ له ؟!

برع الطرطوشى فى الفقه والأدب ، واتخذهما أساسا لما وضع من كتب ، منها : سراج الهدى ، وسراج الملوك ، وهما فى السياسة ، وضعهما أو وضع أحدهما ، وأهداه للمأمون البطائحى ، وقد سر الوزير بهدية الطرطوشى ، فرتب له خمسة دنانير فى كل يوم ، ولكن أبا بكر لم يقبل منها غير دينارين ، كان الأفضل بن بدر الجمالى قد أجراهما عليه .

وله كتاب الفتن ، وهو سياسى كما يبدو من عنوانه ، وكتاب بر الوالدين ، وكتاب مختصر تفسير الثعالبى ، وكتاب كبير فى مسائل الخلاف ، وكتاب بدع الأمور ومستحدثاتها ، وغير ذلك .

وقد جمع الحافظ عبد العظيم المنذرى ترجمة له ، نقل عنها ابن خلكان . ومنهم :

عبد الرحمن بن نصر الشيزرى

مؤلف كتاب المنهج المسلوك ، الذى أهداه الى صلاح الدين ، وقد تحدثنا عنه ، ولم أعثر له على ترجمة فيما بين يدى من كتب ، سوى ما وصل اليه ناشر (١) كتابه : نهاية الرتبة فى طلب الحسبة ، من أنه

(١) الناشر هو الأستاذ السيد الباز العرينى ، باشراف الدكتور محمد مصطفى زيادة .

كان شافعي المذهب ، ويرجح أنه عاش فترة من حيـاته بالشام ، ان لم يكن شامي الأصل ، وربما تولى القضاء باحدى بلاد الشام ، وأورد بعض المؤرخين اسمه على أنه كان طبيبا بحلب سنة ٥٦٥ هـ (١١٦٩ م) . ومات حوالى سنة ٥٨٩ هـ (١١٩٣ م) .

أما كتابه : نهاية الرتبة ، فهو بيان ما يجب على المحتسب أن يقوم به ، في مراقبة أهل السوق ، من تجار ، وصناع ، حتى يأمن المشترون الغش والتدليس .

وله عدا هذين الكتابين : كتاب الايضاح ، في أسرار النكاح ، في مجلدين : الأول خاص بالرجال ، والآخر خاص بالنساء ، وله أيضا خلاصة الكلام في تأويل الأحلام ، وروضـة القلوب ، ونزهـة المحب والمحبوب . ومنهم

محمد بن طلحة النصيبى *

ولد سنة ٥٨٢ هـ بنصيبين ، على ما يظهر ، وتلقى ثقافته بنيسابور وغيرها ، واتصل بملوك عصره ، وكان رسولا لهم ، ورحل الى بلاد كثيرة حدث بها ، ويقال ان الوزارة عرضت عليه سنة ٦٤٨ هـ فأبى ، ولمـا ألزم بها انسل خفية ، تاركا خلفه ما يملك . والظاهر أنه حج ، فلما رجع أقام بدمشق قليلا ، ثم سار الى حلب ، حيث توفى بها فى رجب سنة ٦٥٢ هـ .

وألف محمد بن طلحة غير كتاب العقد الفريد ، كتـاب الدر المنظم ، في اسم الله الأعظم .

---

* مراجعه :

١ — طبقات الشافعية للسبكى ج ٥ ص ٢٦ .
٢ — معجم المطبوعات لسركيس ج ١ نهر ١٤٧ .
٣ — شذرات الذهب ج ٥ ص ٢٥٩ .
٤ — طبقات الشافعية لابن قاضى شهبة ص ٥٣ .
٥ — العقد المذهب ص ١٨٠ .

اللغات الأجنبية

عرف بعض العلماء فى ذلك العصر ، الفارسية والتركية ، اذا كانت البيئة قد ساعدتهم على معرفتها ، كمحمد بن أبى القاسم السلمى، فقد كان فقيها من بلخ ، بليغا فى العربية والفارسية (١) ، والعماد الكاتب المولود فى أصبهان ، فقد كان يكتب العربية والفارسية، ومحمد ابن مصطفى الصلغرى (٢) ، فهو ينحدر من أصل تركى وهو لذلك يجيد التركية ، وله قصيدة فى قواعدها ، ولعل موفق الدين بن صقلاب (٣) الطبيب المتوفى سنة ٦٢٥ هـ ينحدر من أصل غير عربى ، وكان يتقن اللسان الرومى ، وربما كان لصلته بالفيلسوف الأنطاكى وأخذه عنه أثر فى ذلك .

واستطاع بعض العلماء أن يتعلم هاتين اللغتين ، ويتكلم بهما ، كمهذب الدين بن النقاش (٤) الطبيب المتوفى سنة ٥٧٤ هـ بدمشق ، وعلى بن خليفة الطبيب ، الذى استطاع أن ينظم الشعر بالفارسية ، وأن يتكلم التركية (٥) .

أما مدى معرفة مصر والشام بلغات الفرنج ، فمن المعقول أن يكون بعضنا قد عرف هذه اللغات ، وأن يكون بعضهم قد عرف العربية ، ليستطيع هذا البعض منا ومنهم أن يقوم بدور الترجمة بيننا وبينهم ، وهذا شيرزاد (٦) بن معدود ، قد سافر الى الروم ، وأقام بها عشر سنين ، ثم جاء الى مصر ، وعين ترجمانا للدولة فى سلطنة المظفر قطز ، وظل بها الى أن مات سنة ٧٠٧ هـ . والظاهر فى مثل هذا العصر أن ملء هذا المنصب كان ضروريا ، ليتسنى الرد على ملوك الفرنج ، وترجمة الرسائل التى كانت ترد منهم .

---

(١) الروضتين جـ ١ ص ١٤٤ .
(٢) نكت الهميان ص ٢٧٤ .
(٣) تاريخ الحكماء ص ٣٧٨ .
(٤) عيون الأنباء جـ ٢ ص ١٦٢ .
(٥) المرجع السابق .
(٦) الدور الكامنة جـ ٣ ص ١٩٧ .

والظاهر أن معرفة لغات الفرنج ، وجدت طريقها الى كثير من المثقفين فى هذا العصر ، مما برر لابن مكرم أن يقول : لم أقصد سوى حفظ أصول هذه اللغة النبوية ، وضبط فضلها ... وذلك لما رأيته قد غلب فى هذا الأوان ، من اختلاف الألسنة والألوان ، حتى لقد أصبح اللحن فى الكلام يعد لحنا مردودا ، وصار النطق بالعربية من المعايب معدودا ، وتنافس الناس فى تصانيف الترجمانات فى اللغة الأعجمية ، وتفاصحوا فى غير اللغة العربية » (١) . وفى هذا القول شىء من الحماسة غالبا ، ولكنه يدلنا على أن كثيرا من الناس قد عنوا بهذه اللغات الأجنبية ، وأتقنوها وترجموا منها .

وانى لا أشك فى أن كثيرا من ألفاظ هذه اللغات الأجنبية : فرنجية ، وفارسية ، وتركية ، وجدت طريقها الى لغتنا العربية ، كما نجد أمثلة كثيرة منها ، فى الشئون الحربية ، والسياسية ، والادارية ، وغيرها .

كما أن دراسة اللغة العربية بأوروبا ، وحركة الاستشراق فيها ، تعدان امتدادا طبيعيا واجتماعيا للحروب الصليبية . والواقع أن معرفة مدى دراسة اللغات الأجنبية فى ذلك الحين موضوع يحتاج الى دراسة وافية ، تجيب عن الأسئلة التى تجول بنفوسنا : فالى أى مدى دخلت يومئذ ألفاظ الفرنج فى لغتنا ، وألفاظنا فى لغتهم ؟ والى أى حد ألممنا بلغتهم ، وألموا بلغتنا ؟ والى أى مدى تأثروا بثقافتنا وعرفوها ، وعرفنا ثقافتهم وتأثرنا بها ؟ وهل ترجمنا شيئا من كتبهم ، أو ترجموا فى ذلك العهد شيئا من كتبنا ؟ ما مدى معرفة رجال سياستنا بلغتهم ، ورجال سياستهم بلغتنا ، والى أى حد كانت رسلهم الذين يفدون الينا يعرفون لغتنا ، ورسلنا يعرفون لغتهم ؟ وهل كان ثمت لغة رسمية ، أو لغات عدة ؟ .

وان الاجابة على هذه الأسئلة لتتطلب دراسة لم تهيأ لى الى اليوم .

---

(١) لسان العرب جـ ١ ص ٤ .

خاتمة

وبعد فهذه صورة للحياة العقلية ، فى عصر الحروب الصليبية . وانى أعتقد أنها صورة ناقصة ، فان المراجع التى عدت اليها محدودة قليلة ، بالنسبة لهذا العصر العامر بالعلوم ، والذى له مئات المصادر . وأرى أن من الواجب الاستزادة من قراءة هذه المراجع ، والعودة الى الآثار العلمية ، التى خلفها ذلك العصر ، والرجوع الى ما كتب الغربيون عن العصر الصليبى وما يتناثر فى مراجعهم ، من حديث عن الشرق ، حتى يمكن رسم صورة أتم وأوضح .

وانى أسأل الله أن يهب لى من الوقت ، وأن يمنحنى من توفيقه ، ما يمكننى من المساهمة فى هذا العمل الجليل ، وحسبى الآن أن أقدم هذا الجهد الضئيل ، شعاعا ينير بعض جنبات السبيل .

والحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله .

مراجع البحث

١ - الآداب النافعة بالألفاظ المختارة الجامعة ، (مطبعة السعادة بالقاهرة ، سنة ١٣٣٩ هـ (١٩٣١ م) .
لجعفر بن شمس الخلافة الأفضلى ، المتوفى سنة ٦٢٢ هـ .
٢ - أخبار مصر (مطبعة المعهد العلمى الفرنسى بالقاهرة سنة ١٩١٩ م).
لمحمد بن على بن يوسف المعروف بابن ميسر المتوفى سنة ٦٧٧ هـ.
٣ - آداب الكاتب (المطبعة العامرة الشرقية سنة ١٣٢٨ هـ) .
لعبد الله بن مسلم بن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦ هـ .
٤ - الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار (طبع مصر سنة ١٣١٩ هـ) .
ليحيى بن شرف النووى المتوفى سنة ٦٧٦ هـ .
٥ - الأربعون حديثا السلفية (مخطوط بدار الكتب رقم ١٢٥٦ حديث).
لأحمد بن محمد السلفى المتوفى سنة ٥٧٦ هـ .
٦ - أربعون حديثا فى الأحكام (مخطوط بدار الكتب رقم ١٣٨٤ حديث) .
٧ - أربعون حديثا فى فضل اصطناع المعروف (مخطوط بدار الكتب رقم ١٨٢٦ حديث) .
الاثنان لعبد العظيم بن عبد القوى المنذرى المتوفى سنة ٦٥٦ هـ.
٨ - الأربعون صحيفة من الأحاديث القدسية (طبع مصر) .
لمحمد بن على المعروف بابن عربى المتوفى سنة ٦٧٦ هـ .
٩ - الأربعون النووية (مخطوط بدار الكتب رقم ٥١ حديث) .
ليحيى بن شرف النووى المتوفى سنة ٦٧٦ هـ .
١٠ - أسرار البلاغة (الطبعة الثالثة سنة ١٣٥٨ هـ (١٩٣٩ م) .
لعبد القاهر الجرجانى المتوفى سنة ٤٧١ هـ .
١١ - الاسلام والحضارة العربية (مطبعة دار الكتب بالقاهرة سنة ١٩٣٤ م) .
لمحمد كرد على .
١٢ - الاشارات الى معرفة الزيارات (مخطوط بدار الكتب رقم ٣ م جغرافيا) .

لعلى أبى الحسن بن أبى بكر بن على الهروى الموصلى المتوفى سنة ٦١١ هـ .
١٣ ــ الاشارة الى الايجاز فى بعض أنواع المجاز (طبع الآستانة سنة ١٣١٣ هـ) .
لعبد العزيز بن عبد السلام المتوفى سنة ٦٦٠ هـ .
١٤ ــ الاشارة الى من نال الوزارة (مطبعة المعهد العلمى للآثار الشرقية سنة ١٩٢٤ م) .
لعلى بن منجب الصيرفى المتوفى سنة ٥٤٢ هـ .
١٥ ــ أصول الاسماعيلية (طبع دار الكتاب العربى بمصر) .
لبرنارد لويس ، ونقله الى العربية خليل جلو ، وجاسم الرجب .
١٦ ــ الاعتبار (طبعة جامعة برنستون بالولايات المتحدة سنة ١٩٣٠م) .
لأسامة بن منقذ المتوفى سنة ٥٨٤ هـ .
١٧ ــ اعجاز القرآن (ط القاهرة سنة ١٣٤٩ هـ) .
لمحمد بن الطيب الباقلانى المتوفى سنة ٤٠٣ هـ .
١٨ ــ الاعجاز والايجاز (ط مصر سنة ١٨٩٧) .
لأبى منصور الثعالبى .
١٩ ــ الأعلام (المطبعة العربية بمصر سنة ١٣٤٥ هـ ــ ١٩٢٧ م) .
لخير الدين الزركلى .
٢٠ ــ اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء (المطبعة العلمية بحلب من سنة ١٣٤٢ هـ الى سنة ١٣٤٥ هـ (١٩٢٣ ــ ١٩٢٦ م) .
لمحمد راغب بن محمود بن هاشم الطباخ الحلبى .
٢١ ــ الافادة والاعتبار ، فى الأمور المشاهدة والحوادث المعانية بأرض مصر (طبع حجر) .
لعبد اللطيف البغدادى المتوفى سنة ٦٧٧ هـ .
٢٢ ــ الأقصى القريب (مطبعة السعادة) .
لمحمد بن محمد بن عمر التنوخى (أحد أعيان المائة السابعة) .
٢٣ ــ اكتفاء القنوع ، بما هو مطبوع ، من أشهر التآليف العربية ، فى المطابع الشرقية والغربية (مطبعة الهلال سنة ١٨٩٦ م) .

لادوارد فنديك .

٢٤ – ألفية بن مالك ، لمحمد بن عبد الله بن مالك المتوفى سنة ٦٧٢ هـ.

٢٥ – أمالى ابن الحاجب (مخطوطة بدار الكتب رقم ١٠٠٧ نحو) .
لعثمان بن عمر بن الحاجب المتوفى سنة ٦٤٦ هـ .

٢٦ – أنباء نجباء الأبناء (مطبعة التقدم بالقاهرة) .
لمحمد بن محمد بن ظفر الصقلى . المتوفى سنة ٥٦٥ هـ .

٢٧ – الانتصار لواسطة عقد الأمصار (مطبعة بولاق سنة ١٣٠٩ هـ) .
لابراهيم بن محمد بن أيدمر بن دقماق المتوفى سنة ٨٠٩ هـ) .

٢٨ – الانتصاف من الكشاف . مطبوع على هامش الكشاف (المطبعة البهية المصرية سنة ١٣٤٣ هـ) .
لأحمد بن محمد بن المنير المتوفى سنة ٦٨٣ هـ .

٢٩ – الأنس الجليل ، بتاريخ القدس والخليل (المطبعة الوهبية سنة ١٢٨٣ هـ) .
لعبد الرحمن العليمى الحنبلى المقدس المتوفى سنة ٩٢٧ هـ .

٣٠ – بحار القرآن (مخطوط بدار الكتب رقم ٣٢ تفسير) :
لعبد العزيز بن عبد السلام المتوفى سنة ٦٦٠ هـ .

٣١ – البحر الكبير فى نخب التفسير (بدار الكتب منه الجزء الثالث . مخطوط رقم ٦٠ تفسير) .
لأحمد بن محمد بن المنير المتوفى سنة ٦٨٣ هـ .

٣٢ – بدائع البدائة (مطبعة بولاق سنة ١٢٧٨ هـ) .
لعلى بن ظافر الأزدى المتوفى سنة ٦٢٧ هـ .

٣٣ – بدائع الزهور فى وقائع الدهور (مطبعة بولاق سنة ١٣١١ هـ) .
لمحمد بن أحمد المعروف بابن اياس المصرى المتوفى سنة ٩٣٠ هـ

٣٤ – بدائع القرآن (مخطوط بدار الكتب رقم ٢٥٠ بلاغة) .
لعبد العظيم بن عبد الواحد بن أبى الاصبع المتوفى سنة ٦٥٤ هـ.

٣٥ – البداية والنهاية (مطبعة السعادة بمصر) .
لاسماعيل بن عمر القرشى، المعروف بابن كثير المتوفى سنة ٧٧٤ هـ

٣٦ – البديع (مخطوط بدار الكتب رقم ٥ م بلاغة) .

لأسامة بن منقذ المتوفى سنة ٥٨٤ هـ .

٣٧ ـ البديع (مطبعة البابى الحلبى سنة ١٣٦٤ هـ (١٩٤٥ م) .
لعبد الله بن المعتز المتوفى سنة ٢٩٦ هـ .

٣٨ ـ بغية الطلب فى تاريخ حلب (مخطوط بدار الكتب رقم ٥٤٢٣ تاريخ) .
لعمر بن أحمد بن هبة الله بن العديم المتوفى سنة ٦٦٠ هـ .

٣٩ ـ بغية الوعاة (مطبعة السعادة سنة ١٣٢٦ هـ) .
لعبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى المتوفى سنة ٩١١ هـ .

٤٠ ـ البلاغة العربية وأثر الفلسفة فيها (بحث ألقى بالجمعية الجغرافية فى مارس سنة ١٩٣١ م) .
للأستاذ أمين الخولى بك .

٤١ ـ تاج التراجم فى طبقات الحنفية (طبع ليبسك سنة ١٢٨٨ هـ (١٨٦٢ م) .
لقاسم بن قطلوبغا المتوفى سنة ٨٧٩ هـ .

٤٢ ـ تاريخ آداب العرب (مطبعة الاستقامة) .
لمحمد صادق الرافعى .

٤٣ ـ تاريخ الأدب العربى بمصر والشام ، على عهدى الفاطميين والأيوبيين (طبع مصر سنة ١٩٤٦ م) .

٤٤ ـ تاريخ الأدب العربى بمصر والشام ، على عهدى المماليك والعثمانيين (طبع مصر سنة ١٩٤٨ م) .
الاثنان للأستاذ السباعى بيومى بك .

٤٥ ـ تاريخ بطرس بن أبى الكرم (طبعة بيروت سنة ١٩٠٣) .
لبطرس بن أبى الكرم بن المهذب (كان موجودا سنة ٦٦٩ هـ) .

٤٦ ـ تاريخ الجامع الأزهر (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٤٢ م) .
للأستاذ محمد عبد الله عنان .

٤٧ ـ تاريخ الحكماء (طبع ليبسك سنة ١٣٢٠ هـ (١٩٠٣ م) .
لعلى بن يوسف القفطى المتوفى سنة ٦٤٦ هـ .

٤٨ ــ تاريخ دولة المماليك فى مصر (مطبعة المعارف بمصر سنة ١٩٢٤م).
لوليم موير ــ ترجمه الى العربية محمود عابدين ، وسليم حسن.

٤٩ ــ تاريخ أبى صالح الأرمنى (مصور بدار الكتب رقم ٤٠٢٨ تاريخ).
لأبى صالح الأرمنى (كان موجودا سنة ٥٦٤ هـ) .

٥٠ ــ تاريخ ابن العميد (مصور بدار الكتب رقم ٥٠١ تاريخ) .
لجرجس بن العميد المتوفى سنة ٦٧٢ هـ .

٥١ ــ تاريخ القضاء فى الاسلام (طبع مصر سنة ١٣٥٢ هـ ــ ١٩٣٤م).
لمحمود بن محمد بن عرنوس .

٥٢ ــ تاريخ مدينة دمشق (مخطوط بالمكتبة التيمورية رقم ١٠٤١ تاريخ) .
لعلى بن الحسن بن هبة الله بن عساكر المتوفى سنة ٥٧١ هـ .

٥٣ ــ تاريخ المسلمين (طبع ليدن سنة ١٦٢٥ م) .
لجرجس بن العميد المتوفى سنة ٦٧٢ هـ .

٥٤ ــ تاريخ ابن الوردى (المطبعة الوهبية سنة ١٢٨٥ هـ) .
لعمر بن الوردى المتوفى سنة ٧٤٩ هـ .

٥٥ ــ التبرك المسبوك ، فى تواريخ الملوك (مخطوط بدار الكتب رقم ٨٦ م تاريخ) .
لاسماعيل بن على بن محمود : الملك المؤيد المتوفى سنة ٧٣٢هـ

٥٦ ــ التبيان فى علم البيان (مخطوط بدار الكتب رقم ٣٩٥ بلاغة) .
لعبد الواحد بن عبد الكريم بن الزملكانى المتوفى سنة ٦٥١ هـ .

٥٧ ــ تبيين كذب المفترى فيما نسب الى أبى الحسن الأشعرى (نشره المقدسى) .
لعلى بن الحسن بن هبة الله بن عساكر المتوفى سنة ٥٧١ هـ .

٥٨ ــ تحرير التحبير (مخطوط بدار الكتب رقم ٤٦٥ بلاغة ، وبمكتبة معهد دمياط رقم ٦٤ بلاغة) .

لعبد العظيم بن عبد الواحد بن أبى الاصبع المتوفى سنة ٦٥٤ هـ.

٥٩ — تحفة البارى على صحيح البخارى (مخطوط بدار الكتب رقم ١٣٧ حديث) .
ليحيى بن شرف النووى المتوفى سنة ٦٧٦ هـ .

٦٠ — التذكار فى أفضل الأذكار (مخطوط بدار الكتب رقم ب٢٣٠٤٦)

٦١ — التذكرة ، بأحوال الموتى وأمور الآخرة (مخطوط بدار الكتب رقم ٨٨٣ تصوف) .
كلاهما لمحمد بن أحمد بن فرج القرطبى المتوفى سنة ٦٧١ هـ .

٦٢ — تذكرة الحفاظ (طبعة حيدر أباد) .
لمحمد بن أحمد المعروف بالذهبى المتوفى سنة ٧٤٨ هـ .

٦٣ — الترغيب والترهيب (طبع مصر سنة ١٣٢٤ هـ) .
لعبد العظيم بن عبد القوى المنذرى المتوفى سنة ٦٥٦ هـ .

٦٤ — تعريف الشيعة (مطبعة العرفان بصيدا سنة ١٣٥٢ هـ (١٩٣٣م) .
لعبد الرازق الحسنى .

٦٥ — التعليم فى مصر (مطبعة المعارف بمصر سنة ١٣٣٥ هـ — ١٩١٧م).
لأمين باشا سامى .

٦٦ — التعليم فى مصر فى العصر الفاطمى الأول (مطبعة الاعتماد) .
للأستاذ خطاب عطية على .

٦٧ — تقويم البلدان (ط باريس سنة ١٨٤٠ م) .
لاسماعيل بن على بن محمود : الملك المؤيد المتوفى سنة ٧٣٢هـ

٦٨ — تقويم النيل (مطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٣٥٥ هـ (١٩٣٦) .
لأمين باشا سامى .

٦٩ — تنبيه الطالب وارشاد الدارس ، فيما بدمشق من الجوامع والمدارس (مخطوط بالمكتبة التيمورية رقم ١٤٩٨ تاريخ) .
لعبد القادر بن محمد بن عمر النعيمى المتوفى سنة ٨٢٧ هـ .

٧٠ ـ التنقيب على ما فى المقامات من الغريب (مخطوط بدار الكتب رقم ٧٤٤١ ـ أدب) .
لمحمد بن محمد بن ظفر الصقلى المتوفى سنة ٥٦٥ هـ .

٧١ ـ التيسير فى علم التفسير (طبع مصر سنة ١٣١٠ هـ) .
لعبد العزيز بن أحمد بن سعيد الديرينى المتوفى سنة ٦٩٧ هـ .

٧٢ ـ جامع أحكام القرآن (طبع دار الكتب سنة ١٩٣٣ م) .
لمحمد بن أحمد بن أبى بكر بن فرح القرطبى المتوفى سنة ٦٧١ هـ.

٧٣ ـ جزء فيه أحاديث عوال (مخطوط بدار الكتب رقم ٢٠٢٤ حديث)
لعبد المؤمن بن خلف الدمياطى المتوفى سنة ٧٠٦ هـ .

٧٤ ـ الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية (دار النشر الحديث بالقاهرة) .
للأستاذ محمد عبد الله عنان .

٧٥ ـ حديث آداب القرآن (مخطوط بدار الكتب رقم ٥٤٥ مجاميع حديث) .
ليحيى بن شرف النووى المتوفى سنة ٦٧٦ هـ .

٧٦ ـ حسن المحاضرة فىأخبار مصر والقاهرة (ط مصر سنة ١٣٢١هـ) .
لعبد الرحمن بن بكر السيوطى المتوفى سنة ٩١١ هـ .

٧٧ ـ الحماسة البصرية (مخطوط بدار الكتب رقم ٥٢٠ ـ أدب) .
لعلى بن أبى الفرج بن الحسن البصرى المتوفى سنة ٦٥٦ هـ .

٧٨ ـ حواش على درة الغواص ، فى أوهام الخواص (مخطوط بدار الكتب رقم ١٩٨ مجاميع م) .
لعبد الله بن برى المتوفى ٥٨٢ هـ .

٧٩ ـ خريدة القصر وجريدة أهل العصر (مصور بدار الكتب رقم ٤٢٥٥ أدب) .
لمحمد بن محمد بن نفيس: العماد الأصفهانى المتوفىسنة ٥٩٧ هـ.

٨٠ ـ الخطط التوفيقية الجديدة (مطبعة بولاق سنة ١٣٠٥ هـ) .
لعلى مبارك باشا المتوفى سنة ١٣١١ هـ .

٨١ ـ خطط الشام (مطبعتى الترقى والحديثة بدمشق من سنة ١٣٤٣ هـ (١٩٢٥ م) الى سنة ١٣٤٦ هـ (١٩٢٧ م) .
للأستاذ محمد كرد على .

٨٢ ـ خلاصة الأحكام ، من مهمات السنن وقواعد الاسلام (مخطوط بدار الكتب رقم ٢٠٩ حديث) .
ليحيى بن شرف النووى المتوفى سنة ٦٧٦ هـ .

٨٣ ـ دائرة المعارف الاسلامية .
قام بترجمتها الى العربية عبد الحميد يونس وزملاؤه .

٨٤ ـ دار الطراز (مخطوط بدار الكتب رقم ٢٠٣٨ ـ أدب) .
لهبة الله بن جعفر بن سناء الملك المتوفى سنة ٦٠٨ هـ .

٨٥ ـ الدرارى فى ذكر الذرارى (مطبعة الجوانب بالآستانة سنة ١٢٩٨ هـ) .
لعمر بن أحمد بن هبة الله بن العديم المتوفى سنة ٦٦٠ هـ .

٨٦ ـ الدرة الألفية فى علم العربية (مخطوط بدار الكتب رقم ١٠٣١ نحو) .
ليحيى بن معطى الزواوى المتوفى سنة ٦٢٧ هـ .

٨٧ ـ الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة (طبع الهند سنة ١٣٥٠ هـ) .
لأحمد بن على بن حجر الكنانى المتوفى سنة ٨٥٢ هـ .

٨٨ ـ دلائل الاعجاز (الطبعة الثانية) .
لعبد القاهر الجرجانى المتوفى سنة ٤٧١ هـ) .

٨٩ ـ دول الاسلام (طبعة حيدر أباد سنة ١٣٣٧ هـ) .
لمحمد بن أحمد المعروف بالذهبى المتوفى سنة ٧٤٨ هـ .

٩٠ — الديباج المذهب ، فى معرفة علماء أعيان المذهب : طبقات المالكية
طبع فاس سنة ١٣١٦ هـ) .
لابراهيم بن على بن فرحون المتوفى سنة ٧٩٩ هـ .

٩١ — ديوان ابن عنين (طبع دمشق سنة ١٩٤٦ م) .
لمحمد بن نصر بن عنين المتوفى سنة ٦٣٠ هـ .

٩٢ — ذيل تاريخ دمشق (طبع بيروت سنة ١٩٠٨ م) .
لحمزة بن القلانسى المتوفى سنة ٥٥٥ هـ .

٩٣ — ذيل الروضتين (نشره السيد عزت العطار — الطبعة الأولى سنة ١٩٤٧ م) .
لعبد الرحمن بن اسماعيل المقدسى: أبو شامة المتوفى سنة ٦٦٥ هـ.

٩٤ — رحلة ابن جبير (الطبعة الأولى بمصر سنة ١٩٠٨ م) .
لمحمد بن أحمد بن جبير الكنانى الأندلسى المتوفى سنة ٦١٤ هـ .

٩٥ — رفع الاصر عن قضاة مصر (مخطوط بدار الكتب رقم ١٠٥ تاريخ) .
لأحمد بن على بن حجر الكنانى المتوفى سنة ٨٥٢ هـ .

٩٦ — روضات الجنات فى أحوال العلماء والسادات : أعيان الشيعة (طبع فاس سنة ١٣٠٧ هـ) .
لمحمد باقر الحاجى أمير زين العابدين الموسوى .

٩٧ — الروضتين فى أخبار الدولتين (طبع مصر سنة ١٢٨٧ هـ) .
لعبد الرحمن بن اسماعيل المقدسى: أبو شامة المتوفىسنة ٦٦٥هـ.

٩٨ — رياض الصالحين (طبع مصر سنة ١٣٢٥ هـ) .
ليحيى بن شرف النووى المتوفى سنة ٦٧٦ هـ .

٩٩ — سراج الملوك (المطبعة الوطنية بالاسكندرية سنة ١٢٨٩ هـ) .
لمحمد بن الوليد الطرطوشى المتوفى سنة ٥٢٠ هـ .

١٠٠ ــ سر الفصاحة (طبع القاهرة سنة ١٣٥٠ هـ (١٩٣٢ م) .
لعبد الله بن محمد بن سنان الخفاجى المتوفى سنة ٤٦٦ هـ .

١٠١ ــ سفر السعادة ، وسفير الافادة : شرح أمثال المفصل مخطوط بدار الكتب رقم ١٧ شّ) .
لعلى بن محمد بن عبد الصمد : علم الدين السخاوى ، المتوفى سنة ٦٤٣ هـ .

١٠٢ ــ سلوان المطاع فى عدوان الأتباع (مطبعة الدولة التونسية سنة ١٢٧٩ هـ) .
لمحمد بن محمد بن ظفر الصقلى المتوفى سنة ٥٦٥ هـ .

١٠٣ ــ السلوك ، لمعرفة دول الملوك (نشر الدكتور محمد مصطفى زيادة أقساما منه . طبع القاهرة سنة ١٩٣٩ م) .
لأحمد بن على المقريزى المتوفى سنة ٨٤٥ هـ .

١٠٤ ــ السنة والشيعة (طبع القاهرة سنة ١٣٦٦ هـ (١٩٤٧ م) .
لمحمد رشيد رضا .

١٠٥ ــ السهم المصيب فى الرد على الخطيب (مطبعة السعادة سنة ١٣٥١ هـ (١٩٣٢ م) .
الملك المعظم عيسى بن الملك العادل بن أيوب المتوفى سنة ٦٢٤ هـ .

١٠٦ ــ شذرات الذهب ، فى أخبار من ذهب (عنى بنشره حسام الدين المقدسى سنة ١٣٥٠ هـ) .
لعبد الحى بن العماد الحنبلى المتوفى سنة ١٠٨٩ هـ .

١٠٧ ــ شرح ألفية ابن مالك (مخطوط بدار الكتب رقم ٢٢ نحو) .
لمحمد بن محمد بن عبد الله بن مالك المتوفى سنة ٦٨٦ هـ .

١٠٨ ــ شرح المفصل (طبعة ادارة الطباعة المنيرية) .
ليعيش بن يعيش المتوفى سنة ٦٤٣ هـ .

١٠٩ ـ الشيعة وفنون الاسلام (طبع صيدا سنة ١٣٣١ هـ) .
لحسن الصــدر .

١١٠ ـ صبح الأعشى (مطبعة دار الكتب سنة ١٩٢٨ م) .
لأحمد بن على بن أحمد القلقشندى المتوفى سنة ٨٣١ هـ .

١١١ ـ الصناعتين (طبع محمد على صبيح ـ الطبعة الثانية) .
للحسن بن عبد الله بن سهل العسكرى المتوفى سنة ٣٨٢ هـ.

١١٢ ـ ضحى الاسلام جـ ٣ (طبع القاهرة سنة ١٣٥٥ هـ (١٩٣٦ م) .
للدكتور أحمد أمين بك .

١١٣ ـ الطالع السعيد ، الجامع لأسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد
(مطبعة الجمالية سنة ١٣٣٢ هـ (١٩١٤ م) .
لجعفر بن ثعلب بن جعفر الأدفوى المتوفى سنة ٧٤٨ هـ .

١١٤ ـ طبقات الحفاظ (طبع كوتتاج سنة ١٨٣٢ م) .
لعبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى المتوفى سنة ٩١١ هـ .

١١٥ ـ طبقات الحنابلة (مخطوط بالمكتبة التيمورية رقم ٢١٤٨ تاريخ).
لعبد الرحمن بن شهاب الدين المعروف بابن رجب الحنبلى ،
المتوفى سنة ٧٩٥ هـ .

١١٦ ـ طبقات الحنفية (مخطوط بدار الكتب رقم ٨٤٣ تاريخ) .
لرفيع الدين الشروانى .

١١٧ ـ طبقات الشافعية (مخطوط بدار الكتب رقم ١٥٦٨ تاريخ) .
لأبى بكر أحمد المعروف بابن قاضى شهبة المتوفى سنة ٨٥١ هـ

١١٨ ـ طبقات الشافعية (ط بغداد) .
لأبى بكر بن هداية الله الحسينى المتوفى سنة ١٠١٤ هـ .

١١٩ ـ طبقات الشافعية الكبرى (المطبعة الحسينية ـ الطبعة الأولى
سنة ١٣٢٤ هـ)
لعبد الوهاب بن على بن السبكى المتوفى سنة ٧٧١ هـ .

١٢٠ ـ طبقات الفقهاء ، و ... والقراء ، والنحاة ، واللغويين ، والشعراء (مخطوط بدار الكتب رقم ١٦٦ تاريخ) .
لمحمد أمين بن حبيب بن أبى بكر (من علماء القرن الثالث عشر)

١٢١ ـ طبقات القراء المشهورين (مصور بدارالكتب رقم ١٥٣٧تاريخ).
لمحمد بن أحمد المعروف بالذهبى المتوفى سنة ٧٤٨ هـ .

١٢٢ ـ الطبقات الكبرى (طبع الحاج عبدالسلام بن محمد بن‌شقرون).
لعبد الوهاب الشعرانى المتوفى سنة ٩٧٣ هـ .

١٢٣ ـ طبقات المفسرين (طبع ليدن سنة ١٨٣٨ م) .
لعبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى المتوفى سنة ٩١١ هـ .

١٢٤ ـ طبقات المفسرين (مخطوط بدار الكتب رقم ١٦٨ تاريخ) .
لمحمد بن على بن أحمد الداودى (كان موجودا سنة ٩٤١ هـ).

١٢٥ ـ عجائب الآثار فى التراجم والأخبار (المطبعة الشرفية بمصر سنة ١٣٣٢ هـ) .
لعبد الرحمن بن حسن‌الجبرتى المتوفى سنة١٢٤١ هـ (١٨٢٥م)

١٢٦ ـ عروس الأفراح فى شرح تلخيص المفتاح (شروح التلخيص ـ الطبعة الثانية ـ مطبعة السعادة ١٣٤٣ هـ) .
لبهاء الدين السبكى .

١٢٧ ـ العروض البارع (مخطوط بمكتبة معهد دمياط رقم ١١ عروض وقواف) .
لعلى بن جعفر بن القطاع المتوفى سنة ٥١٥ هـ .

١٢٨ ـ عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان (مخطوط بدار الكتب رقم ٧١ م تاريخ) .
لمحمود بن أحمد المعروف بالعينى الحنفى المتوفى سنة ٨٥٥هـ.

١٢٩ ـ العقد الفريد للملك السعيد (مطبعة الوطن ١٣٠٦ هـ ؟ .
لمحمد بن طلحة المتوفى سنة ٦٢٥ هـ .

١٣٠ ــ العقد المذهب فى طبقات حملة المذهب (مخطوط بدار الكتب رقم ٥٧٩ تاريخ) .
لعمر بن أحمد المعروف بابن الملقن المتوفى سنة ٨٠٤ هـ .

١٣١ ــ علم الحديث (طبع مصر سنة ١٣٢٦ هـ) .
لعثمان بن عبد الرحمن بن الصلاح المتوفى سنة ٦٤٣ هـ .

١٣٢ ــ العمدة فى صناعة الشعر ونقده (المطبعة الأولى سنة ١٣٢٥ هـ ١٩٠٧ م) .
للحسن بن رشيق القيروانى المتوفى سنة ٥٦٣ هـ .

١٣٣ ــ عيون الأنباء فى طبقات الأطبــاء (الطبعة الأولى ــ المطبعة الوهبية سنة ١٨٩٢ م) .
لأحمد بن القاسم بن خليفة بن أبى أصيبعة المتوفى سنة ٦٦٨هـ

١٣٤ ــ غاية النهاية فى طبقات القراء (مطبعة السعادة سنة ١٩٣٢ م) .
لمحمد بن محمد الجزرى المتوفى سنة ٨٣٢ هـ .

١٣٥ ــ الفاطميون فى مصر (المطبعة الأميرية بالقاهرة سنة ١٩٣٢ م) .
للدكتور حسن ابراهيم حسن .

١٣٦ ــ فن القول ، لمعهد الدراسات العليا (مطبعة مصطفى البابى الحلبى سنة ١٣٦٦ هـ) . (١٩٤٧ م) .
للأستاذ أمين الخولى بك .

١٣٧ ــ الفهرست (طبع المطبعة الرحمانية) .
لمحمد بن اسحق النديم المتوفى سنة ٣٨٥ هـ .

١٣٨ ــ الفوائد البهية، فى تراجم الحنفية (مطبعة السعادة سنة ١٣٢٤هـ).
لمحمد عبد الحى اللكنوى الهندى .

١٣٩ ــ فوات الوفيات (مطبعة بولاق سنة ١٢٩٩ هـ) .
لمحمد بن شاكر بن أحمد الكتبى المتوفى سنة ٧٦٤ هـ .

١٤٠ ــ فى الأدب المصرى : فكرة ومنهج (مطبعة الاتحاد سنة ١٩٤٣م).
للأستاذ أمين الخــولى بك .

١٤١ ــ الفيح القسى فى الفتح القدسى (طبع ليدن سنة ١٨٨٨ م) .
لمحمد بن محمدبن نفيس: العماد الأصفهانىالمتوفى سنة ٥٩٧هـ

١٤٢ ــ قانون ديوان الرسائل (مطبعة الواعظ بمصر سنة ١٩٠٥ م) .
لعلى بن منجب الصيرفى المتوفى سنة ٥٤٢ هـ .

١٤٣ ــ لباب الآداب (طبع مصر سنة ١٩٣٥ م) .
لأسامة بن منقذ المتوفى سنة ٥٨٤ هـ .

١٤٤ ــ لسان العرب (طبع مصر سنة ١٣٠٠ هـ) .
لمحمد بن مكرم بن منظور المتوفى سنة ٧١١ هـ .

١٤٥ ــ لمحة فى تاريخ الأزهر (مطبعة الفتوح ــ الطبعة الثانية سنة ١٣٥٥ هـ (١٩٣٦ م) .
للدكتور على عبد الواحد وافى .

١٤٦ ــ الكافية الشافية (مخطوط بدار الكتب رقم ٢٣٦ نحو) .
لمحمد بن عبد الله بن مالك المتوفى سنة ٦٧٢ هـ .

١٤٧ ــ الكامل فى التاريخ (المطبعة الأزهرية المصرية ــ الطبعة الأولى سنة ١٣٠١ هـ) .
لعلى بن محمد بن الأثير المتوفى سنة ٦٣٠ هـ .

١٤٨ ــ كتائب أعلام الأخيــار ، من فقهاء مذهب النعمــان المختار (مخطوط بدار الكتب رقم ٨٤ م تاريخ) .
لمحمود بن سليمان الشهير بالكفوى الحنفى .

١٤٩ ــ كشاف اصطلاحات الفنون (مطبعة اقدام بالآستانة سنة١٣١٧هـ).
لمحمد بن على التهانوى .

١٥٠ ــ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (المطبعة البهية المصرية سنة ١٣٤٣ هـ) .
لمحمود بن عمر الزمخشرى المتوفى سنة ٥٣٨ هـ .

١٥١ ــ كشف الظنون (طبع الآستانة سنة ١٩٤١ م) .
لمصطفى بن عبد الله (حاجى خليفة) المتوفى سنة ١٠٦٦ هـ .

١٥٢ ــ مؤنس الوحدة (مصور بدار الكتب رقم ٥٠٧٠ ــ أدب) .

١٥٣ ــ المثل السائر ، فى أدب الكاتب والشاعر (المطبعة البهية) .
الكتابان لنصر الله بن محمد بن الأثير المتوفى سنة ٦٢٧ هـ .

١٥٤ ــ المختصر فى أخبار البشر (طبع دار الطباعة بالآستانة سنة ١٢٨٦ هـ) .
لاسماعيل بن على بن محمد : الملك المؤيد المتوفى سنة ٧٣٢هـ

١٥٥ ــ مختصر مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (مخطوط بدار الكتب رقم ٧٢٨ تاريخ) .

١٥٦ ــ مختصر مناقب أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز (مخطوط بدار الكتب رقم ٢٣٣٤ تاريخ) .
الكتابان لأسامة بن منقذ المتوفى سنة ٥٨٤ هـ .

١٥٧ ــ مرآة الزمان (مخطوط بدار الكتب رقم ٥٥١ تاريخ) .
ليوسف بن قزأوغلى : سبط ابن الجوزى المتوفى سنة ٦٤٥ هـ .

١٥٨ ــ مراصد الاطلاع فى أسماء الأمكنة والبقاع (طبع ليدن من سنة ١٨٥٠ الى سنة ١٨٥٩ م) .

١٥٩ ــ المشترك وضعا والمفترق صقعا (طبع جوتنجن سنة ١٨٤٦ م) .
الكتابان لياقوت الرومى المتوفى سنة ٦٢٦ هـ .

١٦٠ ــ المصباح ، فى المعانى والبيان والبديع (المطبعة الخيرية سنة ١٣٤١ هـ) .
لمحمد بن محمد بن عبد الله بن مالك المتوفى سنة ٦٨٦ هـ .

١٦١ ــ مصر الاسلامية وتاريخ الخطط المصرية (مطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٣١ م) .
للأستاذ محمد عبد الله عنـــان .

١٦٢ - مصر فى تاريخ البلاغة (بحث ألقيت خلاصته بالجمعية الجغرافية فى ٧ مارس سنة ١٩٣٤ م) .
للأستاذ أمين الخولى بك .

١٦٣ - مطالب السول ، فى مناقب آل الرسول (مخطوط بدار الكتب رقم ١٥٥٣ تاريخ) .
لمحمد بن طلحة المتوفى سنة ٦٢٥ هـ .

١٦٤ - المطرب من أشعار أهل المغرب (مصور بدار الكتب رقم ز ١٠٣١٠ أدب) .
لعمر بن الحسين بن على دحية المتوفى سنة ٦٣٣ هـ .

١٦٥ - معارك حاسمة .
للأستاذ محمد عبد الله عنان .

١٦٦ - معالم الكتابة ومغانم الاصابة (طبع بيروت سنة ١٩١٣ م) .
لعبد الرحيم بن على بن شيث (كان موجودا فى عهد صلاح الدين وأخيه العادل) .

١٦٧ - معجم الأدباء (نشره الدكتور فريد رفاعى سنة ١٩٣٦ م) .
لياقوت الرومى المتوفى سنة ٦٢٦ هـ .

١٦٨ - معجم الأطباء (طبع مصر سنة ١٣٦١ هـ (١٩٤٢ م) .
للدكتور أحمدعيسى .

١٦٩ - معجم البلدان (مطبعة السعادة سنة ١٣٢٣ هـ) .
لياقوت الرومى المتوفى سنة ٦٢٦ هـ .

١٧٠ - مفتاح السعادة (مخطوط بدار الكتب رقم ١٧ م معارف عامة).
لأحمد بن مصلح الدين مصطفى المعروف بطاشكبرى زاده المتوفى سنة ٩٦٨ هـ .

١٧١ - مفتاح العلوم (المطبعة الميمنية سنة ١٣١٨ هـ) .
ليوسف السكاكى المتوفى سنة ٦٢٦ هـ .

١٧٢ ــ المفتاح المنشأ فى حديقة الانشا (مصــور بدار الكتب رقم ٤٩٣٤ ــ أدب) .
لنصر الله بن محمد بن الأثير المتوفى سنة ٦٣٧ هـ .

١٧٣ ــ مفرج الكروب فى دولة بنى أيوب (مصور بدار الكتب رقم ٥٣١٩ تاريخ) .
لمحمد بن سالم بن نصر الله بن واصل المتوفى سنة ٦٩٧ هـ .

١٧٤ ــ مقدمة ابن خلدون (المطبعة البهية) .
لعبد الرحمن بن خلدون المتوفى سنة ٨٠٨ هـ .

١٧٥ ــ المقصد الأرشد ، فى تراجم أصحاب الامام أحمد (مخطوط بدار الكتب رقم ٣٩٨١ تاريخ) .
لابراهيم بن محمد بن عبــد الله المقدسى الحنبلى المتــوفى سنة ٨٨٤ هـ .

١٧٦ ــ مناجاة (مخطوطة بدار الكتب رقم ١٤٢ م مجاميع) .
ليحيى بن حبش السهروردى المتوفى سنة ٥٨٧ هـ .

١٧٧ ــ منظومة غرامى صحيح (فى مجموع المتون ــ مطبعة التقدم العلمية بمصر سنة ١٣١٩ هـ .
لأحمد بن فرج الاشبيلى المتوفى سنة ٦٩٩ هـ .

١٧٨ ــ منهاج القاصدين ، فى فضائل الخلفاء الراشدين (مخطوط بدار الكتب رقم ١٢١٨ تاريخ) .
لعبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسى المتوفى سنة ٦٢٠ هـ .

١٧٩ ــ المنهج الأحمد فى تراجم أصحاب الامام أحمد (نسخة فى أربعة مجلدات ، مضورة بدار الكتب رقم ٨١١ تاريخ ، ونســخة أخرى بالمكتبة التيمورية ، جزءان فى مجلدين ، مخطوطة رقم ٨٣٨ تاريخ) .
لعبد الرحمن بن محمد العمرى .

١٨٠ ــ المنهج المسلوك فى سياسة الملوك (مخطوط بدار الكتب رقم ٢٩٢٧ أدب) .
لعبد الرحمن بن عبد الله بن نصر المتوفى سنة ٥٨٩ هـ .

١٨١ ــ الموازنة بين أبى تمام والبحترى (مطبعة محمد على صبيح) .
للحسن بن بشر بن يحيى الآمدى المتوفى سنة ٣٧١ هـ (٩٨١م).

١٨٢ ــ المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (خطط المقريزى ــ طبع مصر سنة ١٣٢٥ هـ) .
لأحمد بن على المقريزى المتوفى سنة ٨٤٥ هـ .

١٨٣ ــ موسى بن ميمون (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٣٥٥ هـ) .
لاسرائيل ولفنسون .

١٨٤ ــ نثار الأزهار ، فى الليل والنهار (مطبعة الجوائب بالآستانة سنة ١٢٩٨ هـ) .
لمحمد بن مكرم بن منظور المتوفى سنة ٧١١ هـ .

١٨٥ ــ نثر الجمان فى تراجم الأعيان (مخطوط بدار الكتب رقم ١٧٤٦ تاريخ) .
لأحمد بن محمد بن على الفيومى .

١٨٦ ــ النجوم الزاهرة ، فى ملوك مصر والقاهرة (مطبعة دار الكتب سنة ١٣٥٣ هـ (١٩٣٥ م) .
ليوسف بن تغرى بردى الأتابكى .

١٨٧ ــ نخبة الدهر ، فى عجائب البر والبحر (طبع مدينة بطرس برج سنة ١٨٦٦ م) .
لمحمد بن أبى طالب الأنصارى الصوفى الدمشقى المتوفى سنة ٧٢٧ هـ .

١٨٨ ــ نفح الطيب (مطبعة بولاق سنة ١٢٧٩ هـ) .
لأحمد بن محمد بن أحمد الشهير بالمقرى المتوفى سنة ١٠١٤ هـ.

١٨٩ — نقد الشعر (مطبعة الجوائب بالقسطنطينية سنة ١٣٠٢ هـ) .
لقدامة بن جعفر المتوفى سنة ٣١٠ هـ .

١٩٠ — النكت العصرية ، فى أخبار الوزراء المصرية (طبع مدينة شالون سنة ١٨٩٧ م) . لعمارة اليمنى المتوفى سنة ٥٦٩ هـ .

١٩١ — نكت الهميان ، فى نكت العميان (مطبعة الجمالية بمصر سنة ١٩١١ م) .
لخليل بن أيبك الصفدى المتوفى سنة ٧٦٤ هـ .

١٩٢ — نهاية الأرب فى فنون الأدب (مصور بدار الكتب رقم ٥٤٩ معـارف عامة) .
لأحمد بن عبد الوهاب النويرى المتوفى سنة ٧٣٢ هـ .

١٩٣ — نهاية الرتبة فى طلب الحسبة (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٤٦ م) .
لعبد الرحمن بن عبد الله بن نصر المتوفى سنة ٥٨٩ هـ .

١٩٤ — النهج السديد ، والدر الفريد ، فيما بعد تاريخ ابن العميد (طبع باريس سنة ١٩٢٠ م) .
لمفضل بن أبى الفضائل .

١٩٥ — النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية (مطبعة الآداب بمصر سنة ١٣١٧ هـ) .
ليوسف بن شداد المتوفى سنة ٦٣٢ هـ .

١٩٦ — الوساطة بين المتنبى وخصومه (مطبعة محمد على صبيح) .
لعلى بن عبد العزيز الجرجانى المتوفى سنة ٣٦٦ هـ .

١٩٧ — الوشى المرقوم ، فى حل المنظوم (طبع بيروت سنة ١٢٩٨ هـ) .
لنصر الله بن محمد بن الأثير المتوفى سنة ٦٣٧ هـ .

١٩٨ — هياكل النور (مخطوط بدار الكتب رقم ٤٤٨ فلسفة) .
ليحيى بن حبش السهروردى المتوفى سنة ٥٨٧ هـ .

١٩٩ — وفيات الأعيان (المطبعة الميمنية سنة ١٣١٠ هـ) .
لأحمد بن محمد بن خلكان المتوفى سنة ٦٨١ هـ .

٢٠٠ — ينبوع الحياة (مخطوط بدار الكتب رقم ٣١٠ تفسير) .
لمحمد بن محمد بن ظفر الصقلي المتوفى سنة ٥٦٥ هـ .

٢٠١ — (لندن — الطبعة الرابعة سنة ١٩١٣)
History of Egypt in the Middle Ages
تأليف لين بول Lane-Poole

٢٠٢ — (لندن سنة ١٩٠٠ ؟ .
Short History of the Saracens
تأليف أمير على Ameer Ali

فهرس الكتاب

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٧٢/٦٣١٥